المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
الدراسات العليا
كلية الدعوة وأصول الدين

الآيات والأحاديث والآثار العقدية الواردة في نبي الله لوط عليه السلام

جمعاً ودراسة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

تقديم الطالبة: أشواق بنت صالح محمد حمصاني
قسم العقيدة
الرقم الجامعي: (٤٢٩٨٠١٥٦)

إشراف
الأستاذة الدكتورة:
عائشة علي روزي

الفصل الدراسي الأول
عام: ١٤٣٤-١٤٣٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح ابني الغالي

أنس

رحمهُ الله تعالى رحمةً واسعةً وأَسْكَنَهُ فَسيح جَنَّاتِهِ

وَبَلَّغَهُ مَنَازِلَ الشُّهداءِ وَالفِرْدَوس الأعلى وَجَمَعَنَا بهِ في أعلى عليين

آمين يا ربَّ العالمين

كلمة الشكر

أتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساندني في إنجاز هذا العمل، وأخص بالشكر والديَّ الحبيبين ودعائهما لي بالنجاح والتوفيق، أسأل الله تعالى أن يديم عليهما لباس الصِّحَة والعافية، ولزوجي الغالي وما كان منه من الدعاء لي والحرص والتشجيع الدائم على إتمام هذا العمل على أحسن وجه.

وكذلك أبنائي الأحبَّاء وما كان منهم من تقدير وبِرٍّ وحُنُوٍ لإنجازِ عملي وإتمامه.

وأخصُّ بالشُّكر مشرفتي الأستاذة القديرة: عائشة روزي، وما بذلته معي من نصح وإرشاد ودعاء، أسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتها وينفع بها الإسلام والمسلمين.

وكذلك الدكتور: أحمد رمضان، والدكتورة: ابتسام جمال، والدكتورة: سامية سمباوة، والدكتور: عبد الله سمك.

والشكر لله تعالى أولاً وآخراً،،

المقدمة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أما بعد:

فإن سبب فلاح الإنسان وسعادته واستقرار نفسه في الدنيا والآخرة وأساس أمنه ونجاته التزامه بالعقيدة الصافية الصحيحة من المنبع الأصلي لها، فإن من صحت عقيدته صح عمله وخلقه ومن فسدت عقيدته فسد جميع عمله وخلقه، فالعقيدة الصحيحة نور يضئ حياة المسلم. وإيمانه بخالقه سبب لبلوغه أعلى المنازل في الدارين.

ومن نعمة الله تعالى علينا إرسال الرسل ليبينوا للناس النبع الصافي لهذه العقيدة والمورد العذب الذي يستقون منه منهج حياتهم وأساس دينهم، فكانوا صلوات الله عليهم وسلامه مبشرين ومنذرين، وداعين إلى الحق والصراط المستقيم، ولا خير للمرء إلا بالتمسك بمنهجهم و تقفي أثرهم ليحصل له الفوز والنجاة في الدارين.

فَهُم مشاعل الهدى في دياجير الظلمات، وهم نبراس للخير في كل زمان. لذلك رغبت في دراسة حياة النبي لوط عليه السلام مع قومه، وما عاناه عليه الصلاة والسلام في سبيل ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس قومه، وكيف بذل قصارى جهده في ردِّهم إلى طريق الصواب، وكيف كتب الله تعالى للحق أن يعلوا ولا يعلى عليه، ويزهق الباطل ويضمحل، فاخترت موضوعاً لرسالتي: "الآيات والأحاديث والآثار العقدية الواردة في نبي الله تعالى لوط عليه السلام جمعاً ودراسة".

دوافع اختيار البحث:

أولاً: أنَّ في دراسة قصص الأنبياء تتجلى جوانب مشرقة في حياتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تكمن في نشرهم للعقيدة الصحيحة والقضاء على الشرك والوثنيات، ومدى تكبدهم لأنواع الأذى والعناد والاستكبار من أقوامهم على مرِّ القرون، وما منحهم المولى الكريم من سعة الصدر والقوة في الحق والصبر والاحتساب في سبيل نشر الحق، فحريٌّ بكلِ داعٍ إلى الله أن يسير على خطاهم ويحذو حذوهم ويتجمل بسجاياهم حتى يفوز برضا الله تعالى.

ولا شك أن طاعة الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه تورث معية الأنبياء في جنان الرحمن كما أخبر بذلك سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

ثانيا: ما تعرَّض له أنبياء الله تعالى من شتى صور الابتلاء والمعاناة:

فالأنبياء هم أشد الناس بلاءً، وذلك من أجل إعلاء كلمة الحق ونشر راية الدين في كل مكان، وقد ذكر الله تعالى في كتابه صوراً من الابتلاء الذي تعرض له الأنبياء:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، وكما قال تعالى حكاية عن قوم لوط عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ۝ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ۝ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ۝ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ۝ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ۝ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٦١ – ١٧٥]، وذكر الله ذلك تسلية لمن بعدهم.

كما أن الله تعالى يبتلي رسله ليستوجبوا بذلك كمال كرامته سبحانه وتعالى لهم، ودخولهم في مستقر رحمته، والذكر الحسن في الدنيا، وحسن المآل في الآخرة. وهذه سنة الله في أوليائه وأنبيائه، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

ثالثاً: فضل الأنبياء، إن فضل الأنبياء ورفعتهم يكون بأمرين:

١-: الرفعة بالإيمان لهم، فأنبياء الله تعالى الكرام مرتفعون على غيرهم من الناس، والمؤمنون مرتفعون على غيرهم من غير المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

٢-: رفعة العلم والأخلاق الحسنة، فأنبياء الله تعالى الكرام مرتفعون على غيرهم من الناس بأخلاقهم الحسنة وسجاياهم الحميدة، وأهل الإيمان فيهم أناس يرتفعون على من سواهم من بقية المؤمنين بخاصية خصَّهم الله وفضَّلهم بها وهي الخلق الحسن والعلم.

فمن هذا المنطلق آثرت الكتابة في هذا الموضوع لإلقاء الضوء على الجوانب المشرقة في حياة سيدنا لوط عليه السلام وصبره ودعوته لقومه وتحمله لأذاهم وإنكاره للفواحش في مجتمعهم ودعوتهم إلى توحيد الله وترك الشرك والفساد في الأرض، وتسليط الضوء أيضاً على أنواع الفواحش ومنكرات الأخلاق المنتشرة في قوم لوط والتي تنم عن فساد المعتقد وسوء النوايا، ووجود التلازم بين صلاح المعتقد والتحلي بمكارم الأخلاق.

الدراسات السابقة:

لا شك أن هناك دراسات سابقة سبقني إليها الكثير سواء في تأليف الكتب أو إعداد الرسائل والبحوث، فيما يخص قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لكن لا أعتقد أن هناك دراسة سابقة قد تطرقت إلى هذا الموضوع وبهذه المنهجية في الكتابة التي تشتمل على جمع واستيفاء الآيات والأحاديث والآثار العقدية الواردة في نبي الله لوط عليه السلام ومن ثم دراستها دراسة عقدية، ومن الدراسات السابقة التي تناولت الحديث عن النبي لوط عليه السلام:

رسالة ماجستير بعنوان: قصة لوط بين القرآن الكريم والتوراة، دراسة مقارنة إعداد الباحث: جهاد محمد عبدالرحمن حماد، قام الباحث بعقد مقارنة بين الكتابين القرآن الكريم والتوراة فيما يخص قصة النبي لوط عليه السلام وقومه مع بيان أوجه الاتفاق والاختلاف في بعض الجوانب وبين أنواع التحريف والتزييف في القصة.

رسالة ماجستير بعنوان: لوط عليه السلام وقومه على ضوء الكتاب والسنة. للباحث ناصر أحمد نصار، تناول فيها الباحث قصة لوط عليه السلام وقومه وإبراز صفاته والثناء عليها، ودعوته الإصلاحية ومقاومته للمنكرات، وتطاول أعداء الله تعالى على النبي لوط عليه السلام. وبيان صور الفاحشة وكيفية الوقاية منها.

منهجية البحث:

أولاً:- جمع واستيفاء جميع الآيات والأحاديث العقدية المتعلقة بالنبي لوط عليه السلام وقومه.

ثانياً:- استيفاء الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين، عن النبي لوط عليه السلام، وأقوال المفسرين وشراح الأحاديث في ذلك. ومن ثَمَّ بيان درجتها والحكم عليها قدر المستطاع.

ثالثاً:- جمع وتقسيم وترتيب المسائل العقدية المستنبطة من الآيات والأحاديث والآثار الواردة في النبي لوط عليه السلام، على أركان الإيمان الستة.

رابعاً:- التطرق بشيء من التفصيل إلى المسائل التاريخية المتعلقة بالنبي لوط عليه السلام.

خامساً:- دفع الإشكالات والشبهات والافتراءات الواردة في النبي لوط عليه السلام في المسائل العقدية.

وقد جمع الله الرِّفعتين في سورة المجادلة فقال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ هذه الرفعة الأولى بالإيمان، والرفعة الثانية قال عنها: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١] ، وقد تحلى النبي لوط عليه السلام كغيره من الأنبياء الكرام بكلا الرفعتين، رفعة الإيمان ورفعة الأخلاق.

ومن عظيم مكانة الأنبياء ورفعة مترلتهم وشريف مرتبتهم أن الفطر تطمئن لصادق دعوقم، وصدق ألسنتهم، ومقالهم، وأن العقول تقطع بصحة كلامهم وبحقيقة دعوقم، والقلوب تَسْكُن لصدق ما جاؤوا به؛ وذلك لما للأنبياء من عظيم الرُّتبة وشريف المترلة، ولأن دعوقم هي دعوة التوحيد، وهي الدعوة الحق وما سواها فباطل.

رابعاً: تجملهم بأجمل الصفات وأكرم السجايا.

لقد اصطفى الله أنبياءه ليكونوا مشاعل هدى للناس يضيئوا لهم الطريق ويخرجوهم من الظلمات إلى النور بإذن الله، من أجل ذلك حلاهم الله بأجمل الصفات وزينهم بأجمل السجايا حتى يكونوا خير قدوة لأتباعهم من بعدهم، فالأنبياء عليهم السلام موصوفون بالصدق فيستحيل عليهم الكذب وموصوفون بالفطنة فيستحيل عليهم البلادة والغباوة، وموصوفون بالأمانة فيستحيل عليهم الخيانة، وموصوفون بالعفة فيستحيل عليهم الرذيلة والسفاهة، وموصوفون بالشجاعة فيستحيل عليهم الجبن، والأنبياء لا يصابون بالأمراض المنفرة. والأنبياء لا يقعون في الكفر ولا في معصية كبيرة ولا في معصية صغيرة فيها خسة ودناءة، وهذا كله قبل أن يوحى إليهم وبعده.

فكانوا صلوات الله عليهم وسلامه أكثر الناس خشية لربِّهم؛ فهم أعلم الناس بالله، فآدم عليه السلام قال الله عنه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وكانوا عليهم الصلاة والسلام أعظم الناس أدباً مع الله ومن شواهد ذلك ما قصَّ اللهُ تعالى في القرآن في شأن لوط وأدبه مع ربه سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]، وأدبه عليه السلام في دعوة قومه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨ – ٣٠]، وقد كانت رسالة سيدنا لوط عليه السلام لقومه تدعوا إلى مكارم الأخلاق، والبعد عن سفاسف الأمور والفواحش، ومنكرات الأهواء والأخلاق، فقد كان عليه السلام حريصاً على نشر الفضيلة بين قومه والبعد عن الرذيلة وترك الظلم والشر والفساد وقد أظهر عليهم الصلاة والسلام حرصه الدائم على سعادقم في الدنيا والآخرة بفعل ما يستوجب ذلك من تقوى الله وعبادته والبعد عن الرزايا والذنوب. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦١ – ١٦٤].

سادساً:- الترجمة لغير المشهورين من رواة الآثار ترجمة موجزة دون غيرهم من رجال السند، لأنهم هم المعتمد على قولهم دون رجال السند، و لم أقم بدراسة السند لأن ذلك يستغرق وقتاً طويلاً للمختصين فكيف بغيرهم.

سابعاً:- عزو الآيات إلى سورها، كان ذلك في المتن حتى لا تثقل الحاشية.

ثامناً:- تخريج الأحاديث، وذلك إن كان الحديث في الصحيحين فقد اكتفيت بتخريجه منهما، وإن لم يكن كذلك فإني أخرجه من كتب السنن والمسانيد والمصنفات، مع بيان الحكم عليه عند علماء الحديث إن وجد ذلك.

تاسعاً:- توثيق الآثار من الكتب المسندة كتفسير ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى، وتفسير ابن أبي حاتم، وعبد الرزاق وغيرهم، وإن لم أجد الأثر فيهم فإني أوثقه من السنن والمسانيد والمصنفات وغيرها، خاصة تفسير الدر المنثور للسيوطي لاحتوائه على غالب التفسير بالمأثور، وكذلك الرجوع إلى تفسيري القرطبي وابن كثير وغيرهما من التفاسير. ثم من كتابي فتح الباري لابن حجر وتاريخ دمشق، مع الحرص على نقل ما وقفت عليه من أقوال أهل العلم وحكمهم بالحديث على الأثر، وخاصة كتب المتقدمين منهم كالحافظ ابن كثير وابن حجر وغيرهم، فإن لم أجد حكماً لهؤلاء نظرت إلى حكم المتأخرين أمثال العلامة الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى، وكذلك لا أغفل الاستفادة الجمة من موسوعة الدكتور حكمت بشير ياسين المسماة: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، فقد كان مرجعاً ثميناً في الآثار الصحيحة والحسنة.

عاشراً:- الترجمة المختصرة لأبرز الأعلام في الدراسة خشية الإطالة، وكان ذلك في الحاشية.

حادي عشر:- التعريف بالفرق والأماكن غير المعروفة.

ثاني عشر:- شرح وتوضيح معاني المفردات الغريبة الواردة في البحث.

ثالث عشر:- عزو أبيات الشعر إلى قائلها.

رابع عشر:- الاقتصار في التعريف ببعض الكتب على اسم الكتاب واسم المؤلف، خشية الإطالة، لأني سأقوم بذكر التعريف بها في المراجع بشكل مفصل.

خامس عشر:- في تخريج الأحاديث والآثار وترجمة الأعلام والفرق والأماكن اكتفيت بذكر ذلك في أول موضع يرد فيه، وذلك منعاً للتكرار والإطالة.

خطة البحث:

تشتمل على المقدمة وسبعة فصول والخاتمة والفهارس.

أولاً:- المقدمة:

وتتضمن: دوافع اختيار البحث، الدراسات السابقة، منهجية البحث، وخطة البحث.

ثانياً:- الفصل الأول: نبذة تاريخية عن نبي الله لوط عليه الصلاة والسلام. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نسبه عليه السلام ونشأته. وفيه مطالب:

المطلب الأول: معنى كلمة "لوط".

المطلب الثاني: اسمه ونسبه عليه السلام.

المطلب الثالث: إيمان لوط بسيدنا إبراهيم عليه السلام.

المطلب الرابع: هجرة سيدنا لوط عليه السلام.

المبحث الثاني: صفات سيدنا لوط عليه السلام. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صفات النبي لوط عليه السلام الخَلْقِيَّة

المطلب الثاني: الصفات الخُلُقِيَّة التي تحلى بها سيدنا لوط عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم:

ثالثاً:- الفصل الثاني: ما ورد عن نبي الله لوط عليه السلام في مسائل الإيمان بالله تعالى، وفيه مباحث:

المبحث الأول: ما ورد في تقريره عليه السلام لتوحيد الربوبية.

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية:

المطلب الثاني: ما ورد من الآيات والآثار في تقرير نبي الله لوط عليه السلام لتوحيد الربوبية.

أولاً: الآية في تقريره عليه السلام لتوحيد الألوهية.

ثانياً: من دلائل الربوبية إنعام الله على قوم لوط بالحدائق والخيرات.

المبحث الثاني: ما ورد في تقريره عليه السلام توحيد الألوهية

وفيه مسائل:

أولاً: تعريف الألوهية

ثانياً: ما ورد من الآيات في تقرير النبي لوط عليه السلام لتوحيد الألوهية

المبحث الثالث: ما ورد في تقريره عليه السلام لتوحيد الأسماء والصفات

وفيه مسائل:

أولاً: معنى واشتقاق "الاسم".

ثانياً: معنى الصفة.

ثالثاً: معنى توحيد الصفات.

رابعاً: ما ورد في قصة نبي الله لوط عليه السلام في تقرير توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الرابع: ما ورد في قوم لوط عليه السلام من أنواع الكبائر والفواحش.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: معنى الكبائر.

المطلب الثاني: أنواع الكبائر المنتشرة في قوم لوط عليه السلام.

المطلب الثالث: أعظم الفواحش في قوم لوط.

المبحث الخامس: ما ورد في قوم لوط عليه السلام من نواقض الايمان.

المطلب الأول: أنواع نواقض الايمان:

المطلب الثاني: من نواقض الإيمان الواردة في قصة النبي لوط عليه السلام الشرك بالله.

المطلب الثالث: النفاق وأنواعه

المبحث السادس: خيانة أزواج الأنبياء.

أولاً: معنى الخيانة

ثانياً: خيانة زوجة النبي " لوط " عليه السلام

ثالثاً: أقوال المفسرين في معنى خيانة أزواج النبيين " نوح " و " لوط " عليهما السلام

رابعاً: ما ورد في هلاك زوجة " لوط " عليه السلام

خامساً: فرية وقوع الفاحشة من زوجة النبي " لوط " عليه السلام والرد عليها

رابعاً:- الفصل الثالث: ما ورد في لوط عليه السلام من مسائل الإيمان بالملائكة عليهم السلام:

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الملائكة.

المطلب الثاني: الايمان بالملائكة.

المطلب الثالث: ما ورد في مجيء الملائكة للنبيين إبراهيم و لوط عليهما السلام وما جاء في صفاتهم وأسمائهم.

المطلب الرابع: التعريف بأسماء الملائكة كما جاءت في الآثار.

المطلب الخامس: ما ورد من الآيات في مجيء الملائكة للنبين إبراهيم ولوط عليهما السلام.

خامساً:- الفصل الرابع: ما ورد في لوط عليه السلام في مسألة الايمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام. وفيه مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالأنبياء الكرام.

المطلب الأول: معنى الإيمان بالأنبياء الكرام

المطلب الثاني: ما ورد في إثبات عصمة لوط عليه السلام

المبحث الثاني: دلائل النبوة:

المطلب الأول: دلائل نبوة سيدنا لوط عليه السلام.

المطلب الثاني: أهم ما تميزت به دعوة الأنبياء جميعاً صلوات الله عليهم.

المبحث الثالث: أبرز خصائص دعوة سيدنا لوط،

وفيه مطالب:

المطلب الأول: مناصحته لقومه وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

المطلب الثاني: تذكيرهم بتقوى الله تعالى والتوبة من الذنوب.

المبحث الرابع: نبوة سيدنا لوط إلى قوم سدوم والآيات الدالة على ذلك.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: موقع قرى قوم لوط.

المطلب الثاني: نبوة سيدنا لوط ورسالته إلى قوم سدوم.

المطلب الثالث: الآيات الدالة على نبوة سيدنا لوط عليه السلام.

سادساً:- الفصل الخامس:

المبحث الأول: ما ورد في مسائل الإيمان باليوم الأخر.

وفيه مطلبان

المطلب الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر.

المطلب الثاني: ما ورد في مسائل الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الثاني: ما ورد في مسائل الإيمان بالقضاء والقدر.

وفيه مطالبان:

المطلب الأول: معنى القضاء والقدر، وما ورد من مسائل في تقريرهما.

أولاً: معنى القضاء والقدر

ثانياً: ما ورد في تقرير مسألة الايمان بالقضاء والقدر.

ثالثاً: معنى الأمر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾.

رابعاً: معنى الإرادة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

خامساً: علاقة "لو" بالقدر.

المطلب الثاني: عذاب قوم لوط عليه الصلاة والسلام

أولاً: أسباب وقوع العذاب في قوم لوط عليه السلام.

ثانياً: عذاب قوم لوط عليه الصلاة والسلام.

- الرجم بالحجارة
- إنزال الرجز على قوم لوط عليه السلام
- قلب الديار على قوم لوط وجعل عاليهم سافلهم.

سابعاً:- الفصل السادس: قصة لوط عليه السلام في أسفار التوراة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نظرة مجملة في الاسفار التوراتية.

المبحث الثاني: ما ورد عن قصة سيدنا لوط عليه السلام في سفر التكوين.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: صفات سيدنا لوط عليه السلام كما جاءت في نصوص العهد القديم.

المطلب الثاني: موقف التوراة من النبي لوط عليه السلام.

المطلب الثالث: موقف التوراة من دعوة لوط عليه السلام قومه إلى التوحيد.

المطلب الرابع: تصوير التوراة لموقف سيدنا لوط من الفاحشة في قومه ومناقشته.

تاسعاً:- الخاتمة:

وهي تشتمل على أهم النتائج والتوصيات العلمية ثم الفهارس.

وختاماً:

فهذا بحثي عن الآيات والأحاديث والآثار العقدية الواردة في النبي لوط عليه السلام...

حاولت جاهدةً في طلب حقائقه ومعرفة دقائقه، ولا أدَّعي فيه الكمال، ولا أُبرئُهُ من العيب والنقصان، فهذا من عادة بني الانسان، ولكني أسأل الله تعالى المنَّان أن يتقبله مني خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثقل به موازين حسناتي يوم الدين، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

وإني أرجو من كل من يقرأه أنْ يُقيلَ العثرة ويتجاوز عن الزَّلة، ويأخذ بيدي لإكمال نقصه وتدارك خطأه... وسيكون مني كل تقبُّل وتقدير واحترام لمن يهدي لي النصح والاحسان.

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يمن علينا بالقبول والتوفيق، ويجزي عني والديَّ وزوجتي وأبنائي خير الجزاء...

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

هذا وأسأل الله تعالى أن يوفقني لما فيه السداد والخير والصلاح، وأن يتقبل مني عملي هذا الذي بذلت فيه قصارى جهدي رغم ما واجهني من عقبات وصعوبات، أسأل الله تعالى العظيم أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله بمنه وعفوه وإحسانه وما كان فيه من صواب فهو من الله تعالى الكريم.

﴿الفصل الأول﴾

نبذة تاريخية عن نبي الله تعالى لوط عليه الصلاة والسلام.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نسبه عليه السلام ونشأته.

المبحث الثاني: صفاته عليه السلام.

﴿الفصل الأول﴾

المبحث الأول: نسبه عليه السلام ونشأته.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: معنى كلمة "لوط".

المطلب الثاني: اسمه ونسبه عليه السلام.

المطلب الثالث: إيمان لوط بسيدنا إبراهيم عليه السلام.

المطلب الرابع: هجرة سيدنا لوط عليه السلام.

المطلب الأول: معنى كلمة "لوط"

قال ابن فارس[1]: "اللام والواو والطاء" كلمة تدل على اللصوق، يقال: لاط الشيء بقلبي إذا لصق، وفي بعض الحديث "الولد ألوط بالقلب"[2] أي: ألصق، ويقولون: هذا أمر لا يلتاط بصفري، أي: لا يلصق بقلبي، ولطت الحوض لوطاً إذا مدرته بالطين[3].

ويتفق اللغويون على أنَّ مأخذ كلمة (لاط): من الالتصاق، يقال: (لاط) الشيء بالشيء لوطاً أي: لصق به[4].

قال الفيروزآبادي[5]: "لاطَ" عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِه، كلاوَطَ وتَلَوَّطَ، ولاط الحَوْضَ طَيَّنَه، و الشيءُ بقَلْبي يَلُوطُ ويَلِيطُ لَوْطاً ولَيْطاً: حُبِّبَ إليه وأُلْصِقَ[6].

مما سبق يظهر لنا أن معنى كلمة: "لوط" بفتح أوله وأوسطه وآخره، تأتي في كلام العرب على معنيين:

المعنى الأول: الحبُّ، كما يقال: الولد ألصق بالقلب، أي: أحبُّ إلى قلب والديه، وليس هنا المقصود اللصوق الحسي وإنما اللصوق المعنوي؛ فإن الأبناء هم الأقرب إلى قلوب آبائهم والأحب إليهم من كل شيء، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، وقد يكون أيضاً المقصود اللصوق الحسي من التقرب إلى الأبناء جسدياً وتقبيلهم والحنوِّ والعطف عليهم، فيكون اسم "لُوْط" بضم أوله وسكون أوسطه، اسم علم على من لاط حبه بالقلب والتصق به.

---

(١) الإمام المحدث، أبو الحسين، أحمد بن فارس ابن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي، نزيل همذان، وصاحب كتاب: " المجمل " أشهر كتب ابن فارس في اللغة، التزم فيه إيراد الصحيح من اللغات، حدث عن: أبي الحسن علي بن إبراهيم ابن سلمة القطان. انظر: سير أعلام النبلاء: (١٠٣/١٧)، وتاريخ دمشق: (١٩/١).

(٢) ذكره البلاذري عن المدائني عن أبي محمد المكي عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: عمر أحب الخلق إلي، ثم قال: أستغفر الله، الولد ألوط بالقلب، ولكن عمر أعز الخلق عليَّ. أنساب الأشراف: (٤١٦/٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر:١٩٧٩م: (٢٢١/٥).

(٤) انظر المعجم الوسيط: (١/ ٨٤٦) باب اللام مادة " لاط " و " التاط " و " اللوط " . لسان العرب: (٣٩٤/٧)، تاج العروس: (٤٩٩٣/١)، العباب الذاخر: (٣١٣/١)، تهذيب اللغة: (٤٢٣/٤).

(٥) الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي مؤلف القاموس وغيره، مجدد علم اللغة على رأس المائة الثامنة، وتفقه فطلب، وفي شيوخه كثرة: منهم التقي السبكي وولده التاج، ومحمد بن يوسف الزرندي المدني، وابن القيم، وللفيروزبادي شرح على البخاري سماه "فتح الباري بالسيح الفسيح الجاري في شرح البخاري"، كمل منه ربع العبادات في عشرين مجلدا، وله كتاب في الأحاديث الضعيفة في أربع مجلدات، وتسهيل طريق الوصول في الأحاديث الزائدة على جامع الأصول، وهو في أربع مجلدات، وغير ذلك. مات سنة: ٨١٨هـ. انظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، ٩٠٧-٩٠٨: تحقيق إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: ٢، ص١٩٨٢.

(٦) القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزابادي، مؤسسة الرسالة- بيروت: (٨٨٦/١) مادة: لوط.

المعنى الثاني: الإلصاق والإلزاق، تقول العرب: لاط فلان حوضه، أي: طَيَّنَهُ، ولُطتُ الحَوْضَ لَوطــاً، أي: مَدَرْتَه بالطِّين. ويكون المقصود هنا اللصوق المادي. فتكون كلمة "لوط" تشمل المعنيين: الحب، واللصوق.

وقد نقل القرماني[١] في أخبار الدول وآثار الأول: أنَّ سبب تسمية سيدنا لوط عليه السلام؛ لأنه ليط حبــه بقلب سيدنا إبراهيم عليه السلام ، أي: تعلق ولصق، فقد كان إبراهيم عليه السلام يحبه حباً شديداً[٢].

مسألة: إطلاق اسم "اللوطي" على من يعمل عمل قوم لوط، ويشتهر بمناكحة الذكران، ويطلــق عليهم: "لوَّاط".

يقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في كتاب معجم المناهي اللفظية: فتــأيَّد هذا الاشتقاق لغة، و لم يمتنع هذا الإطلاق "اللواط" على هذه الفِعلة الشنعاء، "واللوطي" على فاعلها. وقد أجمع على إطلاقها العلماء من غــير خلاف يُعرف. فالفقهاء يعْقِدون أحكام اللواط، واللوطية، في مصنفاتهم الفقهية، والمفسرون في كتــب التفســير، والمحدثون في شرح السنة، واللغويون في كتب اللغة[٣].

وقد يلتبس الأمر على البعض ويظن أن كلمة: لوطي مشتقة من اسم النبي لوط عليه السلام، كمــا قــال الأصفهاني[٤]: "وقولهم: لوَّط فلانٌ إذا تعاطى فعل قوم لوط، فمن طريق الاشتقاق؛ فإنه اشتق من لفظ لوط النــاهي عن ذلك لا من لفظ المتعاطين له"[٥].

فهو يرى أن كلمة "لوط" مشتقة من اسم النبي لوط عليه السلام الذي كان ينكر على قومه الخبث وينهاهم عنه، وليست مشتقة من فعلة القوم المتعاطين للفاحشة. وفي قول الأصفهاني نظرٌ، ولا تطمئن له النفس، فمن غــير

---

(١) أحمد بن يوسف بن أحمد بن سنان القرماني الدمشقي: (٩٣٩ - ١٠١٩ هــ) مؤرخ، ولد ونشأ في دمشق وتولى فيها النظر في وقف الحرمين. له التاريخ المعروف بتاريخ القرماني واسمه (أخبار الدول وآثار الاول) و(الروض النسيم في مناقب السلطان إبراهيم)، مات في دمشق. الأعلام للزركلي: (٢٧٥/١).

(٢) أخبار الدُّول وآثار الأُول في التاريخ، لأبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني تصحيح وطباعة مفتي العراق السابق الحاج محمد/١٢٨٢هــ: ص٣٠ الفصل: ٨، في ذكر " لوط عليه السلام " .

(٣) معجم المناهي اللفظية، ويليه فوائد في لألفاظ، لبكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الثالثة، ص: ٤٥٦.

(٤) هو الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الاصفهاني أو الاصبهاني، المعروف بالراغب٥٠٢هــ–١١٠٨م: أديب، من الحكماء العلماء، من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه (محاضرات الادباء) مجلدان، و(الذريعة إلى مكارم الشريعة) و(الاخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) و(جامع التفاسير) كبير، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و (المفردات في غريب القرآن) و (حل متشابهات القرآن)، انظر الأعلام للزركلي: (٢٥٥/٢)، البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة، محمد ابن يعقوب الفيروزأبادي: تحقيق: محمد المصري، طبع جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت – ١٤٠٧، الطبعة الأولى: ص١٩.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني: (٣٥٢/٢).

الصحيح أن يكون لفظ: " اللواط " مشتق من اسم النبي لوط عليه السلام الناهي للفعل؛ لأن كلمة لوطي مشتقة من الفعل " لاط " [1].

يقول صاحب معجم المناهي اللفظية مستنكراً نسبة الفاحشة للنبي لوط عليه السلام: فكيف ننسب هذه الفعلة الشنعاء الفاحشة إلى نبي الله لوط عيه السلام ولو باعتباره ناهياً، ولو كان لا يخطر ببال مسلم أدنى إساءة إلى لوط عليه السلام[2].

وعلى أي حال فإن كلا المعنيين المعنوي والمادي الذين تعنيهما كلمة " لَوَطَ " تشمل كذلك كلمة " اللوطي " الذي يعمل عمل قوم لوط أومن يكتفي بالرجال دون النساء. فإن هذه الكلمة تشمل " اللوط المعنوي " الذي يعني الحب والشهوة والرغبة بجنس دون آخر، وتشمل كذلك المعنى الحسي المادي الذي يعني اللزوق والالتصاق.

معنى كلمة " لوط " اصطلاحاً: لوط هو اسم نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعثه الله في زمن سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى أمة عظيمة كانوا يسكنون مدائن سدوم[3].

أخرج السيوطي[4] عن ابن عباس قال: "أرسل لوط إلى المؤتفكات[5]، وكانت قرى لوط أربع مدائن: سدوم، و أمورا ، و عامورا، و صبوير "[1].

---

(١) المطلع على أبواب الفقه، لمحمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي أبو عبد الله، تحقيق: محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي – بيروت، ١٤٠١ – ١٩٨١. كتاب النكاح، باب المحرمات في النكاح: ص٣٢٢.

(٢) معجم المناهي اللفظية ويليه فوائد في لألفاظ: ص ٤٥٩.

(٣) ذكر اللغويون أن أصل كلمة سدوم من سدم وسدوم تعني مندفق، والجمع أسدام سدام، وقد قيل: الواحد والجمع في ذلك سواء مسدم كسدم، والكلمة فيها وجهان: الاول: أن يكون المقصود أهل سدوم، وهم قوم لوط، والوجه الثاني: أن يكون سدوم اسم رجل، وكذا نقل أهل الأخبار قالوا: كان سدوم ملكا فسميت المدينة باسمه. فهي مدينة من مدائن قوم لوط، وهي وما حولها المؤتفكات وكانت خمس قريات، وسدوم هي القرية العظمى. انظر: معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، الناشر: دار الفكر – بيروت، (٢٠٠/٣،). الروض المعطار في خبر الأقطار: محمد بن عبد المنعم الحِميري، المحقق: عباس، الناشر مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية: ١٩٨٠م (ص ٣٠٨.)، لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى(٤٨٤/١٢-٤٨٥).

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين (٨٤٩ – ٩١١ هـ): إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيما، كان يلقب بابن الكتب؛ لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب، ففاجأها المخاض، فولدته وهي بين الكتب. من كتبه (الإتقان في علوم القرآن) و (إتمام الدراية لقراء النقاية) و (الاحاديث المنيفة)، و (الاشباه والنظائر) في فروع الشافعية. الأعلام للزركلي: (٣٠١/٣).

(٥) المؤتفكات: مدائن لوط عليه الصلاة والسلام، سميت بذلك لانقلابها بالخسف. قال تعالى: والمؤتفكة أهوى، قال الزجاج: المؤتفكات جمع مؤتفكة، ائتفكت بهم الأرض أي انقلبت. وقيل: الرياح التي تقلب الأرض، انظر: لسان العرب: (٣٩١/١٠)، تهذيب اللغة، اسم المؤلف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب (٢١٥/١٠).

وكان في كل قرية مائة ألف مقاتل، وكانت أعظم مدائنهم سدوم، وكان لوط عليه السلام يسكنها، وهي من بلاد الشام ومن فلسطين مسيرة يوم وليلة[٢].

المطلب الثاني: اسمه ونسبه عليه السلام:

أولاً: اسم سيدنا لوط عليه السلام: ورد ذكر اسم سيدنا لوط عليه السلام في القرآن الكريم سبعاً وعشرين مرة في أربع وعشرين سورة، منفرداً مرة، ومضافاً مرة أخرى لأهله أو لقومه[٣].

منها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۞ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٦٩ – ٧٠].

وكما قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۞ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ [الحج: ٤٢ – ٤٣].

نسبه عليه الصلاة والسلام:

ثانياً: هو لوط بن هاران ويقال: ابن " أهرن " بن تارخ، وهاران هو أخو النبي إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام ابن تارخ، وتارخ هو آزر بن ناحور بن ساروع بن أرغو بن فالغ بن غابر بن شالغ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلح بن خنوخ، وهو إدريس وهو يارد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم[٤].

قال ابن كثير[٥] رحمه الله تعالى: "هو لوط بن هاران بن آزر، كان قد آمن بإبراهيم، واتَّبعه، وهاجر معه، فآتاه الله حكمًا وعلمًا، وأوحى إليه، وجعله نبيًا، وبعثه إلى سدوم وأعمالها"[٦].

---

(١) قرى قوم لوط التي بعث اليها: انظر أخبار الدول وآثار الأول للقرماني: ص٣٠. معجم البلدان: (٣/٣١٢)، الروض المعطار في خبر الأقطار: محمد بن عبد المنعم الحِميري، المحقق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية: ١٩٨٠م (١/٤٤١)، معجم البلدان: (٤/٢٧٥).

(٢) الدر المنثور لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣(٣/٤٩٥)، وانظر: عرائس المجالس للثعلبي: ص١٣١. المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (٢/٦١٢/٤٠٥٨).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بحاشية المصحف الشريف، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي: ط١: ١٤٠٧هـ–، ط٢: ١٤٠٨هـ. دار الحديث القاهرة: ص: ٨٢٩.

(٤) تاريخ مدينة دمشق: (٥/٣٠٦) من اسمه لوط، انظر أخبار الدول وآثار الأول للقرماني: ص٣٠، تاريخ الأمم والملوك المسمى تاريخ الطبري: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري: دار الكتب العلمية – بيروت: (١/١٧٥)، عرائس المجالس للثعلبي: ص١٣١.

(٥) إسماعيل بن عمر بن كثير، الإمام الفقيه المحدث عماد الدين البصروي الشافعي الدمشقي القرشي، فقيه متفنن ومحدث متقن، ومفسر نقال، وله تصانيف مفيدة، مولده سنة نيف وسبعمائة، توفي سنة: ٧٧٤. انظر سير أعلام النبلاء: (١/١٦٨).

(٦) تفسير ابن كثير: (٥/٣٥٤).

وقد اختلف المفسرون في اسم " آزر " [(١)] الذي هو أب لهاران أبي سيدنا لوط عليه السلام، وفي الوقت نفسه أخٌ لسيدنا إبراهيم عليه السلام. وكان الاختلاف هل اسمه: " آزر " " كما جاء في القرآن الكريم : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٤ – ٧٥]، أم تارخ كما جاء في التوراة. والمفسرون في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن اسم أبي إبراهيم وهاران هو " آزر " ، ذهب إلى هذا القول ابن جرير الطبري[(٢)] حيث قال بعدما ذكر الأقوال في المسألة : " فأولى القولين بالصواب قولُ من قال: هو اسم أبيه؛ لأن الله تعالى ذكره أخبر أنه أبوه، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم، دون القول الآخر الذي زعم قائلُه أنه نعتٌ[(٣)] " .

القول الثاني: أن اسم أبي إبراهيم عليه السلام وهاران هو " تارخ " أو " تارح " ، وأن اسم " آزر " هو اسم صنم له، قال بذلك ابن عباس و مجاهد[(٤)] و الزجاج[(٥)].

قال ابن عباس: " إن أبا إبراهيم عليه السلام لم يكن اسمه آزر، إنما كان اسمه تارح"[(٦)].

---

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري: (١/١٧٥)، عرائس المجالس: ص١٣١.

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، أبو جعفر، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. ٢٢٤ – ٣١٠ هـ، صاحب التفسير الكبير، والتاريخ الشهير: كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك. انظر: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار النشر: دار الثقافة – لبنان، تحقيق: إحسان عباس(٤/١٩١). الأعلام للزركلي: (٦/٦٩).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر الطبري: (٧/٢٤٤).

(٤) العالم الحبر مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المخزومي مولاهم، المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، من الثالثة، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون. انظر: صفة الصفوة: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري – د.محمد رواس قلعهجي، دار النشر: دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٩ – ١٩٧٩، الطبعة: الثانية، : (٢/٢٠٨). وتقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار النشر: دار الرشيد – سوريا – ١٤٠٦ – ١٩٨٦، الطبعة: الأولى، (١/٥٢٠). حلية الأولياء: (٣ /٢٧٩).

(٥) إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، كان من أهل الفضل والدين وجميل المذهب والاعتقاد، من تصانيفه معاني القرآن في التفسير، وخلق الإنسان، وتفسير جامع المنطق، وكانت وفاته سنة إحدى عشرة وثلاثمائة في جمادي. انظر: طبقات المفسرين: أحمد بن محمد أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، دار النشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية – ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، : (١/٥٢). تاريخ بغداد: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت: (٦/٨٩،)، نزهة الألباب في الألقاب: احمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، دار النشر: مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م، الطبعة: الأولى، : (١/٣٣٩).

(٦) تفسير ابن كثير: (٣/٢٨٨).

وقال مجاهد: "آزر" لم يكن بأبيه، إنما هو صنم"[١]. وقال الزجاج: "وليس بين النسابين خلاف أن اسم أبي إبراهيم تارح"[٢].

القول الثالث: أن " آزر " هو لقب، وليس اسمه، قال ابن الأنباري[٣]: قد يغلب على اسم الرجل لقبه، حتى يكون به أشهر " [٤].

والراجح من هذه الأقوال: أن اسم أبي سيدنا إبراهيم عليه السلام وهاران والد النبي لوط عليه السلام هو " آزر " . دل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الأنعام: ٧٤].

ومن السنة ما رواه الإمام البخاري[٥] في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا

---

(١) جامع البيان: (٣٢٣٢/٤)، وعزاه السيوطي في الدر لابن أبي حاتم عن السدي قال: اسم أبيه تارح واسم الصنم آزر، ولابن المنذر عن ابن جريج في قوله: " وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر " ، قال: ليس آزر بأبيه، ولكن " إذ قال إبراهيم لأبيه آزر " وهن الآلهة، وهذا من تقديم القرآن، إنما هو إبراهيم بن تيرح، ولابن جرير وابن أبي حاتم عن سليمان التيمي أنه قال: بلغني أنها أعوج، وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم لأبيه. ولابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: كان يقول أعضد أتعتضد بالآلهة من دون الله لا تفعل ؟ ويقول: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما اسمه تارح، قال أبو زرعة: بهمزتين أءزر . الدر المنثور: (٣٠٠/٣).

(٢) معاني القرآن الكريم للنحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى – مكة المرمة – ١٤٠٩، الطبعة: الأولى: (٣٥٠/٦).

(٣) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن دعامة، أبو بكر الأنباري المقرئ النحوي البغدادي، صاحب كتاب الوقف والابتداء، وغيره من الكتب النافعة، والمصنفات الكثيرة. انظر: البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف — بيروت(١٩٦/١١). معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس(١٩٦/١١). طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٣، الطبعة: الأولى(٣٥٠/١،).

(٤) زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤، الطبعة: الثالثة(٧١/٣).

(٥) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (١٩٤ – ٢٥٦ هـ) أبو عبد الله: حبر الاسلام، والحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، صاحب (الجامع الصحيح) المعروف بصحيح البخاري، و (التاريخ)، و (الضعفاء) في رجال الحديث، و(خلق أفعال العباد) ولد في بخارى، ونشأ يتيما، وقام برحلة طويلة (سنة ٢١٠) في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ست مئة ألف حديث، اختار منها في صحيحه ما وثق برواته. وهو أول من وضع في الاسلام كتابا على هذا النحو. وأقام في بخارى، فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم، فأخرج إلى خرتنك (من قرى سمرقند) فمات فيها. الأعلام للزركلي: (٦/ ٣٤).

تعصيني! فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ[1]، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار»[2].

وقد صرح القرآن الكريم أن والد سيدنا إبراهيم كان مشركاً وأن إبراهيم عليه السلام لم يألو جهداً في دعوته إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ۝ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ۝ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ۝ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ۝ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ۝ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾ [مريم: ٤١ – ٤٨] فالآية تدل على أن سيدنا إبراهيم دعا أباه إلى الحق، والأولى حمل الآية على ظاهرها.

علاقة سيدنا إبراهيم عليه السلام بالنبي لوط عليه السلام:

إذا عرفنا أن لوطاً بن هاران بن تارح الذي هو آزر، وإبراهيم هو ابن آزر أيضاً، كما ذكر المؤرخون[3]. فإن لوط هو ابن أخي إبراهيم عليهما السلام، فيكون إبراهيم عليه السلام عماً له[4].

قال الحاكم: فقد اتفقت الروايات أن سيدنا لوط هو من بيت إبراهيم، لكنهم اختلفوا أهو من ولده أو من ولد أخيه؟[5].

---

(١) الذِّيخ: ذكَر الضّباع والأنْثى ذِيخَة. وأراد بالتَّلطُّخ التلطُّخَ برَجيعِه أو بالطِّين. كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي: دار النشر / دار الوطن – الرياض – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، تحقيق: علي حسين البواب(١/١٠١٠). مشارق الأنوار على صحاح الآثار: القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المالكي، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث(١/٢٧٢).

(٢) رواه البخاري في الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، باب قوله تعالى: " و لا تخزني يوم يبعثون " ، (١٢٢٣/٣). واللفظ له. والحاكم في المستدرك على الصحيحين، ٢٦٠/٢. والنسائي في السنن الكبرى: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١ – ١٩٩١، الطبعة: الأولى: (٤٢٢/٦).

(٣) تاريخ مدينة دمشق: (٣٠٦/٥).

(٤) انظر : التوراة كتابات مابين العهدين، مخطوطات قمران–البحر الميت، الكتب الآسينية، تحقيق: أندريه دوبون– سومرمارك فيلوننكو، ترجمة وتقديم موسى ديب الخوري، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م، دار الطليعة الجديدة سوريا: ص٥٠٢. جاء فيه مانسب إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام قوله: "ولوط ابن أخي كان يرافقني".

(٥) المستدرك على الصحيحين: (٦١١/٢).

وذكر المؤرخون عدة أقوال في علاقة سيدنا لوط عليه السلام بالنبي إبراهيم عليه السلام.

القول الأول: أنَّ سيدنا لوطاً هو ابن أخي إبراهيم عليه السلام: ذكر ذلك المفسرون، منهم البغوي في معنى قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٨٠] قال: لوط بن هاران ابن أخي إبراهيم[١]. وقال القرطبي[٢]: بعثه الله تعالى إلى أمة تسمى سدوم، وكان ابن أخي إبراهيم[٣]. وأخرج السيوطي رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: . . . كان إبراهيم خليل الرحمن عم لوط بن هاران بن تارح[٤]. وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ولوط النبي صلى الله عليه وسلم كان ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام[٥].

أخرج الحاكم عن محمد بن إسحاق[٦] قال: هو لوط بن فاران بن آزر بن باخور، ابن أخي إبراهيم الخليل[٧].

وعن كعب الأحبار[٨] قال: كان لوط نبي الله، وكان ابن أخي إبراهيم[٩].

القول الثاني: أنَّ لوطاً كان أخاً لسارة زوجة إبراهيم، كما جاء في الرواية التي أخرجها الحاكم عن وهب بن منبه[١٠] يقول: "خرج إبراهيم بامرأته سارة ومعها أخوها لوط إلى أرض الشام"[١١].

---

(١) تفسير البغوي: (١٦٥/٣).

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي الاندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. (٠٠٠- ٦٧١ هـ)، من كتبه الجامع لأحكام القرآن يعرف بتفسير القرطبي، وقمع الحرص بالزهد والقناعة والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى والتذكار في أفضل الاذكار والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة مجلدان. الأعلام للزركلي: (٣٢٢/٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي: تحقيق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية: (٢٤٣/٧).

(٤) الدر المنثور: (٤٩٥/٣).

(٥) المستدرك على الصحيحين: (٤٠٥٢/٦٦١/٢)، وقال: هذا إسناد صحيح.

(٦) أبو بكر، محمد بن إسحاق بن جعفر الصاغاني، ولد في حدود الثمانين ومئة، وقال أبو بكر الخطيب: كان الصغاني أحد الاثبات المتقنين، مع صلابة في الدين، واشتهار بالسنة، واتساع في الرواية، قال أحمد بن كامل: توفي في سابع صفر سنة سبعين ومئتين.
سير أعلام النبلاء: (٥٩٤-٥٩٢/١٢)، طبقات الحفاظ: (٥٠/١)، فتح الباب في الكنى والألقاب: محمد بن إسحق بن منده الأصبهاني، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر مكتبة الكوثر، الرياض: (ص١١٢).

(٧) المستدرك على الصحيحين: (٦٦١/٢).

(٨) كعب بن ماتع الحميري اليماني، كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه، فجالس أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. سير أعلام النبلاء: (٤٩٤-٤٨٩/٣). خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية/دار البشائر، سنة النشر ١٤١٦ هـ، حلب/بيروت: ص٣٢١.

(٩) المستدرك على الصحيحين: (٦٦١/٢). وهذه الرواية عن كعب الاحبار موقوفة عليه، سكت عنها الذهبي في التلخيص.

(١٠) وهب بن منبه الابناوي الصنعاني الذماري، (٣٤ - ١١٤ هـ) أبو عبد الله مؤرخ، كثير الاخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الاولين ولا سيما الاسرائيليات، يعد في التابعين، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمه من حمير. ولد ومات بصنعاء، وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها. الأعلام: (١٢٥/٨)، صفة الصفوة: (٢٩٦/٢).

(١١) مستدرك الحاكم: (٦٦١/٢ -٤٠٥٢)، قال الذهبي في التلخيص: صحيح، وأخرجه ابن جرير وابن المنذر ، وعزاه السيوطي لهما في الدر المنثور: (٤٤٨/٤).

القول الثالث: أنَّ لوطاً هو ابن سارة، فقد روى الحاكم عن وهب بن منبه قال: "لما توفيت سارة تزوج إبراهيم امرأةً يقال لها حجوراً، فولدت له سبعة نفر: بافس ومدين وكيسان ولوط وسرخ وأميم ونعشان"[1].

القول الرابع: أنَّ لوطاً هو ابن عم إبراهيم عليه السلام: فقد روى القرطبي عن سليمان بن صرد[2] وهو ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم: "لما أرادوا إلقاء إبراهيم في النار جعلوا يجمعون له الحطب، فجعلت المرأة العجوز تحمل على ظهرها وتقول: اذهب به إلى هذا الذي يذكر آلهتنا، فلما ذهب به ليطرح في النار قال: إني ذاهب إلى ربي، فلما طرح في النار قال: حسبي الله ونعم الوكيل، فقال الله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فقال أبو لوط: وكان ابن عمه: إن النار لم تحرقه من أجل قرابته مني، فأرسل الله عنقاً من النار فأحرقه الثانية[3].

القول الخامس: أنَّ لوطاً عليه السلام هو ابن أخت سيدنا إبراهيم عليه السلام، فيكون خالاً له عليهما الصلاة والسلام.

روى القرطبي عن ابن إسحاق قال: آمن لوط بإبراهيم، وكان ابن أخته، وآمنت به سارة، وكانت بنت عمه، وقال: إني مهاجر إلى ربي[4]. وروى عن قتادة[5] قال: هاجر من كوثا[6] وهي قرية من سواد الكوفة إلى حران، ثم إلى الشام، ومعه ابن أخيه لوط بن هاران ابن تارخ وامرأته سارة[7].

---

(١) مستدرك الحاكم: (٢/٦٦١- ٤٠٥١)، وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

(٢) سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون بن منقذ بن ربيعة، أبو مطرف، صحابي جليل رضى الله عنه، كان خيرًا فاضلاً صاحب عبادة، وكان له قدر وشرف في قومه، قُتل بعين الوردة من الجزيرة، وهى رأس عين سنة خمس وستين، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة، وكان أميرًا على جيش البوابين. تهذيب الأسماء واللغات للنووي: (٣٢٩-٣٣٠). الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد: (٣٠٩/١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٩٨/١٥) انظر أخبار الدول وآثار الاول في التاريخ للقرماني ص ٣٠.

(٤) الجامع لأحكام القران: (٣٣٩/١٣).

(٥) قتادة بن دعامة السدوسي البصري الأكمه، أبو الخطاب، أحد الأئمة الأعلام، حافظ مدلس، روى عن أنس وابن المسيب وابن سيرين وخلق، وعنه أيوب وحميد وحسين المعلم والأوزاعي وشعبة، توفي سنة سبع عشرة ومائة، وقد احتج به أرباب الصحاح. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٣١٥، صفوة الصفوة: (٢٥٩/٣).

(٦) كوثى: قرية بسواد العراق قديمة. ينسب إليها إبراهيم الخليل عليه السلام، كوثى العراق كوثيان أحدهما كوثى الطريق والآخر كوثى ربى، وبها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام، وبها مولده، وهما من أرض بابل، وبها طرح إبراهيم عليه السلام في النار. تاريخ الطبري: (١٤٢/١). غريب الحديث للخطابي: (٧٢/٣).

(٧) الجامع لأحكام القران: (٣٣٩/١٣). انظر: الاخبار الطوال للدينورى: ص٨. وتفسير الزمخشري: (٣٣٩/١٣).

وعند دراسة الروايات تبين لي أنَّ الرواية الثانية وهي: أن لوطاً عليه السلام هو ابن خالة إبراهيم عليه السلام، رواية ضعيفة [١].

وأن الرواية الثالثة وهي أنَّ لوطاً عليه السلام هو ابن سارة، وأنه من ولد إبراهيم عليه السلام ضعيفة جداً[٢].

والرواية الرابعة وهي أنَّ لوطاً ابن عم إبراهيم عليه السلام فهي ضعيفة[٣].

أما الرواية الخامسة وفيها أن لوطاً عليه السلام هو ابن أخت سيدنا إبراهيم عليه السلام فيكون سيدنا إبراهيم عليه السلام خالاً له عليهما الصلاة والسلام، فلم أعثر على إسناد في روايته، وكذلك خالف قول جمهور العلماء والنسابين.

فالراجح من الأقوال السابقة أن الرواية الأولى هي الصحيحة، وفيها أن صلة القرابة بين سيدنا إبراهيم ولوط عليهما السلام هي أن إبراهيم عمه، ولوط ابن أخيه هاران، وإن كانت العرب تسمي الخال والد والعم والد.

وقد نقل علماء التاريخ والسير أنه وُلِدَ لهاران لوط، وأن إبراهيم عليه السلام هو الأوسط، وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي ولد فيها وهي أرض الكلدانيين بأرض بابل[٤].

وهو قول أكثر العلماء مثل القرطبي و البغوي والسيوطي وغيرهم كثير. وكذلك الروايات الأخرى خالفت رواية ابن عباس التي عليها كثير من العلماء و النسابين.

المطلب الثالث: إيمان لوط بسيدنا إبراهيم عليه السلام.

معنى الإيمان في اللغة: اشتهر عند كثير من علماء اللغة أنَّ الإيمان لغة: هو التصديق، يقال: (آمن) إيمانا صار ذا أمن، وبه وثق، وصدقه[٥].

قال ابن منظور[٦]: "الأَمْنُ ضدُّ الخوف،

---

(١) لأن الرواية مقطوعة على تابعي وهو وهب ابن منبه، وإن كان اسنادها صحيح فإن الموقوف على تابعي لا يناهض المرفوع إلى صحابي، وكذلك وهب ابن منبه ممن يتحرز في النقل عنه، لأن أكثر مروياته من الإسرائيليات. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير المؤلف: الدكتور/ محمد بن محمد أبو شهبة ــ رحمه الله ــ١٤٨-١٤٥، الناشر: مكتبة السنة، ط٤ (٢٥٢).

(٢) لأن الرواية فيها عن عبد المنعم بن بشر اتهمه ابن معين، وقال أحمد كذاب، وقال الخليلي وضاع على الائمة، لذلك سقط الاحتجاج بها، انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن عرّاق الكناني، حققه وراجع أصوله وعلق عليه: عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله بن محمد الغماري، دار الكتب العلمية(٨٢/١). ولسان الميزان، لابن حجر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، ط/٣، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند(٧٣/٤-٧٤).

(٣) لأن السند فيه عنعنة أبي اسحاق السبيعي وهو مدلس. انظر: لسان الميزان: (٣١٣).

(٤) انظر المختصر في أخبار البشر لعماد الدين ابي الفدا (ص١٥)، عرائس المجالس للثعلبي: (ص١٣١)، تاريخ الطبري: (١٤٨/١).

(٥) المعجم الوسيط: (٢٨/١)، مختار الصحاح: ص٢٦.

(٦) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الأفريقي، صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوي الحجة، من نسل رويفع بن ثابت الانصاري. ولد بمصر، وقيل: في طرابلس الغرب، خدم في ديوان الانشاء بالقاهرة. ثم

والأَمانةُ ضدُّ الخِيانة، والإيمانُ ضدُّ الكفر"[1].

قال الأزهري: "والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها، فإذا اعتقد التَّصديق بقلبه كما صدَّق بلسانه، فقد أدى الأمانة وهو مؤمن، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤدٍّ للأمانة التي ائتمنه الله عليها وهو منافق"[2].

وقال الجرجاني[3]: "الإيمان في اللغة التصديق بالقلب، وفي الشرع: الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان "[4].

معنى الإيمان شرعاً: عرَّف علماء أهل السنة الإيمان شرعاً أنه: قول وعمل[5]، أو هو: اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح[6].

الآيات والأحاديث والآثار الواردة في إيمان لوط عليه السلام:

قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [العنكبوت: ٢٦].

روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعال: (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ) قال: " صدَّق لوط"[7].

ولي القضاء في طرابلس، عاد إلى مصر فتوفي فيها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره. (٦٣٠ – ٧١١ هـ) الأعلام للزركلي: (٧/ ١٠٨).

(١) لسان العرب: (٢١/١٣) مادة: أمن.

(٢) تهذيب اللغة: (٥١٣/١٥).

(٣) علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية. ولد في تاكو (قرب استراباد) ودرس في شيراز. ولما دخلها تيمور سنة ٧٨٩هـ فر الجرجاني إلى سمرقند. ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي. له نحو خمسين مصنفا، منها "التعريفات – ط". (٧٤٠ – ٨١٦ هـ)، الأعلام للزركلي: (٥/ ٧).

(٤) التعريفات للجرجاني ٦٠/١.

(٥)كتاب الايمان: ص: ١٦٤. وبه قال البخاري رحمه الله، وقال: "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم مختلف في أن الايمان قول وعمل ويزيد و ينقص" انظر: فتح الباري: ١-٤٥، ٤٧. وقال الشافعي رحمه الله: "وكان الاجماع من الصحابة و التابعين ومن بعدهم وممن ادركناهم يقولون: " الايمان قول وعمل ونية لا يجزي واحد من ثلاث إلا بالآخر" كتاب الام: ٨-١٦١، وانظر: مجموع الفتاوى: (٧-٢٠٩)، وقال ابن تيمية: "وكان ممن مضى من سلفنا لا يفرقون بين الايمان و العمل، العمل من الايمان والايمان من العمل" كتاب الايمان: ص٢٦١.

(٦) مجموع الفتاوى: (٦٧٢/٧).

(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: (٨/ ٦٤٦٥)، ورواه ابن ابي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن قتادة: (٣٠٥٠/٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن جرير رحمه الله تعالى ولابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: (٤٥٧/٦).

وروى ابن جرير أيضاً بسنده عن ابن زيد قال في الآية: "صدّقه لوط، صدَّق إبراهيم، قال: أرأيت المؤمنين، أليس آمنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به؟ قال: فالإيمان: التصديق "(١).

وروى ابن أبي حاتم(٢) عن ابن إسحاق قال: "ثم إن نمرود كفَّ عن إبراهيم ومنعه الله منه، واستجاب لإبراهيم من قومه، حيث رأوا ما صنع الله تبارك وتعالى به على خوف من نمرود وملئه، فآمن له لوط وكان ابن أخيه، وآمنت به سارة وكانت بنت عمه "(٣).

مما سبق يظهر لنا أن نبي الله لوط عليه السلام قد حصل منه التصديق الجازم برسالة عمه إبراهيم، بعد أن أنجاه الله تعالى من النار والهلاك فيها، وكانت برداً وسلاماً عليه، وعرف ببصيرته عليه الصلاة والسلام أن ذلك لا يكون إلا لمن أنطق الله تعالى الحق على لسانه وأجرى الخير على يديه، فآمن به إيماناً لا ينفذ إليه الشك أو الخلل(٤).

ويرى بعض المفسرين منهم ابن كثير رحمه الله تعالى أنه لم يؤمن من قوم إبراهيم أحد غير سيدنا لوط عليه السلام وسارة زوجة سيدنا إبراهيم(٥).

وهناك من يرى أنه آمن مع لوط رهط من قومه، وليس سيدنا لوط عليه السلام فقط ، فقد روى الحاكم في مستدركه عن الواقدي(٦) قال: "و بلغنا أن إبراهيم لما هاجر إلى أرض الشام، وأخرجوه منها طريدا، فانطلق و معه

---

(١) جامع البيان: (٨/ ٦٤٦٥)، ورواه ابن ابي حاتم عن ابن اسحاق، وابن عباس. تفسير ابن ابي حاتم: (٣٠٥٠/٩).

(٢) الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد: حافظ للحديث، من كبارهم. كان منزله في درب حنظلة بالري، وإليهما نسبته. له تصانيف، منها (الجرح والتعديل) ثمانية مجلدات منه، و(التفسير) عدة مجلدات، و(الرد على الجهمية)، و (علل الحديث) و (المسند) و(الكنى) وغيرها، تَوَفَّى سنة: ٣٢٧ هجرية. الاعلام: (٣٢٤/٣)، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم: (٦٥٨/٢).

(٣) تفسير ابن ابي حاتم: (٣٠٥٠/٩).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين: (٦٢٩/١)، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم: (٢٨١/٤)، فتح القدير الجامع للشوكاني: (١٩٩/٤)، تفسير السمرقندي المسمى " بحر العلوم " ، لنصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار النشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي: (٦٣٠/٢).

(٥) تفسير ابن كثير: (٢٧٣/٦).

(٦) محمد بن عمر بن واقد الواقدي الاسلمي المدني القاضي، مولى بني سهم من أسلم، أبو عبدالله، مدني عداده في البغداديين، سكن بغداد وولي القضاء بها للمأمون، وولي القضاء قبل الرشيد، روى عن مالك حديثاً وفقهاً ومسائل، وفي حديثه عنه منقطع كثيراً وغرائب، وكذلك في مسائله عنه منكرات على مذهبه لا توجد عند غيره تكلم فيها الناس، وطرحه أحمد ويحيى وابن نمير والنسائي وغيرهم، وكان واسع العلم كثير المعرفة، توفي الواقدي ببغداد ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة سبع ومائتين وهو ابن ثمان وسبعين سنة مولده سنة ثلاثين ومائة. انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية — بيروت: (٢٣٠/١)، تقريب التهذيب:

سارة، و قالت له: إني قد وهبت نفسي، فأوحى الله إليه أن تتزوجها، فكان أول وحي أنزله عليه، وآمن به لوط في رهط معه من قومه، و قال: " إني مهاجر إلي ربي إنه هو العزيز الحكيم "(١).

ويمكننا الجمع بين القولين، بأنَّ سيدنا لوط عليه السلام أول من آمن بإبراهيم وصدقه، وبعد ذلك آمن به جماعة من قومه(٢).

ومما يدل أن سيدنا لوطاً عليه السلام كان أول من آمن بالنبي إبراهيم عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

لكن روى النسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " هاجر إبراهيم بسارة فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة، فقيل دخل إبراهيم الليلة بامرأة هي أحسن النساء، فأرسل إليه أن يا إبراهيم من هذه التي معك قال أختي ثم رجع إليها فقال لا تكذبيني قد أخبرتهم أنك أختي فوالله إن على الأرض مؤمن غيري وغيرك "(٣).

من هنا نعلم أنه ليس على وجه الأرض مؤمن في ذلك الحين غير سيدنا إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة، فكيف يمكننا الجمع بين مقولة سيدنا إبراهيم الواردة في الحديث لزوجته سارة: " فو الله إن على الأرض مؤمن غيري وغيرك ". وبين قوله تعالى: " فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ"، فإن المتفق عليه بين أهل العلم هو خروج سيدنا إبراهيم عليه السلام مع زوجته سارة إلى مصر، لكنهم اختلفوا في خروج سيدنا لوط عليه السلام مع عمه إبراهيم عليه السلام،

أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الرشيد – سوريا – ١٤٠٦ – ١٩٨٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة: (٤٩٨/١)، الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٢٧١ – ١٩٥٢، الطبعة: الأولى: (٨/ ٢٠). الضعفاء الكبير: أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي: دار المكتبة العلمية – بيروت – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي: (١٠٧/٤). الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري: دار صادر – بيروت: (٤٢٥/٥). تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى: (٣٤٨/١). معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١ هـ – ١٩٩١م، الطبعة: الأولى(٣٩١/٥).

(١) المستدرك على الصحيحين: (٦١٣/٢)، وسكت عنه الذهبي في التلخيص. جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير: عبد القادر الأرنؤوط: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى: (١١٤/١٢).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد فريد: (٥١٦/٢،)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد: (٨٣٢/٢).

(٣) رواه النسائي في سننه: (٩٧/٥). ورواه البخاري في صحيحه، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه: (٢١٠٤/٧٧٢/٢).

وسبب هذا الخلاف الحديث الذي رواه الشيخان من طريق أبي هريرة رضي الله عنه وفيه أنه ليس على وجه الأرض مؤمن غير النبي إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة فقط، و لم يذكر النبي لوط عليه السلام بالرغم من أنه آمن به وصدقه. فقد روى الشيخان: عن أبي هريرة أنَّ رسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: " لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله قوله ﴿إني سقِيمٌ﴾ وقوله ﴿بلْ فعَلَهُ كبِيرُهُمْ هذا﴾ وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم إنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه إنك أختي، فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، أتاه فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها، فأتى بها، فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقبضت يده قبضة شديدة، فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت، فعاد فقبضت أشد من القبضتين الأوليين، فقال: ادعي الله أن يطلق يدي فلك الله أن لا أضرك، ففعلت، وأطلقت يده، ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان و لم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر، قال: فأقبلت تمشي، فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف فقال لها: مهيم، قالت: خيرا، كف الله يد الفاجر وأخدم خادما، قال أبو هريرة فتلك أمكم يا بني ماء السماء"(١).

أجاب على الإشكال ابن حجر فقال: " بأن مراده بالأرض الأرض التي وقع له فيها ما وقع و لم يكن معه لوط إذ ذاك "(٢).

وبهذا يظهر لنا عدم وجود التعارض، فيمكن أن يكون سيدنا لوط عليه السلام ليس مع عمه إبراهيم وزوجته في مكان مقابلة ملك مصر، أو أن يكون النبي لوط عليه السلام خرج مع عمه إلى مصر لكنه لم يدخلها، والله تعالى أعلم.

وقد ذكر الطبري أن إبراهيم عليه السلام قد خرج من مصر إلى بلاد الشام وهاب ذلك الملك الذي كان بها وأشفق من شره حتى قدمها فترل السبع من أرض فلسطين، وهي برية الشام، ونزل لوط بالمؤتفكة، وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة، وأقرب من ذلك، فبعثه الله عز وجل نبياً، وأقام إبراهيم فيما ذكر لي بالسبع فاحتفر به بئراً واتخذ به مسجداً، فكان ماء تلك البئر معيناً طاهراً، فكانت غنمه تردها، ثم إن أهلها آذوه فيها ببعض الأذى، فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وإيليا(٣).

---

(١) رواه البخاري في الصحيح: (٥/١٩٥٥/٤٧٩٦)، باب اتخاذ السراري ومن أعتق جاريته ثم تزوجها، ورواه مسلم: (٤/١٨٤٠/٢٣٧١) باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: (٦/٣٩٣).

(٣) تاريخ الطبري: (١/١٥٠).

وذكر ابن كثير وجها آخر للجمع فقال: فيحتمل أن يكون المراد أنه ليس على وجه الأرض زوجان على الإسلام غيري وغيرك، وإلا فإن لوطاً قد كان مؤمناً به، وهو ابن أخيه(١).

المطلب الرابع: هجرة سيدنا لوط عليه السلام.

الهجرة في اللغة: قال ابن فارس: " الهاء والجيم والراء أصلان، يدل أحدهما على قطيعة وقطع، والآخر على شد شيء وربطه. فالأول الهَجْر: ضد الوصل، وكذلك الهِجْران، وهاجر القوم من دار إلى دار: تركوا الأولى للثانية، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة "(٢). وقال الرازي(٣) في مادة " هجر" : "الهَجْرُ ضد الوصل، وبابه نصر، وهِجْرَاناً أيضا، والاسم الهِجْرة، والمُهَاجَرَةُ من أرض إلى أرض: ترك الأولى للثانية "(٤).

وقال الأصفهاني: " والمهاجرة في الأصل: مصارمة الغير ومتاركته؛ ومنه قوله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٧٤] وقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الحشر: ٨]، وقوله: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٠٠]، فالظاهر منه الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان، كمن هاجر من مكة إلى المدينة، وقيل: مقتضى ذلك هجران الشهوات والأخلاق الذميمة والخطايا وتركها ورفضها، وقوله: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت: ٢٦] أي: تارك لقومي وذاهب إليه"(٥).

مما سبق يظهر أن الهجرة في اللغة تدور حول معنى المصارمة والمفارقة من حال إلى حال، وهي ضربان:

الأول: هجران للديار والانتقال من مكان إلى آخر.

الثاني: هجران المعاصي والشهوات التي تصرف العبد عن طريق الحق والعبادة.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢٧٣/٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة: (٣٤/٦).

(٣) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (٦٦٦ هـ)، زين الدين: صاحب كتاب: (مختار الصحاح) في اللغة، وهو من فقهاء الحنفية، وله علم بالتفسير والأدب، أصله من الري، زار مصر والشام، وقونية، من كتبه (شرح المقامات الحريرية) و (حدائق الحقائق) في التصوف، و(أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل). الأعلام للزركلي: (٥٥/٦)، معجم المؤلفين: (١١٢/٩).

(٤) مختار الصحاح باب الهاء: (٧٠٥/١).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني: (٤٦٤/٢) كتاب الهاء.

الهجرة شرعاً:

قال ابن حجر في معنى الهجرة: " فأصل الهجرة: أن يهجر ما نهاه الله عنه من المعاصي، فيدخل في ذلك هجران بلد الشرك رغبة في دار الإسلام، وإلا فمجرد هجرة بلد الشرك مع الإصرار على المعاصي ليس بهجرة تامة كاملة، بل الهجرة التامة الكاملة: هجران ما نهى الله عنه، ومن جملة ذلك: هجران بلد الشرك مع القدرة عليه "(١) .

والمشهور في معناها أنها مهاجرة للمعاصي إلي الطاعات، ومفارقة ديار الكفر والضلال إلى بلاد الحق والإسلام.

أنواع الهجرة:

قسم العلماء الهجرة إلى قسمين ذكرهما ابن القيم: " الهجرة هجرتان: هجرة بالجسم من بلد إلى بلد، والهجرة الثانية: الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله، وهذه الهجرة هي الهجرة الحقيقية، وهي الأصل، وهجرة الجسد تابعة لها "(٢).

فالهجرة الحسية : الانتقال من بلد إلى بلد، أو من دار الكفر أو دار الحرب إلى دار الإيمان، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

والهجرة المعنوية: هجرة القلب وهجرة الروح إلى الله تعالى، والفرار إليه ابتغاء مرضاته وطلبا لما عنده من الثواب والخير العظيم، كما قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١]. وقد بين رسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام أن الهجرة تكون فرارا من كل ما يغضب الله من المعاصي والذنوب،

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه "(٣).

وقد قسم العلماء(٤) الذهاب في الأرض إلى قسمين: إما أن تكون طلباً أو هرباً.

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: (١/ ٣٥).

(٢) زاد المهاجر، فصل في الهجرة إلى الله ورسوله: (١٦/١).

(٣) رواه البخاري: : (١٣/١)، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وعن أبي موسى رضي الله عنه باب أي الإسلام أفضل: (٢٣٧٩/٥). ورواه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص: (٦٥/١)، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل.

(٤) اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي: دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان – ١٤١٩ هـ –١٩٩٨ م، الطبعة الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض: (٦٠٠/٦).

القسم الأول: وهو الهرب ينقسم إلى أقسام منها:

أولاً: الهجرة: وهي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وكانت فرضا في أيام النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة.

ثانياً: الخروج من أرض البدعة؛ فإنه إذا لم يقدر على إزالة المنكر يزول عنه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨] .

ثالثاً: الخروج من أرض غلب عليها الحرام؛ لأن طلب الحلال فرض على كل مسلم .

رابعاً: الفرار من الأذية في البدن، وذلك فضل من الله ورخصة؛ كما فعل إبراهيم - عليه الصلاة والسلام- لما خاف من قومه وقال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].[1]

أما القسم الثاني: وهو الطلب:

ينقسم إلى أقسام عديدة: منها سفر العبرة، وسفر الحج، والتجارة، وطلب العلم.

مراحل هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام :

مرت هجرة إبراهيم وزوجته هاجر والنبي لوط عليهم السلام بمراحل:

أولاً: رحلته مع لوط عليهما السلام من أرض الكلدانيين[2] إلى أرض الكنعانيين[3]: حيث أمر الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام بالخروج من أرض الكلدانيين ببابل، فخرج مع أبيه آزر، والنبي لوط عليه السلام، وزجته سارة، وتوجهوا جميعاً إلى أرض الكنعانيين، فنزلوا حران، وأقاموا بها، وكان أهلها يعبدون الكواكب من دون الله تعالى ويقربون لها القرابين[4].

وقال ابن القيم رحمه الله في مقدمة كتابه طريق الهجرتين وباب السعادتين حيث بين مقصده بالهجرتين: " وله " أي للمؤمن " في كل وقت هجرتان: هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللجوء والافتقار في كل نفس إليه، وهجرة إلى رسوله في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محاب الله ومرضاته، ولا يقبل الله من أحد دينا سواه، وكل عمل سواه تعيش النفس وحظها لا زاد المعاد.
طريق الهجرتين وباب السعادتين خطبة الكتاب: لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: دار ابن القيم — الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٤ — ١٩٩٤، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر (٢٠/١).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة: (٦٩/٢).

(٢) الكلدانيين: هم الذين كانوا يترلون بابل في العراق في الزمن الأول. معجم البلدان: (٢٧٣/٣).

(٣) الكنعانيين: منازلهم بالشام. معجم البلدان: (٤٨٤/٤).

(٤) انظر: تاريخ ابن خلدون: (٣٨/٢)، البداية والنهاية لابن كثير: (١٤٠/١)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية: مكتبة الرشد: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص٤٨،

ثانياً: رحلتهما من أرض حران إلى بلاد الشام " الأرض المقدسة "[1] . أخذ إبراهيم ولوط عليهما السلام يدعوان الناس أهل حران إلى الحق وإلى عبادة الله تعالى وحده، لكن لم تظهر منهم أدنى استجابة وبقوا على ما هم عليه من الزيغ والضلال قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۝ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ١٦ – ٢٥]. فعندما وجد منهم إبراهيم عليه السلام كل الإعراض والأذية، وإلقائه في النار، حينها قرر عليه السلام الهجرة إلى الأرض المباركة، وهي بلاد الشام، مصطحباً معه ابن أخيه لوط عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]. ذكر الطبري في تاريخه: أن إبراهيم عليه السلام قد نزل السبع من أرض فلسطين، وهي برية الشام، ونزل لوط بالمؤتفكة، وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة، فبعثه الله عز وجل نبيا[2].

وأخرج الطبري بسنده عن قتادة، في قوله ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: "كانا بأرض العراق، فأنجيا إلى أرض الشام"[3].

ثالثاً: هجرة إبراهيم عليه السلام مع زوجته سارة إلى مصر: روى النسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " هاجر إبراهيم بسارة فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك، أو جبار من الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيم الليلة بامرأة هي أحسن النساء، فأرسل إليه أن يا إبراهيم من هذه التي معك؟ قال: أختي، ثم رجع إليها، فقال: لا تكذبيني، قد أخبرتهم أنك أختي فوالله إن على الأرض مؤمن غيري

---

(١) ذكر الماوردي ثلاثة أقوال في معنى الارض المباركة: أحدها: من أرض العراق إلى أرض الشام، قاله قتادة، وابن جريج، الثاني: إلى أرض بيت المقدس، قاله أبو العوام، الثالث: إلى مكة، قاله ابن عباس. النكت والعيون: (٤٥٤/٣).

(٢) تاريخ الطبري: (١٥٠/١).

(٣) جامع البيان: (٥٧١٧/٧)، انظر: موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، المؤلف: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م: (٣٨٩/٣). وقال: سنده حسن.

وغيرك، فأرسل إليه أن أرسل بها، فأرسل بها إليه، فقام إليها فقامت توضأ وتصلي، فقالت: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي هذا الكافر، فغط حتى ركض برجله، قال عبد الرحمن: قال أبو سلمة: إن أبا هريرة قال: قالت: اللهم إن يمت يقل هي قتلته، فأرسل، ثم قام إليها فقامت توضأ وتصلي، وتقول: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي هذا الكافر، فغط حتى ركض برجله، قال عبد الرحمن: قال أبو سلمة: إن أبا هريرة قال: قالت: اللهم إن يمت يقال هي قتلته، فأرسل في الثانية وفي الثالثة، فقال والله ما أرسلتم إلي إلا شيطاناً، ارجعوا إلى إبراهيم وأعطوها هاجر، فرجع إلى إبراهيم، فقالت: أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة "(١). وقد نجى الله تعالى السيدة سارة من شر هذا الطاغية.

رابعاً: هجرة إبراهيم عليه السلام مع سارة زوجته من بلاد مصر إلى الشام: فقد هاجرا جميعاً من مصر إلى بلاد الشام مع هاجر خادمة السيدة سارة التي وهبتها لزوجها إبراهيم عليه السلام من أجل إنجاب الولد له، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩]. وبقدرة الله تعالى أنجبا إسماعيل عليه السلام رغم كبر سن سيدنا إبراهيم عليه السلام.

خامساً: هجرة إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل وزوجته هاجر عليهم السلام إلى مكة: كما قال تعالى عنهما: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وبعد ذلك رجع إبراهيم عليه السلام، وترك زوجته هاجر وولدها إسماعيل في بلاد الحجاز، توجه إلى بلاد الشام، وبشر وزوجته سارة بالنبي إسحاق عليهما السلام على كبر سنه عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۝ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٦٩ – ٧٣].

(١) السنن الكبرى: (٩٧/٥). ورواه البخاري باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه: (٢١٠٤/٧٧٢/٢)، ورواه الطبراني في مسند الشاميين: (٣٣١٨/٢٨٧/٤)، البيهقي في السنن الكبرى: (٢٠٦٢٣/١٩٨/١٠)، ورواه الامام احمد في مسنده: (٩٢٣٠/٤٠٣/٢).

ما ورد في هجرة لوط مع عمه إبراهيم عليهما السلام:

قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

الآثار الواردة في الآية: روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ قال: "هو إبراهيم"[١]. فهذه الرواية تدل أن المقصود في الآية هو سيدنا إبراهيم عليه السلام. وروى ابن جرير أيضاً عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ قال: "هاجَرا جميعا من كوثى، وهي من سواد الكوفة إلى الشام "[٢].

وروى عن ابن زيد قال: كانت هِجْرته إلى الشام[٣].

وروى أيضا بسنده عن ابن جريج، قال: "إلى حران، ثم أُمر بعدُ بالشام[٤]. وروى عن الضحاك: "إبراهيم القائل: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾[٥].

وروى ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن حسان الكناني[٦] قال: "هاجر لوط وهو ابن أخي إبراهيم بامرأته إلى إبراهيم بالشام، وكان بين امرأته وبين سارة بعض ما يكون بين النساء. فقال له إبراهيم: يا ابن أخي قد جرا بين هاتين، وأنا أتخوف أن يحدث ذلك في قلبي عليك فتحول، فتحولا، قال: فنزل بمدائن قوم لوط"[٧].

وروى ابن أبي حاتم عن ابن إسحاق قال: ثم خرج إبراهيم عليه السلام مهاجراً إلى ربه، وخرج معه لوط، فهاجرا وتزوج سارة بنت عمه، فخرج بها يلتمس الفرار بدينه والأمانة على ربه، حتى نزل حران، فمكث بها ما شاء الله أن يمكث، ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر، وبها فرعون من الفراعنة الأولى، وكانت سارة من أحسن الناس فيما يقال، وكانت لا تعصي إبراهيم شيئاً ولذلك أكرمها الله[٨].

---

(١) جامع البيان: (٦٤٦٥/٨)، وعزاه السيوطي لابن جرير عن الضحاك، ولابن أبي حاتم عن كعب رضي الله عنه، وعزا لابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج مثله، الدر المنثور: (٤٥٩/٦).

(٢) جامع البيان: (٦٤٦٥/٨)، وذكره ابن ابي حاتم: (٣٠٥٠/٩) عن قتادة.

(٣) جامع البيان: (٦٤٦٥/٨).

(٤) جامع البيان: (٦٤٦٥/٨)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: (٣١٤/٤).

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (٥٥٤/١٠)، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره: (٣٠٥٠/٩) عن الضحاك.

(٦) عبد الرحمن بن حسان الكناني، أبو سعيد الشامي الفلسطيني، روى عن الحارث بن مسلم التميمي، ورجاء بن حيوة، وروح بن زنباع، وعطاء الخرساني، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ومحمد بن المنكدر، وأبي عبيد المذحجي، روى عنه: راشد بن داود الصنعاني، وصدقة بن خالد، ومحمد بن شعيب بن شابور، قال الدارقطني: لا بأس به، وذكره بن حبان في كتاب الثقات، روى له: أبو داود، والنسائي في اليوم والليلة. تهذيب الكمال: (٦٦/١٦).

(٧) تفسير ابن أبي حاتم: (٣٠٥١/٩).

(٨) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

وهكذا نجد أن هناك من قال إن القائل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ هو إبراهيم عليه السلام، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والضحاك، وابن إسحاق، و قال آخرون: القائل هو لوط عليه السلام، قاله عبد الرحمن بن حسان الكناني، والصحيح أنهما جميعاً هاجرا فإن كان الضمير يعود على أقرب مذكور فهو سيدنا لوط عليه السلام فهذا صحيح؛ لأنه خرج مع عمه إبراهيم عليه السلام فرار إلى الله تعالى وهجرة من بلاد الكفر والضلال إلى بلاد الحق والإيمان.

قال ابن عطية[(١)]: " ومما صح من القصص أن إبراهيم ولوطا هاجرا من قريتهما كوثا وهي في سواد الكوفة من أرض بابل إلى بلاد الشام فلسطين وغيرها، وقال ابن جريج: إلى حران، ثم أمرا بعد إلى الشام"[(٢)].

معنى الآيات: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦]. هجرة سيدنا إبراهيم ولوط عليهما السلام، قال بعض المفسرين: إنهما هاجرا إلى بلاد كوثى، وقيل: هاجرا إلى حران[(٣)].

لكن الراجح والذي يقول به جمهرة المفسرين[(٤)] أن هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام كانت إلى بلاد الشام، فقد خرج سيدنا إبراهيم مع لوط عليهما السلام فراراً من الأذية في البدن من قوم إبراهيم الكفار[(٥)]. وقد أراد إبراهيم أن يكون في مكان يشعر فيه بالأمان ليحصل للدين التمكين والتبليغ بين الناس ودعوتهم إلى الحق.

قال ابن كثير رحمه: "اختار المهاجرة من بين أظهرهم، ابتغاء إظهار الدين والتمكن من ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: له العزة ولرسوله وللمؤمنين به، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله وأحكامه القدرية والشرعية[(٦)].

ويذكر هنا أن لوطاً عليه السلام هو أول من هاجر إلى الله تعالى فراراً بدينه إليه، وراغباً فيما عنده سبحانه وتعالى، إلى أن هاجر سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وزوجته رقية رضي الله تعالى عنهم جميعاً. فعن

---

(١) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي. (٤٨١ – ٥٤٢ هـ)، عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء المرية، وتوفي بالورقة. له (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، و (برنامج). الاعلام: (٣/٢٨٢)، سير أعلام النبلاء: (١٩/٥٨٦-٥٨٨).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٩/ ٣٠٥١).

(٣) تفسير الماوردي: (٣/٢٩٩).

(٤) منهم صاحب كتاب الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): (٦/٢٨٣). وذكره الالوسي في روح المعاني: (٢٠/ ١٥٢).

(٥) انظر: جامع البيان: (٨/٦٤٦٥)، الدر المنثور: (٦/٤٥٨)، تفسير البغوي: (٦/٢٣٨).

(٦) تفسير ابن كثير: (٦/٢٧٣)، اللباب في علوم الكتاب: (١٢/٤٤٢).

أنس رضي الله تعالى عنه قال: "أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: صحبهما الله، إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط"[(١)].

(١) رواه أبو يعلى وابن مردويه عن أنس قال: " أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان فقال النبي صلى الله عليه و سلم: صحبهما الله، إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط"، وأخرجه أبو بكر الشيباني في الاحاد والمثاني: (٨٢/١)، وقال الهيثمي: (٨١/٩)، وذكره ابن حجر في فتح الباري قال: " أول من هاجر عثمان" فتح الباري: (١٨٩/٧). وأخرجه الطبراني: (١٥٤/٥-٤٨٨١)، وعزاه الشوكاني لابن منده وابن عساكر عن أسماء بنت أبي بكر قالت: " هاجر عثمان إلى الحبشة فقال النبي صلى الله عليه و سلم: إنه أول من هاجر بعد إبراهيم ولوط". ولابن عساكر عن ابن عباس قال: " أول من هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم عثمان بن عفان، كما هاجر لوط إلى إبراهيم"، والطبراني والحاكم في الكنى عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "ما كان بين عثمان وبين رقية وبين لوط مهاجر"، والبيهقي في دلائل النبوة: (٦٦/٢). وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة: (٢/ ٥٩٦/ ١٣١١)، ويعقوب الفسوي في تاريخه: (٣/ ٢٥٥)، وابن عدي: (٣٥/ ١-٢) من طريق أخرى عن بشار به: قال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به"، والحديث عزاه الحافظ في المطالب العالية: (٤/ ٥٤-٥٥) لأبي يعلى، وسكت عليه، وكذلك فعل في الفتح: (٧/ ١٨٨) نبه الالباني أن الحديث عند جميع مخرجي الحديث غير الطبراني زيادة في أوله: "صحبهما الله، إن عثمان قرآن " سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: (١٦٤/٧-١٦٧).

المبحث الثاني: صفات سيدنا لوط عليه السلام.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صفات النبي لوط عليه السلام الخَلْقِيَّة

المطلب الثاني: الصفات الخُلُقيَّة التي تحلى بها سيدنا لوط عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم

أولاً: أمانته عليه السلام

ثانياً: طهارة النبي لوط عليه السلام وطهارة أهل بيته الكرام

ثالثاً: اتصاف لوط عليه السلام بالعلم والحكم

رابعاً: اتصاف سيدنا لوط عليه السلام بالكرم مع أضيافه وحسن ضيافته لهم

تمهيد:

المتتبع لسيرة الأنبياء الكرام يجد أن دعوتهم دعوة واحدة، ولها هدف واحد لا خلاف فيه، وهي الدعوة إلى الدين الحق، والدعوة إلى عبادة الله تعالى التي هي أعظم هدف وأسمى منال، فجميع الأنبياء الكرام عليهم صلوات الله تعالى وسلامه من لدن آدم عليه السلام إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم دعوا إلى عبادة الله تعالى وإلى نبذ الشرك والضلال.

قال تعالى عن مقالة سيدنا نوح لقومه: ﴿فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف: ٥٩]. وقال عن سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الأعراف: ٧٣]. فهذا هو دأب جميع الأنبياء المرسلين، ولم يوجد نبي مرسل من عند الله تعالى، أمر قومه بخلاف ذلك، وجميع الكتب المنزلة من عند الله تعالى ليس فيها إلا الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بعبادته سبحانه وتعالى، وقد بين الله تعالى في موضع واحد في كتابه العزيز وحدة دعوى الكتب المنزلة من عند الله تعالى: التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ۝ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٤ – ٥٠].

نخلص من ذلك أن الإسلام والدعوة إلى الله تعالى هي المظلة العامة التي تستظل بها جميع الدعوات السماوية، فالدين الحق عند الله تعالى هو دين الإسلام، وهو الذي ارتضاه الله تعالى من جميع الناس، وهو الذي دعت إليه جميع الرسل الكرام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ

بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٩ – ٢٠].

فالإسلام هو شعار عام، ودين متفق بين جميع الرسالات، من دعوة النبي آدم عليه السلام وختاماً بدعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم(١).

والإسلام: هو الانقياد والطاعة والاستسلام لله تعالى وحده دون سواه، وهذا هو رمز دعوة الأنبياء جميعاً، و لا يكون إلا باتباع النبي المرسل من عند الله تعالى، بتطبيق أوامره، واجتناب نواهيه. فالإسلام في عهد نوح عليه السلام هو اتباع النبي نوح عليه السلام، والإسلام في عهد صالح وهود وشعيب وغيرهم من الأنبياء يعني الاستسلام لله تعالى، وإتباع أنبيائه الكرام.

وكذلك دعوة النبي لوط عليه السلام، فقد كانت مثل باقي الدعوات السابقة واللاحقة له من الدعوات السماوية، فهو يدعو إلى عبادة الله تعالى وتقواه، واجتناب معاصيه وفعل طاعاته، و لم يكن عليه الصلاة والسلام بدعاً من الرسل، بل كانت دعوته عليه الصلاة والسلام لقومه هي الدعوة إلى عبادة الله تعالى وإلى تقواه ومراقبته في جميع الأقوال والأفعال، قال تعالى عن مقالة سيدنا لوط عليه السلام لقومه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦١ – ١٦٤].

فهذه هي الميزة العامة التي تجمع دعوة الأنبياء جميعاً عليهم السلام ودعوة النبي لوط عليه الصلاة والسلام، فبما أن دعوة النبي لوط عليه السلام هي دعوة إلى الحق وإلى عبادة الله تعالى، ونبذ الشرك والضلال، وإلى نبذ مساوئ الأخلاق وسفاسف الأمور؛ فهي دعوة سماوية.

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى في بيان اتصاف أنبياء الله تعالى الكرام بأكمل الصفات ودعواهم إلى الخير: " ومعلوم أن مدعى الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم، وإما أن يكون من أنقص الخلق وأرذلهم، ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبي صلى الله عليه وسلم لما بلّغهم الرسالة ودعاهم إلى الإسلام والله: " لا أقول لك كلمة واحدة، إن كنت صادقاً فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذباً فأنت أحقر من أن أرد عليك، كيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم، وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز، فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور، ويأمرهم بأمور، ولا بد أن يفعل أمورا، والكذاب يظهر في نفس ما يأمر به ويخبر عنه وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة والصادق يظهر في نفس ما يأمر به وما يخبر عنه ويفعله ما يظهر به صدقه من

(١) انظر: الرسل والرسالات: ص٢٤٣.

وجوه كثيرة، بل كل شخصين ادعيا أمرا من الأمور أحدهما صادق في دعواه والآخر كاذب، فلا بد أن يبين صدق هذا وكذب هذا من وجوه كثيرة، إذ الصدق مستلزم للبر والكذب مستلزم للفجور"(١).

ومما اتفقت عليه جميع الرسالات السماوية الدعوة إلى إحقاق الحق وإنكار المنكر(٢)، سواء كان هذا المنكر عبادة للأصنام كما كان في دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي أنكر على قومه عبادة الأصنام قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ۝ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ۝ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ۝ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٨٣ – ٩٦].

وقد يكون المنكر الذي جاءت الرسل لتغييره هو التطفيف في الكيل والميزان، كما كان من النبي شعيب عليه السلام، قال تعالى عنه: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ۝ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۝ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦ – ١٨٤].

أو قد يكون المنكر الذي عليه الناس هو حب الفواحش، وانتكاس الفطر السليمة، والميل عن الحلال الطاهر إلى الحرام النجس، كما في دعوة النبي لوط عليه السلام الذي جاء لإنكار هذا المنكر على قومه الذين أشربوا حب الفاحشة وتمردوا وعتوا.

قال تعالى عنهم: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ۝ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ۝ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠ – ١٦٨].

(١) شرح العقيدة الأصفهانية: (١/ ١٢١– ١٢٢).

(٢) انظر: السل والرسالات: ص ٢٤٩.

المبحث الثاني: صفات سيدنا لوط عليه السلام.

المطلب الأول: صفات النبي لوط عليه السلام الخَلْقِيَّة:

قال كعب الأحبار: " كان لوط نبي الله، و كان ابن أخي إبراهيم، و كان رجلا أبيض حسن الوجه دقيق الأنف صغير الأذن طويل الأصابع جيد الثنايا، أحسن الناس مضحكا إذا ضحك، و أحسنه وأرزنه وأحكمه وأقله أذى لقومه "(١) .

وبغض النظر عن صحة هذه الرواية أو عدم صحتها، فإن أنبياء الله تعالى المصطفين الأخيار، لابد أن يكونوا على أكمل هيئة خلقية وأحسنها وأجملها، منزهين عن كل عيب ونقص منفر قادح في نبوتهم، يحول دون قبول دعوتهم، والانصياع لأمرهم ونهيهم.

المطلب الثاني: الصفات الخُلقية التي تحلى بها سيدنا لوط عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم:

أولاً : أمانته عليه السلام:

معنى الأمانة في اللغة: من الملاحظ أن الأمانة والإيمان كلمتان متقاربتان معنىً ورسماً، فمن ناحية الرسم جميعهما من أصل واحد وهو " أمن"، ومن ناحية المعنى كذلك متقاربان، فالأمانة هي ضد الخيانة والكذب والخوف والنفاق، أما الإيمان فهو ضد الكفر والخيانة والتكذيب. يقول ابن منظور: " أمن: الأمان: و الأمانة بمعنى. وقد أمنت فأنا آمن، و آمنت غيري من الأمن والأمان. والأمن: ضد الخوف. و الأمانة: ضد الخيانة. و الإيمان: ضد الكفر. و الإيمان: بمعنى التصديق، ضده التكذيب. يقال: آمن به قوم وكذب به قوم"(٢).

يقول الأزهري: "والأصل في الإيمان الدّخول في صدْق الأمانة التي ائتمنه الله عليها، فإذا اعتقد التّصديق بقلبه كما صدّق بلسانه، فقد أدّى الأمانة وهو مؤمن، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤد للأمانة التي ائتمنه الله عليها وهو منافق"(٣).

الأمانة في الشرع: هي العقد الذي يلزم الوفاء به، والأمانة ثقيلة المحمل، لأن حاملها معرض لخطر عظيم، لو عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال لامتنعت من حملها، فأما الإنسان فإنه حملها وألزم القيام بها. فهي تكليف يصعب على الإنسان حمله، والالتزام بتبليغه أو إيصاله للغير، ومتى ما أدى الإنسان المكلف بحملها على الوجه المطلوب، كان محموداً عند الله تعالى وعند خلقه، ومتى كان مفرطاً غير مهتم بأهميتها وعبئها كان مذموماً

(١) المستدرك على الصحيحين: (٦٦١/٢). كتاب التاريخ، باب ذكر لوط النبي عليه السلام. وهذه الرواية عن كعب الاحبار موقوفة عليه، لا يصح الاحتجاج بها. وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

(٢) لسان العرب: (٢١/١٣) باب أمن.

(٣) تهذيب اللغة: (٣٦٩/١٥).

عند الله تعالى وعند خلقه(١). وأعظم باعث على الحفاظ على الأمانة هو الإيمان بالله تعالى، وأعظم باعث على التفريط في الأمانة وإهمالها هو عدم الإيمان بالله تعالى، فكأن الإيمان شجرة وارفة الظلال فروعها الأمانة والصدق فإذا استقر الإيمان في القلب نتج عنه الصدق مع الله، والصدق مع الناس، والصدق في تبليغ الأمانة.

فأداء الأمانة التي كلف الله بها رسله وتبليغهم إياها يعتبر من أعظم الدلائل على إيمانهم وصدقهم مع خالقهم. قال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]، ولو لم تكن في أنبياء الله تعالى الكرام صفة الأمانة في تبليغ الرسالة فإنه لا يكون لهم التأييد والنصرة والمنعة من الله تعالى، فإن سبب نصرهم وتمكينهم في الأرض هو أداؤهم الأمانة التي أوجبها الله تعالى عليهم على أكمل وجه.

ماورد من الآيات في اتصاف سيدنا لوط عليه السلام بالأمانة :

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٦١ – ١٦٢](٢).

معنى الآية: في هذه الآية الكريمة يبين الله تعالى مقولة سيدنا لوط عليه السلام لقومه حينما دعاهم إلى الحق والخير وكأنه عليه الصلاة والسلام أراد أن يطمئن قلوبهم ويسكن نفوسهم، فلا يصيبهم الاضطراب أو الخوف أو النفور مما يدعوهم إليه عليه الصلاة والسلام، فأراد أن يزيل ما بينه وبينهم من جميع حجب الخوف أو الرهبة أو عدم الرضا والقبول لدعوته عليه السلام. فأخبرهم بأمرين:

الأول: أنه رسول مرسل من عند الله تعالى لهدايتهم وصلاحهم، قال تعالى: ﴿ إني لكم رسول﴾.

الثاني: حينما قال لهم " أمين "، فإن أمانة الرسول لوط عليه السلام نابعة من إيمانه عليه الصلاة والسلام بربه، فهو مبلغ عن ربه، ولا يبلغ إلا بما أوحى به إليه ربه، فكل قول أو فعل يدعو لوط به قومه هو وحي من الله تعالى وليس من عند نفسه، وهو مؤتمن على ما يقوله لقومه، وعلى ما يبلغهم به عن ربه. وهذا معنى الأمانة التي اتصف بها سيدنا لوط عليه السلام وغيره من الأنبياء الكرام.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ أي: من الله، ومعنى ﴿أَمِينٌ﴾ أي: على وحيه إلي، برسالته إياي إليكم"(٣). وإلى نفس المعنى ذهب ابن كثير فقال في معنى الآية : "أي: أمين فيما بعثني به، أبلغكم رسالة الله لا أزيد فيها ولا أنقص منها"(٤).

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة، المؤلف: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: ٦٥٦هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل ابراهيم، الناشر: دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه: (٢١٠/١٠).

(٢) من خلال البحث تبين لي عدم ورود آثار عن المفسرين أمثال السيوطي في الدر المنثور، وابن ابي حاتم في تفسيره، وابن جرير في تفسيره، عن معنى الآية وإنما شرحت هذه الآية في كتب المفسرين دون ورود الآثار فيها.

(٣) جامع البيان: (٦٢٣٣/٨).

(٤) تفسير ابن كثير: (١٥١/٦).

قال أبو حيان(١) في تفسيره: "وأمانته كونه مشهوراً في قومه بذلك، أو مؤتمناً على أداء رسالة الله"(٢)، فالأمانة إما أن تكون بما اشتهر به بين قومه من أنبل الصفات وأكرم السجايا، أو تبليغ رسالة الله تعالى إلى خلقه من غير زيادة ولا نقصان، وإلى هذا المعنى مال الشوكاني وغيره في معنى الآية، فقال في معناها أي: "إني لكم رسول من الله، أمين فيما أبلغكم عنه، وقيل: أمين فيما بينكم، فإنهم كانوا قد عرفوا أمانته وصدقه"(٣).

والأمانة في تبليغ شرع الله تعالى إلى خلقه كما يرضي الله تعالى وكما يحب؛ ينتج عنها أمانة الخلق وحسن الأخلاق بين الناس، فلا يكون الإنسان أميناً بين خلق الله تعالى، إلا بعدما أن يكون مؤدياً لأمانة الله تعالى على أكمل وجه.

فأمانة الأنبياء جميعهم ومنهم نبي الله تعالى لوط عليه السلام تفيد معنيين:

الأول: اتصافهم بأنبل الخصال وإكرامهم بأجمل السجايا، التي أساسها جميعهاً الاتصاف بالإيمان والأمانة، فمتى كان الإنسان مؤمناً بالله تعالى وصادقاً مع خالقه كان مؤتمناً أميناً في أقواله وأفعاله مع الخلق ومع الله تعالى.

الثاني: يكون معنى الأمانة: أداؤهم لواجب الرسالة على أكمل وجه وأتمه، فهم مبلغون عن ربهم ينقلون وحيه للناس بدون زيادة ولا نقصان، فقد تحلوا بالأمانة بين أقوامهم واشهروا بها كما اشتهر بذلك النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعرف بالصادق الأمين.

فلآية: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الشعراء: ١٦٢]، هي مقولة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى عن سيدنا نوح: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٥ – ١٠٧].

وقالها هود عليه السلام لقومه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٢٤ – ١٢٥].

وقالها نبي الله صالح لقومه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٤٢ – ١٤٣].

وقالها لوط عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٦١ – ١٦٢].

---

(١) هو: أبو حيان النحوي: محمد بن يوسف بن على بن يوسف ابن حيان الغرناطي الاندلسي الجياني، ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة. وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفى فيها، واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه. من كتبه (البحر المحيط) و (النهر)، و (مجاني العصر) (٦٥٤ – ٧٤٥ هـ). الاعلام: (١٥٢/٧)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر المكتبة العصرية– صيدا (٢٨١/١-٢٨٢).

(٢) تفسير البحر المحيط: (٢٩/٧).

(٣) فتح القدير للشوكاني: (١٠٨/٤)، انظر: تفسير البغوي: (١٢١/٦)، اللباب في علوم الكتاب: (٢٥٧/١٢)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: (٣١٢/١).

وغالب المفسرين لم يكرر معنى هذه الآية عند شرح قصة كل نبي الواردة قصصهم في سورة الشعراء، وإنما اكتفوا بإيضاح معناها في شرح قصة نوح عليه السلام حيث وردت أول مرة. والسبب في ذلك أن هذه الصفة مشتركة بين جميع الأنبياء عليهم السلام، وهي صفة الأمانة في تبليغ الرسالة والوحي إلى الناس. قال البغوي رحمه الله تعالى: "وإنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة، والامتناع من أخذ الأجر على الدعوة وتبليغ الرسالة"(١).

وذلك لأن الوحدة في منهج الأنبياء العقدي والخلقي تقتضي اتفاقهم في إبلاغه وإيصاله لأقوامهم والناس جميعاً. فمادام أن الأنبياء جميعهم مرسلون من عند الله تعالى، من أجل وعظ الناس جميعهم وتعليمهم أمر ربهم، ومنهج دينهم، فلابد أن يكونوا أمناء صادقين غير غاشين ولا كاذبين في تبليغ دين ربهم وحاشاهم في ذلك، فالله اختارهم لهذه المهمة وهو سبحانه أعلم بهم، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. فلو قدر أن أي رسول خان أو تقوَّل على الله تعالى أو كذب في تبليغ الأمانة أو زاد أو أنقص فيها –وحاشاهم رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم جميعا عن ذلك– فإن الله قادر على الانتقام منهم والبطش بهم فهو عزيز حكيم في أفعاله مقتدر على كل شيء. كما أخبر سبحانه وتعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ – ٤٧].

قال ابن كثير في معنى الآية: " أي: محمد صلى الله عليه وسلم، لو كان كما يزعمون مفترياً علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة. ولهذا قال: ﴿لأخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾" ثم قال رحمه الله: " قيل: معناه لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذنا منه بيمينه"(٢).

ونقل عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وغيرهم في معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ قالوا: وهو نياط القلب، وهو العِرْقُ الذي القلب معلق فيه. ثم قال رحمه الله: وكذا قال محمد بن كعب: هو القلب ومَرَاقُّه وما يليه.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ أي: " فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئا من ذلك. ثم قال: والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد؛ لأن الله عز وجل مقرر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات(٣).

(١) تفسير البغوي: (١٢٧/٦).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢١٨/٨).

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

ومما يدل على أمانة الرسل عليهم صلوات الله جميعا، اتحادهم في دعواهم وأمرهم بتقوى الله سبحانه فما داموا أمناء في تبليغ الرسالة فجميعهم يأمرون بتقوى الله وإفراده بالعبادة ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقد أيدهم الله بالآيات الباهرات ونصرهم على أعدائهم لأنهم كانوا خير مبلغين عن ربهم وصادقين فيما جاءوا به عنه.

يقول السعدي رحمه الله: " فإذا كان الله قد أيد رسوله بالمعجزات، وبرهن على صدق ما جاء به بالآيات البينات، ونصره على أعدائه، ومكنه من نواصيهم، فهو أكبر شهادة منه على رسالته"(١). فجميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم صادقون في أقوالهم صادقون في أفعالهم صادقون فيما يبلغون عن ربهم لا يخطئون في التبليغ عن ربهم ولا يخطئون في تنفيذ ما أوحى الله به إليهم ولا يزيدون ولا ينقصون وذلك لأنهم معصومون فيما يبلغون عن ربهم ولا شك أن عصمتهم تقتضي اتباعهم وطاعتهم.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "أن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه... وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة"(٢).

فعصمة الأنبياء الكرام هي دليل على أنهم مصطَفَون مبلغون من عند الله تعالى، فالله تعالى لا يختار لأداء أمانته وتبليغ رسالته إلا من كان معصوماً عن الخطأ في التبليغ عنه، مؤتمناً عليها مسؤول عنها شهيد على قومه.

ثانياً: طهارة النبي لوط عليه السلام وطهارة أهل بيته الكرام:

عرف علماء اللغة الطهارة: بأنها النظافة الحسية والمعنوية(٣). والطُّهْرُ بالضم: هو نَقِيضُ النَّجاسةِ(٤).

يقول ابن فارس: (طهر) الطاء والهاء والراء أصلٌ واحدٌ صحيح يدلُّ على نقاءٍ وزوالِ دَنَسٍ. ومن ذلك الطُّهْر: خلاف الدَّنَس. والتطهُّرُ: التنزّه عن الذمِّ وكلِّ قبيح. وفلانٌ طاهر الثِّياب، إذا لم يدنَّس(٥).

وفي المعجم الوسيط: (طهر)طهراً وطهارة نقي من النجاسة والدنس وبرئ من كل ما يشين"(٦)،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (١/٨٨٥).
(٢) مجموع الفتاوى: (١٠/٢٨٩) باب ثبوت العصمة للأنبياء يحصل بها مقصود النبوة والرسالة.
(٣) التعاريف للمناوي: (١/٤٨٦)، التعريفات للجرجاني: (١/١٨٣).
(٤) القاموس المحيط: (١/٥٥٤).
(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (٣/٤٢٨).
(٦) المعجم الوسيط: (٢/٥٦٨).

والتَّطَهُّرُ هو: التَّنَزُّهُ والكَفُّ عن الإثْمِ. فلانٌ طاهِرُ الثَّوبِ: أي: ليس بصاحِبِ دَنَسٍ. وقوله عزَّ وجلَّ: "وثِيابَكَ فَطَهِّرْ" أي: قَلْبَكَ. والمُطَهَّرونَ: المَلائكةُ. ويقولونَ: ما أحْوَجَني إلي بَيْتِ اللَّهِ فأطَّهَّرَ به(١).

وقيل: "(الطهر) وهو النقاء من الدنس و النجس وهو (طاهر العرض، أي: بريء من العيب، ومنه قيل للحالة المناقضة للحيض: (طهر) و الجمع (أطهار) مثل قفل وأقفال، و امرأة (طاهرة) من الأدناس و (طاهر) من الحيض بغير هاء، وقد (طهرت) من الحيض، وتكون (الطهارة) بمعنى (التطهر) وماء (طاهر) خلاف نجس و (طاهر) صالح للتطهر به و (طهور) قيل مبالغة وإنه بمعنى طاهر"(٢). وقد عرف الجرجاني الطهارة بأنها: عبارة عن غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة(٣).

معنى الطهارة شرعاً: هي: صفة حكمية توجب من قامت به رفع حدث أو إزالة خبث في الماء نية واستباحة كل مفتقر إلى طهر في البدلية. فهي صفة حكمية توجب أن تصحح لموصوفها صحة الصلاة به أو فيه أو معه(٤). فعند التأمل في ذلك المعنى السابق للطهارة نجد أن الطهارة ضد النجاسة والدنس وهي تحمل معنى النقاء الحسي والمعنوي.

الآيات الواردة في طهارة لوط عليه السلام وطهارة أهل بيته الكرام:

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠ – ٨٢]، وللآية شواهد من كتاب الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٤ – ٥٦].

---

(١) المحيط في اللغة: أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني: عالم الكتب – بيروت / لبنان – ١٤١٤هـ–١٩٩٤م، الطبعة الأولى، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين: (٤٣٢/٣).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي: المكتبة العلمية – بيروت: (٣٧٩/٢).

(٣) التعريفات: (١٨٤/١).

(٤) التعاريف للمناوي: (٤٨٦/١).

الآثار الواردة في الآية:

روى ابن جرير بسنده عن مجاهد في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦] قال أي: من أدبار الرجال وأدبار النساء"[١]. وروي كذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "من أدبار الرجال ومن أدبار النساء"[٢].

وروى ابن أبي حاتم عَنْ مجاهد: في قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم﴾ [الشعراء: ١٦٦]، قال: "تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال وأدبار النساء"[٣].

وروى بسنده عن السدي: ﴿إِنهم أناس يتطهرون﴾، قال: "يتحرَّجون"[٤].

وروى ابن جرير بسنده عن قتادة في معنى الآية: "عابوهم بغير عَيْب، وذمُّوهم بغير ذَمّ"[٥].

من الآثار السابقة يتبين لنا أن معنى الطهارة في الآية الذي قصده قوم لوط عليه السلام هو معنى مجازي وليس معنى حقيقي، فليس المقصود بالطهارة التي عناها قوم لوط هي التنزه عن الدنايا والقبائح المعنوية والأقذار الحسية، وإنما أرادوا أمراً آخراً غير المعنى المتبادر والمفهوم من الطهارة بمعناها الواسع والشامل، وقولهم هذا هو من باب إلصاق العيب بالنبي لوط عليه الصلاة والسلام وبأهله الأطهار.

معنى الآية: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]. في هذه الآيات الكريمة يخبرنا الله عن موقف قوم لوط من نبيهم حين دعاهم إلى ترك الفواحش، ومقولتهم التي ردوا

---

(١) جامع البيان: (٣٥٦٧/٥)، ورواه بسنده عن مجاهد، وسنده صحيح، ذكره في الصحيح المسبور: (١٥/٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد. (٤٩٦/٣)، وذكره ابن ابي حاتم في تفسيره: (١٥١٨/٥)، وذكره ابن كثير: (٤٤٥/٣).

(٢) جامع البيان: (٣٥٦٨/٥)، ورواه السيوطي في الدر المنثور: (٤٩٦/٣)، وعزاه إلى عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس، وذكره ابن كثير: (٤٤٥/٣)، وذكره ابن حيان الاندلسي عن ابن عباس وقتادة بلفظ: "يتقذرون عن إتيان أدبار الرجال والنساء". تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: (٣٣٨/٤) .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم٣/١١، وعزاه السيوطي إلى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ قال: تركتم اقبال النساء إلى أدبار الرجال وأدبار النساء . سنده صحيح. والى عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ يقول: ترك اقبال النساء إلى ادبار الرجال . الدر المنثور٤٠٦/٧.وذكر الروايتان الشوكاني في فتح القدير٢٣٨/٥.

(٤) جامع البيان: (٣٥٦٨/٥)، واسناده حسن، ذكره في الصحيح المسبور: (٣٣٤/٢). وذكره القرطبي في تفسيره: (٢٤٦/٧). وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٥١٨/٥).

(٥) جامع البيان: (٣٥٦٨/٥)، واسناده حسن، ذكره في الصحيح المسبور: (٣٣٤/٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور: (٤٩٦/٣) وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ عن قتادة، رواه القرطبي: (٢٧٩/٩)، وذكره ابن كثير: (٤٤٥/٣)، وذكره البغوي في معالم التنزيل: (٥٠٧/٢). انظر: موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: (٣٣٤/٢).

بها على نبيهم لوط عتواً واستهزاءً، فلم يرضى قوم لوط بما جاءهم به ودعاهم إليه وذمهم لفعلهم القبيح، فتـآمروا وأجمعوا أمرهم، وهموا بإخراج لوط وأهله من القرية، ونعتوهم بقولهم: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ قال ابن جرير رحمه الله تعالى في معنى الآية: "وما كان جواب قوم لوط للوط إذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله عليهم من العمل الخبيث، إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطا وأهله، ولذلك قيل: أخرجوهم فجمع، وقد جرى قبل ذكر لوط وحده دون غيره، وقد يحتمل أن يكون إنما جمع بمعنى أخرجوا لوطا ومن كان على دينه مـن قـريتكم، فاكتفى بذكر لوط في أول الكلام عن ذكر أتباعه، ثم جمع في آخر الكلام. يقول إن لوطا ومن تبعه أناس يتنزهـون عما نفعله نحن من إتيان الرجال في الأدبار"(١).

فلم تكن هذه المقولة منهم على حقيقتها، أي أنهم لم يريدوا المعنى الحقيقي لهذه المقولة، وهو: الـتنزه عـن النجاسات وأدبار الرجال والنساء من باب أنها فضيلة وأمر حسن ومقبول في الفطر والعقول السليمة، لأن الـتنزه عن أدبار الرجال والنساء هو أمر محمود شرعاً، بل الواجب التحلي به، لأنها هي الطهارة الحسية التي دعـا إليهـا الإسلام، والطهارة الحسية الظاهرة هي ثمرة الطهارة المعنوية الباطنية، فمتى كانت هناك الطهارة الباطنية من الشرك والحسد والحقد والتنزه عن مساوئ الأخلاق فحتماً أن تظهر ثمارها وتكون الطهارة الظاهرة الحسية فيكون الـتنزه عن كل مستقبح من الأقوال والأفعال التي هي من أشكال الدنس والنجاسة.

وأورد الرازي في معنى قوله تعالى: ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ ثلاث وجوه:

الأول: أن ذلك العمل تصرف في موضع النجاسة، فمن تركه فقد تطهر.

والثاني: أن البعد عن الإثم يسمى طهارة فقوله: ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي: يتباعدون عن المعاصي والآثام.

الثالث: أنهم إنما قالوا: ﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ على سبيل السخرية بهم وتطهرهم من الفواحش، كمـا يقـول الشيطان من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أبعدوا عنا هذا المتقشف، وأريحونا من هذا المتزهد(٢).

وجميع المعاني الثلاثة صحيحة، فلوط عليه السلام وآله يتطهرون عن المعاصي ويتباعدون عنـها، وكـذلك يتطهرون عن أدبار الرجال والنساء، فهذا أمر مستقبح ومنفر.

وعند النظر فلن نجد إلا تفسيراً واحداً من تلك الأقوال هو الأرجح، وأن المقصود من مقولة قـوم لـوط: "يتطهرون" هو سخريتهم واستهزاؤهم وانتقاصهم من نبيهم الذي جاء لمنفعتهم(٣).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (٨/٢٣٥).
(٢) التفسير الكبير: (١٤/١٣٩).
(٣) ذكره الألوسي في روح المعاني: (٨/١٧١)، وفتح القدير للشوكاني: (٢/٢١٢). وتفسير مجاهد: (١/٢٤٠).

فإن كان قوم لوط يعتقدون أن التنزه من فعل الفواحش عيبا ومذمة في حقهم، فإن الذم والعيب حقيقة يلحق بمن يرتكب الفواحش ويتجرأ على المنكرات، وهم في نفس الوقت حينما قالوا هذه المقولة: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ و لم يعلموا أنهم قد وصفوا لوطاً وأهله بأجمل الصفات وأعظم الخصال، وبصفة من تحلى بها فقد بلغ شطر الإيمان، ألا وهي الطهارة من الأدران. ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: "عابوهم بما يمدح به"(١).

فإن كان في نظر قوم لوط السفهاء أن البعد عن سفاسف الأمور والتنزه عن إتيان أدبار الرجال والنساء هو الأمر المستقبح، وهو العيب والمذمة في نظرهم، فهذا هو الانتكاس الحقيقي للفطر، والاعوجاج في التفكير، إذ أن السفه الحقيقي هو إتيان أدبار الرجال والنساء والتجرؤ على الفاحشة، أما التنزه عن الفواحش وبغضها والبعد عنها ومجانبتها فهذا هو التطهر والسمو والترفع عن الدنايا.

وبما أن قوم لوط كانوا على علم تام أن ما هم عليه من حب الفاحشة والتجرؤ عليها، هو أمر مستقبح مستنكر غير مقبول عقلاً وشرعاَ و لا يرضي نبي الله تعالى لوط عليه السلام، ولا يرضي الله سبحانه وتعالى، فكان إحساسهم بوجود سيدنا لوط عليه السلام وآله الأطهار بينهم، أمراً صعباً على نفوسهم ويشكل عبئاً عليهم، ويحول دون استمتاعهم بما يرغبون وبما هم به مقتنعون، فما كان منهم إلا أن دبروا لإخراج كل من يحول دون حدوث رغبتهم والاستمتاع بشهواتهم وطرده خارج قريتهم، لذلك أرادوا إخراج النبي لوط عليه السلام الناصح الأمين وآله الأخيار من قريتهم، وعللوا ذلك الخروج أن النبي لوط عليه السلام وآله الكرام يتطهرون ويتنزهون عن الفاحش وهي مستقبحة عندهم فالأولى أن يخرجوا من القرية لأنهم أناس يتطهرون.

قال أبو حيان الأندلسي: "والظاهر أن قوله تعالى: " أَنَّهُمْ" هو تعليل للإخراج، أي: لأنهم لا يوافقوننا على ما نحن عليه، ومن لا يوافقنا وجب أن نخرجه"(٢).

وقال الزمخشري في معنى قوله تعالى: " إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ" سخريةً بهم وبتطهرهم من الفواحش، وافتخار بما كانوا فيه من القذارة، كما يقول الشيطان من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهّد "(٣).

فمن منطلق السعي في الأرض فسادا، وتحويل كيان المجتمع من مجتمع قائم على الفضائل والمكارم إلى مجتمع تنتشر فيه الرذيلة، رافعين راية الحقد والنقمة على أهل الحق و الإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

---

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: (٣٣٨/٤).

(٢) تفسير البحر المحيط: (٣٣٨/٤)، قال أبي حيان: "يغتسلون من الجنابة ويتطهرون بالماء، عيروهم بذلك، ويسمى هذا النوع في علم البيان: التعريض بما يوهم الذمّ وهو مدح، انظر: التفسير الكبير للرازي: (١٣٩/١٤).

(٣) تفسير البحر المحيط: (٣٣٨/٤).

كأنَّ هذا القول من قوم لوط، وهذا التهكم لنبيه الكريم، والاستهزاء به وبمن معه من المؤمنين، هذه سنة الله في أنبيائه الكرام جاءوهم مبشرين وداعيين للخير، ويقابلوهم بالسخرية من دعوتهم، حكى الله ذلك عنهم في مواضع مختلفة من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۞ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۞ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٦ – ٨]، ويقول تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۞ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣٠ – ٣١].

وسيدنا نوح مكث في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما بشتى الوسائل والطرق لكن بماذا قابلوه؟ قال الله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: ٣٨ – ٣٩]،

وسيدنا شعيب عليه الصلاة والسلام لاقى من قومه مثل هذا وهو الناصح الأمين فقالوا له: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، يقولون هذا على سبيل الاستهزاء والتنقص والتهكم، ونبينا محمد ﷺ لاقى من قومه كفار قريش أصنافاً من الاستهزاء والتهكم، قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٦].

نخلص مما نقدم بأمور:

أولا: أنَّ قوم لوط نعتوا نبيهم لوطاً ومن آمن معه، وأهل بيته المؤمنين بصفة الطهارة كفراً وسخرية واستهزاءً، فإنها في الحقيقة هي صفة كمال في حقه عليه الصلاة والسلام، وفي حق من آمن معه، ولو لم تكن صفة حسنة وممدوحاً صاحبها لما دعاهم إليها ورغبهم فيها وقال لهم: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨].

ثانياً: أنَّ هيئة أهل التقوى والصلاح تؤذي أهل الفجور والفسوق ولا يرضون بها وسبب كبير لتنفيرهم لذلك لا يجتمع أهل الطهر والعفة والنزاهة مع الغارقين في ظلمات الفسوق والفواحش، لذلك قالوا: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]،

ثالثا: أنَّ صفة الطهارة والنزاهة والبعد عن المستقبح فطرة وعقلا، هي من ألصق الصفات بسيدنا لوط عليه السلام وبآله الكرام، وذلك بشهادة قومه عليه. كما جاء على لسانهم: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ .

وكما قال لوط عليه السلام عن بناته وما وصفهم به من الطهارة والترفع عن الدنايا حيث قال: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٤ – ٥٦].

الآثار الواردة في الآية:

روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس، في قوله: ﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ قال: من إتيان الرجال والنساء في أدبارهن"[١].

وروى بسنده عن مجاهد، في قوله: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ قال: "من أدبار الرجال وأدبار النساء استهزاء بهم"[٢]، وروى بسنده عن قتادة أنه تلا قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ قال: عابوهم بغير عيب أي: إنهم يتطهرون من أعمال السوء[٣].

وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: "إنما تعلم قوم لوط اللوطية من قبل نسائهم".

قوله تعالى : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦][٤].

وروى بسنده عن عبد الرحمن بن زيد يقول في قول الله: ﴿أنهم أناس يتطهرون﴾ قال: من أعمالهم الخبيثة التي كانوا يعملون: إتيانهم الرجال"[٥].

معنى الآية: هذه الآية مفسرة للآية الأولى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]. ففي هذه الآية ورد الفعل "أخرجوهم" والضمير هنا يعود على آل لوط، قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]، وهذه الآية تحمل نفس معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]، فإن قوم لوط عليه السلام كرهوا

---

(١) جامع البيان: (٦٣١٠/٨)، وذكره ابن كثير في تفسيره: (٢٦٥/١)، والسيوطي في الدر المنثور: (٦٣٣/١). وقد وردت عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ في حكم إتيان المرأة في دبرها، وقد تواترت الآثار عن رسول الله ﷺ بالنهي عن وطء المرأة في دبرها، ثم جاء عن أصحابه وعن تابعيهم ما يوافق ذلك وجب القول به وترك ما يخالفه، شرح معاني الآثار للطحاوي: (٤٦/٣)، وسيأتي في مبحث لاحق بإذن الله تعالى الكلام عن إتيان النساء في أدبارهن أو ما يسمى باللوطية الصغرى: ص ١٥٥.

(٢) جامع البيان: (٦٣١٠/٨)، وذكره مجاهد في تفسيره: ص٥٢٠، وعزاه السيوطي إلى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عنه، الدر المنثور: (٤٩٦/٣).

(٣) جامع البيان: (٦٣١٠/٨)، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: (١٨٨/١٦)، وعبد الرزاق في تفسيره: (٤٨٠/٢).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم: (٢٩٠٤/٩).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم: (٢٩٠٥/٩).

وجود الأطهار الأخيار بينهم، فأرادوا إخراجهم من قريتهم، وعللوا هذا الإخراج بأن لوطاً وقومه من الأخيار الأطهار الذين يتحرجون من فعل قومهم ويتنزهون عن هذا الفعل القبيح، قال السمرقندي: "يعني يتنزهون ويقذروننا بهذا الفعل، وإنا لا نحب أن يكون بين أظهرنا من ينهانا عن أعمالنا"(١) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في الآية: "يتحرجون من فعل ما تفعلونه، ومن إقراركم على صنيعكم، فأخرجوهم من بين أظهركم فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم. فعزموا على ذلك، فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها"(٢).

وهذا المعنى ذكره الثعلبي في معنى "يتطهرون" أي: من أدبار الرجال، يقولونه استهزاءً منهم بهم(٣).

والمعنى الآخر أنهم عابوا لوطاً وآله بغير عيب واعتبروا ما هو ممدوح مرغوب، هو عيب مذموم.

والملاحظ أن الآية في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]، قد وضحت المعنيين بالإخراج، وهم آل لوط عليه السلام.

أقوال العلماء في المقصود بآل لوط:

جاء في معنى الأهل في اللغة أن أهل الرجل هم: زوجه، والتأهل التزوج، وأهل الرجل أخص الناس به، وقيل: أهل البيت سكانه(٤). وقيل: الأهل هم: الأقارب والعشيرة والزوجة، وأهل الشيء أصحابه، وأهل الدار ونحوها سكانها(٥).

المقصود بالأهل في المعنى الشرعي: هناك قولان للعلماء في معنى "آل لوط":

المعنى الأول: المراد به سيدنا لوط عليه السلام، وابنتاه: زيثا وزعرثا، جاء في رواية ابن جرير عن السدي قال: "أخرجهم الله يعني لوطا وابنتيه زيثا وزعرثا إلى الشام حين أراد إهلاك قومه"(٦). قال الفيروزآبادي: المقصود: لوطا وابنتيه زعورا وريثا(٧).

المعنى الثاني: أن يكون المقصود بآل لوط: هو لوط عليه السلام، وكذلك جميع من تبع دينه ممن آمن به وصدق دعوته، سواء كان قريباً له أو من عامة الناس. وهذا المعنى يشمل ابنتي لوط عليه السلام وجميع من آمن به وصدقه. قال

---

(١) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم: (٥٨٨/٢).
(٢) تفسير ابن كثير: (٢٠٠/٦).
(٣) تفسير الثعلبي: (١٦٨٨/١)، انظر تفسير البغوي: (١٧١/٦)، فتح القدير: (١٤٥/٤).
(٤) المحيط في اللغة: (٦٣/٤).
(٥) المعجم الوسيط: (٣١/١).
(٦) جامع البيان: (٥٧٢٠/٧)، وذكره ابن ابي حاتم: (٢٠٦٠/٦).
(٧) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: (٣٢٠/١)، تفسير السمرقندي: (٥٨٨/٢).

الألوسي: "المراد بآل لوط هو عليه السلام ومن تبع دينه كما يراد من بني آدم وبنوه وأياما كان فلا تدخل امرأتــه عليــه السلام"(١).

فهو يقصد أن قوم لوط أرادوا إخراج كل من كان موافقاً لسيدنا لوط عليه السلام في الخُلُق والمعتقد، وهو قــول بعيد بدلالة قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ – ٣٦].

والراجح: أن المقصود بآل البيت هما ابنتا لوط عليه السلام، فإنه لا يمكن أن تكون زوجته مشمولة في هذا المعنى، وهي ليست من آل البيت الناجين من العذاب، بل هي من الباقين في العذاب، قال تعــالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [النمــل: ٥٧]، وإن كان معنى الأهل في اللغة هم: الأقارب والعشيرة والزوجة وأهــل الشيء أصحابه وأهل الدار ونحوها سكانها(٢).

فيدخل في معنى الأهل العشيرة والأبناء والبنات هم من عشيرة الرجل، فإن كانت امرأة لوط عليه السلام تــدخل في معنى الأهل باعتبار المعنى اللغوي فهي زوجة لوط عليه السلام، إلا أنها ليست مشمولة مع الناجين من العذاب بل هــي من الهالكين، فدل على أن الناجين المخرجين هما ابنتيه غير زوجته الباقية في العذاب.

يقول الفيروزآبادي في معنى الآية: فأنجيناه وأهله ابنتيه إلا امرأته المنافقة، قدرناها من الغابرين، يقول: قدرنا عليهــا أن تكون من المتخلفين بالهلاك(٣).

نخلص مما سبق: أن أهل قرية لوط كانوا يرون الحق منكرا والمنكر حقاً ومباحاً، يقول ابن القــيم: "فــأقروا مــع شركهم وكفرهم أنهم هم الأخابث الأنجاس، وأن لوطاً وآله مطهرون من ذلك باجتنابهم له(٤)، فبما أنهــم نعتــوا لــوط والمؤمنين معه بالطهارة فهم في المقابل الأنجاس الفسقة، ومن الطبيعي جداً أن يكونوا متزعجين بوجود الأنقياء الطــاهرين بينهم، لذلك هموا بإخراجهم، وقالوا: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

(١) روح المعاني: (٢٠ /٢)، التفسير الكبير للرازي: (١٥٨/١٩).

(٢) المعجم الوسيط: (٣١/١).

(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: (٣٢٠/١).

(٤) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (٥٩/١).

ثالثاً: اتصاف لوط عليه السلام بالعلم والحكم.

ما ورد من الآيات في اتصاف سيدنا لوط عليه السلام بالعلم(١) والحكم(٢):

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، معنى الآية: هذا ثناء من الله على رسوله لوط عليه السلام بالعلم الشرعي، والحكم بين الناس بالصواب والسداد، أكمل له الإنعام بعصمته مِنْ مِثلِ ما امْتُحِنَ به قومُه، ثم بخلاصِه منهم بإخراجه إيَّاه مِنْ بينهم، فميزه عنهم ظاهراً وباطناً، فقد امتن الله تعالى على سيدنا لوط عليه السلام بنعمتين.

أحدهما: هي قوام الأمن والاستقرار بين الناس.

والثانية: هي قوام فهم أمور الدين وأحكام الشرع.

فالنعمة التي هي قوام استقرار الحياة وانتشار الأمن بين الناس، هي نعمة الحكم بين المتخاصمين بالعدل والحق، "وحكماً" فلا يبغي أحد على آخر، والحكمة التي هي قوام فهم أمور الدين وأحكام الشرع والحلال والحرام هي نعمة العلم الشرعي"(٣).

---

(١) العلم لُغة: مصدر علم يعلم علما وهو مشتق من (ع ل م)، والعلم: اليقين، يقال علم يعلم إذا تيقن، وجاء بمعنى المعرفة أيضا. فالعلم بمعنى المعرفة، وهو نقيض الجهل. قال ابن منظور: "العلم نقيض الجهل علم علما وعلم هو نفسه ورجل عالم وعليم من قوم علماء فيهما جميعا ". لسان العرب: (٤١٦/١٢). وقيل العلم هو: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقيل العلم هو: " إدراك الشيء على ما هو به "، وقيل: " زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه" التعريفات للجرجاني: (٢٠٠/١). وعند التأمل في أقوال أهل اللغة يظهر لنا أن العلم هو ادراك الشيء كما هو عليه، وأنه نقيض للجهل، وهو بمعنى المعرفة واليقين.

(٢) الحكمُ في اللغة: من حكم: والحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم. وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها. معجم مقاييس اللغة: (٩١/٢)، قال الليث: الحكم: العلم والفقه، قال تعالى: " واتيناه الحكم صبيا " أي علما وفقها، وهذا ليحيى بن زكريا. وكذلك قوله: الصمت حكم، وقليل فاعله. والحكم أيضا بمعنى: القضاء بالعدل، والعرب تقول: حكمت وأحكمت، وحكمت بمعنى منعت ورددت، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكم، لأنه يمنع الظالم من الظلم: تهذيب اللغة: (٤٧٥/١). وقيل الحكم بالضم: القضاء وجمعها: أحكام، والحاكم: منفذ الحكم، القاموس المحيط: (١٤١٥/١). والحكم والحكمة: العدل والحلم، المحيط في اللغة: (٣٨٧/٢). وفي المعجم الوسيط: (حكم) بالأمر حكما أي : قضى، يقال حكم له وحكم عليه وحكم بينهم: (١٩٠/١). قال ابن منظور: الحكيم ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم، قال الجوهري: الحكم الحكمة من العلم والحكيم العالم وصاحب الحكمة، لسان العرب: (١٤٠/١٢) والحكم العلم والفقه والقضاء بالعدل، وهو مصدر حكم يحكم. لسان العرب: (١٤٠/١٢). ومعنى الحكم شرعا: خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير، ويقال له الكلام النفسي، ومدلول الأمر والنهي والإيجاب والتحريم. الكليات للكفومي: (٥٩٤/١).

(٣) انظر: تفسير البغوي: (٣٣١/٥)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٧٢٠/٢)، تفسير البيضاوي: (١٠١/٤)، فتح القدير للشوكاني: (٤١٦/٣).

وكلتا هاتين النعمتين العظميين من أعظم دلائل النبوة ومقتضيات الرسالة، فمن أرسله الله تعالى للناس من أجل هدايتهم وتبصيرهم بالحق لابد أن يكون على علم بأمور الشرع، وما يصلح قومه ويفيدهم، وأن يكون حاكماً بينهم بالقسط وبما يرضي الله تعالى.

والعلم من صفات الله تعالى الحسنى فالله هو العليم، قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١] .

في هذه الآية: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، يبين الله تعالى ما أنعم به على سيدنا لوط عليه السلام من العلم الشرعي والفهم بالشريعة وفرائض الله وتعالى ومعرفة الحلال والحرام والحق والباطل ومعرفة ما يصلح به أمر قومه في دينهم ودنياهم وأخراهم، ذلك لأنه مبلغ عن ربه هادياً ومبشراً ونذيراً فلا بد أن يكون على قدر من العلم والفهم واليقين بعيدا عن الجهل والشك. فمن أعظم النعم التي يمتن الله بها على أنبيائه الكرام وعباده المؤمنين، نعمة العلم بأمور الشرع وفرائض الدين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

وقال تعالى ممتدحا عباده المؤمنون العلماء: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧].

فالعلم به حياة القلوب، ونور البصائر والألباب، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: " العلم هاد وهو تركة الأنبياء وتراثهم وأهله عصبتهم ووراثهم وهو حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض"[(١)].

والعلم يورث في نفس صاحبه الخشية من الله تعالى ودوام المراقبة له في كل حال، لذلك أثنى الله على عباده العلماء فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وأهل العلم استشهد هم الله على أعظم مشهود، وهو توحيده سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

قال ابن القيم: "استشهد الله عز و جل بأهل العلم على أجلِّ مشهود به، وهو التوحيد، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وفي ضمن ذلك تعديلهم، فإنه سبحانه وتعالى لا يستشهد بمجروح"[(٢)].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: (٢/٤٦٩ -٤٧٠).

(٢) مدارج السالكين: (٢/٤٧٠).

والعلم بأمور الدين والحلال والحرام هو الذي خلا من قلوب قوم لوط عليه السلام، فاستجرأوا على الحرام، واستحلوا الفواحش وتمادوا في طغيانهم حين دعاهم نبيهم الكريم لوط عليه السلام. ووهب الله تعالى سيدنا لـــوط الحكم، وهو الفصل بين الخصوم، والقضاء بين المتنازعين، وقد سمى الله نفسه الحكيم قـــال تعـــالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٨].

وأنبياء الله الكرام الذين اصطفاهم واختارهم لابد أن يحكموا بما أنزل الله، قال تعـــالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٨ – ٤٩]، وقال تعـــالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

أنواع الحكم:

حكم بما أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

حكم بغير ما أنزل الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

والله سبحانه وهب سيدنا لوطاً العلم والفهم والتبصرة بأمور الدين حتى يحكم بين الناس بمـــا يرضـــي الله وبالحق، وهذا من تمام رحمة الله بعباده، ومن مقتضى حكمته وعلمه أن يكون التقاضي والتحـــاكم إلى شـــرع الله ودين الله تعالى المتره عن النقص والعيب، بخلاف حكم العباد الذي يخضع للهوى والشهوات، وفيه النقص والجهل. والله سبحانه وتعالى يذكر قوم لوط ويقول لهم: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٤] فإن الله وهبه العلم والفهم والنبوة وفصل القضاء بين المتخاصـــمين والعـــدل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، ولو أنهم رضوا بحكم النبي الكريم لوط عليه السلام وانصـــاعوا لدين الله لحصل لهم الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة، وحصل لهم السرور والاطمئنان القلبي، وجميع الأقوام الـــذين أرسل إليهم المرسلين مأمورون بقبول حكم الله، والتحاكم إلى دينه، وهذا شرط في الإيمان بـــالله تعـــالى وبـــاليوم الآخر، قال تعـــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النســاء: ٥٩]، فإن حكم الله ونبيه محمد خير الأحكام وأحسنها وأعدلها، وفيهـــا صلاح العاجلة والآجلة.

وسيدنا لوط صاحب العلم والفهم عندما حكم بين قوم لوط وقضى بشرع الله بينهم، ونهاهم عن فعل المنكرات، كان الواجب عليهم الطاعة والقبول إن كانوا مؤمنين بالله حقاً، فإن التحاكم إلى شرع الله تعالى وما جاءهم به نبيهم لوط عليه السلام هو مقتضى العبودية لله تعالى، والشهادة لنبيهم لوط بالرسالة، وإن عدم الطاعة لنبيهم والرضى بحكم ربه وما أتاهم به نبيهم هو موجب لحلول النقمة والعذاب عليهم في الدارين، لكنهم ارتضوا حكم الجاهلية، و لم يرتضوا بحكم خالقهم قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

رابعاً: اتصاف سيدنا لوط عليه السلام بالكرم مع أضيافه وحسن ضيافته لهم.

ما ورد في كرم سيدنا لوط عليه السلام مع أضيافه وحسن ضيافته لهم:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٧ – ٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ [الحجر: ٦٧ – ٦٨].

الآثار الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ الآية:

روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس في معنى الآية قال: "ساء ظنًا بقومه، وضاق ذرعًا بأضيافه"(١).

وروى عنه أيضاً قوله: ﴿وقال هذا يوم عصيب﴾ أي: يوم شديد(٢). وروى ابن جرير بسنده عن حذيفة أنه قال: "لما جاءت الرسل لوطًا" أتوه وهو في أرض له يعمل فيها، وقد قيل لهم، والله أعلم: لا تهلكوهم حتى يشهدَ لوط. قال: فأتوه فقالوا: إنا مُتَضيِّفوك الليلة! فانطلق بهم، فلما مضى ساعةً التفت فقال: أما تعلمون ما يعمَل أهل هذه القرية؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض أناسًا أخبث منهم! قال: فمضى معهم، ثم قال الثانية مثل ما قال، فانطلق بهم، فلما بصرت بهم عجوزُ السَّوْء امرأته، انطلقَت فأنذرتهم"(٣).

---

(١) جامع البيان: (٤٣٨١/٦)، وذكره ابن ابي حاتم في تفسيره: (٢٠٦١/٦)، وعزاه السيوطي لابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وعنه في الدر المنثور: (٤٥٥/٤)، والشوكاني في فتح القدير: (٧٤٥/٢)، قال ابن حجر: وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عنه في هذه الآية: ولما جاءت رسلنا لوطا ساء ظنا بقومه وضاق ذرعا بأضيافه، ويلزم منه اختلاف الضميرين، وأكثر المفسرين على اتحادهما، ووصله بن أبي حاتم من طريق الضحاك قال: ساءه مكانهم لما رأى بهم من الجمال. فتح الباري شرح صحيح البخاري: (٣٥٠/٨)، وذكره في تغليق التعليق على صحيح البخاري: (٢٢٦/٤).

(٢) جامع البيان: (٤٣٨١/٦)، وإسناده حسن، وذكره في الصحيح المسبور: (٦٣/٣).

(٣) جامع البيان: (٤٣٨١/٦)، وذكره ابن أبي حاتم في التفسير: (٢٠٦٠/٦)، وذكره عبد الرزاق في تفسيره: (٣٠٧/٢).

وروى ابن جرير بسنده عن قتادة، قال: "أتت الملائكة لوطًا وهو في مزرعة له، وقال الله للملائكة: إن شهد لوط عليهم أربعَ شهادات فقد أذنت لكم في هَلكتهم. فقالوا: يا لوط، إنا نريد أن نُضيِّفك الليلة. فقال: وما بلغكم من أمرهم؟ قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشرُّ قرية في الأرض عملا! يقول ذلك أربع مرات، فشهد عليهم لوط أربع شهادات، فدخلوا معه منزله"(١).

وروى ابن جرير عن السدي قال: "خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط، فأتوها نصف النهار، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها، وكانت له ابنتان، اسم الكبرى "ريثا" ، والصغرى "زغرتا" ، فقالوا لها: يا جارية، هل من منزل؟ قالت: نعم، فَمكانَكم لا تدخُلوا حتى آتيكم! فَرِقَتْ عليهم من قَوْمها. فأتت أباها فقالت: يا أبتاه أرادك فتيان على باب المدينة، ما رأيت وجوه قوم أحسنَ منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم! وقد كان قومه نهوه أن يُضيف رجلا، فقالوا: خَلِّ عنَّا فلنضِف الرجال! فجاء بهم، فلم يعلم أحدٌ إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومها، قالت: إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قَطّ! فجاءه قومه يُهْرَعون إليه"(٢).

وروى ابن جرير عن ابن إسحاق، قال: خرجت الرسل فيما يزعم أهل التوراة من عند إبراهيم إلى لوط بالمؤتفكة، فلما جاءت الرسل لوطًا سيء بهم وضاق بهم ذرعًا، وذلك من تخوف قومه عليهم أن يفضحُوه في ضيفه، فقال: (هذا يوم عصيبٌ)" (٣).

وروى ابن جرير بسنده عن ابن إسحاق، قال: لما جاءت الرسل لوطًا أقبل قومه إليهم حين أخبروا بهم يهرَعون إليه. فيزعمون، والله أعلم، أن امرأة لوط هي التي أخبرتهم بمكانهم، وقالت: إنَّ عند لوط لضيفانًا ما رأيت أحسنَ ولا أجمل قطُّ منهم! وكانوا يأتون الرجالَ شهوة من دون النساء، فاحشةٌ لم يسبقهم بها أحد من العالمين. فلما جاءوه قالوا: أو لم ننهك عن العالمين؟ أي: ألم نقل لك: لا يقربنَّك أحدٌ، فإنا لن نجد عندك أحدًا إلا فعلنا به الفاحشة؟ قال: "يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم"، فأنا أفدي ضيفي منكم بهنّ، و لم يدعهم إلا إلى الحلال من النكاح"(٤).

---

(١) جامع البيان: (٤٣٨٢/٤٣٨١/٦)، تاريخ الطبري: (١٨٥/١)، وذكره البغوي في معالم التنزيل: (٢٢٩/٣)، وذكره الثعلبي في تفسيره: (١١٣٦/١).

(٢) جامع البيان: (٤٣٨٢/٦) وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره: (٢٦٠/٦)، والطبري في تاريخه: (١٨٥/١)، وابن الجوزي في زاد المسير: (١٣٥/٤) وذكره الثعلبي في تفسيره: (١١٣٦/١)، وذكره ابن كثير في تفسيره: (٣٣٧/٤). وقال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم، مستدرك الحاكم: (٦١٣/٢).

(٣) جامع البيان: (٤٣٨٢/٦)، معالم التنزيل للبغوي: (٢٢٩/٣).

(٤) جامع البيان: (٤٣٨٦/٦).

ما ورد من الآثار في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨].

روى ابن جرير بسنده عن قتادة قال: أمرهم لوط بتزويج النساء وقال: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾(١).

وروى عن مجاهد قال: لم تكن بناته، ولكن كنَّ من أمّته، وكل نبي أبُو أمَّته(٢).

وروى عن مجاهد أيضاً، قال: ما عرض عليهم نكاحًا ولا سفاحًا(٣).

وروى عن سعيد بن جبير، قال: يعني: نساءهم، هنّ بَنَاته، هو نبيّهم "(٤).

وروى عن ابن إسحاق قال: لما جاءت الرسل لوطًا أقبل قومه إليهم حين أخبروا بهم يهرَعون إليه. فيزعمون، والله أعلم، أن امرأة لوط هي التي أخبرتهم بمكانهم، وقالت: إن عند لوط لضيفانًا ما رأيت أحسنَ ولا

---

(١) جامع البيان: (٤٣٨٥/٦)، وذكره عبد الرزاق في تفسيره: (١٩٠/٢). وعزاه السيوطي في الدُّر لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة: (٨٩/٥)، والشوكاني في فتح القدير: (١٨٩/٣). وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما جاءت رسل الله لوطا ظن أنهم ضيفان لقوه فأدناهم حتى أقعدهم قريبا و جاء ببناته و هن ثلاث فأقعدهن بين ضيفانه و بين قومه فجاء قومه يهرعون إليه فما رآهم قال: "هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله و لا تخزون في ضيفي" قالوا: "لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد * قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد" فالتفت إليه جبريل عليه السلام فقال: "إنا رسل ربك لن يصلوا إليك" قال: فطمس أعينهم، فرجعوا وراءهم يركب بعضهم بعضا، حتى خرجوا إلى الذين بالباب، فقالوا: جئناكم من عند أسحر الناس، قد طمس أبصارنا، فانطلقوا يركب بعضهم بعضا حتى دخلوا القرية، فرفعت في بعض الليل حتى كانت بين السماء و الأرض، حتى أنهم ليسمعون أصوات الطير في جو السماء، ثم قلبت فخرجت الإفكة عليهم، فمن أدركته الإفكة قتلته، و من خرج أتبعته حيث كان حجرا فقتلته، قال: فارتحل ببناته وهن ثلاث، حتى إذا بلغ مكان كذا وكذا من الشام، فماتت ابنته الكبرى، فخرجت عندها عين يقال لها الورية، ثم انطلق حيث شاء الله أن يبلغ، فماتت الصغرى فخرجت عندها عين يقال لها: الرعونة فما بقي منهن إلا الوسطى" وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، ولعل متوهما أن هذا وأمثاله في الموقوفات و ليس كذلك، فإن الصحابي إذا فسر التلاوة فهو مسند عند الشيخين، وعلق عليه الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم. مستدرك الحاكم: (٣٧٤/٢).

(٢) جامع البيان: (٤٣٨٥/٦)، وذكره ابن ابي حاتم: (٢٠٦٢/٦). رواه ابن عبد البر وعزاه إلى الفريابي عن سفيان عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ هذه الآية: " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم" . التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: (١٧١/١١). وعزاه السيوطي في الدر لابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد: هؤلاء بناتي، قال: لم تكن بناته ولكن كن من أمته، وكل نبي أبو أمته: (٤٥٧/٤)، وعزاه الشوكاني لابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: " لم تكن بناته ولكن كن من أمته وكل نبي أبو أمته". فتح القدير: (٧٤٥/٢).

(٣) جامع البيان: (٤٣٨٥/٦) وذكره ابن ابي حاتم: (٢٠٦٢/٦).

(٤) جامع البيان: (٤٣٨٦/٦) وذكره ابن ابي حاتم: (٢٠٦٢/٦). وعزاه السيوطي لابن جرير وابن أبي حاتم: (٤٥٧/٤). وعزا السيوطي رواية السدي لابن أبي الدنيا، وابن عساكر: (٤٥٧/٤). وعزاه الشوكاني لابن جرير وابن أبي حاتم، ولابن أبي الدنيا وابن عساكر عن السدي نحوه: فتح القدير: (٧٤٥/٢). قال ابن كثير رحمه الله تعالى: يقال في بعض القراءات النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم. وهو مروي عن الربيع بن أنس، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم: (٣٣٧/٤).

أجمل قطُّ منهم ! وكانوا يأتون الرجالَ شهوة من دون النساء، فاحشةٌ، لم يسبقهم بها أحد من العالمين. فلما جاءوه قالوا: أو لم ننهك عن العالمين؟ أي: ألم نقل لك: لا يقربنَّك أحدٌ، فإنا لن نجد عندك أحدًا إلا فعلنا به الفاحشة؟ قال: "يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم"، فأنا أفدي ضيفي منكم بهنّ، و لم يدعهم إلا إلى الحلال من النكاح[1].

ففي هذه الآية ينصح سيدنا لوط قومه بأن ينصرفوا عن أضيافه، وإن كان لهم رغبة صادقة في الأمر الحلال الذي أباحه الله من مناكحة النساء فهذا الأمر بين أيديهم مباح لهم، وهو من علامات تقواهم لله تعالى وخوفهم منه.

قال الشوكاني في معنى الآية: "أي تزوجوهن ودعوا ما تطلبونه من الفاحشة بأضيافي، وقد كان له ثلاث بنات، وقيل: اثنتان، وكانوا يطلبون منه أن يزوجهم بهن فيمتنع لخبثهم، وكان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما بنتيه"[2].

ونقل القرطبي عن ابن عباس قوله: "كان رؤساؤهم خطبوا بناته فلم يجبهم، وأراد ذلك اليوم أن يفدي أضيافه بناته"[3].

---

(١) جامع البيان ٤٣٨٦/٦، فقد نزل الملائكة على النبي لوط عليه السلام وكانوا في غاية الحسن اشتهر خبرهم حتى وصل إلى قوم لوط. وقيل: امرأة لوط أخبرتهم بذلك. وقال الرازي : " وبالجملة فالقوم قالوا نزل بلوط ثلاثة من المرد ما رأينا قط أصبح وجهاً ولا أحسن شكلاً منهم فذهبوا إلى دار لوط طلباً منهم لأولئك المرد والاستبشار إظهار السرور ولما وصلوا إليه " . تفسير السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار الكتب العلمية ـــ بيروت: (١٦٤/٢).

(٢) فتح القدير: (٥١٤/٢)، وسيأتي الحديث عن معنى قوله تعالى: "بناتي" ، في مبحث آخر، والمراد هنا بيان عدم ارتباط فعل قوم لوط بتقوى الله تعالى وتذكير سيدنا لوط لهم بذلك.

(٣) تفسير القرطبي: (٧٦/٩). فتح القدير: (٤٦٩/٣)، وعزاه السيوطي في الدر لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس: (٤٦١/٤)، وأخرجه ابن ابي حاتم بإسناد حسن: (١٦٥/٣)، والحاكم في مستدركه: (٣٤٤/٢-٣٤٥) ولفظه: "لما جاءت رسل الله لوطا عليه السلام ظن أنهم ضيفان لقومه فأدناهم حتى أقعدهم قريبا وجاء ببناته وهن ثلاثة فأقعدهن بين ضيفانه وبين قومه، فجاءه قومه يهرعون إليه، فلما رآهم قال: " هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي " ، قالوا : " ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد " ، قال: " لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد " ، فالتفت إليه جبريل عليه السلام فقال: " إنا رسل ربك لن يصلوا إليك " ، فلما دنو طمس أعينهم فانطلقوا عميا يركب بعضهم بعضا حتى إذا خرجوا إلى الذين بالباب قالوا: جئناكم من عند أسحر الناس، ثم رفعت في جوف الليل حتى إنهم يسمعون صوت الطير في جو السماء، ثم قلبت عليهم فمن أصابته الائتفاكة أهلكته، ومن خرج منها اتبعته حيث كان حجرا فقتلته فارتحل ببناته حتى بلغ مكان كذا من الشام ماتت ابنته الكبرى فخرجت عندها عين ثم انطلق حيث شاء الله أن يبلغ فماتت الصغرى فخرجت عندها عين فما بقي منهن إلا الوسطى " .وقال الحاكم: هذا حديث صحيح: (٣٤٤/٢-٣٤٥).

معنى الآية: تتحدث الآية الكريمة عن كرم النبي لوط عليه السلام مع الملائكة الذين أتوه في صورة شبان حسان، وكرمه عليه السلام كان يتمثل في عدة أمور:

أولاً: كان كرماً خَلقياً: يتمثل في حسن الرفادة والاستقبال، والخوف على أضيافه من قومه الأشرار. يقول ابن كثير: "فساءه شأنهم وضاقت نفسه بسببهم، وخشي إن لم يُضِفْهم أن يضيفهم أحد من قومه، فينالهم بسوء "وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ""(1).

ثانياً: كان كرمه عليه الصلاة والسلام متمثلاً في دفاعه عن أضيافه الكرام، وحرصه على حمايتهم من القوم الأشرار.

ثالثاً: من كرمه عليه السلام كما بينت الآية الكريمة أنه ضاق بهم ذرعاً. والذرع: هو كما قال الأزهري: "الذرع: يوضع موضع الطاقة، وأصله أن البعير يذرع بيده في سيره على قدر سعة خطوه، أي: يبسطها، فإذا حمل عليه أكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فجعل ضيق الذرع كناية عن قلة الوسع والطاقة وشدة الأمر، وقيل: هو من ذرعه القيء، إذا غلبه وضاق عن حبسه.

والمعنى أنه ضاق صدره عليه الصلاة والسلام لما رأى الملائكة في تلك الصورة خوفاً عليهم من قومه، لما يعلم من فسقهم وارتكابهم لفاحشة اللواط، وقال: "هذا يوم عصيب"، أي: شديد. يقال: عصيب وعصيصب، أي: يوم مكروه يجتمع فيه الشر، ومنه قيل: عصبة وعصابة، أي: مجتمعو الكلمة، ورجل معصوب، أي: مجتمع الخلق(2).

يقول ابن القيم: "فلما أن حان الوقت المعلوم وجاء ميقات نفوذ القدر المحتوم، أرسل الرحمن تبارك وتعالى لتمام الإنعام والامتحان إلى بيت لوط ملائكة في صورة البشر، وأجمل ما يكون من الصور، وجاءوه في صورة الأضياف، للنزول بذي الصدر الرحيب، فسيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال: هذا يوم عصيب"(3). وكان من سيدنا لوط حسن الاستقبال وحسن الضيافة ولا يحق لأحد أن يظن بسيدنا لوط خلاف ذلك، ويحتج بأنه كما أخبر تعالى: "سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ" فهو عليه السلام لم يكن يعلم أن هؤلاء الأضياف هم رسل من عند الله تعالى جاءوا لمهمة خاصة، وهي: إحلال العذاب على قومه الفساق، وإنما ضاقت نفسه واغتمت بسبب خوفه من قومه على الأضياف أن يعتدوا عليهم، ويتجرؤوا على فعل الفاحشة كما هم معتادون إذا ورد

---

(1) تفسير ابن كثير: (٣٣٦/٤)، انظر حياة وأخلاق الانبياء، المؤلف: أحمد الصباحي عوض الله، تقديم د: محمد الفحام، أ: سيد سابق، الطبعة الرابعة: ١٤١٣هـ -١٩٩٣م، دار اقرأ بيروت- الرملة البيضاء: ص١١٦.

(2) فتح القدير: (٥١٣/٢).

(3) روضة المحبين ونزهة المشتاقين: (١٩١/١).

عليهم ضيوف، فإنهم كانوا يمنعون سيدنا لوط من استقبال الضيوف إذا نزلوا قريتهم، ويبادروا باستقبالهم وارتكاب المحرم معهم، وبسبب خوف سيدنا لوط على ضيوفه من قومه الفساق قال: "هذا يوم عصيب".

رابعاً: وكذلك من دلائل كرم سيدنا لوط عليه السلام مع أضيافه: أنه عرض على قومه الزواج من بناته، فقال لهم: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]، وليس في معنى الهمزة في أطهر دلالة على أن الزواج من بنات لوط هو خير وأطهر من مناكحة الرجال، فمن المعلوم أن مناكحة الذكران فيها كل الفساد.

خامساً: ومما يدل على كرم سيدنا لوط عليه السلام مع أضيافه الكرام: أنه لم يلتفت إلى مقولة قومه القائلين له: "أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ"، فقد روى ابن جرير عن قتادة في قوله تعالى: " أو لم ننهك عن العالمين"، قال: " ألم ننهك أن تضيف أحدا"[١]، فقد حرص قوم لوط الأشرار على منع سيدنا لوط عليه السلام من ضيافة أضيافه، ونهوه عن ذلك، لكنه عليه الصلاة والسلام لم يلتفت إليهم ودافع عنهم وحماهم بإذن الله تعالى. قال البغوي في معنى الآية: " أي: ألم ننهك عن أن تضيف أحداً من العالمين، وقيل: ألم ننهك أن تدخل الغرباء المدينة، فإنا نرغب منهم الفاحشة"[٢].

وللآية نظائر في كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٣].

قال ابن جرير في معنى الآية: "يقول تعالى ذكره: ولما جاءت ملائكتنا لوطًا، ساءه مَجيئهم وهو "فعل" من السوء ﴿وضاق بهم﴾، بمجيئهم ﴿ذَرْعًا﴾، يقول: وضاقت نفسه غما بمجيئهم. وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسلُ الله في حال ما ساءه مجيئهم، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة، وخاف عليهم، فضاق من أجل ذلك بمجيئهم ذرعًا، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه، ولذلك قال: ﴿هذا يوم عصيب﴾" . فإن سيدنا لوط عليه السلام ما ضاقت نفسه بسبب مجيء الأضياف، وإنما اغتمت نفسه بسب خوفه من خزي قومه وفضيحته واعتدائهم على ضيوفه الكرام لذلك قال: "هذا يوم عصيب"[٣].

فعندما قدم الأضياف على لوط عليه السلام خاف عليهم من قومه أن يمسوهم بسوء أو يلحقوا بهم الأذى أو المضرة، كعادتهم في ترقب ذوي الهيئات الحسنة والشكل الجميل من أجل أن يوقعوا بهم أسوأ الأفعال، وكذلك

---

(١) جامع البيان: (٤٩٠٧/٦)، واسناده حسن، ذكره ابن أبي حاتم: (٢٢٦٩/٧). والسمرقندي في بحر العلوم: (٢٥٩/٢) وذكره في الصحيح المسبور: (١٦٤/٣).

(٢) تفسير البغوي: (٥٤/٣)، فتح القدير: (١٣٨/٣).

(٣) تفسير الطبري: (٤٣٨١/٦).

ابنة لوط عليه السلام خافت على الأضياف الذين أتوا إليهم من قوم لوط الأشرار لما يعلموه من خبث طويتهم وفساد عملهم.

والآية: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٣]، تدل على مجيء الأضياف إلى سيدنا لوط عليه السلام، لكن الملائكة بشروه بحدوث النجاة له و لأهله: أي لبناته، إلا زوجته فإن الله تعالى كتب عليها الهلاك مع الهالكين.

ومما يدل أيضاً على كرم سيدنا لوط عليه السلام وحسن رفادته، قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ۝ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ۝ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ﴾ [الحجر: ٦٧ – ٦٩]، وهي تبين موقف قوم لوط عندما علموا بأضيافه جاءوا فرحين بقدومهم.

وقد ذكر الطبري في معناها قال: "وجاء أهل مدينة سدوم، وهم قوم لوط لما سمعوا أن ضيفاً قد ضاف لوطا مستبشرين بنزولهم مدينتهم طمعاً منهم في ركوب الفاحشة"(١).

الآثار الواردة في الآية:

روى ابن جرير بسنده عن قتادة، في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: استبشروا بأضياف نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لوط، حين نزلوا لما أرادوا أن يأتوا إليهم من المنكر(٢).

وروى الخازن عن السدي في قوله تعالى: "ولا تخزون في ضيفي" ، يقول: "ولا تفضحوني"(٣).

فالآية تصور حال قوم لوط حينما عرفوا بقدوم الشبان الحسان في بيت النبي لوط عليه السلام؛ لأن تحقق مثل هذا الأمر يرضي رغباتهم ويشبع شهواتهم، فأتوا نحو بيت لوط عليه السلام، وهم يعلوهم الفرح والسرور والاستبشار دون اعتبار لأي أمر آخر(٤).

---

(١) تفسير الطبري: (٤٩٠٧/٦).

(٢) تفسير الطبري: (٤٩٠٧/٦) إسناده حسن، وذكره في الصحيح المسبور: (١٦٤/٣)، وعزاه السيوطي لابن جرير وابن أبي حاتم عنه، الدر المنثور: (٨٩/٥). والشوكاني في فتح القدير: (١٩٨/٣). ونقل ابو حفص عن ابن عباس قوله في الآية أي: خافوا الله، ولا تفضحوني في أضيافي، يريد: أنهم إذا هجموا على أضيافه بالمكروه لحقته الفضيحة. وقيل: معناه لا تخجلوني فيهم؛ لأن مضيف الضيف يلحقه الخجل من كل فعل قبيح يتوجه إلى الضيف، يقال: خزي الرجل إذا استحيا. اللباب في علوم الكتاب: (٥٣٤/١٠).

(٣) تفسير الخازن: (٢٤٥/٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لأبي الشيخ: (٤/ ٤٥٨). تفسير البيضاوي: ص٢٤٧.

(٤) انظر: جامع البيان: (٤٩٠٧/٦)، فتح القدير: (١٣٧/٣)، الوجيز للواحدي: (٥٩٥/١).

ودون اعتبار لحق الضيف وماله و ما عليه، ودون النظر لموقف سيدنا لوط عليه السلام أمام أضيافه، وما سوف يلحق به عليه الصلاة والسلام من الخزي والعار إذا تعرضوا لأضيافه بسوء، كل هذه الأمور لم ينظروا إليها و لم يضعوها في حسبانهم كل ما دار في بالهم كيف يحققون المنفعة واللذة البهيمية فقط.

ومما يدل على حسن إكرام سيدنا لوط لأضيافه أمور منها:

أنه طلب من قومه أن يحسنوا الصنيع مع ضيوفه، وأن لا يتعرضوا لهم، ولا يتجرؤوا على فعل الفاحشة معهم، وفي نفس الوقت يتذكروا قدرة الله تعالى عليهم وعلى كل قوي متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، لذلك قال لهم: ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ۝ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ﴾ قال ابن جرير في معناها: "قال لوط لقومه: إن هؤلاء الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ضيفي، وحقّ على الرجل إكرام ضيفه، فلا تفضحوني أيها القوم في ضيفي، وأكرموني في ترككم التعرّض لهم بالمكروه"[1]. فإن إلحاق الأذى بالأضياف هو من أعظم العار والخزي[2] والمذلة والهوان فيحس المضيف بالهوان، إذا ألحق بالضيف أي أذى، أو ناله أي مكروه، يقول الزمخشري في معنى قوله تعالى: "وَلاَ تُخْزُونِ"، أي: "ولا تذلونِ بإذلال ضيفي[3]، من الخزي وهو الهوان. أو ولا تشوّروا بي، من الخزاية وهي الحياء"[4].

وفي المقابل يكون إكرام الضيف والإحسان إليهم من أسباب الفخر والسرور. وفي تعبير النبي لوط عليه السلام بلفظ: "إن هؤلاء ضيفي" فيها دلالة على أن هؤلاء الأضياف الذين حلوا عليه هم شيء مهم جداً بالنسبة لسيدنا لوط عليه السلام، ونسبهم إلى نفسه مما يدل على قربهم منه، وأهميتهم عنده ومعرفته عليه الصلاة والسلام بحقوقهم عليه وما يجب عليه فعله معهم من إكرامهم وحمايتهم وإنزالهم منازلهم.

لذلك كان يخاف عليه السلام من قومه أن يلحقوا بهم المذلة فقال لهم: "فلا تفضحون"، يقال: فضحه فضيحة وفضحاً إذا أظهر من أمره ما يلزمه العار بإظهاره، والمعنى لا تفضحون عندهم بتعرضكم لهم بالفاحشة فيعلمون أني عاجز عن حماية من نزل بي، أو لا تفضحوني بفضيحة ضيفي فإن من فعل ما يفضح الضيف فقد فعل ما يفضح المضيف، كما قالوا: "رجل عَدْل، وقوم عَدْل "[5].

---

(١) تفسير الطبري: (٤٩٠٧/٦)، تفسير البغوي: (٥٤/٣).

(٢) قال ابن منظور: الخزي السوء، خزي الرجل يخزى خزيا: وقع في بلية وشر وشهرة فذل بذلك وهان" لسان العرب: (١٤/ ٢٢٦).

(٣) ذكر الطبري: "الضيف"، في لفظ واحد في هذا الموضع بمعنى جمع. والعرب تسمي الواحد والجمع "ضيفا" بلفظ واحد.(٣)

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: (٢/ ٥٤٧).

(٥) انظر: جامع البيان: (٤٩٠٧/٦)، فتح القدير: (١٣٧/٣)، التفسير الكبير: (١٦١/١٩).

ولاشك أن سيدنا لوطاً كان يخشى من قومه أن يخزوه ويذلوه في ضيفه المكرمين، وإكرام الضيف من أنبل الصفات وأجمل السجايا، والكريم جامع لأنواع الفضائل والخير والشرف، وقد وصف الله سبحانه وتعالى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام بالكرم فقال تعالى: ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: ١٧]، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠]، وقال عن الملائكة: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ – ١٢]، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩].

نخلص من ذلك أن كرم النبي لوط عليه السلام يظهر في أمور هي:

أولاً: رغم وجود سيدنا لوط عليه السلام بين قوم متشبعين بحب الفاحشة وتجرؤهم عليها، ومجاهدة سيدنا لوط عليه السلام لهم ودعوته لهم بكل السبل والوسائل، إلا أن سيدنا لوط عليه السلام قام بحق الضيف على أكرم وجه، ودافع عنهم بل واعتبرهم مما يخصه ويهمه فلابد أن يحافظ عليهم فقال: "ضيفي" .

ثانياً: حسن رفادته للأضياف الذين حلوا عليه، ومجاهدته لقومه حتى لا يصيبوهم بأذى أو إساءة فيلحق النبي الكريم الخزي والعار.

ثالثاً: تقديمه عليه السلام بناته لقومه فداءً لأضيافه حتى لا يلحقهم سوء من القوم أو مضرة. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].

رابعاً: عدم اكتراثه بمقولة قومه له: ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحجر: ٧٠]، الناهين له عن إكرام الضيف.

خامساً: إحساسه بالضيق والكدر حينما رأى قومه متجهون نحو أضيافه، فخاف عليهم وقال: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧].

مما سبق يظهر لنا أن سيدنا لوط عليه السلام قد تحلى بجملة من الصفات الخلقية التي هي من سمات أنبياء الله تعالى الكرام:

أنه كان عليه الصلاة والسلام عظيم الإيمان بربه، مطمئن القلب به، فهو في سبيل ذلك ترك أهله وموطنه مهاجراً إلى ربه طالباً ما عنده من الثواب.

ضرب الله تعالى في حال النبي لوط عليه السلام أعظم الأمثلة في التضحية والفداء، فقد عرض بناته على قومه ليكفوا عما هم عليه من حب الفواحش والدنايا لكنهم لم يطيعوا و لم يستمعوا.

معاملة النبي لوط عليه السلام لقومه باللين والحكمة والموعظة الحسنة، وحسن الخلق وسعة الصدر، وقد قابله قومه بالإخراج والإبعاد، والسخرية والاستهزاء[1].

(١) انظر: حياة وأخلاق الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه، لأحمد الصباحي عوض الله: ص١٢٠.

الفصل الثاني

ما ورد عن نبي الله لوط عليه السلام في مسائل الإيمان بالله تعالى.

وفيه مباحث:

المبحث الأول: ما ورد في قصة نبي الله لوط عليه السلام في تقريره توحيد الربوبية

المبحث الثاني: ما ورد في قصة نبي الله لوط عليه السلام في تقريره توحيد الألوهية

المبحث الثالث: ما ورد في تقريره عليه السلام لتوحيد الأسماء والصفات

المبحث الرابع: ما ورد في قوم لوط عليه السلام من أنواع الكبائر والفواحش

المبحث الخامس: ما ورد في قوم لوط عليه السلام من نواقض الإيمان

المبحث السادس: خيانة أزواج الأنبياء

الفصل الثاني

المبحث الأول: **ما ورد في تقريره عليه السلام لتوحيد الربوبية.**

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية

المطلب الثاني: ما ورد من الآيات والآثار في تقرير نبي الله لوط عليه السلام لتوحيد الربوبية

أولاً: الآية الواردة في تقرير توحيد الربوبية

ثانياً: من دلائل الربوبية إنعام الله على قوم لوط بالحدائق والخيرات

المبحث الأول: ما ورد في تقريره عليه السلام لتوحيد الربوبية

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية:

- **تعريف توحيد الربوبية:**

معنى التوحيد في اللغة: ذكر علماء اللغة أن التوحيد مصدر وحَّد يوحِّدُ توحيداً، وهو من الوحدة.

قال ابن عباد(١): "الوَحْدَةُ: الانْفِرادُ، وَحُدَ يَوْحُدُ وَحَادَةً ووَحْدَةً، ووَحِدَ مِثْلُه.

والتَّوْحِيْدُ: الإيمانُ باللهِ عزَّ وجَلَّ"(٢).

التوحيد اصطلاحاً: قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد: "والتوحيد مصدر وحد يوحد توحيداً؛ أي: جعله واحداً، وسمي دين الإسلام توحيداً؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له"(٣).

- **معنى الربوبية لغة:**

فالربوبية صفة الله، وهي مأخوذة من اسم "الرب" ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. ومعنى الربوبية: من التربية وهي التدرج شيئا فشيئا حتى يصل إلى الكمال. قال ابن منظور: "والربوبية كالربابة، وعلم ربوبي منسوب إلى الرب على غير قياس. ورب كل شيء مالكه ومستحقه، وقيل: صاحبه، ويقال: فلان رب هذا الشيء، أي: ملكه له، وكل من ملك شيئا فهو ربه، يقال: هو رب الدابة ورب الدار، وفلان رب البيت، وهن ربات الحجال(٤).

مما سبق يظهر لنا أن الرب في كلام العرب يحمل على عدة معاني لعل أشهرها ما يلي:

المعنى الأول: المالك للشيء وصاحبه: قال ابن منظور: "وإنه لمربوب بين الربوبة، أي: لمملوك، والعباد مربوبون لله عز وجل، أي: مملوكون، وربيت القوم سستهم، أي: كنت فوقهم، وقال أبو نصر: هو من الربوبية، والعرب تقول: لأن يربني فلان أحب إلي من أن يربني فلان، يعني: أن يكون ربا فوقي وسيدا يملكني"(٥).

---

(١) محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن عباد النفزي الحميري الرندي، أبو عبد الله، المعروف بابن عباد: متصوف باحث، من أهل "رندة " بالأندلس. وتوفي بفاس، له كتب منها "الرسائل الكبرى" في التوحيد والتصوف ومتشابه الآيات، و"غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية" (٧٣٣ - ٧٩٢ هـ). الاعلام: (٥/٢٩٩).

(٢) المحيط في اللغة: (١/٢٤٤).

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: (١/١٧).

(٤) لسان العرب: (١/٣٩٩).

(٥) لسان العرب: (١/٣٩٩).

المعنى الثاني: السيد المطاع، ذكر ابن منظور أن الرب يكون بمعنى: السيد المطاع[1].

المعنى الثالث: يكون الرب بمعنى المصلح للشيء القائم عليه، وعلى تربيته، ذكر ابن فارس: الراء والباء يدل على أصول، فالأول إصلاح الشيء والقيام عليه[2].

- **معنى توحيد الربوبية اصطلاحاً:**

ذكر العلماء عدة تعاريف في معنى توحيد الربوبية:

قال ابن تيمية: "فتوحيد الربوبية: أنه لا خالق إلا الله، فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور؛ بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فكل ما سواه إذا قدر سببا فلا بد له من شريك معاون وضد معوق، فإذا طلب مما سواه إحداث أمر من الأمور طلب فيه ما لا يستقل به ولا يقدر وحده عليه، حتى ما يطلب من العبد من الأفعال الاختيارية لا يفعلها إلا بإعانة الله له، كأن يجعله فاعلا لها بما يخلقه فيه من الإرادة الجازمة ويخلقه له من القدرة التامة، وعند وجود القدرة التامة والإرادة الجازمة يجب وجود المقدور. فمشيئة الله وحده مستلزمة لكل ما يريده، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وما سواه لا تستلزم إرادته شيئا؛ بل ما أراده لا يكون إلا بأمور خارجة عن مقدوره إن لم يعنه الرب بها لم يحصل مراده، ونفس إرادته لا تحصل إلا بمشيئة الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠] [3].

المطلب الثاني: ما ورد من الآيات والآثار في تقرير نبي الله لوط عليه السلام لتوحيد الربوبية:

وردت آيات عدة في قصة نبي الله تعالى لوط عليه السلام تقرر توحيد الربوبية الذي فطر عليه جميع الناس، وفيما يلي بيان دلائل ربوبية الله تعالى كما وردت في قصة لوط عليه السلام والآيات المتعلقة بها:

من دلائل ربوبيته سبحانه وتعالى إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام:

ومن الدلائل أيضاً امتنان الله على إبراهيم ولوط عليهما السلام بالنجاة والخروج من بلاد العراق إلى بلاد الشام المباركة التي بارك الله فيها للعالمين.

من دلائل الربوبية إنعام الله على قوم لوط بالحدائق والخيرات.

من الدلائل على ربوبيته خلق لهم أزواجاً حتى ينكحوهم وينصرفوا عن مناكحة الرجال.

---

(١) لسان العرب: (٣٩٩/١).

(٢) معجم مقاييس اللغة: (٣٨١/٢).

(٣) الفتاوى الكبرى: (٥٨٤/٥).

من الدلائل أن الله تعالى وهب سيدنا لوط الحكم والعلم، ونجاه من القوم المفسدين، وادخله الله في رحمته.

أولاً: الآية الواردة في تقرير توحيد الربوبية:

قال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٦ – ٨٨].

دلائل الربوبية الواردة في الآية:

- **إرسال الرسل:**

مما علم أن الربوبية معناها من التربية، والتربية هي تدرج المربي بمن يربيه شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى درجات الكمال والصلاح، ومن أعظم ما يربي الله سبحانه وتعالى عباده حتى يصل بهم إلى الفلاح والكمال، هو إرسال الرسل من أجل دعوتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ومن هؤلاء الأنبياء المذكورين في الآية سيدنا لوط عليه السلام الذي أرسله الله تعالى إلى قومه لينصحهم ويرشدهم، فبعثة لوط إلى قومه هي تربية لهم من عند الله تعالى حتى يتدرجوا من حال إلى حال، من حال الفساد إلى حال الصلاح والفلاح، والله تعالى المربي لجميع العالمين. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وكما قال سيدنا لوط عليه السلام: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٤]، قال القرطبي رحمه الله تعالى في معنى: "رب العالمين"، الله رب العباد، وزيد رب الدار، فالله سبحانه رب الأرباب، يملك المالك والمملوك، وهو خالق ذلك ورازقه وكل رب سواه غير خالق ولا رازق، وكل مملوك فملك بعد أن لم يكن ومنتزع ذلك من يده، وإنما يملك شيئاً دون شيء وصفة الله تعالى مخالفة لهذه المعاني. وقد نقل رحمه الله تعالى اختلاف أهل التأويل في معنى "العالمين"، وبين أنهم اختلفوا فيها اختلافا كثيرا، فنقل عن قتادة قوله: العالمون: جمع عالم وهو كل موجود سوى الله تعالى، ولا واحد له من لفظه مثل رهط وقوم، وقيل: أهل كل زمان عالم، لقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥]، أي: من الناس.

ومن دلائل الربوبية في الآية: الاجتباء والاصطفاء لأداء مهمة التبليغ عن الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧]، يقول ابن جرير في معنى الآية: وهدينا أيضًا من آباء هؤلاء الذين سماهم، "ومن ذرياتهم وإخوانهم"، آخرين سواهم، لم يسمهم، للحق والدين الخالص الذي لا شرك فيه، فوفقناهم له"[1].

---

(١) جامع البيان: (٢٦٣/٧).

- **الآثار الواردة في معنى الاجتباء:**

روى ابن جرير بسنده عن مجاهد في قول الله تعالى: "واجتبيناهم"، قال: أخلصناهم[1]. وقال: "واخترناهم لديننا وبلاغ رسالتنا إلى من أرسلناهم إليه، كالذي اخترنا ممن سمَّينا"[2].

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين﴾ ثم قال في الأنبياء الذين سماهم الله في هذه الآية: "فبهداهم اقتده" صلى الله عليهم[3].

قال الشوكاني: "والاجتباء: الاصطفاء أو التخليص أو الاختيار، مشتق من جبيت الماء في الحوض جمعته، فالاجتباء ضم الذي تجتبيه إلى خاصيتك"[4]. فإن اختيار واجتباء الله لرسله، وإرسالهم للناس من أعظم النعم عليهم، فهم خيرة خلقه. وهي من أهم دلائل ربوبية الله تعالى التي يربي بها خلقه.

ومن دلائل ربوبية الله تعالى في الآية: الامتنان على رسله الكرام المذكورين في الآية وغيرهم بنعمة الهداية والتوفيق: قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧]، يقول ابن جرير في معنى الآية: "وسدّدناهم فأرشدناهم إلى طريق غير معوجّ، وذلك دين الله الذي لا عِوَج فيه، وهو الإسلام الذي ارتضاه الله ربُّنا لأنبيائه، وأمر به عباده"[5]. فالسداد من الله تعالى والتوفيق إلى الهداية من أعظم نعم الله تعالى، ومن هُدي إلى الصراط المستقيم فقد هُدي إلى الخير والفلاح في الدنيا والآخرة، والمؤمن يسأل ربه الهداية إلى طريق الإسلام وإلى الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧]، ثم بين تعالى أن هذه الهداية بيد الله تعالى، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، سبحانه وتعالى، قال: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، فإن الله تعالى بين أنَّ هؤلاء الذين أنعم عليهم بالنبوة وهداهم إلى الطريق المستقيم واجتباهم من جميع خلقه، لو أشركوا به شيئاً لحبط عنهم عملهم.

قال ابن جرير في معنى الآية: "ذلك هدى الله"، هذا الهدي الذي هديت به من سميت من الأنبياء والرسل، فوفقتهم به لإصابة الدين الحقّ الذي نالوا بإصابتهم إياه رضا ربهم، وشرفَ الدنيا، وكرامة الآخرة، هو "هدى الله"، يقول: هو توفيق الله ولطفه، الذي يوفق به من يشاء، ويلطف به لمن أحب من خلقه، حتى ينيب إلى طاعة الله، وإخلاص العمل له، وإقراره بالتوحيد، ورفضِ الأوثان والأصنام"[6]، فإن اجتباء الله للرسل وهدايتهم وتوفيقهم

---

(١) جامع البيان: (٢٦٣/٧). وسنده صحيح، ذكره في الصحيح المسبور: (٢٥٥/٢).

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: (١٣٣٦/٤)، وسنده حسن ذكره في الصحيح المسبور: (٢٥٥/٢).

(٤) فتح القدير: (١٣٧/٢).

(٥) جامع البيان: (٢٦٣/٧).

(٦) المرجع نفسه والصفحة نفسها، انظر: تفسير البغوي: (١٦٦/٣).

للتبليغ، ومن بينهم سيدنا لوط عليه السلام الذي اختاره وهداه ووفقه للتبليغ، فهذا من أعظم دلائل ربوبيته سبحانه وتعالى.

ثانياً: من دلائل الربوبية إنعام الله على قوم لوط بالحدائق والخيرات:

وقد رزق الله أهل قرية سدوم الذين بعث فيهم النبي لوط عليه السلام نعماً كثيرة، وخيرات وافرة، فيذكر المؤرخون أن بلاد سدوم كانت تزخر بالخيرات، والثمار اليانعات، والأشجار، ووفرة المياه،

يقول القزويني(١): سدوم: قصبة قرى قوم لوط، وهي بين الحجاز والشام، كانت أحسن بلاد الله، وأكثرها مياهاً وأشجاراً وحبوباً وثماراً، والآن عبرة للناظرين. وتسمى الأرض المقلوبة، لا زرع بها ولا ضرع ولا حشيش، وبقيت بقعة سوداء فرشت فيها حجارة، ذكر أنها الحجارة التي أمطرت عليهم وعلى عامتها كالطابع.

قال أمية بن أبي الصلت(٢):

ثمّ لوطٌ أخو سدوم أتاها ... إذ أتاها برشدها وهداها
راودوه عن ضيفه ثمّ قالوا ... قد نهيناك أن تقيم قراها
عرض الشّيخ عند ذاك بناتٍ ... كظباءٍ بأجرعٍ ترعاها
غضب القوم عند ذاك وقالوا ... أيّها الشّيخ خطبةٌ نأباها !
عزم القوم أمرهم وعجوزٌ ... خيّب الله سعيها ورجاها
أرسل الله عند ذاك عذاباً ... جعل الأرض سفلها أعلاها
ورماها بحاصبٍ ثمّ طينٍ ... ذي حروفٍ مسوّمٍ إذ رماها(٣)

وعندما جحد أهلها هذه النعم، واستكبروا، حاق بهم العذاب من حيث لا يشعرون، وقلب الله هذه القرية عليهم، فأصبحت عبرة لمن يعتبر، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ [النجم: ٥٣].

---

(١) زكريا بن محمد بن محمود القزويني الانصاري، أبو يحيى، عماد الدين، مؤرخ، جغرافي، من القضاة. (٦٠٥ – ٦٨٢ هـ)، ولد بقزوين، ورحل إلى الشام والعراق، من تصانيفه: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، وآثار البلاد وأخبار العباد. معجم المؤلفين: (١٨٣/٤)، الاعلام: (٨٠/٣).

(٢) أمية بن أبي الصلت الثقفي، شاعر مشهور، ذكره ابن السكن في الصحابة، وقال: لم يدركه الإسلام، وقد صدقه النبي صلى الله عليه وسلم في بعض شعره، وقال: قد كاد أمية أن يسلم. الإصابة في تمييز الصحابة: (٢٥٠/١).

(٣) آثار البلاد وأخبار العباد: (٢٠٢/١-٢٠٣)، وانظر: أخبار الدول وآثار الأول للقرماني: ص ٤٥٥.

قال المسعودي(1): "وهذه بلاد بين تُخُوم الشام والحجاز مما يلي الأردن وبلاد فلسطين، إلا أن ذلك في حيز الشام، وهي مُبقاة إلى وقتنا هذا، (سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة) خراباً لا أحد بها، والحجارة المُسومَة موجودة فيها يراها الناس السُّفّار سوداء برّاقَةً، فأقام فيهم لوط بضعاً وعشرين سنة يدعوهم إلى اللّه فلم يؤمنوا، فأخذهم العذاب على حسب ما أخبر اللّه من شأنهم"(2). فهي الآن أرض لا نبات فيها ولا ثمار، قاحلة مجدبة، تبدل حالها من الخير إلى السوء بسبب فساد أهلها، بقدرة الله سبحانه القادر على كل شيء. قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ۝ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴾ [الإسراء: ١٦ – ١٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ۝ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٣٤ – ٣٥].

فمن دلائل ربوبيته سبحانه وتعالى: إغداقه النعم والخيرات على عباده بغير حساب، أو يعزهم ويكرمهم، فإن عصوا واستكبروا أذلهم بقدرته، ومنع عنهم ما آتاهم من كل نعيم، وهو مالك الملك سبحانه يفعل في ملكه ما يشاء.

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧].

ومن الدلائل على ربوبية الله تعالى: امتنان الله على سيدنا لوط وسيدنا إبراهيم عليهما السلام بالنجاة والخروج من بلاد العراق إلى بلاد الشام المباركة التي بارك الله فيها للعالمين. قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١].

ذكر ابن جرير رحمه الله تعالى اختلاف الأقوال في معنى الأرض المباركة: فروى بسنده عن أبي بن كعب في معنى الآية: قال: الشام، وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس"(3).

وروى بسنده عن الحسن في قوله: "إلى الأرض التي باركنا فيها: قال: الشام "(4).

---

(١) على بن الحسين بن على المسعودي، صاحب التواريخ، مروج الذهب في أخبار الدنيا، ذخائر العلوم، الاستذكار لما مر من الاعصار، وغير ذلك، وقيل: إنه من ذرية عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، أصله من بغداد، وأقام بها زماناً وبمصر أكثر، وكان إخباريا مفتيا علامة، صاحب ملح وغرائب، رحل إلى البصرة، مات سنة (٣٤٥هـ). طبقات الشافعية الكبرى: (٤٥٦/٣).

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر: (١٢/١).

(٣) تفسير الطبري: (٥٧١٦/٧). وذكره بنحوه السيوطي في الدر المنثور: (٦٤٢/٥) عن أبي بن كعب، كنز العمال: (١٦٤/١٤).

(٤) تفسير الطبري: (٥٧١٦/٧).

وروى بسنده أيضاً عن قتادة قوله: "كانا بأرض العراق فأنجيناه إلى أرض الشام، وكان يقال للشام عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشام، وما نقص من الشام زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وفيها يَنْزِل عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلامُ، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الدجال"(١).

والراجح من الأقوال أن المقصود بالأرض المباركة هي أرض الشام، قال ابن جرير: "وهذه القصة التي قص الله من نبأ إبراهيم وقومه، تذكير منه بها قوم محمد صلى الله عليه وسلم من قريش، أنهم قد سلكوا في عبادتهم الأوثان، وأذاهم محمداً على نهيه عن عبادتها، ودعائهم إلى عبادة الله مخلصين له الدين، مسلك أعداء أبيهم إبراهيم، ومخالفتهم دينه، وأن محمداً في براءته من عبادتها وإخلاصه العبادة لله، وفي دعائهم إلى البراءة من الأصنام، وفي الصبر على ما يلقى منهم في ذلك، سالك منهاج أبيه إبراهيم، وأنه مخرجه من بين أظهرهم كما أخرج إبراهيم من بين أظهر قومه حين تمادوا في غيهم إلى مهاجره من أرض الشام، مسلٍّ بذلك نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عما يلقى من قومه من المكروه والأذى، ومعلمه أنه منجيه منهم كما نجى أباه إبراهيم من كفرة قومه"(٢).

فنجاة إبراهيم ولوط عليهما السلام كانت بأمر الله تعالى وقدرته، فيسر لهم الخروج من بين يدي النمرود الظالم، وتوجها إلى بلاد الشام التي رزق الله أهلها البركة والخيرات(٣).

ومن الدلائل أن الله تعالى وهب لوطاً الحكم والعلم ونجاه من القوم المفسدين، وادخله الله في رحمته، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤ – ٧٥].

الآثار الواردة في الآية:

فقد روى ابن جرير بسنده عن السدي، قال: أخرجهم الله، يعني لوطاً وابنتيه إلى الشام حين أراد إهلاك قومه(٤).

وروى عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي: في الإسلام(٥).

---

(١) تفسير الطبري: (٥٧١٦/٧). ورواه ابن أبي حاتم عن قتادة: (٢٤٥٧/٨)، إسناده حسن، ذكره في الصحيح المسبور: (٣٣٨/٣).

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٣) جامع البيان: (٥٧١٦/٧).

(٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها، ابن أبي حاتم: (٢٠٦٠/٦)، البغوي في تفسيره: (٣٧٧/٧)، اللباب في علوم الكتاب: (٩٠/١٨)، الخازن في تفسيره: (٢٤٥/٦).

(٥) جامع البيان: (٥٧٢١/٧)، وذكره السيوطي في الدر: (٦٤٤/٥)، ولم يعزه إلا لابن جرير، تفسير القرطبي: (٣٠٦/١١).

معنى الآية: فمن رحمة الله سبحانه وتعالى بقوم لوط أن أرسل إليهم نبيهم؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من حال الفساد إلى الصلاح، وأعطاه الله الحكم والنبوة، والفصل بين الخصوم، وقد تم التطرق إلى هذا الموضوع في مبحث دلائل نبوة النبي لوط عليه السلام.

ومن رحمة الله بعبده لوط عليه السلام أن نجاه وخلصه من العذاب الذي حل بقومه، حين انقلبت بهم القرية عاليها على سافلها، جزاء على أعمالهم الشنيعة التي اشتهروا بها. فكتب الله الخلاص لنبيه لوط وابنتاه، فلم ينالهم العذاب، فأخرجه الله حين أراد إهلاكهم إلى الشام، ونال قوم لوط وزوجة لوط الكافرة العذاب الأليم، يقول تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]. وقد كان سيدنا لوط من عباد الله الطائعين المنيبين إلى خالقهم، لذلك منَّ الله عليه بالدخول في رحمته التي فسرها المفسرون بأنها: الجنة أو كما قيل: هي الإسلام(١).

فجزاء طاعة الله مرضاته، والسعادة في الدنيا والآخرة، فإن سبب سعادة المرء وخسرانه هو كسب يديه، فإذا أحسن فإنه سيلاقي المثوبة من عند مولاه، وإذا أساء فإن عاقبة أمره خسراً، وفضل الله سبحانه وتعالى لا يُنال إلا بدوام شكره وطاعته.

فما حل بقوم لوط هو بسبب معاصيهم، والمعاصي تزيل النعم، ولو أنهم شكروا نعم ربهم لتمم عليهم الفضل والنعيم.

(١) جامع البيان: (٥٧٢١/٧).

﴿الفصل الثاني﴾

المبحث الثاني: ما ورد في تقريره عليه السلام لتوحيد الألوهية

وفيه مسائل:

أولاً: تعريف الألوهية

ثانياً: ما ورد من الآيات في تقرير النبي لوط عليه السلام لتوحيد الألوهية

أقسام العبودية:

من أنواع العبودية لله تعالى التي تحلى بها النبي لوط عليه السلام وجاء وصفه في القرآن بها:

أولاً: أمر سيدنا لوط عليه السلام قومه بتقوى الله تعالى

ثانياً: الدعاء والتضرع إلى الله

المبحث الثاني: ما ورد في تقريره عليه السلام لتوحيد الألوهية.

أولاً: تعريف الألوهية.

معنى الألوهية لغة: قال الفيروزآبادي: " ألها لاهة وألوهة وألوهية: عبد عبادة ومنه لفظ الجلالة، أنه علم غير مشتق وأصله اله كفعال بمعنى مألوه. وكل ما اتخذ معبودا اله عند متخذه بين إلا لاهة والألهانية بالضم"(١).

وقال ابن منظور: "الإله: الله عز وجل، وكل ما اتخذ من دونه معبودا إله عند متخذه، والجمع آلهة والآلهة: الأصنام"(٢).

معنى الألوهية اصطلاحاً: الألوهية بمعنى العبودية، والإله هو المعبود، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، يقول ابن جرير في معنى قوله تعالى: "الله لا إله إلا هو"، فإن معناه: النهي عن أن يعبد شيء غير الله الحي القيوم، الذي صفته ما وصف به نفسه تعالى ذكره في هذه الآية، يقول الله الذي له عبادة الخلق الحي القيوم لا إله سواه، لا معبود سواه، يعني ولا تعبدوا شيئا سواه، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، والذي صفته ما وصف في هذه الآية"(٣).

قال الشوكاني في معناها: "لا معبود بحق إلا هو"(٤). فالإله الحق هو الله تعالى سبحانه، ولا أحد سواه، وقد تتعدد الآلهة من دونه، وهي آلهة لأنها معبودة، ولكن ليست لأنها هي الحق، فكل ما يعبد هو إله.

ثانياً: ما ورد من الآيات في تقرير توحيد الألوهية عند النبي " لوط " عليه السلام:

- أمره عليه السلام قومه بتقوى الله تعالى.
- الدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

---

(١) القاموس المحيط: (١/١٦٠٣).

(٢) لسان العرب: (٣/٤٦٧).

(٣) جامع البيان: (٣/٤-٥).

(٤) فتح القدير: (١/٢٧١).

يصف الله سبحانه وتعالى أنبيائه الكرام "نوح ولوط" عليهما السلام بأفضل الصفات وأعظمها، وهي عبوديتهما لله تعالى، التي تعني التذلل والخضوع والمحبة لله تعالى، والرغبة فيما عنده، والخوف منه والحاجة إليه.

عبودية النبي لوط عليه السلام لربه تعني الخضوع لله تعالى، والانكسار له ومحبته والرغبة فيما عنده سبحانه وتعالى، وابتغاء الأجر من الله تعالى دون سواه، كما قال تعالى على لسان نبيه لوط وغيره من الأنبياء: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٤]، فكانت هذه العبودية من النبيين الكرام، فجاء وصفهما من الله تعالى بأنهما: ﴿عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾ [التحريم: ١٠]. والعبد الصالح لا تتحقق فيه العبودية الحقَّة، إلا إذا عبد الله تعالى حق العبادة، و لم يخش إلا الله و لم يتوكل على غيره، و لا يدعوا أحداً سواه، ويعتصم به في أمره كله، ويتقيه في جميع أموره.

ذكر الرازي فائدة قوله تعالى: "عبدين" و لم يقل تعالى "مؤمنين" أو "نبيين" وذلك لسببين:

الأول: تعظيماً لهما.

الثاني: إظهاراً للعبد بأنه لا يترجح على الآخر عنده إلا بالصلاح[(١)]. فهذه صفة ظاهرة للنبيين الكريمين نوح ولوط عليهما السلام، فهم إن كانوا أنبياء مرسلون من عند الله تعالى إلا أنهم عباد لله تعالى، لا يخرجون عن طوعه، مذللون له بمحبته وخشيته والإنابة إليه، فلا يرفعون إلى مرتبة الألوهية، فهم عباد لله تعالى خاضعين له، ولا ينتقص منهم، فهم أنبياء من الله تعالى مبلغون شرعه، وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية والصلاة إعلاء لشأنهم وتكريماً لهم.

يقول الألوسي في معنى: "كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين"، أي: بيانا لحالهما الداعية لهما إلى الخير والصلاح و لم يقل: تحتهما للتعظيم، أي: كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشأن متمكنتين من تحصيل خير الدنيا والآخرة وحيازة سعادتهما"[(٢)]. وأمام هذه الصفة التي نعتهما الله تعالى بها، وهي زيادة ورفعة في مكانتهما، نجد أنهما كانوا في مواجهة مع أقرب الناس إليهم وهن زوجاتهم، أي: زوجة سيدنا نوح وزوجة سيدنا لوط عليهما السلام، وصفهما الله تعالى بالخيانة لأزواجهم وهي خيانة النفاق أو خيانة النميمة.

يقول الشوكاني: "فوقعت منهما الخيانة لهما بالكفر، وقيل: كانت امرأة نوح تقول للناس أنه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر قومه بأضيافه، وقد وقع الإجماع على أنه ما زنت امرأة نبي قط، وقيل: كانت خيانتهما بالنفاق، وقيل: خانتاهما بالنميمة"[(٣)].

قال ابن عباس: نساء الأنبياء معصومات، ولكنها خيانة دينية بعدم إسلامهن وإخبار أقوامهن بمن يؤمن مع أزواجهن"[(٤)].

---

(١) التفسير الكبير: (٣٠/٤٤).

(٢) روح المعاني: (٢٨/١٦٢).

(٣) فتح القدير: (٥/٢٥٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (١٨/٢٠٢).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي: (٨/٢٢٤).

أقسام العبودية:

العبودية تنقسم إلى ثلاثة أقسام[1]:

القسم الأول عبودية عامة: وهذه يشترك فيها كافة الخلق، مؤمنهم وكافرهم. برَّهم وفاجرهم، فالكل عابد لله تعالى لا يخرج عن قدره ولا عن علمه، تحت قدرة الله تعالى ومشيئته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: ٩٣]، ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

القسم الثاني عبودية خاصة لصفوة خلقه: والمقصود بها عبودية الألوهية، وهي عبودية عباد الله الصالحين، وهم كل من تعبد لله بشرعه، وأخلص في عبادته، وأطاعه وعمل بشرعه، وأحل حلاله وحرم حرامه. قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقد وصلوا إلى هذه المكانة بفضل الله ورحمته، وأضافهم إليه إضافة تشريف، وقال تعالى عنهم أنهم عباده المخلصين الذين ليس للشيطان عليهم سبيل ولا قدرة، يقول الشيطان متوعدا عباد الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ۝ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٣٩ – ٤٢]، قال ابن تيمية في معنى عباد الله المخلصين هم اللذين: "ليس للشيطان عليهم سلطان، وإذا كان عباد الله المخلصون ليس له عليهم سلطان، وأن سلطانه على الذين يتولونه، والذين هم به مشركون، وقد أقسم أن يغويهم إلا عباد الله المخلصين، وأخبر الله أن سلطانه ليس على عباد الله، بل على من اتبعه من الغاوين"[2].

القسم الثالث عبودية خاصة الخاصة: وهي عبودية الألوهية، وهي خاصة بالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، الذين لا يباريهم ولا يدانيهم أحد في عبادتهم لله، ولا يصل أحد مهما كان إلى مقامهم عند الله تعالى، فهم صفوة الخلق ومشاعل الهدى. نعتهم الله تعالى بأعظم الصفات، وهي صفة العبودية لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٥ – ٤٨]، ووصف نبيه نوحاً ولوطاً عليهما السلام بصفة العبودية لله تعالى، وهي عبودية خاصة الخاصة، قال تعالى: ﴿كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ﴾ [التحريم: ١٠].

نخلص من ذلك: أن العبودية لله تعالى مقام شريف ورفيع، نعت به رسله الكرام، وأنبياءه المرسلين، فقد اجتمع فيهم تمام الذل لله تعالى، وتمام المحبة له، فاجتمع لهم فضلان: فضل الرسالة والاصطفاء على جميع الناس،

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد: (٣٣/١).

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية: (٢٦٥/٢).

وفضل عبودية صفوة الصفوة. لذلك قال تعالى عن سيدنا لوط ونوح عليهما السلام ﴿عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾، أي: عرفوا قدر ربهم فخافوا عقابه، والتزموا أوامره، فكانوا من المهتدين في الدنيا والآخرة والصلاح ضد الفساد، فكان عليهما السلام قد تحقق فيهما صلاح الظاهر والباطن وحسن الالتجاء لربهما وتمثلت فيهما العبودية بمعناها الواسع، فكانا من السعداء؛ لأنهما صالحان، والسعادة الحقة في عبودية الله تعالى أحس بها أنبياؤه الكرام، وكل من سار على هديهم.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في تحقيق السعادة في عبودية الله تعالى: "لا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح إلا بأن يكون الله هو إلهه وفاطره وحده، وهو معبوده وغاية مطلوبه وأحب إليه من كل ما سواه، ومعلوم أن كل حي سوى الله سبحانه: من ملك أو إنس أو جن أو حيوان فهو فقير إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ولا يتم ذلك إلا بتصوره للنافع والضار والمنفعة من جنس النعيم واللذة والمضرة من جنس الألم والعذاب"(١).

والعذاب"(١).

- **ومن أنواع العبودية لله تعالى التي تحلى بها النبي لوط عليه السلام وجاء وصفه في القرآن بها:**

أولاً: أمر سيدنا لوط عليه السلام قومه بتقوى الله تعالى.

معنى التقوى لغة: جاء في معنى التقوى بأنها: الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية. وقيل: هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهي: صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك. وقيل: يراد بالتقوى: في الطاعة الإخلاص لله تعالى، وفي المعصية يراد به الترك والحذر.

من المعنى اللغوي للتقوى يظهر لنا أنها تدور حول معنى اتخاذ الوقاية، والخوف من الله تعالى بفعل الحسن وتجنب القبيح، كل متقي لله تعالى فهو خائف منه ويرجو رحمته.

معنى التقوى اصطلاحاً:

جاء في معنى التقوى معاني كثيرة، ذكرها العلماء، أذكر منها ما يلي: قيل: التقوى هي: العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء رحمة الله، والتقوى ترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله. وقيل: تمام التقوى أن يتقي الله حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً، يكون حجاباً بينه وبين الحرام(٢).

وجاء في معاني التقوى أيضاً(٣): ما قاله علي بن أبي طالب ﷺ: "التقوى ترك الإصرار عل المعصية، وترك الاغترار بالطاعة". وقال الحسن: "التقوى أن لا تختار على الله سوى الله، وتعلم أن الأمور كلها بيد الله".

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (٢٧/١).

(٢) انظر: جامع البيان: (٦١/١).

(٣) التفسير الكبير للرازي: (٢٠/٢).

وقال الواقدي: التقوى أن تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق. فالتقوى تحمل على معنى مراقبة الله تعالى في السر والعلن وخشيته والخوف منه، إقداماً وإحجاماً، إقداما بفعل الطاعات والحسنات، وإحجاماً بتجنب المعاصي والمنكرات. والتقوى هي جماع الخير كله، ولا تكون تقوى الله تعالى حق تقاته إلا بتحقيق العبودية الخالصة له بالإسلام له والانقياد لأمره. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

معنى المتقين: نقل ابن كثير رحمه الله تعالى أقوالاً في معنى المتقين منها[1]:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى المتقين: الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به. وقال أيضاً هم: "المؤمنين الذين يتّقون الشرك بالله، ويعملون بطاعته". وقال الحسن البصري: "اتّقوا ما حرّم الله عليهم، وأدوا ما افترض عليهم". وقيل: أصل التقوى: التوقي مما يكره لأن أصلها وقوى من الوقاية. فالمتقي هو الحذر الخائف من عقوبة الله تعالى وعذابه، المتجنب لكل ما يغضب الله تعالى ويسخطه، والراجي لرحمه الله تعالى ونعيمه.

ثانياً: الدعاء والتضرع إلى الله

ما ورد من الآيات في بيان التجائه إلى الله تعالى ودعائه وتضرعه إليه:

الآيات الواردة: قال تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ۝ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٩ – ١٧١].

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]. فالنبي لوط عليه السلام يدعو ربه أن ينصره وينجيه ويغيثه، وهذا الدعاء من مقتضى الربوبية.

معنى الدعاء لغة: قال ابن سيده: الدّعاء: طَلَب الطّالب للفعل من غيره، وقد دَعَوْت. ونقل عن سيبويه قوله: الدّعْوّى: الدّعاء. قال: وفي الدّعاء اللهم أشْرِكنا في دَعْوى المسلمين"[2].

وذكر ابن منظور أنواع الدعاء: "الدعاء لله على ثلاثة أوجه: فضرب منها: توحيده والثناء عليه، كقولك يا الله لا إله إلا أنت، وكقولك ربنا لك الحمد، إذا قلته فقد دعوته بقولك ربنا ثم أتيت بالثناء والتوحيد. والضرب الثاني: مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه كقولك اللهم اغفر لنا. والضرب الثالث: مسألة الحظ من الدنيا، كقولك اللهم ارزقني مالا وولدا، وإنما سمي هذا جميعه دعاء؛ لأن الإنسان يصدر في هذه الأشياء بقوله: يا الله يا

(١) تفسير ابن كثير: (١/ ١٦٣).

(٢) المخصص لابن سيده: (٤/٥٧).

رب يا رحمن، والدعوى: اسم لما يدعيه، والدعوى تصلح أن تكون في معنى الدعاء، لو قلت: اللـــهم أشـــركنا في صالح دعاء المسلمين أو دعوى المسلمين، والدعوى هنا معناها: الدعاء. والدعاء: الرغبة إلى الله عز وجـــل، دعـــاه دعاء ودعوى"(١). ومن المعاني اللغوية يظهر لنا أن الدعاء والدعوى بمعنى واحد، والدعاء يعني: الرغبة فيما عنـــد الله تعالى من الخير والهداية والصلاح. أو بطلب أن يصرف عنه مكروه أو أذى.

معنى الدعاء اصطلاحاً: يقول الرازي: "حقيقة الدعاء: استدعاء العبد ربه جل جلاله العناية، واســتمداده إياه المعونة"(٢). فإن الداعي يلتجئ إلى الله تعالى في كشف ضره أو جلب نفع؛ لأنه سبحانه وحده القــادر علـــى ذلك. والدعاء يشمل جميع أنواع العبودية لله تعالى؛ لأن فيه معنى الافتقار لله تعالى، والتذلل والتبرؤ مـــن الحـــول والقوة، والالتجاء إلى الله تعالى.

يقول الشوكاني عن الدعاء: "يدل على قدرة الله تعالى وعجز الداعي، والأولى أن يقال: أن الدعاء لما كـــان هو العبادة، وكان مخ العبادة، كان أكرم على الله من هذه الحيثية؛ لأن العبادة هي التي خلق الله سبحانه الخلق لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] (٣).

فالدعاء فيه معنى الرغبة فيما عند الله تعالى، والتذلل إليه سبحانه وتعالى، وبيان قدرة الله تعالى وعجز الداعي وفقره.

معنى الآية: قال تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ۝ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٩ – ١٧١].

أمام عناد قوم لوط، وإصرارهم على الفواحش، وعصيانهم لنبيهم، لم يملك سيدنا لوط إلا أن يرفع يـــده إلى السماء ويبتهل إلى خالقه ويدعوه في تضرع وخشوع، ويقول بقلب يملؤه الرغبة فيما عند خالقه والتذلل والخضوع لمولاه ويسأله النجاة له ولأهله المؤمنين فيقول عليه الصلاة والسلام: "رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ"، ويسأله أيضاً أن ينصره على القوم المفسدين في الأرض: "قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ"، فبعدما رغب سيدنا لوط عليه السلام عن محاورة قومه وردعهم وردهم إلى الطريق الحق، توجه إلى الله تعالى أن ينجيه وأهله مما كان يعمل قومه.

وقد جاء في معنى قوله تعالى: "مما يعملون"، قولان للمفسرين:

الأول: أي: نجني يا رب من عملهم الخبيث.

الثاني: أن يكون طلب من ربه أن يصرف عنه شؤم هذا العمل وعذابه من ربه، وكما هـــو معـــروف أن للمعصية شؤماً ووبالاً على صاحبها كما أن للطاعة بركةً وخيراً على فاعلها(٤).

---

(١) لسان العرب: (٢٥٧/١٤).

(٢) التفسير الكبير: (٨٣/٥).

(٣) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني: ص٣٢.

(٤) انظر: فتح القدير: (١١٤/١٤)، تفسير البيضاوي: (٢٥١/٤).

ذكر الألوسي في معنى قوله: "مما يعملون": أي: من شؤم عملهم، أو الذي يعملونه، وعذابه الدنيوي، وقيل: يحتمل أن يكون دعاء بالنجاة من التلبس بمثل عملهم، وهو بالنسبة إلى الأهل دونه عليه السلام، إذ لا يخشى تلبسه بذلك لمكان العصمة، واعترض بأن العذاب كذلك، إذ لا يعذب من لم يجن، وفيه منع ظاهر، كيف وقد قال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [الأنفال: ٢٥]. وقيل: قد يدعو المعصوم بالحفظ عن الوقوع فيما عصم عنه، كما يدل عليه قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وهو مسلم، إلا أنَّ الظاهر أن المراد النجاة مما ينالهم بسبب عملهم من العذاب الدنيوي، ويؤيده ظاهر قوله تعالى: ﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٠] [(١)]. فحينما تضيق الدنيا بالمؤمن ويحيط به البلاء من كل مكان يعلم أن ملاذه وملجأه هو الله سبحانه وتعالى، فيلتجئ إليه ويدعوه ويتضرع إليه، ويشكوا إليه ما ألم به، والله قادر على كشف البلاء، ولن يخيب الله عباده المؤمنين. ودعا أيضاً عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]. فبعد أن استحكم في قوم لوط حب الفواحش، وطابت أنفسهم بما يغضب ربهم، و لم يستجيبوا لداعي الحق، سأل لوط ربه الكريم الذي لن يخيبه، ودعاه أن ينجيه ويخلصه مما يعمل قومه من إتيان الذكران، وأن يحل العذاب والنقمة به وبأهله المؤمنون.

وعندما تيقن تمام اليقين أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، وأنه لا فائدة ترجى من دعوة قومه، رفع يده إلى خالقه ودعاه أن ينصره على القوم المفسدين[(٢)]، ولاشك أن النبي لوط عليه السلام ما قال هذه المقولة وما التجأ إلى ربه مستنصراً مستغيثاً إلا بعدما استفرغ وسعه وطاقته في دعوة قومه، وجاهدهم بكل ما آتاه الله تعالى من قوة معنوية متمثلة في علمه وفهمه لأمور الدين و الشرع، وكذلك القوة المادية المتمثلة في المجاهدة والممانعة من أذية أضيافه الكرام.

يقول الرازي: "واعلم أن نبياً من الأنبياء ما طلب هلاك قوم إلا إذا علم أن عدمهم خير من وجودهم، كما قال نوح: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾ [نوح: ٢٧]. يعني المصلحة إما فيهم حالا أو بسببهم مآلا، ولا مصلحة فيهم، فإنهم يضلون في الحال وفي المآل، فإنهم يوصون الأولاد من صغرهم بالامتناع من الإتباع، فكذلك لوط لما رأى أنهم يفسدون في الحال واشتغلوا بما لا يرجى معه منهم ولد صالح يعبد الله، بطلت المصلحة حالا ومآلا، فعدمهم صار خيراً، فطلب العذاب"[(٣)].

هذا الأمر يجرنا إلى معرفة سبب دعاء سيدنا لوط عليه السلام على قومه في كلتا الحالتين:

---

(١) روح المعاني: (١١٦/١٩).

(٢) انظر: التفسير الكبير: (٥٢/٢٥)، فتح القدير: (٢٠١/٤).

(٣) التفسير الكبير: (٥٣/٢٥).

الحالة الأولى: في قوله تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩]، وذلك بعد قوله: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧]، فقد توعده قومه بالإخراج من بلده التي عاش فيها، وأرادوا نفيه وإبعاده من بلادهم، إذا لم يكف عن دعوتهم ونصحهم ونهيهم عن فعل الفواحش التي لا يتعففون عنها.

وذكر المفسرون في معنى: "المخرجين" أي: من بين أظهر قوم لوط ومن بلادهم(١).

وإذا تأملنا في قولهم للنبي لوط عليه السلام: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧]، أنه قد سبق وأن جاءهم نذير وناصح فلم يتقبلوا منه وأخرجوه، فيدل قولهم من "المخرجين" أنهم قد أخرجوا قبل سيدنا لوط غيره ممن دعاهم ونصحهم فنفوه وأبعدوه خارج البلاد؛ لأن ما يقوله لا يوافق رغباتهم وأهواءهم، والعكس بالعكس، فلو كان من يدعوهم موافقاً لهم في الفكرة والمعتقد لما نفوه ولما أخرجوه، بل يؤمِّروه عليهم ويسوِّدوه بينهم. قال أبو حيان: " دل قوله: "من المخرجين" على أنه سبق من نهاهم عن ذلك، فنفوه بسبب النهي، أومن "المخرجين" بسبب غير هذا السبب، كأنه من خالفهم في شيء نفوه، سواء كان الخلاف في هذا الفعل الخاص، أم في غيره "(٢).

فبعد هذا التوعد بالإخراج والطرد والإبعاد دعا لوط ربه وقال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩]، لأنه كان يعلم عليه الصلاة والسلام مغبة عملهم هذا وعاقبة استهزائهم بنبيهم الذي هو مرسل من عند ربهم، وأنه حتماً سيحل عليهم العذاب الأليم، ويكون عاقبة أمرهم خسراً، فطلب من خالقه وبارئه أن يعصمه ويعصم أهله من الفواحش التي تمادى فيها قومه العاصون.

الحالة الثانية: في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]، وذلك بعدما قالوا: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، فمن شدة كفرهم واستهزائهم بنبيهم جاوبوه أقبح الجواب، وطلبوا إنزال العذاب عليهم، فقالوا: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ، فقد استعجلوا حلول العذاب عليهم، كما قال كفار قريش لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦]، وكما قال قوم شعيب له: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، فقوم لوط من كثرة جهلهم وعُتُوِّهم وعنادهم وشدة تكذيبهم قالوا: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ، فاستفتحوا على أنفسهم العذاب، واستعجلوا العقوبة قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٣]، بعد ذلك دعا لوط ربه وسأله النصر وقال: ﴿رَبِّ

---

(١) تفسير البغوي: (١٢٦/٦)، البحر المحيط لأبي حيان: (٤٢٥/٨).

(٢) البحر المحيط: (٤٢٥/٨).

ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]، قال ابن كثير: وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم؛ ولهذا استنصر عليهم نبي الله فقال: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠] [(١)].

وعند الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]، ذكر بعض المفسرين: أن قوم لوط قالوا أولاً: ﴿ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، ثم استمر سيدنا لوط عليه السلام في نهيهم وردعهم، فلم يطيعوه ولذلك قالوا: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ﴾، قال أبو حيان: "ثم أنه كثر منه الإنكار، وتكرر ذلك منه نهياً ووعظاً ووعيداً، فقالوا: أخرجوا آل لوط. ولما كان إنما يأمرهم بترك الفواحش وما كانوا يصنعونه من قبيح المعاصي، ويعد على ذلك بالعذاب، وكانوا يقولون إن الله لم يحرم هذا ولا يعذب عليه، وهو يقول: إن الله حرمه ويعذب عليه، قالوا: ائتنا بعذاب الله"[(٢)].

وقال الألوسي في معنى الآية: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧]، "لَمْ تَنْتَهِ" أي: عن توبيخنا وتقبيح أمرنا، أو عما أنت عليه من دعوى الرسالة، ودعوتنا إلى الإيمان، وإنكار ما أنكرته من أمرنا[(٣)].

ومعنى قوله: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ أي: من المنفيين من قريتنا، وكأنهم كانوا يخرجون من غضبوا عليه بسبب من الأسباب، وقيل: بسبب إنكار تلك الفاحشة"[(٤)]. فإن دافع إخراجهم لسيدنا لوط عليه السلام ونفيه خارج البلاد هو مناصحته لهم، وحرصه على دعوتهم، فكان جزاء إحسان النبي لوط إليهم هو الممانعة من قومه والنفي والإبعاد، حيث يرون في قرارة أنفسهم أنه خير من الإذعان والقبول لدعوة النبي لوط عليه السلام، فيسلم الأمر لهم ويعيشوا في سلام وأمان، وما علموا أن دعوة الأنبياء مستجابة، وقدرة الله تعالى أقدر من قدرتهم على النبي لوط عليه السلام الذي دبروا لإخراجه.

نخلص مما سبق أن من دلائل ألوهيته سبحانه وتعالى التجاء سيدنا لوط إلى ربه وتضرعه إليه ودعائه إياه أن ينجيه وأهله مما عم بين قومه من المنكرات، وأيضاً من العذاب الذي سيحل بهم جزاءً لأفعالهم، لذلك قال عليه السلام: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ۞ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٩ – ١٧٠]، قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢٧٦/٦).

(٢) البحر المحيط: (١٤٦/٧).

(٣) روح المعاني: (١١٦/١٩).

(٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

وقد استنصر سيدنا لوط ربه ودعاه والتجأ إليه أن ينصره على القوم المفسدين المشـــركين، والله ســـبحانه وتعالى هو الذي يكشف الكرب ويغيث الملهوف ويجيب الداعي، فسيدنا لوط دعا ربه أن ينجيه فنجاه ونجى أهله المؤمنين من الوقوع في الفواحش ونجاهم من العذاب الذي حل بقوم لوط.

الفصل الثاني

المبحث الثالث: المسائل الواردة في تقريره عليه السلام لتوحيد الأسماء والصفات.

وفيه مسائل:

أولاً: معنى واشتقاق "الاسم".

ثانياً: معنى الصفة.

ثالثاً: معنى توحيد الصفات.

رابعاً: ما ورد في قصة نبي الله لوط عليه السلام في تقرير توحيد الأسماء والصفات.

أسماء الله الحسنى وصفاته العليا الواردة في قصة لوط.

لفظ الجلالة: "الله"

اسم الله تعالى: "العزيز".

اسم الله تعالى: "الرحيم"

اسم الله تعالى: "الحكيم".

المبحث الثالث: المسائل الواردة في تقريره عليه السلام لتوحيد الأسماء والصفات.

أولاً: معنى واشتقاق "الاسم":

الاسم في اللغة: ظهر الاختلاف قديماً بين علماء اللغة البصريون والكوفيون حول اشتقاق الاسم:

فقال الكوفيون[1]: الاسم مشتق من "الوسم" وهو العلامة، وكأن الاسم علامة على معناه وعلامة على المسمى.

وقال البصريون[2]: الاسم مشتق من "السمو"، وهو العلو؛ لأنه سما على مسماه وعلا على ما تحته من معناه، ومنه سميت السماء سماء لعلوها[3]. والراجح من القولين كما ذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى، أن أسماء الله تعالى مشتقة من كلا المعنيين، فهي مشتقة من السمو وهو العلو والارتفاع، ومشتقة أيضاً من الوسم وهو العلامة[4]. وقال سيبويه: "الكلم: اسم، وفعل، وحرف، فالاسم: رجل، وفرس، وحائط"[5]، وقال الجرجاني: "الاسم: ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة. وهو ينقسم إلى: اسم عين: وهو الدال على معنى يقوم بذاته كزيد و عمرو. و اسم معنى: وهو ما لا يقوم بذاته، سواء كان معناه وجوديا كالعلم، أو عدميا كالجهل"[6].

---

(١) هم علماء الكوفة النحويون، وهم الذين ينسب إليهم المذهب الكوفي، ومدرستهم ثاني شهرة في المذاهب النحوية بعد المذهب البصري، وقد أجمع القدماء على أن الكوفيين شكلوا مذهباً مستقلاً. وأهم ما تميزوا به عن المدرسة البصرية، إتساعهم في رواية الأشعار وعبارات اللغة عن جميع العرب. أول من أسسه: علي بن حمزة الكسائي(ت ١٨٢)، والفراء (ت٢٠٧)، وثعلب(٢٩١). انظر: المدارس النحوية أسطورة وواقع: إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط١: ١٩٨٧(ص٣١-٨٥)، المدارس النحوية: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٧: (ص١٥١-٢٤٢). دروس في المذاهب النحوية: عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت ١٩٨٠(ص ٩-٨٨). ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية: محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة –بيروت، دار الفرقان –عمان الاردن، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م: (ص١٩٨).

(٢) هم علماء البصرة النحويون، وينسب إليهم المذهب البصري في اللغة، وقد أخذوا بالقياس كما أخذوا بالسماع، وأبو أن يستدلوا بشاهد لم يعرف قائله، وحملوا كثيراً من الشواهد التي خرجت على المسموع الشائع في أنها شاذة أو ضرورة، وذهبوا إلى أن الكوفيين أخذوا كل ما سمعوا عن العرب فجعلوه أصلاً يقاس، وكان البصريون أول من تكلم في علم النحو، ومن أشهر علمائهم: أبو الأسود الدؤلي (ت٦٩)، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥)، سيبويه(ت١٨٠) وغيرهم. انظر: المدارس النحوية أسطورة وواقع: ص١٧-٢٨، دروس في المذاهب النحوية: ص ٩-٨٨، معجم المصطلحات النحوية والصرفية: ص٢١.

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: (٦/١)، والقول المفيد على كتاب التوحيد: (١٨٤/٢).

(٤) القول المفيد: (١٨٤/٢).

(٥) أسرار العربية: ص٣٤.

(٦) التعريفات للجرجاني: ص٤٠.

معنى الاسم اصطلاحاً: الأسماء جمع اسم، وهي: "ألفاظ دالة على المعاني، فهي إنما تحسن بحسن معانيها ومفهوماتها، ولا معنى للحسن في حق الله تعالى إلا ذكر صفات الكمال ونعوت الجلال"(١).

تعريف الأسماء الحسنى: عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقال: "الأسماء الحسنى المعروفة: هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح و الثناء بنفسها"(٢).

فأسماء الله تعالى بالغة في الحسن والجمال، وهي متضمنة لصفات الكمال المتصف بها الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: معنى الصفة

الصفة لغة: الصفة من الوصف: الواو والصاد والفاء: أصلٌ واحد، هو تَحْلِيَةُ الشَّيء. ووصَفْتُه أصِفُه وَصْفاً. والصِّفَة: الأمَارة اللاَّزِمةُ للشّيء، يقال: اتَّصَفَ الشَّيءُ في عَينِ النّاظر: احتَملَ أن يُوصَف(٣). والصفة هي النَّعْت، وهو وَصْفُك الشيءَ بما فيه من حُسْن(٤).

معنى الصفة اصطلاحاً: يقول ابن تيمية: "الصفة والوصف تارة يراد به الكلام الذي يوصف به الموصوف؛ كقول الصحابي في: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤]. أحبها لأنها صفة الرحمن، وتارة يراد به المعاني التي دل عليها الكلام: كالعلم والقدرة"(٥).

فالصفة هي المعنى القائم بالموصوف يختص به ويميزه عن غيره.

ثالثاً: معنى توحيد الأسماء والصفات

توحيد الصفات معناها: أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نفياً وإثباتاً، فيثبت له ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه. وقد علم أن طريقة سلف الأمة إثبات ما أثبته من الصفات، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع ما أثبته من الصفات من غير إلحاد في الأسماء ولا في الآيات(٦).

---

(١) التفسير الكبير: (٥٤/١٥).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية: ص١٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (١١٥/٦).

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (٤٤٨/٥).

(٥) مجموع الفتاوى: (٣٣٥/٣).

(٦) لوامع الأنوار للسفاريني: (١٢٩/١).

رابعاً: ما ورد في تقريره عليه السلام لتوحيد الأسماء والصفات.

- **ما ورد من الآيات في لفظ الجلالة "الله":**

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠]. وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [الحجر: ٦٩]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٦٣]، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]

اشتقاق لفظ الجلالة "الله" ومعناه:

جاء في اشتقاق اسم الله في اللغة أنه: كان حقه إله، فأدخلت الألف واللام تعريفا، فقيل ألإلاه، ثم حذفت العرب الهمزة استثقالا لها، فلما تركوا الهمزة حولوا كسرتها في اللام التي هي لام التعريف، وذهبت الهمزة أصلا فقالوا ألِلاه، فحركوا لام التعريف التي لا تكون إلا ساكنة، ثم التقى لامان متحركتان، وأدغموا الأولى في الثانية، فقالوا الله، كما قال الله، عز وجل: ﴿لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ معناه لكنْ أنا[(١)]، فلفظ الجلالة "الله" دال على ألوهيته سبحانه وتعالى، والألوهية هي صفة ثابتة لله تعالى، مشتقة من الإله والاه هو المألوه أي المعبود، فتكون الألوهية بمعنى العبودية: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وأبلغ ما قيل في معنى الإله ما رواه ابن جرير عن عبد الله بن عباس قال في معنى الإله: "هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق، الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين"[(٢)].

---

(١) تاج العروس: (٣٦/٣٢١- ٣٢٢)، وانظر: الأسماء الحسنى معانيها وآثارها والرد على المبتدعة فيها، رسالة دكتوراه للطالب رفيع أوونلا بصيري الأجيوبي، إشراف د/صالح بن سعد السحيمي، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م

(٢) تفسير الطبري: (١/٥٤).

وأسماء الله تعالى الحسنى: الله، الرب، الرحمن، تجمع في دلالاتها معاني سائر أسماء الله، وهي تدور عليها وترجع إليها(١).

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى : "اسم "الله": دال على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا بالدلالات الثلاث، فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له، مع نفي أضدادها عنه، وصفات الإلهية هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والمثال وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم"(٢). فالله تعالى هو سبحانه الذي تألهه القلوب وتحن إليه وتشتاق، وتحن إلى ذكره، ومن معاني هذا الاسم أن الله تعالى عظيم في ذاته وصفاته، لا تحيط به الظنون ولا تدركه العقول، وهو سبحانه المعبود الذي يقبل عليه المؤمنون بقلوبهم وأفئدتهم وعباداتهم نسكهم(٣).

ومن خصائص اسم: "الله"

أنه أصل لجميع الأسماء الحسنى، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

ومن خصائصه أنه مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى.

ومن خصائصه أنه لا يسقط عنه الألف واللام في حال النداء، فيقال يا الله، فصار الألف واللام فيه كالجزء الأساسي في الاسم.

وأنه الاسم الذي اقترنت به عامة الأذكار المأثورة، كالتسبيح والتهليل والتكبير والاستغفار(٤).

وقد ذكر لهذا الاسم "الله" خصائص لا تعد ولا تحصى.

وفي الآيات المتعلقة بقصة النبي لوط عليه السلام، ورد اسم "الله" في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ

(١) انظر: فقه الأسماء الحسنى لعبد الرزاق البدر: ص ٤٧، وصفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة لعلوي سقاف: ص٤٩.

(٢) مدارج السالكين: ص٣٢.

(٣) انظر: كتاب مع الله الاسم الأعظم وقصة الأسماء الحسنى: ص٣٧-٣٩.

(٤) انظر: فقه الأسماء الحسنى لعبد الرزاق البدر: ص ٧٥-٧٦.

لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٧٠]، في معرض أن الله تعالى لا يظلم خلقه العصاة المتمردين إن حل عليهم العذاب؛ لأنه بسبب استكبارهم وعتوهم، وإن عفا عن المسيء فهذا بكرم منه سبحانه وتعالى. فقوم لوط الذين أشار الله إلى اسم قراهم في الآية بالمؤتفكات، عتوا واستكبروا بعد مجيء النبي لوط إليهم وكذبوا به، فكان لهم العذاب من عند الله تعالى جزاء وفاقاً.

يقول ابن جرير في معنى الآية: "فما أهلك الله هذه الأمم التي ذكر أنه أهلكها إلا بإجرامها وظلمها أنفسها واستحقاقها من الله عظيم العقاب لا ظلماً من الله لهم ولا وضعاً منه جل ثناؤه عقوبة في غير من هو لها أهل؛ لأن الله حكيم لا خلل في تدبيره ولا خطأ في تقديره، ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله، حتى أسخطوا عليهم ربهم، فحق عليهم كلمة العذاب فعذبوا"(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [الحجر: ٦٩]، وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٦٣] ، جاء ذكر اسم "الله" في معرض الحث على تقوى الله تعالى التي هي جماع كل خير، فإن النبي لوط عليه السلام يحذر قومه من فعل المعاصي ويذكرهم بتقوى الله تعالى ومخافته: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ﴾ [هود: ٧٨] أي: اتقوا الله بترك ما تريدون من الفاحشة بهم، ولا تذلوني وتجلبوا علي العار في ضيفي(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، وفي هذه الآية ورد اسم "الله" على لسان قوم لوط عليه السلام الذين تحدوه بإنزال العذاب عليهم إن كان من الصادقين، وقالوا له ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء، غير مصدقين بما سوف يحل عليهم من العذاب، وغير عارفين بقدرة الله تعالى وقوته على الكاذبين(٣).

يقول ابن جرير: "فلم يكن جواب قوم لوط إذ نهاهم عما يكرهه الله من إتيان الفواحش التي حرمها الله إلا قيل لهم ائتنا بعذاب الله الذي تعدنا إن كنت من الصادقين فيما تقول والمنجزين لما تعد"(٤).

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]، في هذه الآية ورد ذكر اسم "الله" في بيان

(١) جامع البيان: (١٠/ ١٧٨).
(٢) تفسير البغوي: (٢/٣٩٥)، فتح القدير: (٢/٥١٤).
(٣) تفسير البغوي: (٣/٤٦٦)، فتح القدير: (٤/٢٠١).
(٤) جامع البيان: (٨/٦٤٦٩).

ضرب الله تعالى للأمثال التي بها يتضح المعنى وتقترب المعاني إلى الأفهام، و لم يذكر الله تعالى الأمثال في كتابه العزيز إلا لحكمة ولغاية حتى يعتبر أولوا الألباب ويتعظوا، ويتدبروا، وهنا ضرب الله تعالى مثلاً للكفار امرأتي النبيين الكريمين نوح ولوط عليهما السلام.

يقول الرازي في معنى الآية: "أن الله بين حالهم بطريق التمثيل، أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير انتقاء ولا محاباة، ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كانوا فيه من القرابة بينهم وبين نبيهم، وإنكارهم للرسول صلى الله عليه وسلم، فيما جاء به من عند الله وإصرارهم عليه، وقطع العلائق، وجعل الأقارب من جملة الأجانب، بل أبعد منهم، وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبياً كحال امرأة نوح ولوط، لمّا خانتاهما لم يغن هذان الرسولان، وقيل لهما في اليوم الآخر: ادخلا النار، ثم بين حال المسلمين في أنّ وصلة الكافرين لا تضرهم، كحال امرأة فرعون ومترلتها عند الله تعالى، مع كونها زوجة ظالم من أعداء الله تعالى"(١).

• اسم الله تعالى "العزيز":

معنى اسم الله العزيز في اللغة: العزيز: هو اسم من أسماء الله تعالى الحسنى الثابتة لله تعالى في الكتاب والسنة الشريفة، ومعناه الغالب الذي لا يقهر، وكذلك (المعزُّ): من أسماء الله تعالى، ومعناه الواهب العزة لمن يشاء، والعزيز: كالأمير، مَأْخوذٌ من العزّ، وهو الشّدَّة والقَهر، وسمِّي به لغَلَبَتِه على أهلِ مَمْلَكَته، أي: فليس هو من عزَّةِ النّفس.

وقد نقل صاحب كتاب تاج العروس عن الزجاج قوله في معنى العزيز: "هو الممتنع فلا يغلبه شيء". وقيل في معناه أنه سبحانه وتعالى: هو القوي الغالب كل شيء. وقيل: هو الذي ليس كمثله شيء.

والتعزز هو: التكبر، ورجل عزيز: منيع لا يغلب ولا يقهر، وقوله تعالى: "وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"، أي حفظ وعز من أن يلحقه شيء من هذا. وعز عزيز، على المبالغة، أو بمعنى معز"(٢).

قال ابن منظور: "والعز في الأصل: القوة والشدة والغلبة، والعز والعزة: الرفعة والامتناع، والعزة لله، وفي التتريل العزيز: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، أي: له العزة والغلبة سبحانه، والعزة هي الشدة والقوة، يقال: عز يعز بالفتح إذا اشتد"(٣)، وقال الزجاج: "العزيز: أصل (ع ز ز) في الكلام: الغلبة والشدة، ويقال: عزني فلان على الأمر إذا غلبني عليه"(٤).

---

(١) التفسير الكبير: (٣٠/٤٤).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس: (١٥/٢٣٢).

(٣) لسان العرب: (٥/٣٧٤).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى: (١/٣٣).

معنى اسم "العزيز" اصطلاحاً: قال الحليمي(١): معناه: الذي لا يوصل إليه، ولا يمكن إدخال مكروه عليه، فإن العزيز في لسان العرب من العزة وهي الصلابة، فإذا قيل لله العزيز، فإنما يراد به الاعتراف له بالقدم الذي لا يتهيأ معه تغيره عما لم يزل عليه من القدرة والقوة، وذلك عائد إلى تتريهه عما يجوز على المصنوعين لأعراضهم بالحدوث في أنفسهم للحوادث أن تصيبهم، وتغيرهم"(٢)، وقيل: "العزيز: هو المنيع الذي لا يغلب، والعز: قد يكون بمعنى الغلبة، يقال منه: عز يعز بضم العين، وقد يكون بمعنى الشدة والقوة، يقال منه: عز ويعز بفتح العين، وقد يكون بمعنى نفاسة القدر، يقال منه: عز الشيء يعز بكسر العين، فيتأول معنى العزيز على هذا أنه لا يعادله شيء، وأنه لا مثل له"(٣).

فعزة الله تدل على قوته وغلبته التي لا تغالبها الصعاب، وقد منح عباده المؤمنين العزة، فكانوا أعزة على الكافرين، أذلة ورحماء فيما بينهم. قال السعدي في معنى اسم الله العزيز: "الذي له العزة كلها عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقَهَرَ جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته"(٤).

وللعزة التي هي صفة من صفات الله تعالى معاني كثيرة منها:

أولاً: عزة القوة والغلبة والمنعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

ثانياً: عزة الامتناع فإنه الغني بذاته غير مفتقر إلى غيره، والكل محتاج إليه سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

ثالثاً: عزة القهر والغلبة لجميع الكائنات، فالكل تحت سيطرته وجبروته وملكوته، لا يخرج عن سيطرته وملكه وتحت قبضته.

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] (٥).

ما ورد من الآيات في قصة النبي لوط عليه السلام وفيها اسم الله تعالى العزيز

---

(١) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله (٣٣٨ – ٤٠٣ هـ): فقيه شافعي، قاض، كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر، مولده بجرجان ووفاته في بخارى، له (المنهاج) في شعب الايمان، قال الأسنوي: جمع فيه أحكاما كثيرة ومعاني غريبة. الأعلام للزركلي: (٢/ ٢٣٥).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي: ص ٥٢.

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى: (٦١/١).

(٥) فقه الأسماء الحسنى لعبد الرزاق البدر: ص ٢٤٧.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

الآثار الواردة في معنى اسم الله العزيز:

روى ابن جرير عن ابن جريج قال: "كلّ شيء في الشعراء من قوله: (الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) فهو ما أهلك ممن مضى من الأمم، يقول: عزيز، حين انتقم من أعدائه، رحيم بالمؤمنين، حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه"(١).

معنى الآية: قال ابن جرير في معنى الآية: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ يقول: "وإن ربك يا محمد لهو العزيز في نقمته، لا يمتنع عليه أحد أراد الانتقام منه، يقول تعالى ذكره: وإني إن أحللت بهؤلاء المكذبين بك يا محمد، المعرضين عما يأتيهم من ذكر من عندي، عقوبتي بتكذيبهم إياك، فلن يمنعهم مني مانع، لأني أنا العزيز الرحيم، يعني أنه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته، أن يعاقبه على ما سلف من جرمه بعد توبته. وقال ابن جرير مرجحاً أن معنى العزيز: هو الغالب على أعدائه، وهو يناسب ذكره عند كل قصة من قصص السابقين، يحق الله فيها الحق ويبطل الباطل" إنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك في هذا الموضع، لأن قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ عقيب وعيد الله قوماً من أهل الشرك والتكذيب بالبعث، لم يكونوا أهلكوا، فيوجه إلى أنه خبر من الله عن فعله بهم وإهلاكه(٢).

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي العالية(٣) قال في معنى اسم الله العزيز: "عزيز في نقمته إذا انتقم "(٤).

وروى أيضاً عن محمد بن إسحاق في معنى اسم "العزيز" قال: "العزيز في نصرته ممن كفر به إذا شاء"(٥).

فإن اسم الله تعالى العزيز يدل على العزة والغلبة والمنعة، وقدرته سبحانه وتعالى على قهر أعدائه وغلبتهم مهما كبرت شوكتهم واشتدت قوتهم، فإنهم لا يخرجون عن ملك الله تعالى وجبروته، فهو العزيز ينتقم من العصاة كما حكى عن أقوام الأمم السابقين.

وقد تكررت هذه الآية في سورة الشعراء بعد ذكر قصة كل نبي، لبيان قدرة الله تعالى على غلبة الأقوام مهما عتوا وتمردوا في البلاد.

---

(١) جامع البيان: (٨/٦١٩٠).

(٢) جامع البيان: (٨/٦١٩١).

(٣) رفيع بن مُهران، أبو العالية الرياحي، مشهور في التابعين، يقال: إنه دخل على أبي بكر وصلى خلف عمر، وروى قتادة عنه قال: قرأت القرآن بعد نبيكم بعشر سنين. وقال العجلي: من كبار التابعين، وثقه العجلي، وابن حبان، وغيرهما، سائر أحاديثه مستقيمة، قالوا: مات سنة تسعين، وقيل بعدها بثلاث. الاصابة في تمييز الصحابة: (٢/٤١٥). الثقات لابن حبان: (٦/٣٠٠) .

(٤) تفسير ابن ابي حاتم: (٨/٢٧٥١).

(٥) تفسير ابن ابي حاتم: (٨/٢٧٥١).

ودائماً تكون عزة الله تعالى مقرونة في كتاب الله تعالى بالحكمة، أي: أن عزة الله تعالى تقتضي حكماً، ولا تقتضي جوراً وظلماً، بخلاف عزة المخلوقين التي فيها الظلم والتعدي على الناس[1].

فالعزة إذا أضيفت إلى الحكمة، ظهر جمال العزة وكمالها، فكمالها وصول الوصف أعلاه وهو مطلق العزة، وجمالها وصول الحسن منتهاه، فقد يكون العزيز منا عزيزاً لكنه ظالم متهور، جاهل متكبر، لكن لو اكتست العزة بالحكمة والعلم والخبرة لظهر كمال العزة وجمالها، من أجل ذلك اقترن اسمه العزيز باسمه الحكيم: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] .

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢]. وغيرها من آيات الله تعالى.

- **اسم الله: "الرحيم":**

والرحيم هو: "الكثير الرحمة، وجمعها رحماء"[2]. قال الجوهري في معنى اسمي الرحمن والرحيم: " هما اسمان مشتقان من الرحمة، ونظيرهما في اللغة: نديم وندمان، وهما بمعنى، ويجوز تكرير الاسمين إذا اختلف اشتقاقهما على جهة التوكيد، كما يقال: فلان جاد مجد. إلا أن الرحمن اسم مخصص بالله، لا يجوز أن يسمى به غيره، ألا ترى أنه قال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره، والرحيم قد يكون بمعنى المرحوم كما يكون بمعنى الراحم"[3].

ونقل عن الثعلبي قوله: "وقد فرق بينهما قوم فقالوا: الرحمن: العاطف على جميع خلقه كافرهم ومؤمنهم، وفاجرهم بأن خلقهم ورزقهم. والرحيم بالمؤمنين خاصة بالهداية والتوفيق في الدنيا والرؤية في العقبى، فالرحمن خاص اللفظ عام المعنى، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى، فالرحمن خاص من حيث إنه لا يسمى به أحد إلا الله، عام من حيث إنه يشمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع والدفع، والرحيم عام من حيث اشتراك المخلوقين في التسمي به، خاص من طريق المعنى؛ لأنه يرجع إلى اللطف والتوفيق"[4].

وقال الحليمي في معنى الرحيم: "إنه المثيب على العمل فلا يضيع لعامل عملا، ولا يهدر لساع سعيا، وينيله بفضل رحمته من الثواب أضعاف عمله"[5].

---

(١) فقه الاسماء الحسنى لعبد الرزاق البدر: ص٤١.

(٢) المعجم الوسيط: (٣٣٥/١)، لسان العرب لابن منظور: (٢٣٠/١٢).

(٣) تاج العروس: (٢٣٤/٣٢).

(٤) تاج العروس: (٢٣٤/٣٢).

(٥) نقلاً عن الأسماء والصفات للبيهقي: (١٣٥/١).

فغالبا ما يكون اسم الله "الرحيم" مقرونا باسمه "الرحمن" قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الــرحمن وهــو الرقيق، الرحيم، وهو العاطف على خلقه بالرزق، وهما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر"(١).

ونقل البيهقي عن الخطابي قوله في معنى اسم الله تعالى الرحمن والرحيم: "فالرحمن ذو الرحمة الشاملة الــتي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم، وعمت المؤمن والكافر، والصالح والطالح، وأما الــرحيم فخاص للمؤمنين كقوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣](٢).

قال السعدي رحمه الله تعالى: "الرحمن الرحيم: اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة الــتي وسعت كل شيء، وعمت كل مخلوق، وكتب الرحمة الكاملة للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمــة المطلقة المتصلة بالسعادة الأبدية، ومن عداهم محروم من هذه الرحمة الكاملة، لأنه الذي دفع هذه الرحمــة وأباهــا بتكذيبه للخبر، وتوليه عن الأمر، فلا يلومن إلا نفسه"(٣).

فاسما الله تعالى: "الرحمن" و"الرحيم"، وردا في آيات متعددة مقترناً باسم "الله". قال تعــالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ١ – ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وهما يدلان على ثبوت صفة الرحمة لله تعالى التي يرحم بها من يشاء من عباده فهو سبحانه الرحمن الرحيم، أو يكونا مقترنين كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٧٥].

ومما جاء في السنة من اقتران اسمي "الغفور" و"الرحيم":

ما ورواه البخاري عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال للنبي ﷺ : "علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: "قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنــك أنــت الغفور الرحيم"(٤).

وقد يقترن اسم الله الرحيم باسمه التواب: كقولــه: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقــرة: ٣٧].

وهي دعوة لأهل العصيان بالدخول تحت الرحمة الخاصة وزيادة الإيمان قــال تعــالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠]، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي: (١/١٣٥).

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٣) تفسير اسماء الله الحسنى للسعدي: (١/٤٨).

(٤) صحيح البخاري: (١/٢٨٦)، كتاب الأذان، باب الدُّعاءِ قبل السّلَامِ

﴿اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤]، ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، وقد يقترن اسمه الرحيم باسمه الرؤوف الودود: كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩]، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]، وورد أيضا اسم الله تعالى: "الرحيم" مقترنا باسمه "العزيز" : كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [السجدة: ٦].

أما ما ورد في السنة في اسم الله "الرحيم":

ورد عند أبي داود أن عبد الله بن مسعود ﷺ كان يدعو: "اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا قَابِلِيهَا وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا"(١).

ومن آثار الإيمان باسم الله تعالى: "الرحيم".

أولاً: الإيمان بهذا الاسم يورث محبة الله تعالى وتعظيمه سبحانه وتعالى، حينما يتفكر الإنسان في آثار رحمته سبحانه وتعالى المبثوثة في الكون، مما يثمر العبودية الخالصة لله تعالى.

ثانياً: وجوب التعلق بالله تعالى، ورجاء ما عنده من الرحمة والمغفرة، وسعة مغفرة الذنوب، مما يثمر حسن الظن بالله تعالى، وصدق التوكل عليه سبحانه وتعالى.

ثالثاً: التراحم بين العباد، والإحسان إليهم، والتواصي بهم، وكل هذا يستجلب به رحمة الله تعالى(٢).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته(٣):

فانظر بعين الحكم وارحمهم بها إذ لا ترد مشيئة الديان

وانظر بعين الأمر واحملهم على أحكامه فهما إذا نظران

---

(١) سنن أبي داود: (١/٢٥٤)، كتاب الصلاة، باب التشهد، وصححه الشيخ الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داود: (٢/ ٤٦٩).

(٢) انظر: كتاب ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، دراسة تربوية للآثار الإيمانية والسلوكية لأسماء الله الحسنى: ص ١٣٩-١٤٥.

(٣) متن القصيدة النونية: ص١٩-٢٠.

واجعل لوجهك مقلتين كلاهما من خشية الرحمن باكيتان
لو شاء ربك كنت أيضا مثلهم فالقلب بين أصابع الرحمن

ما ورد من الآيات في قصة النبي لوط عليه السلام في ذكر اسم الله تعالى "الرحيم":

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ۝ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ۝ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ۝ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ۝ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ۝ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ۝ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٦٠ – ١٧٥].

ما ورد من الآثار في معنى اسم الله الرحيم:

روى ابن جرير رحمه الله تعالى بسنده عن ابن جريج قال: "كلّ شيء في الشعراء من قوله (الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) فهو ما أهلك ممن مضى من الأمم، يقول عزيز حين انتقم من أعدائه، رحيم بالمؤمنين، حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه"(١). وروى ابن أبي حاتم عن سعيد في قول الله تعالى: "الرحيم يعني رحيماً بهم بعد التوبة"(٢).

معنى الآية: يبين الله تعالى اتصافه سبحانه وتعالى بصفة: "الرحيم" والتي جاءت مقترنة بصفة العزة لله تعالى، فهو رحيم بخلقه، ورحمته بهم تقتضي لطفه معهم وعطفه عليهم سبحانه وتعالى، وعدم مسارعتهم بالعقوبة، قال ابن كثير رحمه الله تعالى في معنى اسم الله "الرحيم" أي: بخلقه، فلا يعجل على مَنْ عصاه، بل ينظره ويؤجله، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر"(٣).

فمن رحمه الله تعالى بعبيده أن يسلط عليهم أنواع البلاء والأمراض والنقم، وكذلك التكذيب من الأقوام والأعراض عن الأنبياء وعدم قبول دعوتهم، وكل هذا رحمة من الله تعالى التي وسعت كل شيء، والمؤمن هو من يعلم أن كل ما يصيبه هو برحمة من الله تعالى، وهو خير له في الدنيا والآخرة، إذ جلب له من الخير برحمته وصرف عنه من السوء برحمته سبحانه وتعالى، حتى لا يركن المرء إلى الدنيا ويغتر بها(٤).

وقد تكررت هذه الآية في قصة النبي إبراهيم عليه السلام، وفي قصة سيدنا نوح عليه السلام في سورة الشعراء

---

(١) جامع البيان: (٦٣/١٩).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: (٢٧٥١/٨).

(٣) تفسير ابن كثير: (١٣٥/٦)، الجامع لأحكام القرآن: (٨٧/١٣)، تفسير البغوي: (١٠٧/٦)، تفسير البحر المحيط: (٣٩١/٨)، تفسير السمرقندي: (٣٥٧/٣).

(٤) انظر: اسماء الله الحسنى وصفاته العليا: ص ٢٠٧.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ۝ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ۝ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۝ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٠٥ – ١٢٢].

في كل مرة يذكر الله سبحانه في نهاية أحداث قصة كل نبي والصراع بين الخير والشر وكيف يجاهد أهل الحق من أجل إعلاء كلمة الله، قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ فيبين سبحانه أن من أثار عزته وقدرته وتمام حكمته أن يقع العذاب على العصاة والكافرين، ومن تمام رحمته وحكمته أن ينجي المؤمنين، ويكتب لهم التمكين في الأرض والاستخلاف فيها. كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، وكأن المقام يقتضي بيان قدرة الله تعالى على الظلمة والفسقة من كفار الأمم السابقة، وأنهم مهما بلغوا من القوة والمنعة فإن الله تعالى أعز منهم وأقوى وأقدر، وهو غالب على أمره ولو كره الكافرون، والله تعالى قدم صفة العزة على صفة الرحمة، فقد عز سبحانه في نقمته وغضبه على الكفار والعصاة من قوم لوط وغيرهم بأن أهلكهم وقلب عليهم الديار وأنزل عليهم سخطه، ورحم سبحانه من آمن من المؤمنين من آل لوط والمؤمنين غيرهم، كتب الله سبحانه وتعالى لهم الرحمة المتمثلة في إنجائهم وتخليصهم من العذاب[1].

وهذا المعنى يؤيده ما ورد عن ابن القيم في معنى الآية حيث قال: "وهو سبحانه يذكر في سورة الشعراء ما أوقع بالمشركين من أنواع العقوبات، ويذكر إنجاءه لأهل التوحيد، ثم يقول: إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الرحيم، فيذكر شرك هؤلاء الذين استحقوا به الهلاك، وتوحيد هؤلاء الذين استحقوا به النجاة، ثم يخبر أن في ذلك آية وبرهانا للمؤمنين، ثم يذكر مصدر ذلك كله، وأنه عن أسمائه وصفاته، فصدور هذا الإهلاك عن عزته وذلك الإنجاء عن رحمته.

ويذكر أن الموفقين من الله عز وجل فهموا مراده وحكمته، وانتهوا إلى ما وقفوا عليه مما ووصلت إليه أفهامهم وعلومهم، وردوا علم ما غاب عنهم إلى أحكم الحاكمين، ومن هو بكل شيء عليم، وتحققوا بما علموه من حكمته، أن الله عز وجل له في كل ما خلق وأمر، وأثاب وعاقب، له من الحكمة البالغة مالا تبلغه عقولهم، وأنه تعالى هو الغني الحميد، العليم الحكيم، فمصدر خلقه وأمره، وثوابه وعقابه، غناه وحمده، وعلمه وحكمه، ليس عن

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٨٧/١٣)، تفسير البغوي: (١٠٧/٦)، البحر المحيط: (٣٩١/٨)، تفسير السمرقندي: (٣٥٧/٣).

مشيئة مجردة، وقدرة خالية عن الحكمة، والمصلحة والرحمة، فهو سبحانه لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته، وهم يسألون لبالغ حجته"(١).

• اسم الله تعالى "الحكيم"

الحكيم في اللغة: العالم صاحب الحكمة والمتقن للأمور.

قال أبو البقاء: "ومعنى الحكيم في الله بخلاف معناه إذا وصف به غيره، ومن هذا الوجه قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨] ، والحكم أيضاً الفصل والبت والقطع على الإطلاق، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ معناه: أحكمت عباراتها بأن حفظت من الاحتمال"(٢).

معنى الحكيم اصطلاحاً: اسم الله تعالى الحكيم يدل على اتصافه سبحانه وتعالى بالحكمة البالغة، وحسن التدبير وتصريف الأمور، وأن ما يجهله الخلق من عواقب الأمور، لا تخفى على الله تعالى العليم الحكيم، فهو سبحانه المصرف لشؤون خلقه حسن التدبير والتصريف.

قال ابن القيم: "اسم الحكيم من لوازمه ثبوت الغايات المحمودة المقصودة له بأفعاله ووضعه الأشياء في مواضعها وإيقاعها على أحسن الوجوه، فإنكار ذلك إنكار لهذا الاسم ولوازمه، وكذلك سائر أسمائه الحسنى"(٣).

قال الزجاج: "الحكيم بمعنى محكم، والله تعالى محكم للأشياء، متقن لها، كما قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ (٤).

قال الحليمي في معنى الحكيم: "الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، وإنما ينبغي أن يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة، وصنعه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم، كما لا يظهر الفعل على وجه الاختيار إلا من حي عالم قدير"(٥).

ولا يخلق سبحانه شيئاً عبثا، ولا يشرع لعباده شيئاً سدى، الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قدره، وجزائه.

---

(١) التفسير القيم لابن القيم: (٣٢٩/١).

(٢) كتاب الكليات ــ لأبي البقاء الكفومي: (٥٩٢/١)، باب الحاء.

(٣) التفسير القيم لابن القيم: (٢٨/١).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج: (٥٢/١).

(٥) نقلاً عن الأسماء والصفات للبيهقي: (٦٧/٦٦).

واسم الله تعالى الحكيم ومنه صفة الحكمة: فالحكمة صفة ثابتة لله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فإن هذا الاسم العظيم دال على ثبوت كمال الحكم لله تعالى، وكمال الحكمة له سبحانه وتعالى، ومعنى ثبوت الحكم لله تعالى، فهو سبحانه وتعالى يحكم بين عباده بما يشاء ويقضي بينهم بالحكمة، فلا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه. قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨]. فمن حكمة الله تعالى أن الأمر قسمة بين فضله وعدله، يصيب برحمته من يشاء، وينزل بعذابه من يشاء، والله سبحانه وتعالى في كل حال محمود على فعاله التي لا يعتريه النقص، فالطيبون من خلقه مخصوصون بفضله ورحمته سبحانه وتعالى، والخبيثون مقصودون بعذابه وعقابه ولكل واحد منهم قسطه من الحكمة والابتلاء والامتحان، وهذا هو حكم الله تعالى الحكيم العادل الواجب التصديق به والرضا به وقبوله، وعدم قبول حكم غيره الظالم الجائر(١).

وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤]، وثبوت الحكم لله تعالى يقتضي ثبوت جميع الأسماء الحسنى له والصفات العليا، فالحكيم لا يكون حكيماً إلا إذا كان عليماً سميعاً بصيراً مدبراً عليماً خبيراً، ومن اتصف بهذه الصفات فهو المستحق أن يشرع ويحلل ويحرم، ويكون حكمه أحسن حكم وشرعه أحسن شرع.

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، ومن كمال حكمة الله تعالى أنه سبحانه وتعالى يضع الأمور في مواضعها وينزلها منازلها(٢). والحكيم لا يكون إلا عليماً بكل الأمور ودقائقها، والحكم والعلم متضمنان لجميع صفات الكمال.

قال ابن القيم في صفة العلم والحكمة: "هما مصدر الخلق والأمر فجميع ما خلقه سبحانه صادر عن علمه وحكمته وكذلك أمره وشرعه مصدره عن علمه وحكمته، والعلم والحكمة متضمنان لجميع صفات الكمال، فالعلم يتضمن الحياة، و لوازم كمالها من القيومية والقدرة والبقاء والسمع والبصر وسائر الصفات التي يستلزمها العلم التام، والحكمة تتضمن كمال الإرادة والعدل والرحمة و الإحسان والجود والبر ووضع الأشياء في مواضعها على أحسن وجوهها ويتضمن إرسال واثبات الثواب والعقاب(٣).

---

(١) انظر : اسماء الله الحسنى وصفاته العليا لابن القيم، تحقيق عماد البارودي، ١٥٧-١٥٩

(٢) فقه الأسماء الحسنى: ص١٧٥-١٧٨، صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة لعلوي السقاف: ص ١٣٧.

(٣) الرسالة التبوكية، زاد المهاجر إلى ربه: (٦٩/١).

وقد ورد اسم الله تعالى الحكيم في آيات كثيرة كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، واسمه سبحانه وتعالى الحكيم في أغلب النصوص ورد مقترنا باسمه العزيز كقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]، وكثيراً ما يرد اسم الله العزيز واسم الله تعالى الحكيم مقترنين في كتاب الله تعالى العزيز، فكلا من هذين الاسمين دالاً على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزة في العزيز، والحكمة في الحكيم، حيث أن عزة الله تعالى لا تقتضي ظلماً وجوراً كما في عزة المخلوق الذي إذا عز ظلم واستبد، وكذلك حكمته سبحانه وتعالى تقتضي كمال علمه، وحكمه وحكمته مقرونين بالعز الكامل[١].

الأحاديث الواردة في اسم الله الحكيم:

ما رواه النسائي عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، قال: "بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل من القوم: الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم من القائل كلمة كذا وكذا؟ فقال: رجل من القوم: أنا يا رسول الله، قال: عجبت لها وذكر كلمة معناها، فتحت لها أبواب السماء، قال ابن عمر: ما تركته منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله"[٢]، فهذا الحديث ورد فيه ذكر اسم الله تعالى الحكيم.

ما ورد من الآيات في قصة النبي لوط عليه السلام في ذكر اسم " الحكيم " :

قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

ما ورد من الآثار في معنى اسم الله تعالى الحكيم:

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية في قوله: "العزيز الحكيم" قال: "عزيز في نقمته إذا انتقم، حكيم في أمره".

وروى عن أبي العالية، قوله: "العزيز"، يقول: "العزيز في نقمته إذا انتقم، الحكيم في أمره"[٣]، وروى عن محمد بن إسحاق في قوله: "العزيز" في نصرته من كفر به إذا شاء "الحكيم" في عذره وحجته إلى عباده"[٤].

---

(١) فقه الأسماء الحسنى: ص٤١.

(٢) المجتبى من السنن: (١٢٥/٢) كتاب الافتتاح، باب القول الذي يفتتح به الصلاة.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: (٤١٨/١١) وعزاه السيوطي لابن أبي حاتم عنه، الدر المنثور: (٣٣٥/١).

(٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

معنى الآية: يصف الله سبحانه وتعالى نفسه بأعظم الصفات وأجلها وهو أنه سبحانه العزيز صاحب العزة والغلبة، فهو عزيز في نقمته وعزيز في نصرته، وأنه الحكيم في تدبير شؤون خلقه وتصريف أمورهم كيفما شاء سبحانه وتعالى، فمن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى يختتم آياته الكريمة بأوصافه التي تكون مناسبة لما ذكر في الآية.

قال ابن كثير رحمه الله في معنى: "﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: له العزة ولرسوله وللمؤمنين به، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله وأحكامه القدرية والشرعية"(١).

ومناسبة اسمي العزيز والحكيم لهذه الآية، أنه عندما أذن الله تعالى لسيدنا إبراهيم ولوط عليهما السلام بالهجرة من بلاد كوثى متوجهين إلى حران ثم منها إلى الشام، فنزل إبراهيم قرية من أرض فلسطين ونزل لوط عليه السلام سدوم، وكل ذلك بحكمة من الحكيم وتدبير من الله العزيز(٢).

فالمتأمل يرى أن كل هذه الأحداث من نجاة سيدنا إبراهيم من النار، وخروجه من أيدي الكفار الذين أرادوا به كيدا، وإيمان ابن أخيه لوط به، وهجرتهما جميعاً إلى بلاد الشام، كل ذلك لحكمة يعلمها الله تعالى، وبتدبير منه سبحانه وتعالى، فهذه النصرة التي كتبها الله لسيدنا إبراهيم ولوط والمؤمنين معه هي بفضل الله العزيز الذي له الغلبة والتمكين، ولا يغلبه أحد ولا يعجزه أحد فأعز سبحانه بقوته أوليائه وأنبيائه إبراهيم ولوط عليهما السلام ومن آمن معهما وكتب لهم النجاة والنصر.

وبحكمته كتب سبحانه لسيدنا لوط وإبراهيم الهجرة والانتقال من بلد الاضطهاد والجور والظلم، إلى بلد العزة والنصر والتمكين.

فهو الحكيم في أقواله وأفعاله وتدبير أموره، تنزه سبحانه عن العبث، يدبر الأمور عن حكمة، يصرف الأحوال عن حكمة، يعطي ويمنع عن حكمة، فهذا الكون البديع المتقن من حولنا أكبر شهادة على حكمته، وإتقانه وعلمه، فهجرة سيدنا لوط وإبراهيم كانت بعلمه وحكمته سبحانه وتعالى لهم، حتى يهيئ أفضل مكان للدعوة إليه، فانتقلوا من دار الكفر إلى دار كلها خير وبركة وصلاح بأمر الله وقدرته وحكمته وعلمه.

وفي قول النبي إبراهيم عليه السلام على أرجح الأقوال: ﴿إنه هو العزيز الحكيم﴾ ما يدل على ثقته بربه سبحانه وتعالى، أنه سوف ينصره ولا يخذله، وسوف يحكم بينه وبين قومه بالحق، ويظهره ويبطل الباطل ويدحضه، فهو الحكيم في أقواله وأفعاله، وعلى ثقة بربه العزيز الذي يعز أوليائه وينصرهم مهما قويت شوكة الباطل، فالغلبة والمنعة للمؤمنين. قال ابن جرير رحمه الله في معنى الآية: "إن ربي هو العزيز الذي لا يذل من نصره، ولكنه يمنعه ممن أراده بسوء، وإليه هجرته، الحكيم في تدبيره خلقه، وتصريفه إياهم فيما صرفهم فيه(٣).

فمن عزة الله تعالى أن ينصر عباده المتقين، ومن حكمته أن ينزل عذابه على الكفار العاصين.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤١١/٣).

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها، روح المعاني للألوسي: (١٥٢/٢٠).

(٣) جامع البيان: (٦١٩٠/٨).

﴿الفصل الثاني﴾

المبحث الرابع: ما ورد في قوم لوط عليه السلام من أنواع الكبائر والفواحش.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: معنى الكبائر.

المطلب الثاني: أنواع الكبائر المنتشرة في قوم لوط عليه السلام.

المطلب الثالث: أعظم الفواحش في قوم لوط.

المبحث الرابع: ماورد في قوم لوط عليه السلام من أنواع الكبائر والفواحش.

المطلب الأول: معنى الكبائر.

معنى الكبائر لغة: الكبائر جمع كبيرة، والكبيرة: الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا، العظيم أمرها كالقتل والزنا والفرار من الزحف وغير ذلك، وهي من الصفات الغالبة، وجمعها الكبائر(١).

ذكر ابن منظور أن الكبيرة من الكبر، و الكبير صفة من صفات الله تعالى العظيم الجليل، والمتكبر الذي تكبر عن ظلم عباده والكبرياء عظمة الله جاءت على العظمة. ويقال كبر بالضم يكبر، أي: عظم فهو كبير، وقيل: الكبر نقيض الصغر كبر كبرا وكبرا فهو كبير وكبار وكبّار بالتشديد إذا أفرط، واستكبر الشيء رآه كبيرا وعظم عنده. والكبر الإثم الكبير، وما وعد الله عليه النار(٢).

مما سبق يظهر لنا أن الكبر في لغة العرب يطلق على معنيين:

الأول: الشيء الكبير الذي يرى كبيراً ويستعظمه الناس.

الثاني: الإثم الكبير، والذنب العظيم الذي توعد الله فاعله بدخول النار.

وكلا المعنيين يصح في معنى الكبيرة، فهي إثم مستعظم وكبير، وموجب دخول النار كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧] .

معنى الكبيرة شرعاً: اختلف أهل الأصول في تحقيق معنى الكبائر، ووصفها، فعرفها العلماء بتعاريف كثيرة، ثم اختلفوا كذلك في عددها، والاختلاف في وصفها ومعناها لا يدل على التباين بل جميع المعاني التي أودرها العلماء والمفسرون في معنى الكبيرة متقاربة.

وقد نقل هذا الاختلاف عنهم ابن جرير رحمه الله تعالى والشوكاني وغيرهم(٣).

ما ورد من التعاريف في معنى الكبيرة: قيل: إن الذُّنوب كلها كبائر، وإنما يقال لبعضها صغيرة بالإضافة إلى ما أكبر منها، كما يقال: الزنا صغيرة بالإضافة إلى الكفر، والقبلة المحرمة صغيرة بالإضافة إلى الزنا.

وروى الشوكاني عن آخرين أن معنى الكبيرة: الشرك، واستدلوا على ذلك بقراءة من قرأ: "إن تجتنبوا كبير ما تنهون عنه"، وعلى قراءة الجمع فالمراد أجناس الكفر، واستدلوا على ما قالوه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ

(١) تاج العروس: (١١/١٤)، ذكره ابن منظور في لسان العرب: (١٢٥/٥).

(٢) لسان العرب: (١٢٥/٥).

(٣) جامع البيان: (٣٦/٥)، فتح القدير: (٤٥٧/١).

بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، قالوا فهذه الآية مقيدة لقوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١] .

وروى هذا عن القشيري(١) وغيره.

وقال ابن عباس في معنى الكبيرة: "كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب"(٢) .

وقال القرطبي رحمه الله تعالى بعدما ذكر أنواع الكبائر مورداً الأدلة عليها من كتاب الله تعالى: "فالشرك أكبر ذلك كله، وهو الذي لا يُغْفَر لنص الله تعالى على ذلك، وبعده اليأس من رحمة الله؛ لأن فيه تكذيب القرآن؛ إذ يقول وقوله الحق: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ، وبعده القنوط: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦] ، وبعده الأمن من مكر الله، فيسترسل في المعاصي، ويتكل على رحمة الله من غير عمل، قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] ، وبعده القتل؛ لأن فيه إذهاب النفوس وإعدام الوجود، واللواط فيه قطع النسل، والزنا فيه اختلاط الأنساب بالمياه، والخمر فيه ذهاب العقل الذي هو مناط التكليف، وترك الصلاة والأذان فيه ترك إظهار شعائر الإسلام، وشهادة الزور فيها استباحة الدماء والفروج والأموال، إلى غير ذلك مما هو بيِّنُ الضرر؛ فكل ذنب عظَّم الشرع التوعد عليه العقاب وشدده، أو عظَّم ضرره في الوجود كما ذكرنا فهو كبيرةٌ وما عداه صغيرة "(٣).

ولعلّ أبين التعاريف السابقة في معنى الكبيرة ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: " كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب". وهذا التعريف رجحه الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى حيث قال: "وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره؛ فإنه يدخل كل ما ثبت في النص أنه كبيرة: كالشرك والقتل والزنا والسحر وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وغير ذلك من الكبائر التي فيها عقوبات مقدرة مشروعة، وكالفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين واليمين الغموس وشهادة الزور؛ فإن هذه الذنوب وأمثالها فيها وعيد خاص كما قال في الفرار من الزحف: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا

---

(١) عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن، أبو نصر القشيري النيسابوري، إمام وحبر وبحر في العلوم، رباه والده واعتنى به حتى برع في النظم والنثر، واستوفى الحظ الأوفى من علم التفسير والأصول، لازم إمام الحرمين الجويني، سمع الحديث من أبيه وجماعة، وحدث بالكثير، ومن العجائب أنَّه اعتقل لسانه في آخر عمره عن الكلام، إلا عن الذكر، فكان يتكلم بآي القرآن، مات سنة أربع عشرة وخمسمائة. طبقات المفسرين للسيوطي: (٦٦/١)، الأعلام للزركلي: (٣/ ٣٤٦). سير أعلام النبلاء: (١٩/ ٤٢٤).

(٢) رواه ابن جرير في جامع البيان: (٤١/٥)، والبيهقي في شعب الايمان: (٢٧٠/١/٢٩٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (١٦٠/٥-١٦١).

إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦] ، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] (١).

وقد علل رحمه الله تعالى ترجيحه لهذا الضابط بعدة أمور منها ما يلي:

الأول: أنه المأثور عن السلف بخلاف غيره من الضوابط؛ فإنها لا تعرف عن أحد من الصحابة والتابعين والأئمة.

ثانياً: أن الله تعالى قال: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] فقد وعد مجتنب الكبائر بتكفير السيئات واستحقاق الوعد الكريم. وكل من وعد بغضب الله أو لعنته أو نار أو حرمان جنة أو ما يقتضي ذلك؛ فإنه خارج عن هذا الوعد فلا يكون من مجتنبي الكبائر .

ثالثاً: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله في الذنوب؛ فهو حد يتلقى من خطاب الشارع وما سوى ذلك ليس متلقى من كلام الله ورسوله؛ بل هو قول رأي القائل وذوقه من غير دليل شرعي والرأي والذوق بدون دليل شرعي لا يجوز.

رابعاً: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر(٢).

كما أشار إلى قريب من هذا المعنى السعدي: "وأحسن ما حدت به الكبائر، أن الكبيرة ما فيه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو نفي إيمان، أو ترتيب لعنة، أو غضب عليه"(٣).

المطلب الثاني: أنواع الكبائر الموجودة في قوم لوط عليه السلام:

أولاً: أعظم الكبائر المنتشرة في قوم لوط عليه السلام كما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨ – ٢٩]. إتيان الرجال، وهو ما يعرف باللواط.

ثانياً: قطع السبيل وإتيان المنكر في النوادي، وبإذن الله تعالى سوف أتناول نوعين من أنواع الكبائر في قوم لوط عليه السلام، وهي قطع السبيل وإتيان المنكر في النوادي، أما الكبيرة إتيان الرجال، فسيأتي الكلام عنها بإذن الله تعالى في مبحث أنواع الفواحش في قوم لوط عليه السلام(١).

---

(١) مجموع الفتاوى: (١١/٦٥٠).

(٢) مجموع الفتاوى: (١١/٦٥٤-٦٥٥).

(٣) تفسير السعدي: (١/١٧٦).

أولاً: قطع السبيل:

الآثار الواردة الدالة على وجود قطع السبيل في قوم لوط:

روى ابن جرير بسنده عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ قال: "السبيل: الطريق، المسافر إذا مرّ بهم، وهو ابن السبيل قَطَعوا به، وعملوا به ذلك العمل الخبيث"(٢).

وفي معنى قطعهم للطريق ثلاث أقوال:

القول الأول: أنهم يعترضون طريق المارة والمسافرين بالقتل ونهب الأموال(٣).قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣] .

القول الثاني: أنهم يقطعون سبيل النسل بإرغامهم للمارة الغرباء على فعلتهم الشنيعة وإتيانهم لذلك بالإكراه(٤). وأشار إلى هذا المعنى ابن جرير الطبري في معنى الآية، قال: "وتقطعون المسافرين عليكم بفعلكم الخبيث، وذلك أنهم فيما ذُكر عَنْهم كانوا يفعلون ذلك بمن مرّ عليهم من المسافرين، من ورد بلادهم من الغرباء(٥).

القول الثالث: هو قطعهم للطريق بفعلهم للفاحشة التي أحدثوها، وما سبقهم بها من أحد من العالمين(٦).

معنى الآية: يبين الله تعالى فداحة فعل قوم لوط عليه السلام وتجرؤهم على فعل الفاحشة القبيحة، ليس مع أهل قريتهم فقط، بل ومع الغرباء المسافرون المارون بقريتهم، فلا يتنزهون عن هذا الفعل القبيح حتى مع المسافرين الغرباء(٧).

قال البيضاوي في معنى الآية: أنهم كانوا يعترضون: " للسابلة(٨) بالقتل وأخذ المال، أو بالفاحشة، حتى انقطعت الطرق، أو تقطعون سبيل النسل بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس بحرث"(٩).

---

(١) الصفحة: ١٤٤.

(٢) جامع البيان: (٦٤٦٧/٨)، ورواه ابن ابي حاتم في تفسيره: (٣٠٥٤/٩).

(٣) ذكره ابن كثير في: (٢٧٦/٦)، والالوسي في روح المعاني: (٢٦٦/١٥)، الكامل في التاريخ لابن الاثير: (٣٨/١).

(٤) اللباب في علوم الكتاب: (٤٤٤/١٢)، تفسير الالوسي: (٢٦٦/١٥)، تفسير البغوي: (٢٣٩/٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (٢٤٤/٦).

(٥) جامع البيان: (٦٤٦٧/٨)، انظر: تاريخ الرسل والملوك: (١١٢/١)، البداية والنهاية: (٢٠٦/١)، الكامل في التاريخ: (٣٨/١).

(٦) اللباب في علوم الكتاب: (٤٤٤/١٢)، تفسير الالوسي: (٢٦٦/١٥)، تفسير البغوي: (٢٣٩/٦)، تاريخ الرسل والملوك: (١١٣/١)، تاريخ الطبري: (١٧٥/١).

(٧) جامع البيان: (٦٤٦٧/٨).

(٨) السابلة: هم أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم، والجمع السوابل. لسان العرب: (٣٢٠/١١)، أساس البلاغة: (٢٨٤/١).

(٩) تفسير البيضاوي: (٣١٤/٤).

وجميعها من الأمور المستقبحة المنكرة، وفعلهم للفاحشة واعتراضهم لأبناء السبيل بقطعهم الطريق عليهم لا يقل خطراً وقبحاً عن فعل الفاحشة مع أبناء القرية أنفسهم. ولا يستبعد أن تكون جميع الأمور فيهم من قطع الطريق وسلب المال وفعل الفاحشة كما قال القرطبي رحمه الله تعالى: "ولعل الجميع كان فيهم فكانوا يقطعون الطريق لأخذ الأموال والفاحشة ويستغنون عن النساء بذلك"(١).

ثانياً: إتيان المنكر

كما قال تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] .

معنى النادي: هو المجلس يندو إليه من حواليه، ولا يسمى ناديا حتى يكون فيه أهله، وإذا تفرقوا لم يكن ناديا، وهو الندي والجمع الأندية والنادي مجتمع القوم وأهل المجلس فيقع على المجلس وأهله، و تنادوا أي تجالسوا في النادي والندي المجلس ما داموا مجتمعين فيه فإذا تفرقوا عنه فليس بنَدِيٍّ، وقيل النَّدِيُّ مجلس القوم نهاراً(٢). فالنادي هو المكان الذي يجلس فيه القوم، ويجتمعون فيه لقضاء حوائجهم وأمورهم(٣).

معنى المنكر: من نكره ينكره نكرا فهو منكور واستنكره فهو مستنكر والجمع مناكير. والمنكر: ضد المعروف، وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر. وقيل: المنكر: كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف في استقباحه العقول فتحكم الشريعة بقبحه ومن هذا قوله تعالى: ﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢](٤). فالمنكر هو كل ما تحكم العقول بقبحه، والمعروف هو كل ما تحكم العقول بحسنه.

ما ورد من الآثار في معنى المنكرات المنتشرة في قوم لوط عليه السلام:

روى ابن جرير بسنده عن أمّ هانئ، قالت: سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم عن قوله : ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ قال: "كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم، فهو المنكر الذي كانوا يأتون(٥).

وروى بسنده أيضا عن عكرمة قال: "كانوا يؤذون أهل الطريق يحذفون من مر بهم(٦).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٣٤١/١٣).

(٢) لسان العرب: (٣١٣/١٥).

(٣) الروض الانف في تفسير السيرة النبوية: (٧٩/٢). السيرة النبوية: (٣١١/١).

(٤) تاج العروس: (٢٩٠/١٤)، لسان العرب: (٢٣٢/٥).

(٥) جامع البيان: (٦٤٦٨/٨)، وأخرجه الترمذي في سننه في تفسير سورة العنكبوت: (٩/ ٤٩-٣١٩٠/٥٠)، وقال: هذا حديث حسن، إنما نعرفه من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن سماك، وصححه الحاكم على شرط الشيخين: (٢/ ٤٠٩) ووافقه الذهبي، وأخرجه الإمام أحمد: (٣٤١/٦). الدر المنثور: (٤٦٠/٦)، وأخرجه البزار والبغوي: (١٩٢/٥)، والقرطبي: (٣٤٢/١٣).

(٦) جامع البيان: (٦٤٦٨/٨)، والطبراني في الكبير: (٤١٢/٤).

وقال أيضا في معنى المنكر هو: الحذف(١). وروى بسنده عن السدي قال: "كان كل من مرّ بهم حذفوه، فهو المنكر(٢). وروى بسنده عن أمّ هانئ، قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ قال: "كانوا يجلسون بالطريق، فيحذفون أبناء السبيل، ويسخرون منهم"(٣).

وقيل معنى المنكر هو: مجامعة الرجال بعضهم البعض، فقد روى ابن جرير بسنده عن مجاهد، قال: "كان يجامع بعضهم بعضا في المجالس. وفي رواية أخرى عن مجاهد قال: كان يأتي بعضهم بعضاً في المجالس. وقال أيضاً: " كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم". وروى ابن جرير بسنده عن مجاهد قال: " معنى (المنكَرَ) هو: إتيانهم الرجال، وروى ابن جرير بسنده عن قتادة قال: كانوا يأتون الفاحشة في ناديهم. وروى بسنده عن ابن زيد، قال: ناديهم: المجالس، والمنكر: عملهم الخبيث الذي كانوا يعملونه، كانوا يعترضون بالراكب، فيأخذونه ويركبونه، وقرأ: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: ٥٤]، وقرأ: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]، وروى بسنده عن ابن عباس يقول: في مجالسكم(٤).

وقد فُسر المنكر في قوم لوط بأنه لعب الحمام وغيره كما في رواية ابن أبي حاتم بسنده عن مجاهد رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ قال: الصفير، ولعب الحمام، والجلاهق، وحل أزرار القباء(٥).

وروى القرطبي عن ابن عباس في معنى المنكر في قوم لوط قال: " إن قوم لوط كانت فيهم ذنوب غير الفاحشة، منها أنهم يتظالمون فيما بينهم، ويشتم بعضهم بعضا، ويتضارطون في مجالسهم، ويحذفون ويلعبون بالنرد والشطرنج، ويلبسون المصبغات ويتناقرون بالديكة ويتناطحون بالكباش، ويطرفون أصابعهم بالحناء، وتتشبه الرجال بلباس النساء، والنساء بلباس الرجال، ويضربون المكوس على كل عابر، ومع هذا كله كانوا يشركون بالله، وهم أول من ظهر على أيديهم اللوطية والسحاق، فلما وَقَّفَهُمْ لوط عليه السلام على هذه القبائح رجعوا إلى التكذيب واللجاج، فَقَالُوا: ﴿ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ﴾ أَيْ إِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ "(٦).

معنى الآيات: يظهر لنا من الآيات استحلال قوم لوط للفواحش، وتجرؤهم على فعل الكبائر والمنكر من الأقوال والأفعال التي لم تظهر في غيرهم من الناس و لم يسبقهم إليها أحد من العالمين.

---

(١) جامع البيان٦٤٦٨/٨ وذكره السيوطي في الدر المنثور٤٦١/٦.

(٢) جامع البيان: (٦٤٦٨/٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور: (٤٦١/٦).

(٣) جامع البيان: (٦٤٦٨/٨) وذكره الشوكاني في فتح القدير: (٢٠٣/٤).

(٤) جامع البيان: (٦٤٦٨/٨) وذكره مجاهد في تفسيره: ص٥٣٥، وابن ابي حاتم في تفسيره: (٣٠٥٥/٩)، وابن عطية في المحرر الوجيز: (٣١٥/٤)، والماوردي في النكت والعيون: (٢٨٢/٤)، الطبري في التاريخ: (١٧٦/١)، زاد المسير: (٢٦٩/٦).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم: (٣٠٥٥/٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور عنه: (٣٤/٨).

(٦) الجامع لأحكام القرآن: (٣٤٢/١٣).

وقد اختلف المفسرون في معنى المنكر الذي كان منتشراً في مجالس قوم لوط ونواديهم على عدة معاني:

الأول: أنهم كانوا يتربصون بكل من يمر بطريقهم ويسخرون منهم ويخذفونهم بالحصى، فمن أصابوه نالوا منه بفعل الفاحشة [(١)].

الثاني: أن معنى المنكر هو إتيان الرجال ومجامعتهم.

الثالث: أن المقصود بالمنكرات هي لعب الحمام وتطريف الأصابع بالحناء والصفير والخذف ونبذ الحياء في جميع أمورهم وحل الإزار. وقد رجح الطبري رحمه الله تعالى أن معنى المنكر هو خذف أهل الطريق والسخرية منهم[(٢)].

وكل ما اشتهر به قوم لوط يعد من القبائح والمنكرات المستقبحة عقلاً وشرعاً. ولا ريب أن تكون هذه الصفات موجودة في أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما ذكر القرطبي رحمه الله تعالى: " في هذه الأمة عشرة من أخلاق قوم لوط: مضغ العلك، وتطريف الأصابع بالحناء، وحل الإزار، وتنقيض الأصابع، والعمامة التي تلف حول الرأس، والتشابك، ورمي الجلاهق، والصفير، والخذف، واللوطية"[(٣)].

وهذا يجرنا إلى مسالة: هل كانت هذه الفواحش الموجودة في قوم لوط معروف عندهم شناعتها وقبحها أم غير معروف عندهم قبحها وتحريمها إلى أن جاء نبي الله لوط وحرمها عليهم:

الجواب عن ذلك: أن هناك ثلاثة أقوال في فعل المعاصي والسيئات والمنكرات التي كان قوم لوط يتجرؤون عليها.

القول الأول: أنه معلوم قبحها عقلاً وبذلك يستحقون العذاب الأخروي على سيئاتهم وذنوبهم، وإن لم يرسل إليهم رسول، وهذا هو قول المعتزلة وكثير من أصحاب أبي حنيفة وحكوه عن أبي حنيفة نفسه.

القول الثاني: أنه لا قبح ولا حسن ولا شر فيهما قبل الخطاب، وإنما القبيح ما ورد فيه النهي، والحسن ما قيل فيه افعل أو ما أذن في فعله. وقد نقل هذا القول عن جهم والأشعري ومن تابعه من المنتسبين إلى السنة. وأصحاب مالك والشافعي وأحمد.

القول الثالث: وهو ما عليه الجمهور من السلف والخلف على أن ما كان فيه قوم لوط وغيرهم من أهل الفواحش والشرك والمعاصي قبل مجيء الرسول من الشرك والجاهلية شيئاً قبيحاً وكان شرا، لكن لا يستحقون العذاب إلا بعد مجيء الرَّسُولِ قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وفي هذا يقول

---

(١) جامع البيان: (٦٤٦٨/٨)، الدر المنثور: (٣٤/٨).

(٢) جامع البيان: (٦٤٦٨/٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٣٤٢/١٣).

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: " كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها"[1][2].

وعند التأمل لكثير من الآيات التي ورد فيها ذكر قصص الأقوام السابقين أمثال قوم هود وصالح ولوط وغيرهم يرى أن الأنبياء المرسلين إليهم أمروهم بالتوبة والاستغفار من الذنوب والإقلاع عن المعاصي والبعد عن الفواحش مما يدل على أنه معروف عندهم بشاعتها وقبحها وأنها لا تساوي المباحات، قال تعالى على لسان نبيه ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣]، وسيدنا نوح قال لقومه ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: ٣]، ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [نوح: ٤]. وقال سيدنا لوط لقومه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠] ، يقول ابن تيمية في هذه الآية: "فدل على أنها كانت فاحشة عندهم قبل أن ينهاهم، بخلاف قول من يقول: ما كانت فاحشة ولا قبيحة ولا سيئة حتى نهاهم عنها؛ ولهذا قال لهم: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ﴾ [العنكبوت: ٢٩] وهذا خطاب لمن يعرفون قبح ما يفعلون، ولكن أنذرهم بالعذاب"[3].

فالصحيح أنه كان متعارفٌ عند قوم لوط بشاعة وقبح هذه الفاحشة قبل مجيء الرسول إليهم، لكن لا تقوم الحجة عليهم إلا بعد مجيء الرسول إليهم، وقد جاءهم رسول من عند الله تعالى وحذرهم ونهاهم، فلا حجة لهم في الاستمرار، بل يستحقون العذاب من الله.

---

(١) أخرجه البخاري: في صحيحه: (٤٣٩/١١)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الاسلام، ومسلم: (٣٨٦/٩)كتاب الامارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (١١/ ٦٧٧).

(٣) مجموع الفتاوى: (٦٨٠/١١).

المطلب الثالث: أعظم الفواحش في قوم لوط:

معنى الفاحشة: جاء في معنى الفاحشة لغة معاني عدة منها:

قال ابن منظور: " كل خصلة قبيحة فهي فاحشة من الأقوال والأفعال"(١). وقيل هي: "كل فعل تَعْظُمُ كراهيته في النفوس، ويقبح ذكره في الألسنة حتى يبلغ الغاية في جنسه، وذلك مخصوص بشهوة الفرج إذا اقتضيت على الوجه الممنوع شرعا أو المجتنب عادة، وذلك يكون في الزنا(٢) إجماعا، وفي اللواط باختلاف(٣).

في هذا التعريف تخصيص للفاحشة بكبيرة الزنا بإجماع، واللواط باختلاف بين العلماء كما سيأتي بيانه(٤).

فهي كل ما هو مكروه نفسا، ومقبوح ذكرا. ويقول ابن سيده: " الفحش والفحشاء والفاحشة القبيح من القول والفعل، وجمعها الفواحش، وأفحش عليه في المنطق أي قال الفحش، والفحشاء اسم الفاحشة، وقد فحش وفحش"(٥).

قال الأصفهاني: " الفحش والفحشاء والفاحشة: ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال(٦)، ويقول الذهبي: "والفاحشة: الخصلة المتناهية في القبح"(٧). فإن الفاحشة تشمل كل الأقوال والأفعال القبيحة المنكرة عقلا وشرعا.

معنى الفاحشة شرعا: يقول ابن تيمية: "والمقصود أن الفاحشة تتناول الفعل القبيح، وتتناول إظهار الفعل وأعضاؤه، كما أن ذلك يتناول ما فحش وإن كان بعقد نكاح، كقوله تعالي: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]، فأخبر سبحانه أن هذا النكاح فاحشة، وقد قيل: إن هذا من الفواحش الباطنة، فظهر أن الفاحشة تتناول العقود الفاحشة، كما تتناول المباشرة بالفاحشة(٨).

وقد بين ابن تيمية رحمه الله تعالى أن الفاحشة تتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الفعل القبيح هو من الفاحشة.

---

(١) لسان العرب: (٣٢٥/٦).

(٢) الزنا في اللغة: الرقي على الشيء، وشرعا هو: إيلاج الحشفة بفرج محرم لعينه خال عن شبهة مشتهى. التعاريف للمناوي: ص٣٨٩. لسان العرب: (٣٥٩/١٤)، الكليات للكفومي: ص٧٧٢.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي: (٢٢٧/٢).

(٤) ص١٥٤ من هذا المبحث.

(٥) لسان العرب: (٣٢٥/٦).

(٦) مفردات اللغة: (١٣٠/٢).

(٧) الكبائر للذهبي: ص ٥٥.

(٨) مجموع الفتاوى: (٣٨٢/١٥).

الثاني: إظهار الفعل وأعضاؤه من الفاحشة.

الثالث: كل ما فحش ولو بعقد النكاح(١).

قال ابن القيم في معنى الفاحشة: "ما ظهر قبحها لكل أحد، واستفحشه كل ذي عقل سليم، ولهذا فسرت بالزنا واللواط، وسماها الله فاحشة؛ لتناهي قبحهما، وكذلك القبيح من القول يسمى فحشاً، وهو ما ظهر قبحه جداً من السب القبيح والقذف ونحوه"(٢).

وقد وردت الفاحشة في كتاب الله تعالى في مواضع كثيرة منها:

ما دل على ذم فاعلها وأن الله تعالى لا يأمر بها، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٨]

ومن الآيات ما يدل على أن الله تعالى لا يأمر إلا بالمعروف والعدل والإحسان، وينهى عن الفحشاء والمنكرات، وقد ساوى الله تعالى بين الفحشاء والمنكرات والبغي مما يدل على قبحها وفداحتها. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩].

أنواع الفاحشة:

ذكر الله تعالى أنواع الفواحش إجمالاً فقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] ،

ومن خلال النظر في الآية الكريمة يمكننا تقسيم الفواحش إلى نوعين:

النوع الأول: الفواحش الظاهرة: هي التي يكون ظهورها للأعين أو تكون ظاهرة بالأدلة القاطعة أو بوقوع الإجماع عليها. فظهورها يعني وضوح الأدلة الثابتة في تحريمها وكذلك الإجماع، أو وضوح فحشها للأعين غير خافية على أحد.

النوع الثاني: الفواحش الباطنة: هي التي تكون مستترة عن الأعين أو لا يوجد عليها دليل أو نص، فهي مخفية عن الأعين وبالدليل. فهي غير ظاهرة لعدم وضوح الأدلة عليها، أو لكونها مستترة عن الأنظار(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى: (٣٨٢/١٥).

(٢) مدارج السالكين: (٣٧١/١).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي: (٤/٤).

وقد سمى الله تعالى الزنا بأنه " فاحشة " فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وسمى سبحانه ما كان عليه قوم لوط من إتيان الرجال فاحشة، فقال على لسان نبيه لوط عليه السلام: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠ – ٨١]، وقوم لوط عليه السلام اشتهروا بفعل الفاحشة الظاهرة لأعين الآدميين كما قال تعالى عنهم: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، فكانوا لا يستترون عن بعضهم البعض وهم يرتكبون الفاحشة، وقد دلت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة على أنها فاحشة مستقر قبحها في النفوس والعقول السليمة، فهي فاحشة ظاهرة للأعين وظاهرة بالأدلة.

سبب ظهور الفاحشة في قوم لوط عليه السلام:

وردت روايات عدة في بيان أسباب ظهور الفاحشة في قوم لوط عليه السلام:

القول الأول: رغبتهم في منع ابن السبيل المار بالطريق من ثمارهم وحوائطهم، وذلك يكون بتغريمهم دفع الدراهم أو بإرغامهم على فعل الفاحشة بهم فلا يعودوا لمثله أبداً. ذكر السيوطي عن ابن عباس قال: " كان الذي حملهم على إتيان الرجال دون النساء أنهم كانت لهم ثمار في منازلهم وحوائطهم وثمار خارجة على ظهر الطريق، وإنهم أصابهم قحط وقلة من الثمار، فقال بعضهم لبعض: إنكم إن منعتم ثماركم هذه الظاهرة من أبناء السبيل كان لكم فيها عيش، قالوا: بأي شيء نمنعها؟ قالوا: اجعلوا سنتكم من أخذتم في بلادكم غريباً سننتم فيه أن تنكحوه وأغرموه أربعة دراهم، فإن الناس لا يظهرون ببلادكم إذا فعلتم ذلك، فذلك الذي حملهم على ما ارتكبوا من الأمر العظيم الذي لم يسبقهم إليه أحد من العالمين"(١).

القول الثاني: أن إبليس أتى قوم لوط عليه السلام في صورة صبي جميل فاغتروا به ودعاهم إلى نفسه فواقعوه، ذكره السيوطي عن ابن عباس قال: "إنما كان بدء عمل قوم لوط أن إبليس جاءهم عند ذكرهم ما ذكروا في هيئة صبي، أجمل صبي رآه الناس، فدعاهم إلى نفسه فنكحوه، ثم جروا على ذلك(٢).

وقيل: أن أول من فَعَلَ فِعْلَ قوم لوط هو إبليس حينما ازدهرت أرض قوم لوط وأخصبت فتمثل لهم إبليس في صورة شاب حسن ودعاهم إلى نكاحه فعجت الأرض إلى ربها فخسف الله بهم.

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: (٤/٢٦٥) وعزاه إلى إسحق بن بشر وابن عساكر. والالوسي في روح المعاني: (٨/١٧٠).

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: (٤/٢٦٥) وعزاه إلى إسحق بن بشر وابن عساكر.

وقد نقل الثعلبي والبغوي عن الكلبي أنه قال: " أن أول من عمِل عمَل قوم لوط إبليس، لأن بلادهم أخصبت فانتجعها أهل البلدان، أي: فتمثل لهم إبليس في صورة شاب، ثم دعا إلى دبره، فنكح في دبره، فأمر الله تعالى السماء أن تحصبهم، وأمر الأرض أن تخسف بهم(١).

وروى البغوي عن محمد بن إسحاق أنه قال: " كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها، فقصدهم الناس فآذوهم، فعرض لهم إبليس في صورة شيخ، فقال: إن فعلتم بهم كذا نجوتم، فأبوا فلما ألح عليهم الناس قصدوهم فأصابوهم غلمانا صباحاً، فأخذوهم وقهروهم على أنفسهم فأخبثوا واستحكم ذلك فيهم"(٢).

والذي يظهر لي من خلال البحث أن الراجح من الأقوال في سبب ظهور اللواط في قوم لوط عليه السلام هو القول الثاني وهو إرغامهم ابن السبيل على فعل الفاحشة تغريماً له حتى يصيب من ثمارهم وحوائطهم ، كما سبق في رواية ابن عباس(٣).

فهم كانوا يقطعون سبيل المارة بفعل الفاحشة، كما أشارت إلى ذلك الآيات قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

صور الفاحشة في قوم لوط عليه السلام:

أولاً: إتيان الرجال:

أو ما يسمى مناكحة الذكران، قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥ – ١٦٦]، وتسمى الفاحشة الكبرى(٤)، وهو اللواط والاستغناء عن مناكحة النساء إلى أدبار الرجال، دل على ذلك ما رواه السيوطي عن ابن عباس في قوله ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ [الأعراف: ٨٠] قال: أدبار الرجال(٥). وروى ابن أبي حاتم بسنده عن وهب بن منبه، يَقُولُ: " كَانَ سدوم الَّذِينَ فِيهِمْ لُوطٌ قَوْمٌ سُوءٌ قَدِ اسْتَغْنَوْا عَنِ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ"(٦). وروى ابن جرير بسنده عن مجاهد، في قوله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم﴾

---

(١) تفسير البغوي: (٣/٢٥٥)، تفسير الثعلبي: (١/٨٩٨)، اللباب في علوم الكتاب: (٩/٢٠٦) تفسير السراج المنير للشربيني: (١/٣٨٩).

(٢) تفسير البغوي: (٣/٢٥٥)، الكشف والبيان: (٤/٢٥٩)، السراج المنير: (١/٣٨٨).

(٣) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: (٤/٢٦٥).

(٤) عن ابن عباس قال: "أرسل لوط إلى المؤتفكات قرآن وأتوا الفاحشة الكبرى". رواه السيوطي في الدر المنثور: (٤/٢٦٥).

(٥) الدر المنثور: (٤/٢٦٥)، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في ذم الملاهي والشعب وابن عساكر عنه، والشوكاني في فتح القدير: (٢/٣٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٤/٣٥٩-٥٣٣٩).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم: (٥/١٥١٨).

[الشعراء: ١٦٦]، قال: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال وأدبار النساء"(١)، وروى ابن جرير بسنده عن السدي: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩]، إنا نريد الرجال(٢).

من الآثار السابقة يتبين ثبوت الفاحشة في قوم لوط عليه السلام، وهي إتيان الرجال والاستغناء عن النساء.

وقد نصح سيدنا لوط قومه أن يكفوا عن إتيان الرجال فهي فاحشة عظيمة ما سبقهم بها من أحد من العالمين وبصرهم بالحلال الذي خلقه الله لهم وأباحه لهم . يقول الشوكاني في معنى الآية: "وتتركون ما خلقه الله لأجل استمتاعكم به من النساء وأراد بالأزواج جنس الإناث "بل أنتم قوم عادون" أي: مجاوزون للحد في جميع المعاصي، ومن جملتها هذه المعصية التي ترتكبونها من الذكران"(٣).

وقد رزق الله قوم لوط النساء وأباح لهم الاستمتاع بهن بما أباح الله تعالى، قال تعالى : ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

ثانياً: إتيان النساء في أدبارهن: (وتسمى باللوطية الصغرى).

جاءت روايات عدة في هذا المقصد: منها ما رواه السيوطي عن أبي صخرة جامع بن شداد(٤) مرفوعاً قال: " كان اللواط في قوم لوط، في النساء قبل أن يكون في الرجال بأربعين سنة "(٥).

وروى السيوطي عن طاووس(٦) أنه سئل عن الرجل يأتي المرأة في عجيزتها؟(٧) قال: "إنما بدء قوم لوط ذاك، صنعته الرجال بالنساء ثم صنعته الرجال بالرجال"(٨).

---

(١) جامع البيان: (٦٢٣٣/٨)، ورواه ابن أبي حاتم: (٢٨٠٨/٩)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢٧٣/٤). والسيوطي في الدر المنثور: (٣١٧/٦). قال في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: (١٥/٤)، إسناده صحيح.

(٢) جامع البيان: (٦٢٣٣/٨)، ذكره في الصحيح المسبور: (٣٦/٣) وقال: إسناده حسن.

(٣) فتح القدير: (١١٤/٤).

(٤) جامع بن شداد أبو صخرة المحاربي، كوفي يروى عن طارق المحاربي وهو شيخ عال ثقة، روى عنه الأعمش وسفيان بن سعيد، كان شيخا عاقلا ثقة ثبتاً، روى عنه أهل الكوفة، مات (١٢٧).الثقات لابن حبان: (١٠٧/٤). معرفة الثقات: (٢٦٥/١).

(٥) الدر المنثور: (٢٦٥/٤) ، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم والبيهقي وابن عساكر.

(٦) طاوس بن كيسان، أبو عبد الرحمن الهمداني اليماني الخولاني، حنظلة. أحد الأعلام. مات طاوس قبل مجاهد بسنتين أخرج له الستة، [ت: ١٠١ – ١١٠ هـ] . تاريخ الإسلام: (٣/ ٦٥)، التاريخ الكبير: (٤/ ٣٦٥)، تقريب التهذيب: (٢٨١/١).

(٧) العجز هو: مؤخر الشيء (يذكر ويؤنث) وجمعها أعجاز. المعجم الوسيط: (٥٨٥/٢)، لسان العرب: (٣٦٩/٥).

(٨) الدر المنثور: (٢٦٥/٤) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا وابن عساكر. وابن ابي حاتم: (٨٦٩٤/١٥١٧/٥). انظر: مصنف ابن أبي شيبة: (١٦٨١٢/٥٣٠/٣).

وروى السيوطي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. أنه قال على المنبر: سلوني فقال ابن الكواء(١): تؤتى النساء في أعجازهن؟ فقال علي: سفلت سفل الله بك، ألم تسمع إلى قوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠](٢).

ثالثاً: استغناء كل جنس بنظيره:

فيستغني الرجال بالرجال، ويستغني النساء بالنساء، أخرج السيوطي بسنده عن حذيفة قال: إنما حق القول على قوم لوط حين استغنى النساء بالنساء والرجال بالرجال(٣).

وروى عن أبي حمزة(٤) قال: قلت لمحمد بن علي(٥): عذب الله نساء قوم لوط بعمل رجالهم؟ قال: الله أعدل من ذلك، استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء(٦).

أسماء الفاحشة التي كانت في قوم لوط عليه السلام، واشتهروا بها، كما جاء في القرآن الكريم:

سميت الفاحشة التي كانت في قوم لوط عليه السلام بمسميات:

الفاحشة: قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠].

---

(١) عبد الله بن الكواء، من رؤوس الخوارج، قال البخاري: لم يصح حديثه، وقال الذهبي: له أخبار كثيرة مع علي وكان يلزمه ويعنته في الأسئلة وقد رجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي، ويعرف بصالح الحنفي، شيعي نسابة مات: ٨٠ هـ، لسان الميزان: (٤/ ٥٤٩/٤٣٨٥) طبقات النسابين: ص٣.

(٢) الدر المنثور: (٤/٢٦٥)، وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في السنن الكبرى: (٧/١٩٨-١٣٩٠٥)، وأخرجه ابن أبي شيبة: (٤/٢٥٣).

(٣) الدر المنثور: (٤/٢٦٥)، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ والبيهقي وابن عساكر عنه، البيهقي في شعب الايمان: (٤/٣٧٥-٥٤٦٠)، وإسناده صحيح، قال المناوي في فيض القدير: أخرجه ابن عساكر في تاريخه عن الحسن البصري مرسلا: (٤/٤١٨).

(٤) ثابت بن أبي صفية الثمالي، أبو حمزة واسم أبيه دينار وقيل سعيد، كوفي ضعيف رافضي من الخامسة، من رجال الحديث الثقات عند الامامية، وروى عنه بعض أهل السنة. كان الرضا (علي بن موسى) يقول: هو لقمان زمانه. له كتاب في تفسير القرآن وكتاب الزهد وكتاب النوادر، توفي: ١٥٠هـ. تقريب التهذيب: ص١٨٥، الروايات التفسيرية في فتح الباري، الأعلام للزركلي: (٢/٩٧).

(٥) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المدني، أبو جعفر، سمع: جابر بن عبد الله، وأباه علي بن الحسين. روى عنه: عمرو بن دينار ، وابنه جعفر بن محمد ، كناه الحكم بن عيينة وسماه. فتح الباب في الكنى والألقاب: ص٨٠.

(٦) الدر المنثور: (٤/٢٦٥)، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا والبيهقي وابن عساكر، والبيهقي في شعب الايمان: (٤/٣٦٧-٥٤٦٤)، تاريخ مدينة دمشق: (٥٠/٣٢٠).

السيئات: قال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ٧٨].

الخبائث: قال تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ﴾ [الأنبياء: ٧٤] .

الفساد: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

الإجرام: قال تعالى: ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٤].

ما ورد في إثبات وجود الفاحشة في قوم لوط واتصافهم بها:

ذكر الله تعالى الفاحشة التي اشتهر بها قوم لوط عليه السلام في آيات متعددة ، مما يدل على مدى عظمها وخطورتها، وأنها منكر عظيم، وفعلها يغضب الله تعالى ويترتب عليه الوعيد في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٠ – ٨١].

وللآية شواهد من كتاب الله تعالى: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥ – ١٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ۝ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ [النمل: ٥٤ – ٥٥].

بيان اتصاف قوم لوط عليه السلام بالفاحشة:

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٠ – ٨١].

روى السيوطي عن ابن عباس قال: "أرسل لوط إلى المؤتفكات، وكانت قرى لوط أربع مدائن: سدوم، وأمورا، وعامورا، وصبوير. وكان في كل قرية مائة ألف مقاتل، وكانت أعظم مدائنهم سدوم، وكان لوط يسكنها، وهي من بلاد الشام ومن فلسطين مسيرة وليلة، وكان إبراهيم خليل الرحمن عم لوط بن هاران بن تارح، وكان إبراهيم ينصح قوم لوط، وكان الله قد أمهل قوم لوط فخرقوا حجاب الإسلام، وانتهكوا المحارم، وأتوا الفاحشة الكبرى، فكان إبراهيم يركب على حماره حتى يأتي مدائن قوم لوط فينصحهم فيأبون أن يقبلوا، فكان بعد ذلك يجيء على حماره فينظر إلى سدوم. فيقول: يا سدوم أي يوم لك من الله سدوم، إنما أنهاكم أن لا تتعرضوا لعقوبة الله، حتى بلغ الكتاب أجله، فبعث الله جبريل في نفر من الملائكة فهبطوا في صورة الرجال حتى انتهوا إلى إبراهيم وهو في زرع له يثير الأرض، فلما بلغ الماء إلى سكته من الأرض ركز مساحته في الأرض فصلى خلفها

ركعتين، فنظرت الملائكة إلى إبراهيم فقالوا: لو كان الله يبتغي أن يتخذ خليلا لاتخذ هذا العبد خليلا، ولا يعلمون أن الله قد اتخذه خليلاً"[١].

ففي هذا الأثر المروي عن ابن عباس يظهر أن سيدنا لوط عليه السلام بعث إلى قرى سدوم ودعاهم إلى الله تعالى، وكذلك كان سيدنا إبراهيم عليه السلام ينصح قوم لوط عليه السلام ويدعوهم إلى الحق ، وقد جاء في الأثر أهم كانوا ينتهكون الحرمات ويقترفون الفواحش لكن لم يظهر نوع الفاحشة أو ما هي الفاحشة الكبرى التي كان عليها قوم لوط حيث أن الفواحش في قوم لوط عليه السلام متعددة ، ومن المتبادر إلى الذهن عند ذكر فاحشة قوم لوط ينصرف الذهن إلى فاحشة اللواط ومناكحة الرجال، دل على ذلك ما رواه السيوطي عن ابن عباس في قوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ قال: "أدبار الرجال"[٢]، فهذه الرواية وغيرها توضح معنى الفاحشة، فيكون معنى الفاحشة الكبرى التي كان عليها قوم لوط عليه السلام هي مناكحة الرجال أو إتيان أدبار الرجال.

وروى ابن جرير رحمه الله بسنده عن عمرو بن دينار ما يؤيد هذا المعنى كما في قوله: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: "ما رُئي ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط"[٣].

وروى السيوطي عن عمرو بن دينار في معنى الآية قال: "ما نزا[٤] ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط"[٥].

وقد ورد هذا الأثر بألفاظ متعددة مثل: ما نزا ذكر على ذكر، وما رئي، و لم ينز، وما كان يزني، وما يراد، ومازنا، وما نزلوا، وما يرى، وما نزل، و لم ينزل ذكر على ذكر، وإن تعددت الروايات لكن المعنى واحد وهو: وطء أو وثب وتسرع.

معنى الآية: قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠ – ٨١]، بين الله تعالى في هذه الآيات توبيخ سيدنا لوط

---

(١) الدر المنثور: (٢٦٥/٤)، وعزاه إلى اسحق بن بشر وابن عساكر. والالوسي في روح المعاني: (٢٤٧/٦).

(٢) سبق تخريجه: ص١١٨.

(٣) جامع البيان: (٢٤٣/٨)، ورواه ابن ابي حاتم في تفسيره: (١٥١٧/٥)، والبغوي في معالم التتريل: (٥٠٥/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٢٢٧/٣). وابن ابي حيان في البحر المحيط وقال: وفي تسمية هذا الفعل بالفاحشة دليل على أنه يجري مجرى الزنا، يرجم من أحصن ويجلد من لم يحصن: (٣٣٦/٤).

(٤) نزا ينزو نزوا ونزوانا، ونزا الذكر على الانثى نزاء بالكسر، والتنزي: التوثب والتسرع، ونزأ الشيطانُ بينهم أَلْقَى الشَّرَّ والإِغْراءَ: الصحاح للجوهري: (٢٥٠٧/٦)، لسان العرب: (١٦٦/١).

(٥) الدر المنثور: (٢٦٥/٤) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي وابن عساكر، رواه ابن أبي حاتم: (١٥١٧/٥)، والبيهقي في شعب الايمان: (٣٥٩/٤-٥٤٠٠)، والآجري في ذم اللواط: ص١، وذكره ابن القيم في روضة المحبين: (١/ ٣٥٦). ورواه الدارمي في سننه عن عمرو بن دينار: (٢٧٦/١) وقال فيه حسين سليم أسد: إسناده صحيح، ومسند الصحابة في الكتب التسعة: (١٤١/٥٢).

لقومه وتأنيبه لهم على فعلتهم المستنكرة والمستقبحة عقلاً وفطرة والتي لم تعهدها البشرية على مر العصور حتى استحدثها قوم لوط وتمادوا فيها، ألا وهو استحسانهم لإدبار الرجال وإيقاعهم الفاحشة بهم، ومن ثم عزوفهم عما هو موافق للفطر والعقول وما أحله الله تعالى وهو إتيان النساء، فجعلوا الحرام حلالاً وما أباح الله تعالى لهم من فروج النساء انصرفوا عنه ورغبوا عنه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى مبيناً سبب عزوفهم عن الحلال إلى الحرام: "إن الحامل لهم عليه ليس إلا مجرد الشهوة، لا الحاجة التي لأجلها مال الذكر إلى الأنثى من قضاء الوطر ولذة الاستمتاع وحصول المودة والرحمة، وحصول النسل الذي هو حفظ هذا النوع الذي هو أشرف المخلوقات، وتحصين المرأة وقضاء للوطر وحصول علاقة المصاهرة التي هي أخت النسب، وقيام الرجال على النساء، وخروج أحب الخلق إلى الله من جماعهن كالأنبياء والأولياء والمؤمنين، ومكاثرة النبي ﷺ الأنبياء بأمته"(١).

ومما يدل أيضاً على وجود الفاحشة في قوم لوط قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ [هود: ٧٨]

ما ورد من الآثار في معنى الآية:

روى ابن جرير رحمه الله عن مجاهد، في قول الله: ﴿يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ قال: "يهرولون، وهو الإسراع في المشي"(٢). وروى بسنده عن الضحاك في معنى الآية قال: "يسعون إليه"(٣).

وروى عن قتادة: قال: "فأتوه يهرعون إليه، يقول: سراعًا إليه". وفي رواية أخرى قال: "يسرعون المشي إليه"، وروى بسنده عن مجاهد قال: يهرولون في المشي، وروى عن سفيان بن عيينة قال: كأنهم يدفعون، وروى بسنده عن شمر بن عطية قال: أقبلوا يسرعون مشيًا بين الهرولة والجمز(٤). وروى بسنده عن ابن عباس يقول: مسرعين(٥).

فهذه الآثار تصور حال قوم لوط عليه السلام حينما عرفوا بقدوم الأضياف في صورة شبان حسان، ومعلوم أن قصدهم هو الإساءة إليهم والتعدي عليهم دون أي اعتبار لحق الضيف، ودون أي اعتبار لموقف النبي لوط عليه السلام أمام أضيافه وما يلحقه من الخزي والندامة أمام أضيافه الكرام إن هم مسوهم بسوء أو مضرة.

---

(١) الجواب الكافي لابن القيم: ص١٢٠.

(٢) جامع البيان: (٤٣٨٤/٦)، البغوي في معالم التنزيل: (٢٢٩/٣).

(٣) جامع البيان: (٤٣٨٤/٦)، ابن ابي حاتم في تفسيره: (٢٠٦١/٦).

(٤) الجمز: الاسراع، أي: أسرع هاربا من القتل. يقال: جمز يجمز جمزا . النهاية في غريب الحديث والأثر: (١/ ٢٩٤).

(٥) جامع البيان: (٤٣٨٤/٦)، ذكره ابن أبي حاتم: (٢٠٦٢/٦)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢٢٩/٣)، واسناده حسن ذكره في الصحيح المسبور٣/٦٣. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (٤٠١/٢٧) ، النحاس في معاني القرآن: (٣٦٧/٣).

ومعنى يهرعون إليه أي: يستحثون، ويقال: يهرعون يسرعون[١]. وقال الرازي: "يهرعون: يسرعون، وبين تعالى أن إسراعهم ربما كان لطلب العمل الخبيث بقوله: ﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ٧٨]"[٢]. قال الخليل: هرع الرجل: مشى أو عدا في اضطراب وسرعة، وقال أهل اللغة: هرع الإنسان هرعا وأهرع: سيق وأعجل[٣].

ما ورد من الآثار في قوله: ﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ .

روى ابن جرير بسنده عن ابن جريج، قال: "يأتون الرجال"[٤]، وفي معنى "من قبل": أورد المفسرون قولان:

الأول: من قبل مجيئهم إلى النبي لوط، قال البغوي وغيره في معنى الآية: "من قبل مجيئهم إلى لوط كانوا يأتون الرجال في أدبارهم"[٥].

الثاني: من قبل بعثة لوط رسولاً إليهم، ذكره الألوسي[٦]. والقول الأول هو الأرجح، اختاره ابن جرير[٧].

لقد كان قوم لوط عليه السلام متجرؤون على فعل الفواحش، وصورت الآية شدة تعلقهم بهذا الأمر، ورغبتهم القوية فيه.

أما قبح فاحشة قوم لوط واستنكارها في النفوس السليمة فإنه يرجع إلى أمور:

الأول: أن أكثر الناس يحترزون عن حصول الولد، لأن حصوله يحمل الإنسان على طلب المال وإتعاب النفس في الكسب، إلا أنه تعالى جعل الوقاع سبباً لحصول اللذة العظيمة، حتى أن الإنسان بطلب تلك اللذة يقدم على الوقاع، وحينئذ يحصل الولد شاء أم أبى، وبهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع الإنساني الذي هو أشرف الأنواع. وهذا من حكمة الله تعالى في زواج الرجل بالمرأة.

الثاني: أن الذكورة مظنة الفعل، والأنوثة مظنة الانفعال، فإذا صار الذكر منفعلاً، والأنثى فاعلاً، كان ذلك على خلاف مقتضى الطبيعة، وعلى عكس الحكمة الإلهية، وهذا هو العدوان الذي قال عنه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ

---

(١) التبيان في تفسير غريب القرآن، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، الناشر: دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، تحقيق: د.فتحي أنور الدابولي: ص٢٣٧.

(٢) التفسير الكبير: (٢٧/١٨).

(٣) العين: (١٠٥/١)، الأفعال: (٣٣٩/٣).

(٤) جامع البيان: (٤٣٨٥/٦)، ذكره البغوي في معالم التنزيل: (٢٢٩/٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس: (٤٥٦/٤)، وعزاه الشوكاني لابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عنه (٤٧٢/٣).

(٥) تفسير البغوي: (٣٩٥/٢)، اللباب في علوم الكتاب: (٥٣٢/١٠)، معالم التنزيل للبغوي: (٨٤/٤).

(٦) روح المعاني: (١٠٥/١٢).

(٧) جامع البيان: (٤٣٨٥/٦).

لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ – ٧].

الثالث: الاشتغال بمحض الشهوة تشبه بالبهيمة، وإذا كان الاشتغال بالشهوة يفيد فائدة أخرى سوى قضاء الشهوة، فليكن قضاء الشهوة من المرأة يفيد فائدة أخرى سوى قضاء الشهوة، وهو حصول الولد وإبقاء النوع الإنساني. أما قضاء الشهوة من الذكر فإنه لا يفيد إلا مجرد قضاء الشهوة، فكان ذلك تشبهاً بالبهائم، وخروجاً عن الغريزة الإنسانية، فكان في غاية القبح.

الرابع: لو قيل أن الفاعل يلتذ بذلك العمل، إلا أنه يبقى في إيجاب العار العظيم، والعيب الكامل بالمفعول به على وجه لا يزول ذلك العيب عنه أبد الدهر، والعاقل لا يرضى لأجل لذة خسيسة منقضية في الحال، إيجاب العيب الدائم الباقي بالغير ، فيفضل اللذة العابرة على العار العظيم الدائم.

الخامس: أنه عمل يوجب استحكام العداوة بين الفاعل والمفعول، وربما يؤدي ذلك إلى إقدام المفعول على قتل الفاعل لأجل أنه ينفر طبعه عند رؤيته، أو على إيجاب إنكائه بكل طريق يقدر عليه. أما حصول هذا العمل بين الرجل والمرأة، فإنه يوجب استحكام الألفة والمودة وحصول المصالح الكبيرة[1]. كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]. والله تعالى خلق بين الزوجين المودة والرحمة وجعل سببها الاتصال المباح؛ فإن أصحاب العقول السليمة والطباع القويمة لا يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، ولا يلجئون إلى المستنكر المستقبح شرعاً وفطرة وعقلا ويتركون المستحسن وشرعاً عقلا وفطرة إلا إذا كان باعثهم الأول والأخير هو قضاء الشهوة البهيمية فقط، وليس من أجل حفظ النسل وبقاء النوع وعمارة الأرض كما أمر الله سبحانه وتعالى.[2]

وفي هذا يقول ابن القيم: "اللوطية عكسوا فطرة الله التي فطر عليها الرجال، وقلبوا الطبيعة التي ركبها الله في الذكور وهي شهوة النساء دون الذكور، فقلبوا الأمر وعكسوا الفطرة والطبيعة، فاتوا الرجال شهوة من دون النساء"[3].

وقد تكرر التوبيخ من سيدنا لوط لهم في آية أخرى قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٨]. مما يدل على بشاعة فعلهم، وحينما قال لهم سيدنا لوط عليه السلام: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ فسر معنى الفاحشة بقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ﴾ . فمعنى

(١) ذكرها الرازي في التفسير الكبير: (١٤/١٣٧-١٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير: (٣/ ٤٤٥)، تفسير الالوسي: (٦/٢٤٩)، تفسير البغوي: (٣/٢٥٥).

(٣) الجواب الكافي: ص١٢٠.

الفاحشة هنا هي أن أدبار الرجال المحرمة أشهى عندهم وأفضل من فروج النساء المباحة، وهذا أمر لم يكن موجوداً حتى استحدثه قوم لوط وعرفوا به واشتهر بينهم دون غيرهم من الأمم؛ لذلك قال: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي لم تكن معروفة أبداً في بني البشر حتى استحدثها قوم لوط؛ قال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي: "لولا أن الله عز وجل قص علينا خبر لوط، ما ظننت أن ذكرًا يعلو ذكرًا"(١)، وقال عمرو بن دينار: «ما نزا ذكر على ذكر في الدُّنيا حتى كان قوم لوط» (٢).

ومن المفسرين من فسَّرَ أن معنى الفاحشة هي استغناء الرجال بالرجال واستغناء النساء بالنساء(٣)، وقيل: هي إتيانهم النساء في أدبارهم، وجميع الأقوال في معنى الفاحشة متقاربة وتدل على أمر مستقبح مرفوض عقلاً وشرعاً تمجه الفطر السليمة.

اتصاف قوم لوط بالإسراف:

قال تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١] .

معنى الآيات: في الآية توبيخ من الله تعالى وتقريع لقوم لوط الذين أسرفوا وتجاوزوا حدود الله تعالى بإتيانهم الذكران من دون النساء، وفعلهم ما لم يكن معروفاً عند العالمين وتجاوزهم الحلال إلى الحرام(٤).

والسرف: هو الفساد وهو مجاوزة الحد في كل فعل يفعله الإنسان ويكون بذلك مخالفة الحق(٥).

والمسرف محروم من هداية الله تعالى إذا لم يرجع إلى الصواب قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، وقد بين تعالى جزاء المسرفين يوم القيامة: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤٣].

وقد ذكر الأصفهاني في سبب وصف قوم لوط عليه السلام بالمسرفين لأنهم: تعدوا في وضع البذر في الحرث المخصوص له المعني بقوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣](٦). وقال الشوكاني: "متجاوزين في فعلكم هذا للنساء اللاتي هن محل لقضاء الشهوة وموضع لطلب اللذة، ثم أضرب عن الإنكار المتقدم إلى الإخبار بما هم عليه من

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣/٤٤٥).
(٢) اللباب في علوم الكتاب: (٩/٢٠٤)، المحرر الوجيز: (٣/٦٦)، تفسير ابن كثير: (٣/٤٤٥)، البحر المحيط: (٤/٣٣٦).
(٣) تفسير ابن كثير: (٣/٤٤٥).
(٤) اللباب في علوم الكتاب: (٧/٤٢٠)، تفسير ابن كثير: (٣/٤٤٥).
(٥) مفردات اللغة للأصفهاني: (١/٤٧٣).
(٦) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

الإسراف الذي تسبب عنه إتيان هذه الفاحشة الفظيعة"(١)، و لم يذكر تعالى عن أهل الزنا أنهم مسرفين بل هو وصف اختص بمن يفعل فاحشة اللواط مما يدل على أنها جامعة لأنواع القبائح ولبشاعتها وقبحها.

وقد سمى الله تعالى الزنا فاحشة فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقال السعدي: "إنما يستفحش في الشرع والعقل والفطر، لتضمنه التجزيء على الحرمة في حق الله، وحق المرأة، وحق أهلها، أو زوجها، وإفساد الفراش، واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفاسد"(٢)، وفي اللواط قال تعالى: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨].

اختلف العلماء في الزنا واللواط أيهما أعظم وأشد ضرراً على قولين:

القول الأول: أن الزنا أعظم من اللواط، قاله الإمام الغزالي في علة تحريم الزنا واللواط ومؤيداً أن الزنا أعظم من اللواط في القبح والضرر والمفاسد: لأنه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات انقطع النسل، ودفع الموجود قريب من قطع الوجود، وأما الزنا فإنه لا يفوت أصل الوجود ولكن يشوش الأنساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الأمور التي لا ينتظم العيش إلا بها؛ وينبغي أن يكون أشد من اللواط؛ لأن الشهوة داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم أثر الضرر بكثرته(٣).

القول الثاني: أن حد اللواط أغلظ من حد الزنا، بدليل قول مالك وآخرين(٤) برجم اللوطي ولو غير محصن بخلاف الزاني، ذكر ذلك الألوسي ثم قال: "وقد يجاب بأن المفضول قد يكون فيه مزية وفيه ما فيه"(٥)، ونقل ابن القيم عن بعض السلف قوله: "إذا ركب الذكر عجت الأرض إلى الله وهربت الملائكة إلى ربها وشكت إليه من عظم ما رأت"(٦). وقال الإمام الذهبي رحمه الله: "أجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التي حرم الله تعالى"(٧). ومناحكة الذكران من الكبائر، ولاشك أن الفاحشة جاءت بصيغة النكرة في الزنا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، ومعرفة في اللواط: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ لأنها جامعة لجميع معاني الفحشاء التي تنفر منها

(١) فتح القدير: (٢/٢٢٢).
(٢) تفسير السعدي: (١/٤٥٧)، التفسير الكبير: (٢٠/١٥٨).
(٣) إحياء علوم الدين: (٢/٢٠).
(٤) ذكر الالوسي تصريح الأئمة بأن حرمة اللواطة أشد من حرمة الزنا، روح المعاني: (٨/١٧٤).
(٥) روح المعاني: (١٥/٦٨).
(٦) الجواب الكافي: ص٧٤.
(٧) الكبائر للذهبي: ص٥٥.

النفوس وتشمئز منها القلوب، فقد استقر في علم كل أحد أنها مرفوضة ومنكرة ومستقبحة ومع ذلك أحبها قوم لوط، وفي لفظ الزنا جاء نكرة لأنه فاحشة من الفواحش.

وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى مرجحاً عقوبة اللواط أعظم من عقوبة الزنا: "والصحيح أن عقوبته أغلظ من عقوبة الزاني لإجماع الصحابة على ذلك ولغلظ حرمته وانتشار فساده ولأن الله سبحانه وتعالى لم يعاقب أمة ما عاقب اللوطية"[(١)(٢)].

اتصاف قوم لوط عليه السلام بأنهم "عادون":

قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥ – ١٦٦]

روى الطبري في تفسيره بسنده عن مجاهد قال: "تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال وأدبار النساء"[(٣)].

وروى أيضا بسنده في تفسيره عن ابن جريج قال: "قوم معتدون"[(٤)].

وروى السيوطي عن مجاهد قال: "ما أصلح لكم، يعني القبل"[(٥)]. وروى السيوطي عن عكرمة يقول: "ترك أقبال النساء إلى أدبار الرجال"[(٦)]، وروى أيضاً بسنده عن ابن جريج في قوله: "عادون"، قال: "متعدون"[(٧)].

معنى الآية:

في هذه الآية الكريمة توبيخ وإنكار من سيدنا لوط لقومه على أمرين:

الأول: إتيانهم الذكران.

الثاني: ترك ما أباح الله لهم من النساء، وهم في كلا الحالتين قوم عادون كما جاء وصفهم القرآن الكريم.

وفي قوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ عدة معاني: [(٨)]

القول الأول: قوم تتجاوزون ما أباح لهم ربهم، وأحله لهم من الفروج إلى ما حرّم عليهم منها.

---

(١) روضة المحبين: ص٣٦٤-٣٦٥.

(٢) ذكر هذا الاختلاف الالوسي في تفسيره: (٦٧/١).

(٣) جامع البيان: (٦٢٣٣/٨)، وابن ابي حاتم في تفسيره: (٢٨٠٨/٩)، معالم التنزيل: (٢٧٣/٤)، زاد المسير: (١٤٠/٦)، وعزاه السيوطي في تفسيره إلى الفريابي وابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد، الدر المنثور: (٣٧١/٦) وذكره الشوكاني في فتح القدير: (١٦٥/٤).

(٤) جامع البيان: (٦٢٣٤/٨)، معالم التنزيل: (٢٧٣/٤).

(٥) الدر المنثور: (٣١٧/٦)، وعزا ه إلى ابن أبي حاتم عنه ٢٨٠٨/٩.

(٦) الدر المنثور: (٣١٧/٦) وعزا ه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) الدر المنثور: (٣١٧/٦) وعزاه إلى ابن المنذر.

(٨) روح المعاني: (١١٥/١٩-١١٦).

القول الثاني: قوم متعدون متجاوزون الحد في جميع المعاصي، وهذا من جملتها أو متجاوزون عن حد الشهوة حيث زدتم على سائر الناس بل أكثر الحيوانات.

القول الثالث: متجاوزون الحد في الظلم، حيث ظلمتم بإتيان ما لم يخلق للإتيان وترك إتيان ما خلق له.

فهم تجاوزوا الحد وأسرفوا، لأنهم تركوا المباح إلى ما حرم الله تعالى فكان هذا هو التجاوز والاعتداء على أنفسهم باكتسابهم الذنوب والجناية على أنفسهم واستحقاقهم الوعيد الدنيوي والأخروي، وأيضاً الاعتداء على غيرهم بفعل الأمر المستقبح.

معنى: "العالمين" في الآية يحتمل ثلاثة معاني[1]:

المعنى الأول: أنَّ قوم لوط أصبحوا متصفين بإتيان الذكور من جملة العالمين وأصبحوا مخصوصين بها.

والمعنى الثاني: أنَّ قوم لوط اختاروا إتيان الذكران من دون العالمين أي من دون الإناث منهم.

المعنى الثالث: قد يراد به أهل الزمان الواحد إما من الإنس أو من الجن.

وقد وبخ النبي لوط عليه السلام قومه على تركهم ما أباح الله لهم من أزواجهم، وتعديهم إلى غيرهم، فهذا أمر يستوجب الملام والتقريع، وفي مقابل تفضيلهم لإتيان الذكور يكون منهم التعفف عما أباح لهم من أقبال النساء، فلهذا صح اتصافهم بالعادون، وهم معتدين من الحلال إلى الحرام[2].

ومما جاء في وعظ النبي لوط عليه السلام لقومه، قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٤ – ٥٥].

ما ورد من الآثار في اتصاف قوم لوط عليه السلام بالفواحش والمنكرات:

روى ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال: "أتأتون الفاحشة يعني الأدبار"[3]، و عن مجاهد أيضاً قال: "إنما تعلم قوم لوط اللوطية من قِبَلِ نسائهم"[4]، وفي هذه الآية أيضا يوبخ سيدنا لوط قومه على فعلتهم الشنيعة، وفيها التصريح بالفاحشة التي اشتهروا بها: فاحشة اللواط، كما صرح بذلك القرآن الكريم: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: ٥٤]، وقال الشوكاني في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ "شهوة فيه تكرير للتوبيخ، مع التصريح بأنَّ تلك الفاحشة هي اللواطة"[5].

---

(١) تفسير الرازي: (١١/٤٩٨).

(٢) تفسير الرازي: (١١/٤٩٨)، فتح القدير: (٥/٢٣٦)، تفسير الالوسي: (١٤/٣٢٥)، تفسير السمرقندي: (٣/٢٧٣).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: (٩/٢٩٠٤).

(٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٥) فتح القدير: (٤/١٤٥).

وقد ذكر المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ عدة معاني:

الأول: أنهم لا يتكاتمون الفاحشة، ولا يستترون عن رؤية بعضهم بعضاً وهم يفعلون الفاحشة جهاراً لا يخفى من أمرهم شيء.

الثاني: أنهم يبصرون بقلوبهم عِظَمَ الفاحشة، ويعلمون أنها فاحشة عظيمة. وإلى هذا المعنى مال جمع من المفسرين:

قال ابن جرير: "وأنتم تبصرون أنها فاحشة لعلمكم بأنه لم يسبقكم إلى ما تفعلون من ذلك أحد"(١)، وقال البيضاوي: "تعلمون فحشها من بصر القلب"(٢). وذكر الشوكاني: "تبصرون من بصر القلب وهو العلم، أو بمعنى النظر؛ لأنهم كانوا لا يستترون حال فعل الفاحشة"(٣). وذكر الزمخشري جميع المعاني ثم قال: "وفيه دليل على أنَّ القبيح من الله أقبح منه من عباده؛ لأنه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين"(٤). فكأن معنى الإبصار في الآية يقصد به علم البصيرة الذي يرى الإنسان فيه بقلبه وبصيرته وليس ببصره، وهو أبلغ في المعرفة والاتعاظ والتدبر، فكأن المعنى أن قوم لوط عليه السلام قد استقر في أفهامهم ورسخ في قلبهم وعرفوا ببصيرتهم قبح الفاحشة ونكارتها ومع ذلك اقترفوها وتمادوا فيها، والحجة عليهم أقوى لأنهم يعلمون بعقولهم ويدركون بقلوبهم، يقول أبو حيان الأندلسي: "والعلم بقبح الشيء مع إتيانه أعظم في الذنب"(٥). لكنهم مع ذلك ماضين في سبيل الغي والضلال. إذ أن قلوبهم التي يبصرون بها الحق والباطل تخلت عن قدرتها على الفهم والإبصار وكذلك سائر حواسهم تعطلت عما خلقت لها، فكانوا أجساداً بلا معنى وبلا عقول ، أو توجد العقول لكن تعطلت وظيفتها وتدمرت أهميتها لكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

الثالث: أنهم يبصرون آثار العصاة من قبلهم وما حل بهم من الهلاك(٦)، ومع علمهم بأحوال العصاة والفساق من قبلهم فلماذا لم يكن منهم الاتعاظ والتدبر، وقد رحمهم الله تعالى بأن بصَّرهم بآثار ما حل على من قبلهم، وهم لم يرحموا أنفسهم بالاتعاظ بغيرهم والعبرة بمن غبر من الأمم.

(١) تفسير الطبري: (١٧٥/١٩).
(٢) تفسير البيضاوي: (٢٧٢/٤).
(٣) فتح القدير: (١٤٥/٤).
(٤) الكشاف: (٣٧٨/٣).
(٥) تفسير البحر المحيط: (٨٣/٧).
(٦) انظر تفسير الطبري: (٤٨١/١٩)، تفسير الرازي: (٣٨/١٢)، تفسير الالوسي: (١/١٥)، تفسير الماوردي: (٢٥٣/٣)، الكشاف: (٣٧٨/٣).

معنى الشهوة لغة: قال الجرجاني: "الشهوة حركة للنفس طلباً للملائم"(١). وتعرف بأنها القوة النفسانية الراغبة فيما يشتهى وما يشتهى من الملذات المادية وجمعها شهوات وأشهية وشهى(٢). قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

قال البيضاوي في الآية: "بيان لإتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر"(٣).

والمعنى أن قوم لوط عليه السلام ما أعرضوا عن المباح الطيب إلى المحرم الخبيث وهو مناكحة الذكران إلا بدافع الشهوة التي تحركت في نفوسهم، فدفعتهم نحو الفعل دون تردد ودون تبصر، و لم يكن لهم دافع غير هذه الشهوة(٤).

موقف سيدنا لوط من فعل قومه للفاحشة كما قال تعالى: ﴿إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨]

ذكر الأصفهاني في معنى القلى قال: هو شدة البغض. يقال: قلاه يقليه ويقلوه، قال تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ (٥).

معنى الآيات: من الطبيعي جداً أن يكون موقف النبي لوط عليه السلام من قومه، هو موقف المعارض المنكر المبغض لفعلهم المشين فإن سيدنا لوط عليه السلام عندما رأى من قومه الإعراض والانصراف عن الحق وعدم قبولهم لما جاءهم به نبيهم عليه الصلاة والسلام أعلن البراءة من فعلهم وشدة بغضه ونفوره منهم فقال عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ فهو مبغض لما كانوا عليه من الفاحشة متبرئ من فعلهم(٦)، فقد يكون المقصود من عملهم إتيان الذكران، وقد يقصد جميع المعاصي والفجور وسائر ما نهاهم عنه وأمرهم بضده من الأعمال القلبية والقالبية(٧).

---

(١) التعريفات: ص ١٧٠.
(٢) المعجم الوسيط: (٤٩٨/١)، مختار الصحاح للرازي: ص ٣٥٤.
(٣) تفسير البيضاوي: (٢٧٢/٤).
(٤) جامع البيان: (١٧٥/١٩)، فتح القدير: (١٤٥/٤).
(٥) مفردات ألفاظ القرآن: (٢٦٠/٢)، فتح القدير: (٣٢٦/٥)، روح المعاني: (١١٦/١٩)، اللباب في علوم الكتاب: (٢٦٤/١٢).
(٦) تفسير ابن كثير: (١٨٥/٦).
(٧) تفسير الالوسي: (٣٢٧/١٤).

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في معنى الآية أي: "من المبغضين، المنكرين فعله"(١). وقد ذكر الإمام الرازي أن قوله: "﴿مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾أبلغ من أن يقول إني لعملكم قالٍ، كما يقال: فلان من العلماء فهو أبلغ من قولك فلان عالم"(٢).

وبغض سيدنا لوط لما كان عليه قومه إن دل على شيء فإنما يدل على غضبه لفعلهم وإنكاره الشديد عليهم ويدل على غيرته على انتهاك حرمات الله تعالى، وأنبياء الله تعالى أولى الناس بأن يحبوا ما يحبه الله تعالى، ويبغضوا ما يبغضه الله تعالى، فدافع بغض سيدنا لوط عليه السلام لفعل قومه هو قوة الغضب من فعلهم وقوة الغيرة على حرمات الله تعالى أن تنتهك،

وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "القلي أشد البغض، فالله سبحانه يبغض ذلك وهو سبحانه يبغض كل ما نهي عنه، كما أنه يحب كل ما أمر به، بل الغيرة مستلزمة لقوة البغض إذ كل من يغار يبغض ما غار منه، وليس كل من يبغض شيئاً يغار منه فالغيرة أحض وأقوى"(٣).

ونبي الله لوط عليه السلام يحب ما يحبه ربه سبحانه ويبغض ما يبغضه ربه سبحانه ويغار على محارم الله تعالى كشأن سائر الأنبياء عليهم السلام وهذه غيرة المحبين لله تعالى.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "فغيرة المحب هي الموافقة لغيرة محبوبه، وهي أن يغار مما يغار منه المحبوب، وإذا كان المحبوب ممن يحبه وهذا يغار ممن يحبه الله فهو في الحقيقة ساع في خلاف مراد محبوبه وفي إعدام ما يحبه محبوبه، فأن هذا من الغيرة المحبوبة لله وإنما هذه غيرة من أخيه المسلم كيف خصه الله بعطائه وألبسه ثوب نعمائه فهي غيرة منه لا غيرة على الله فإن الله لا يغار عليه بل يغار له"(٤).

وقال رحمه الله تعالى في موضع آخر: "وغيرة العبد لربه نوعان: غيرة من نفسه، وغيرة من غيره، فالتي من نفسه أن لا يجعل شيئا من أعماله وأقواله وأحواله وأوقاته وأنفاسه لغير ربه، والتي من غيره أن يغضب لمحارمه إذا انتهكها المنتهكون ولحقوقه إذا تهاون بها المتهاونون"(٥).

وهذا ما كان من سيدنا لوط عليه السلام يغار لغيرة ربه، ويفرحه فرحه ويغضبه غضبه.

---

(١) تفسير الطبري: (٣٨٩/١٩)، تفسير البغوي: (١٢٦/٦)، تفسير القرطبي: (١٣٣/١٣)، معاني القرآن للنحاس: (٩٩/٥).

(٢) تفسير الرازي: (٣٤٤٣/١).

(٣) قاعدة في المحبة: ص ٢٠١، جامع الرسائل: (٣٨٧/٢).

(٤) طريق الهجرتين: ص ٤٦٣.

(٥) مدارج السالكين: (٤٤/٣).

قبح فاحشة اللواط:

يظهر لنا قبح وبشاعة وعظم فاحشة اللواط من عدة جوانب:

الأول: تكرر في آيات عديدة من القرآن توبيخ سيدنا لوط لقومه واستنكاره عليهم فعلهم وتقريعه لهم، بالفعل تارة، وبالقول تارة أخرى، متدرجاً معهم وناصحاً لهم ومشفقاً عليهم.

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]. وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٠ – ١٦٦].

ثانياً: وصف ما كان عليه قوم لوط عليه السلام و ما اشتهروا به من "إتيان الرجال" بالفاحشة وهي كل عمل أو قول محرم ومستقبح عقلاً وشرعاً، وكل ما تنفر من الطباع وتكرهه النفوس وتستقبحه الطبائع من الأقوال والأعمال فهو فاحشة، وفعل الفاحشة ترتب عليه التحريم كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ثالثاً: ارتباط قوم لوط في كتاب الله تعالى بأبشع الصفات وأقبحها كما قال تعالى عنهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]

وقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]، ووصفه بانعدام أهل الألباب والعقول السليمة من بينهم فقال: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]، وقال تعالى واصفاً طمس بصيرتهم التي هي سبب في طمس أبصرهم وعقولهم: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٦٦]، ووصفهم بالإسراف الذي هو مجاوزة الحد[١]: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]. ووصفه الله تعالى بالإجرام[٢] فقال تعالى: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]. ووصفهم الله تعالى بالفسق[٣]: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، وقال عنهم في بيان أعظم فواحشهم وهو إتيان الذكور: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ

---

(١) قال الجرجاني: الإسراف هو: إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس وتجاوز الحد في النفقة. ص٣٨.

(٢) الجرم هو: الذنب وفعله الإجرام والجرم: المذنب والجارم. كتاب العين: (١١٩/٦).

(٣) الفسوق: الخروج عن الدين، والميل إلى المعصية، فَسَقَ إبليسُ عن أمر ربه: جار ومال عن طاعته. المحكم والمحيط الأعظم: (٢٤٢/٦).

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، فوصفهم الله تعالى بالسفه والإسراف والعمه والجهل والفساد والفحش وقلة العقل والخبث والفسوق وطمس الأبصار.

ولاشك أن في الزنا واللواط ظلم للنفس والغير، فظلمه لنفسه بأن يوردها المهالك ويوجب على نفسه وعلى غيره استحقاق العذاب الدنيوي والأخروي، وظلمه لغيره بأن يحرم غيره من المباح الحلال، ومنفعة قضاء الوطر والمحافظة على النسل وغيرها من المنافع التي يفوتها على نفسه وعلى غيره بهذه الفاحشة العظيمة. قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فبذنب بعض الناس يظلم نفسه وغيره، كالزنا واللواط وغيره، أو شرب خمر أو ظلم في المال بخيانة أو سرقة أو غصب أو نحو ذلك. ومعلوم أن هذه المعاصي وإن كانت مستقبحة مذمومة في العقل والدين فهي مشتهاة أيضاً"(١).

وقد بين الله تعالى أن من يتعد حدود الله تعالى ويتجاوزها ويطغى يعتبر ظالماً لنفسه، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

رابعاً: ثبت إجماع العلماء على أن فاحشة "اللواط" من الكبائر، بل هي أشد قبحاً من الزنا(٢).

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "الكفر فساد القلب والروح الذي هو ملك الجسد والقتل إفساد للجسد الحامل له وإتلاف الموجود. وأما الزنا فهو فساد في صفة الوجود لا في أصله لكن هذا يختص بالزنا ومن هنا يتبين أن اللواط أعظم فسادا من الزنا(٣).

خامساً: استحقاق قوم لوط اللعن والإبعاد من رحمة الله تعالى في كثير من الآيات والأحاديث:

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: ٥٤]. فقد بين تعالى اتصافهم بالفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين. قال ابن القيم في معنى الفاحشة: "ما ظهر قبحها لكل أحد واستفحشه كل ذي عقل سليم؛ ولهذا فسرت بالزنا واللواط وسماها الله فاحشة؛ لتناهي قبحهما"(٤). وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط»(٥).

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ابن تيمية: ص٢٥-٢٦.

(٢) الجواب الكافي: (١٢٠/١)، روح المعاني: (١٥٦/٢٠). ساق الاجماع الذهبي في الكبائر: (٥٦/١).

(٣) مجموع الفتاوى: (٤٣١/١٥).

(٤) مدارج السالكين: (٣٧١/١).

(٥) سنن النسائي الكبرى: (٣٢٢/٤)، مسند ابن حنبل: (٣١٧/١)، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، المستدرك على الصحيحين: (٣٩٦/٤).

ماورد من الاحاديث في بيان استحقاق قوم لوط عليه السلام للعن والإبعاد عن رحمة الله تعالى:

روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «ملعون من سب أباه، ملعون من سب أمه، ملعون من ذبح لغير الله، ملعون من غير تخوم الأرض[١]، ملعون من كمه[٢] أعمى عن طريق، ملعون من وقع على بهيمة، ملعون من عمل بعمل قوم لوط»[٣].

وروى الحاكم في مستدركه من طريق أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لعن الله سبعة من خلقه، فرد رسول الله صلى الله عليه و سلم على كل واحد ثلاث مرات ثم قال: ملعون ملعون ملعون من عمل عمل قوم لوط، ملعون من جمع بين المرأة و ابنتها، ملعون من سب شيئاً من والديه، ملعون من أتى شيئاً من البهائم، ملعون من غير حدود الأرض، ملعون من ذبح لغير الله، ملعون من تولى غير مواليه»[٤].

وروى الحاكم أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من غير تخوم الأرض، لعن الله من كمه الأعمى عن السبيل، لعن الله من سب والديه، لعن الله من تولى غير مواليه، لعن الله من عمل عمل قوم لوط»[٥].

وروى الترمذي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[٦].

(١) تخوم الارض: معالمها وحدودها واحدها تخم. وقيل معناها: حدود الحرم خاصة. وقيل: هو عام في جميع الأرض. وأراد المعالم التي يهتدى بها في الطرق. وقيل: هو أن يَدْخل الرجل في ملك غيره فَيَقتطعه ظُلْما. النهاية في غريب الاثر: (٤٨٣/١).

(٢) الأكمه: الذي يولد أعمى. مختار الصحاح: (٢٤١/١).

(٣) رواه الامام احمد بن حنبل: (٣١١/٤)، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية: (٢٣٢/٩)، ورواه ابن حبان في صحيحه: (٢٦٥/١٠ – ٤٤١٧). والسيوطي في الفتح الكبير: (١٣٠/٣). قال الالباني في الجامع الصغير: صحيح، ص: ١٠٨٤.

(٤) المستدرك: (٣٩٦/٤ – ٨٠٥٣) وقال الذهبي في التلخيص: هارون بن هارون التيمي ضعفوه، وأخرجه السيوطي في الدر: (٤٩٩/٣)، وعزاه إلى الحاكم وصححه، والبيهقي في الشعب عنه، شعب الايمان: (٣٧٨/٤-٥٤٧٢). ورواه الطبراني في الاوسط: (٢٣٤/٨- ٨٤٩٧).

(٥) المستدرك: (٣٩٦/٤ -٨٠٥٣) وقال صحيح الاسناد، ووافقه الذهبي، ورواه أحمد في مسنده (٢٩٨/٦ -٢٧٦٥). ورواه البيهقي في شعب الايمان: (٣٥٤/٤ – ٥٣٧٣)، والنسائي في السنن: (٣٢٢/٤- ٧٣٣٧)، والالباني في السلسلة الصحيحة: (٥/١٠).

(٦) سنن الترمذي: (٥٧/٤- ١٤٥٦)، باب ما جاء في حد اللوطي، ورواه ابن ماجة في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (٨٥٦/٢-٢٥٦١)، باب من عمل عمل قوم لوط عليه السلام. ورواه أحمد في مسنده: (٣٠٠/١ -٢٧٣٢)، والحاكم في مستدركه: (٣٩٥/٤-٨٠٤٧)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٢٣٠/٨-١٦٧٩٦)، مسند أبي يعلى: (٤/ ٣٤٨- ٢٤٦٣) وفي المعجم الكبير: (٢١٢/١١ -١١٥٢٧)، قال الالباني (صحيح) في مختصر ارواء الغليل: ص٤٦٧. وروى الحاكم عن بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به". قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه وله شاهد، مستدرك الحاكم: (٣٩٥/٤).

وروى الترمذي في سننه أن جابرا يقول: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط»[1].

ماورد في تحريم اللوطية الصغرى:

قبح اللواط وبشاعته لا يختص بما كان يفعله قوم لوط من إتيان الذكران، بل يشمل مناكحة النساء في أدبارهن، ويسمى باللوطية الصغرى، وقد وردت أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحريم إتيان النساء في أدبارهن.

معنى اللوطية الصغرى:

أن يأتي الرجل زوجته أو أمته في دبرها، فقد جاء في رواية السيوطي عن عبد الله بن عمرو في الذي يأتي المرأة في دبرها قال: "هي اللوطية الصغرى"[2].

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأة في دبرها»[3].

---

(١) سنن الترمذي: (٥/٣٧٧-١٣٧٧) كتاب الحدود، باب ما جاء في حد اللوطي، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وأخرجه ابن ماجة في سننه: (٢/٨٥٦ — ٢٥٦٣)، كتاب الحدود، باب، من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط. وأحمد في المسند: (٣/٣٨٢)، والحاكم في المستدرك: (٤/٣٥٧)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وقال الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي: (٣/٤٥٧).

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبيهقي: (١/٦٣٤)، رواه البيهقي في السنن الكبرى: (٧/١٩٨-١٤٥٠٢)، وفي شعب الايمان: (٤/٣٥٦-٥٣٧١)، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد: (٤/٥٤٨) إلى أحمد والبزار والطبراني في الأوسط وقال: ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح. وذكره الالباني في صحيح الترغيب والترهيب وقال: (حسن) ورجاله رجال الصحيح: (٢/٣١٢)، وأخرج الامام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه و سلم قال في الذي يأتي امرأته في دبرها: هي اللوطية الصغرى، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن واختلف في رفعه ووقفه والموقوف أصح. مسند الامام أحمد: (٢/٢١٠/٦٩٦٧) رواه عبد الرزاق: (١١/٤٤٣/٢٠٩٥٦)، اخرجه البيهقي في شعب الايمان: (٤/٣٥٦/٥٣٨١) رواه البيهقي في السنن الكبرى: (٧/١٩٨/١٣٩٠٠)، والطبراني في الاوسط: (٥/٢٨٦/٥٣٣٤)، والنسائي في السنن الكبرى: (٥/ ٣٢٠ /٩٠٠٠)، وقال الالباني: حسن ورجاله رجال الصحيح، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال ص١٤٩. وذكره الالباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٢/٣٠٢).

(٣) رواه أحمد: (٢/٢١٠)، ورواه عبد الرزاق بلفظ: «إن الذي يأتي المرأة في دبرها لا ينظر الله إليه يوم القيامة»(١١/٤٤٢-٢٠٩٥٢).

وروى السيوطي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ملعون من أتى امرأة في دبرها»[1].

فهذا يدل على تحريم إتيان النساء في أدبارهن، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وأما إتيان النساء في الأدبار فهو اللوطية الصغرى وهو حرام بإجماع العلماء إلا قولاً شاذاً لبعض السلف[2].

وقد ورد في النهي عنه أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على تحريم فاحشة اللواط التي كانت ظاهرة في قوم لوط عليه السلام بما فيها اللوطية الصغرى.

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى أحمد وأبي داود والنسائي: (١/ ٦٣٢)، سنن أبي داود: (٢/٢٤٩/٢١٦٢)، كتاب النكاح، باب جامع النكاح، ورواه النسائي في السنن الكبرى: (٥/٣٢٣)، وأحمد في المسند: (٢/٤٤٤). والبيهقي في معرفة السنن والآثار: (١١/٤١٦)، قال ابن عبد الهادي: هو حديث جيد الإسناد: تنقيح تحقيق أحاديث التعليق: (٣/١٩٢). وقال عنه الالباني في صحيح أبي داوود: حديث حسن بهذا اللفظ، والأصح عنه بلفظ: «لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها»، وصححه البوصيري، وحسنه الترمذي من حديث ابن عباس، وصححه إسحاق بن راهويه وابن الجارود وابن حبان وابن دقيق العيد. صحيح وضعيف الجامع (صحيح): (٢٢/٣٢٩-١٠٨٢٩).

(٢) تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٣٢

﴿الفصل الثاني﴾

المبحث الخامس: ما ورد في قوم لوط عليه السلام من نواقض الإيمان.

المطلب الأول: أنواع نواقض الإيمان

المطلب الثاني: ومن نواقض الإيمان الواردة في قصة النبي لوط عليه السلام الشرك بالله تعالى

المطلب الثالث: النفاق وأنواعه

النوع الأول: النفاق الأكبر، ويسمى بالنفاق الاعتقادي

النوع الثاني: هو النفاق الأصغر، ويسمى النفاق العملي

دلالة الآيات على وجود النفاق في قوم لوط عليه السلام

المبحث الخامس: ماورد في قصة النبي لوط عليه السلام من نواقض الايمان:

تمهيد:

معنى النواقض في اللغة: النواقض هي جمع ناقض، و النقض هو: نقض البناء والحبل والعهد. والنقاضة: ما نقض من حبل الشعر. والمناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقض معناه[1]. يقال نقض الشيء نقضا أفسده بعد إحكامه. وفي التتريل العزيز قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ٩٢]، ونقض ما أبرمه فلان، أي: أبطله[2].

فمعنى النقض هو الإبطال والإفساد، ومنه نوعان: نقض معنوي كنقض العهد والميثاق، أو نقض حسي، كنقض البناء أو الشعر.

معنى نواقض الإيمان في الشرع: ما يفسد أصل الإيمان ويبطله ويهدم أركانه، وينتقل الإنسان بها من الإسلام إلى الكفر، ويصير صاحبه حلال الدم والمال، ومن به ناقض من نواقض الإيمان ارتفع عنه الإيمان، فلا يكون مؤمناً. وهذه النواقض تسمى بالكفر الناقل عن الملة، أو الكفر الأكبر[3]، فكل ما ينتقل به الإنسان من حال الإسلام إلى حال الكفر، ويصبح به صاحبه مباح الدم؛ يسمى ناقضاً من نواقض الإيمان.

المطلب الأول: أنواع نواقض الايمان:

إن أعظم مطلوب يقوم به العباد تجاه خالقهم هو توحيد الله تعالى في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته، وقد يكون من العباد ما يناقض الإيمان بالله تعالى وإخلاص التوحيد له بمكفرات عدة، لاشك أن أعظمها وأشدها شناعة هو الشرك بالله تعالى وما عصي الله تعالى في القديم والحديث بأعظم من الشرك به تعالى.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى مبيناً قبح الشرك بالله تعالى وشدة جرمه: "وأن الشرك ظلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر. وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له، وما كان أشد موافقة لهذا المقصود فهو أوجب الواجبات وأفرض الطاعات، فتأمل هذا الأصل حق التأمل واعتبر به تفاصيله تعرف به أحكم الحاكمين وأعلم العالمين فيما فرضه على عباده وحرمه عليهم، وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي فلما كان الشرك بالله منافيا

---

(١) الصحاح للجوهري: (١١١٠/٣).

(٢) المعجم الوسيط: (٩٤٧/٢).

(٣) كتاب التوحيد للفوزان: ص ٣٢، مدارج السالكين لابن القيم: (٣٣٧/١).

بالذات لهذا المقصود كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرم الله الجنة على كل مشرك وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد وأن يتخذوهم عبيداً لهم لما تركوا القيام بعبوديته. وأبى الله سبحانه أن يقبل من مشرك عملا، أو يقبل فيه شفاعة، أو يستجيب له في الآخرة دعوة، أو يقبل له عشرة؛ فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله؛ حيث جعل له من خلقه ندا، وذلك غاية الجهل به. كما أنه غاية الظلم منه وإن كان المشرك لم يظلم ربه وإنما ظلم نفسه"(١).

وقد قسم العلماء في كثير من مصنفاتهم نواقض الإيمان إلى أقسام منها ما يكون ناقضاً للإيمان في الاعتقاد، ومنها ما يكون ناقضاً في القول أو العمل(٢).

المطلب الثاني: من نواقض الايمان الواردة في قصة النبي لوط عليه السلام الشرك بالله تعالى.

أولاً: أنواع الشرك المنتشر في قوم لوط عليه السلام:

- **وجود الشرك في قوم لوط:**

يهمنا بداية الإجابة عن سؤال مهم قد تلتبس إجابته على بعض الناس، فكثير يعتقد أن الشرك لم يكن موجوداً في قوم لوط عليه الصلاة والسلام، واستدلوا على ذلك بأمرين:

الأول: أن النبي لوط عليه الصلاة والسلام لم يدعوا قومه صراحة إلى توحيد الله تعالى و نبذ عبادة الشرك، كما هو ديدن أنبياء الله تعالى، الذين قص الله تعالى أخبارهم في كتاب الله تعالى العزيز وأن كل نبي قال لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ .

كما قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وعن نبي ثمود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ [هود: ٦١]، وكذا سائر الأنبياء الكرام.

الثاني: أنه لم يشتهر بين قوم لوط عليه السلام عبادة الأصنام والأوثان التي هي رمز الشرك بالله تعالى صراحة.

من أجل ذلك لابد من بيان الإجابة على هذا السؤال، هل كان الشرك بالله موجوداً في قوم لوط؟ ولماذا لم يدعُ لوط قومه إلى الله تعالى؟

---

(١) الجواب الكافي: ص٨٩.

(٢) كتاب التوحيد للفوزان: ص٣٦، نواقض الإيمان القولية والعملية: ص٩٤، نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف: (٢٨٣/١).

نقول أولاً: أنه لاشك أن سيدنا لوط عليه السلام قد دعا قومه إلى عبادة الله تعالى، و إلى نبذ الشرك وعبادة الأوثان، وإن لم تكن هناك آية تدل صراحة على أن سيدنا لوط عليه السلام دعا قومه إلى التوحيد ونبذ الشرك، ولكنه عليه الصلاة والسلام قد دعاهم إلى ذلك ضمناً، أي من خلال نهيهم عن الفاحشة التي ظهرت في قومه.

وهذا في حد ذاته ليس دليلاً على عدم وجود الشرك في قوم لوط عليه السلام، أو أنهم لم يكونوا مشركين بالله تعالى حيث أن الشرك بالله تعالى يأخذ صوراً متعددة كما نعلم، لذلك لابد من إلقاء الضوء على أقوال المفسرين في وجود الشرك في قوم لوط عليه السلام.

- **هل كان الشرك بالله موجوداً في قوم لوط ولماذا لم يدعُ لوط قومه إلى الله تعالى؟**

افترق المفسرون في هذا إلى قولين:

القول الأول: نظر بعضهم إلى ظاهر النصوص التي تدل على أن سيدنا لوط لم يدع قومه إلى التوحيد وإلى عبادة الله تعالى ونبذ الشرك، وإنما اقتصرت دعوته على نهيهم عن الفاحشة، فاستنبطوا أن قوم لوط لم يكن ظاهراً فيهم الشرك بالله تعالى، ولو كان موجوداً الشرك فيهم لدعاهم سيدنا لوط إلى التوحيد، ونهاهم عن الشرك، كما كان من جميع الأنبياء الذين حكى القرآن عنهم جميعاً.

وقال أصحاب هذا الرأي أن لوط عليه السلام كان مبعثه في زمن سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي قد سبقه إلى دعوة الناس إلى التوحيد ونبذ الشرك فلذلك ذكر الله قصة سيدنا لوط في القرآن الكريم على سبيل الاقتصار على المنع من الفاحشة، فكانت دعوة سيدنا إبراهيم دعوة خالصة إلى التوحيد، ونبذ الشرك وعبادة الطواغيت التي كانت منتشرة في عصره عليه السلام، وكان مبعثه عليه السلام مثل باقي الأنبياء جاء التصريح في كتاب الله تعالى أنه كان ينهاهم عن الشرك ويدعوهم إلى التوحيد كباقي الأنبياء الكرام. فلابد أولاً من أن يرسخ في نفوس الناس أسس العقيدة الصحيحة والدين القويم، وعند بعثة سيدنا لوط كان منتشراً في قومه الفاحشة فكان لزاماً ردهم إلى المسار الصحيح وتصحيح سلوكهم المنحرف فكانت دعوة سيدنا لوط مقتصرة على محاربة الفاحشة فقط و لم تكون دعوة إلى التوحيد مما يدل على عدم وجود الشرك فيهم(١).

وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقوم لوط ذكر عنهم استحلال الفاحشة و لم يذكروا بالتوحيد بخلاف سائر الأمم وهذا يدل على أنهم لم يكونوا مشركين وإنما ذنبهم استحلال الفاحشة وتوابع ذلك"(٢).

---

(١) اللباب في علوم الكتاب: (٤٤٤/١٢)، تفسير الرازي: (٥١/٢٥)، روح المعاني: (١٥٣/٢٠)، الشرك في القديم والحديث: (٢٦٩/١).

(٢) النبوات: (٥٧/١).

وإليه مال الألوسي قال: "و لم يأت في قصة لوط عليه السلام أنه دعا قومه إلى عبادة الله تعالى كما جاء في قصة إبراهيم وكذا في قصة شعيب؛ لأن لوطا كان من قوم إبراهيم وفي زمانه وقد سبقه إلى الدعاء لعبادة الله تعالى وتوحيده واشتهر أمره عند الخلق فذكر لوط عليه السلام ما اختص به من المنع من الفاحشة وغيرها، وأما إبراهيم وشعيب عليهما السلام فجاء بعد انقراض من كان يعبد الله عز وجل ويدعو إليه سبحانه فلذلك دعا كل منهما قومه إلى عبادته تعالى"(١).

فأصحاب هذا القول يرون أن سيدنا لوط عليه السلام لم يدعوا قومه إلى عبادة الله تعالى مثل باقي الأنبياء؛ ذلك لأن فيهم بقية من دعوة النبي إبراهيم عليه السلام إلى التوحيد، وأن ذنبهم الحقيقي هو استحلال الفاحشة كما ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى وليس فيهم الشرك بالله تعالى.

القول الأخر: ومن العلماء من نظر إلى مفتاح دعوة الرسل جميعاً وأساس دعوتهم وأنهم توحدوا جميعاً إلى دعوة أقوامهم إلى عبادة الله تعالى ونبذ الشرك، كما حكى عنهم القرآن الكريم في مواضع كثيرة، حيث قالوا جميعهم لأقوامهم ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ . وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]،

وقال تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ – ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

فأصحاب هذا القول يرون أن سيدنا لوط عليه السلام من المرسلين كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الصافات:١٣٣] فهو مرسل من ربه مبلغ عنه داعياً إلى توحيده تعالى ونبذ عبادة ما سواه، كما هي دعوة باقي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد دعا قومه إلى نبذ الشرك بالله والبعد عن الفاحشة، ودعاهم إلى التوحيد وعدم ورود النص القرآني الذي يدل صراحة على وجود الشرك في قوم لوط لا يدل على عدم وجود الشرك فيهم، فإن استحلالهم للفاحشة واستمرارهم عليها أكبر دليل على كفرهم بالله.

---

(١) روح المعاني: (١٥٣/٢٠).

وقد نص جمع من المفسرين على دعوة لوط قومه إلى التوحيد ونهيه لهم عن الشرك مع نهيه لهم عن الفاحشة بناء على فهمهم للآيات التي جاءت في شأن دعوة لوط عليه السلام.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١] قال: "نظيره بل أنتم قوم عادون في جمعكم إلى الشرك هذه الفاحشة"(١)، دل ذلك على أن قوم لوط كانوا مشركين والنبي لوط دعاهم إلى الإيمان.

وقال ابن كثير مؤيداً لهذا القول في معنى قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠ – ١٦٤]. "فدعاهم إلى الله، عز وجل، أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم الخلائق إلى فعله، من إتيان الذكْران دون الإناث"(٢).

وقال في موضع آخر: "فدعاهم لوط إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش المنكرات والأفاعيل المستقبحات فتمادوا على ضلالهم وطغيانهم واستمروا على فجورهم وكفرانهم"(٣).

وكذلك الإمام الطبري قال: "لوط عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وينهاهم بأمر الله إياه عن الأمور التي كرهها الله تعالى لهم من قطع السبيل وركوب الفواحش وإتيان الذكور في الأدبار، ويتوعدهم على إصرارهم على ما كانوا عليه مقيمين من ذلك وتركهم التوبة منه العذاب الأليم فلا يزجرهم عن ذلك وعيده ولا يزيدهم وعظه إلا تمادياً وعتواً واستعجالاً لعذاب الله إنكاراً منهم وعيده ويقولون له ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين"(٤)، وقال في موضع آخر: "أن الله تعالى أرسل لوطا إلى أهل سدوم وكانوا أهل كفر بالله وركوب فاحشة"(٥).

وروى القرطبي رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن قوم لوط كانت فيهم ذنوب غير الفاحشة، منها أنهم يتظالمون فيما بينهم، ويشتم بعضهم بعضاً، ويتضارطون في مجالسهم، ويخذفون ويلعبون بالنرد والشطرنج، ويلبسون المصبغات، ويتناقرون بالديكة، ويتناطحون بالكباش، ويطرفون أصابعهم بالحناء، وتتشبه الرجال بلباس النساء والنساء بلباس الرجال، ويضربون المكوس على كل عابر، ومع هذا كله كانوا يشركون

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٢٤٦/٧).

(٢) تفسير ابن كثير: (٣٥٧/٢).

(٣) البداية والنهاية: (١٧٦/١_١٧٧).

(٤) تاريخ الرسل والملوك: (١١٤/١)، تاريخ الطبري: (١٧٧/١).

(٥) تاريخ الطبري: (١٧٥/١).

بالله"[1]. والشاهد قوله رضي الله تعالى عنه: "ومع هذا كله كانوا يشركون بالله"، فهذا الأثر صريح الدلالة على وجود الشرك في قوم لوط.

قال السعدي في معنى قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]. موضحاً اتصاف قوم لوط عليه السلام بالشرك: "فأرسل الله لوطاً إلى قومه، وكانوا مع شركهم، قد جمعوا بين فعل الفاحشة في الذكور، وقطع السبيل، وفشت المنكرات في مجالسهم. فنصحهم لوط عن هذه الأمور، وبين لهم قبائحها في نفسها، وما تؤول إليه من العقوبة البليغة، فلم يرعووا، و لم يذكروا"[2]. فهو مع القول الذي يرى أن قوم لوط كانوا مشركين وأن لوط عليه السلام دعاهم للإسلام.

والراجح من هذين القولين: أن قوم لوط كانوا مشركين بالله تعالى وأن سيدنا لوط دعاهم إلى التوحيد وإلى عبادة الله تعالى وذلك بالنظر لعدة أسباب منها:

أولاً: عموم دعوة الرسل جميعاً والأصول المشتركة بينهم جميعاً في دعوتهم أقوامهم إلى الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فجميعهم اشتركوا في الدعوة إلى توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والإيمان بأسمائه وصفاته والإيمان بالقدر والإيمان بالأنبياء والكتب واليوم الآخر وكل أمور العقيدة متفق عليها بين الرسل الكرام، وبين الأمم جميعاً. وإن كان الاختلاف في الشرائع والمنهاج الذي جاؤوا به كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] قال ابن كثير في معنى الآية: "هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام، المتفقة في التوحيد وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ثم يحل في الشريعة الأخرى، و بالعكس، وخفيفاً فيزاد في الشدة في هذه دون هذه. وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة"[3].

ثانياً: أنه اختلفت صور الانحراف بين الأمم واختلفت مظاهر الزيغ والضلال فيهم إلا أن جوهر القضية واحد وهو الإشراك بالله تعالى، فقد يكون الانحراف في الناحية الأخلاقية كما هو حال قوم لوط، وقد يكون في المعاملات الاقتصادية كما ظهر في قوم شعيب، وقد يكون الانحراف في العبادة كما كان في قوم إبراهيم عليه السلام وغيرهم. إلا أن أساس هذه الانحرافات جميعاً هو الشرك بالله الذي جاء جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم باقتلاعه ونبذه، ومن ثَمَّ التركيز على جانب الخلل والانحراف الذي في كل أمة من الأمم. وهكذا نجد أن

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٢٥٧/١٣).
(٢) تفسير السعدي: (٦٣٠/١).
(٣) تفسير ابن كثير: (١٢٩/٣).

سيدنا لوط عليه السلام نهى قومه عن الفواحش والمنكرات التي تجرؤا عليها وذلك بعدما أمرهم بتقوى الله وطاعته، وطاعة الله تعالى وتقواه هي مقتضى العبودية الخالصة لله تعالى، ومن ثم فقد ربط عليه السلام ترسيخ العقيدة الصافية في نفوسهم باجتنابهم للفواحش والبعد عنها كما حكى ذلك عنه فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦١ – ١٦٦]،

قال ابن تيمية رحمه الله: "فكان في قوم لوط مع الشرك إتيان الفواحش التي لم يسبقوا إليها"(١)، وقال ابن القيم: " وإنما حكى الله سبحانه العشق عن المشركين من قوم لوط"(٢)، وقولهما رحمهما الله تعالى دال على وجود الشرك في قوم لوط.

ثالثاً: إن لم يكن الشرك الذي هو بمعنى عبادة الأصنام والكواكب وغيرها من الطواغيت ظاهراً في قوم لوط كغيرهم من الأقوام الآخرين إلا أن فيهم شرك من نوع آخر وهو شرك المحبة وطاعة هواهم وشهواتهم وعشقهم وتعلقهم بالصور كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية:٢٣]، يقول ابن القيم في معنى هذه الآية: "وإذا تأملت حال عشاق الصور المتيمين فيها وجدت هذه الآية منطبقة عليهم مخبرة عن حالهم(٣). وأيضا كان فيهم شرك الطاعة لسادتهم وكبرائهم وتحكيمهم لغير ما أنزل الله تعالى.

- **ومن أنواع الشرك في قوم لوط عليه السلام: شرك المحبة**

"وجود التلازم بين الشرك وعشق الصور" .

عرفنا من معنى الشرك أنه يقتضي المشاركة والتسوية بين الخالق والمخلوق فيما هو من خصائص الله تعالى، وصرف حق من حقوق الله تعالى للمخلوق. و قوم لوط قد تعلقت قلوبهم بغير الله تعالى وأحبوا مع الله غيره كمحبتهم لخالقهم أو أشد حباً ولما كانت المحبة أصلُ كل عمل من أعمال القلوب والجوارح كان الإشراك في المحبة هو أساس كل إشراك عملي.

وبقدر تغلغل محبة الفاحشة في قوم لوط وتجرؤهم عليها كان النقص في محبتهم لله تعالى وتعظيمهم لخالقهم ومن ثم الانقياد له، ومن هنا نرى أن المحبة هي المحرك في جميع الأحوال، فإذا كانت المحبة خالصة لله تعالى كان من العبد الخضوع والانقياد لله تعالى وإرادة طاعته وإذا أشرك العبد في محبته لربه غيره حصل منه العشق والضلال كما كان من قوم لوط.

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢٤٩/١٦).

(٢) إغاثة اللهفان: (٦٤/١).

(٣) المرجع نفسه: (١٥٢/٢).

وقد بين ابن تيمية منزلة المحبة في الدين وأنها أصل كل فعل وحركة في العالم: "وأصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة، فهو أصل كل فعل و مبدؤه، كما أن البغض والكراهة مانع وصاد لكل ما انعقد بسببه و مادته، فهو أصل كل ترك، ولهذا كان رأس الإيمان الحب في الله والبغض في الله، وكان من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان، فالمحبة والإرادة أصل في وجود البغض والكراهة، والأصل في زوال البغيض المكروه، فلا يوجد البغض إلا لمحبة، ولا يزول البغيض إلا لمحبة، وإذا كان كذلك فأصل المحبة المحمودة، التي أمر الله بها، وخلق الخلق لأجلها، هي ما في عبادته وحده لا شريك له، إذ العبادة متضمنة لغاية الحب بغاية الذل"[1].

وكلما كانت الشواغل والصوارف في قلب المرء أكثر، كلما ابتعد عن ربه وانشغل عنه بجميع أنواع الشواغل كالعشق ومحبة غير الله تعالى والتعلق به، أما من كان همه وقلبه مستجمعاً لمحبة الله تعالى وطاعته فلا يمكن أن يصرفه صارف عن تلك المحبة الخالصة لله تعالى التي تنبع من الخوف بالله تعالى وحده دون ما سواه ومن قوة الإنابة إليه سبحانه وتعالى.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في بيان ما يصرف قلب العبد عن التعلق بغير الله تعالى أمرين:

أحدهما: "إنابته إلى الله ومحبته له، فإن ذلك ألذ وأطيب من كل شيء فلا تبقى مع محبة الله محبة مخلوق تزاحمه.

والثاني: خوفه من الله، فإن الخوف المضاد للعشق يصرفه، وكل من أحب شيئا بعشق أو بغير عشق فإنه يصرف عن محبته بمحبة ما هو أحب إليه منه إذا كان يزاحمه، وينصرف عن محبته بخوف حصول ضرر يكون أبغض إليه من ترك ذاك الحب.

فإذا كان الله أحب إلى العبد من كل شيء وأخوف عنده من كل شيء لم يحصل معه عشق ولا مزاحمة إلا عند غفلة أو عند ضعف هذا الحب والخوف بترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات"[2].

---

(١) جامع الرسائل: (١٩٣/٢). قاعدة في المحبة: (٧/١)، نواقض الإيمان الاعتقادية وضابط التكفير عند السلف: ص ٤٠٨.

(٢) أمراض القلب وشفاؤها: ص٢٦.

ما ورد من الآيات في إثبات وجود شرك المحبة (العشق)في قوم لوط:

قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

روى ابن جرير بسنده في تفسيره عن ابن عباس، في الآية: "ما حلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم، قال: وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك في الدنيا: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾"[(١)].

وروى بسنده في تفسيره عن قتادة قال: "لفي سكرتهم: أي: في ضلالتهم يعمهون: أي يلعبون"[(٢)].

وروى بسنده في تفسيره عن الأعمش، قال: "لفي غفلتهم يتردّدون"[(٣)].

وروى بسنده في تفسيره عن ابن عباس، قوله: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ يقول: "لَعَيْشُكَ ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال: يتمادَوْن"[(٤)].

معنى الآيات:

هناك ثلاثة أقوال للمفسرين في معنى الآية:

القول الأول: أن المقسم في هذه الآية الكريمة: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ، هو الله تعالى أقسم بحياة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأن فيه تشريف وتعظيم لمقامه الكريم ورفعة لشأنه عليه الصلاة والسلام و لم يقسم الله تعالى بحياة أحد غير النبي صلى الله عليه وسلم، أي: وحياتك ولعيشك يا محمد وبقائك في الدنيا إن قومك من

(١) جامع البيان: (٤٩٠٨/٦)، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره: (٢٢٦٩/٧)، النكت والعيون: (١٦٦/٣)، زاد المسير: (٤٠٨/٤)، معالم التتريل: (٤٠٨/٣). وابن كثير في تفسيره: (٥٤٢/٤)، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٢٢٧/٦) وأخرجه الهيثمي في مسنده بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة (٨٧١/١). وروى ابن أبي حاتم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " مَا خلق الله، وما ذرأ، وما برأ نفساً أكرم عليه مِنْ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قَالَ: " لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ "، يَقُولُ: وحياتك يا مُحَمَّد وعمرك وبقائك فِي الدُّنْيَا " تفسير ابن أبي حاتم: (٦٨/٩). الدر المنثور: (١٠٥/٦)، فتح القدير: (١٩٨/٣).

(٢) جامع البيان: (٤٩٠٨/٦)، وإسناده حسن، الدر المنثور: (١٠٥/٦)، رواه عبد الرزاق في تفسيره: (٢٥٨/٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٢٢٧٠/٧)، معالم التتريل: (٤٠٨/٣)، وابن كثير في تفسيره: (٥٤٢/٤)، وذكره في الصحيح المسبور: (١٦٥/٣).

(٣) جامع البيان: (٤٩٠٨/٦)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٢٢٧٠/٧)، النكت والعيون: (١٦٦/٣)، زاد المسير: (٤٠٨/٤)، الدر المنثور: (١٠٥/٦)، عبد الرزاق في تفسيره: (٢٥٨/٢)، الجامع لأحكام القرآن: (٣٩/١٠).

(٤) جامع البيان: (٤٩٠٨/٦)، وإسناده حسن، النكت والعيون: (١٦٦/٣)، زاد المسير: (٤٠٨/٤). الصحيح المسبور: (١٦٥/٣)، وروى ابن كثير عن ابن عباس من طريق علي ابن أبي طلحة في معنى يعمهون أي "يتحيرون"، جامع البيان: (٤٩٠٨/٦).

كفار قريش في ضلالهم وحيرتهم يترددون، وفي بعدهم عن الحق وانصرافهم عن الصلاح متمادون[1]. وهو قول جمهور المفسرين[2].

القول الثاني: وهناك قول آخر يرى أن المقسم هم الملائكة عليهم السلام يقسمون بعمر لوط عليه السلام. وهو قول الزمخشري في تفسيره وغيره، حيث قال في معنى الآية: "أي: قالت الملائكة للوط عليه السلام: "لعمرك إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ"،

أي غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم، من ترك البنين إلى البنات"[3].

وإلى هذا القول ذهب القُشيري حيث قال: "يحتمل أن يرجع ذلك إلى قوم لوطٍ؛ أي كانوا في سكرتهم يعمهون، أي لمّا وعظ لوطٌ قومه وقال: هؤلاء بناتي، قالت الملائكة: يا لوط لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون، ولا يدرون ما يحلُّ بهم صباحاً"[4].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "أكثر المفسرين من السلف والخلف بل لا يعرف عن السلف فيه نزاعاً أن هذا قسم من الله بحياة رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا من أعظم فضائله أن يقسم الرب عز وجل بحياته وهذه مزية لا تعرف لغيره، و لم يوافق الزمخشري على ذلك فصرف القسم إلى أنه بحياة لوط وأنه من قول الملائكة، فقال هو على إرادة القول أي قالت الملائكة للوط عليه الصلاة والسلام لعمرك أنهم في سكرتهم يعمهون وليس في اللفظ ما يدل على واحد من الأمرين بل ظاهر اللفظ وسياقه أنما يدل على ما فهمه السلف لا أهل التعطيل والاعتزال. ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله في معنى: "لعمرك" قال أي: "وحياتك". ثم قال: وما أقسم الله تعالى بحياة نبي غيره"[5]. والعَمر والعُمر واحد إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإثبات الأخف لكثرة دوران الحلف على ألسنتهم، وأيضاً فإن العمر حياة مخصوصة فهو عمر شريف عظيم أهلٌ أن يقسم لمزيته على كل عمر من أعمار بني آدم، ولا ريب أن عمره وحياته صلى الله عليه وسلم من أعظم النعم والآيات فهو أهل أن يقسم به والقسم به أولى من القسم بغيره من المخلوقات"[6].

القول الثالث: أن الله أقسم بحياة النبي لوط عليه السلام، وهو قول ابن عربي وغيره.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٥٤٢/٤)، تفسير الالوسي: (٥٠/١٠)، جامع البيان: (٤٩٠٨/٦).
(٢) أمثال ابن جرير وابن كثير والالوسي.
(٣) الكشاف: (٥٤٧/٢).
(٤) اللباب في علوم الكتاب: (٥٩/١٠).
(٥) معالم التنزيل: (٣٨٧/٤). تفسير العز بن عبد السلام: (٦٥٠/١.).
(٦) التبيان في أقسام القرآن: (٢٧٢/١).

وقد نقل ابن العربي[1] عن المفسرين بأجمعهم أن: "أقسم الله ها هنا بحياة محمد تشريفاً له أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون، قالوا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " ما خلق الله وما ذرأ ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد، وما سمعت الله أقسم بحياة أحدٍ غيره"[2]. وعقَّب على ذلك بقوله: "وهذا كلام صحيح، ولا أدري ما الذي أخرجهم عن ذكر لوط إلى ذكر محمد، وما الذي يمنعُ أن يقسم الله تعالى بحياة لوطٍ، ويبلغ به من التشريف ما شاء، وكلُّ ما يعطيه الله للوطٍ من فضل، يعطي ضعفه لمحمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّه أكرم على الله منه؛ أولا تراه سبحانه أعطى إبراهيم الخلَّة، وموسى التكليم، وأعطى ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم، فإذا أقسم بحياة لوطٍ، فحياة محمد صلى الله عليه وسلم أرفعُ، ولا يخرج من كلام إلى كلام لم يجر له ذكرٌ لغير ضرورةٍ[3].

وقد ذكر الألوسي في تفسيره معللاً عدم اختياره للمعنى الثاني وهو أن المقسم هم الملائكة بحياة لوط فقال: "وهو خلاف الأصل وإن كان سياق القصة شاهداً له وقرينة عليه[4].

نخلص مما سبق أن في المسألة ثلاثة أقوال:

الأول: أن القسم هو من الله تعالى بحياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول أكثر المفسرين.

الثاني: أن القسم من قول الملائكة للنبي لوط عليه السلام وهو قول الزمخشري وغيره.

الثالث: أنه قسم من الله تعالى بحياة النبي لوط عليه السلام، وهو رأي ابن العربي وغيره.

والراجح من الأقوال الثلاثة هو القول الأول، وهذا ما رجحه ابن القيم رحمه الله تعالى فقال: "أكثر المفسرين من السلف والخلف، بل لا يعرف عن السلف فيه نزاعاً أن هذا قسم من الله بحياة رسوله صلى الله عليه و سلم وهذا من أعظم فضائله أن يقسم الرب عز و جل بحياته وهذه مزية لا تعرف لغيره"[5].

ولله سبحانه وتعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، أما المخلوق فلا يحق له أن يقسم بغير الله تعالى.

وقد بين ابن القيم رحمه الله تعالى أن هذه الآية تتحدث عن قوم لوط عليه السلام الذين تفشى فيهم عشق المردان وأصبحوا في غيهم وضلالهم يترددون وفي انصرافهم عن الحق مستمرون. فقال: " والفراسة الصادقة المصيبة

---

(١) أبو بكر ابن العربي: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الاشبيلي المالكي، قاض، من حفاظ الحديث. أحد الأعلام رحل مع أبيه إلى المشرق ودخل الشام، ولقي بها جماعة من العلماء المحدثين ودخل بغداد، وولي القضاء ببلده. (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ). طبقات المفسرين: (١/١٨٠-١٨١).

(٢) تفسير القرطبي: (١٠/٣٩)، تفسير ابن أبي حاتم: (٩/٦٨)، وذكره ابن كثير: (٤/٥٤٢).

(٣) أحكام القرآن: (٣/١٠٥)، اللباب في علوم الكتاب: (١٠/٥٩).

(٤) تفسير الالوسي: (١٠/٥٠).

(٥) التبيان في أقسام القرآن: (١/٢٦٩).

التي إنما تنال ببصيرة القلب وضد هذا ما وصف الله به اللوطية من العمه الذي هو ضد البصيرة فقال تعالى: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ فوصفهم بالسكرة التي هي فساد العقل وعمه الذي هو فساد البصر"[١].

نخلص من ذلك أن القسم كان بحياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لإثبات وتأكيد حال قوم لوط عليه السلام الذين كانوا في السكر والضلال يترددون، ولا ريب فإن الله تعالى ما ضرب قصص الأنبياء في كتاب الله تعالى إلا تسلية لرسول الله تعالى وتطييب لنفسه مما كان يلاقيه من قومه الكفار.

وجه دلالة الآية على وجود شرك المحبة بين قوم لوط عليه السلام:

يقول تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ، فكما مرَّ معنا أن الله سبحانه وتعالى يقسم بحياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لشرف مكانته وعظيم شأنه، وجواب القسم هو أن قوم لوط في سكرتهم وغيهم وضلالهم متمادون.

وهناك قول آخر يرى أن الموصوفين في الآية بالسكر والضلال وعمى البصيرة هم كفار قريش من قوم الرسول عليه السلام كما ذكر الطبري رحمه الله تعالى: "يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وحياتك يا محمد، إن قومك من قريش ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يقول: لفي ضلالتهم وجهلهم يتردّدون"[٢].

ومن الواضح أن الآية في ذكر قوم لوط الذين أصابهم سكر الفواحش والهوى، يقول ابن القيم: "والله سبحانه إنما حكى عشق الصور في القرآن عن المشركين، فحكاه عن امرأة العزيز وكانت مشركة على دين زوجها وكانوا مشركين، وحكاه عن اللوطية وكانوا مشركين فقال تعالى في قصتهم: لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون"[٣].

معنى السكر في اللغة:

يقول الراغب الأصفهاني: " السكر: حالة تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب، وقد يعتري من الغضب والعشق[٤].

يقول ابن منظور: "السكران خلاف الصاحي والسكر نقيض الصحو والسكر ثلاثة سكر الشباب وسكر المال وسكر السلطان سكر يسكر سكرا وسكرا وسكرا وسكرانا فهو سكر... والسكرة إنما هو بين أن يعقل ولا يعقل"[٥].

---

(١) الجواب الكافي: (١٢٦/١).

(٢) جامع البيان: (٤٩٠٨/٦).

(٣) اغاثة اللهفان: (١٥٠/٢).

(٤) مفردات اللغة للأصفهاني: (٤٨٤/١).

(٥) لسان العرب: (٣٧٢/٤).

معنى السكر اصطلاحا:

يقول ابن القيم: "السكر لذة ونشوة يغيب معها العقل الذي يحصل به التمييز، فلا يعلم صاحبه ما يقول، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، فجعل الغاية التي يزول بها حكم السكر أن يعلم ما يقول، فإذا علم ما يقول خرج عن حد السكر"(١).

ففي هذه الآية ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ ، يصف الله تعالى قوم لوط بالسكر وهو غياب العقل وذلك لأنهم وصلوا إلى حالة من التتيم والوجد وفرط الحب للمحبوب وعشق الصور الذي هو شرك المحبة.

قال ابن القيم: "وكيف يكون العشق الذي هو شرك في المحبة، وفراغ القلب عن الله، وتمليك القلب والروح، والحب لغيره تنال به درجة الشهادة، هذا من المحال، فإن إفساد عشق الصور للقلب فوق كل إفساد، بل هو خمر الروح الذي يسكرها، ويصدها عن ذكر الله وحبه، والتلذذ بمناجاته، والأنس به، ويوجب عبودية القلب لغيره، فإن قلب العاشق متعبد لمعشوقه، بل العشق لب العبودية، فإنها كمال الذل، والحب والخضوع والتعظيم"(٢).

معنى العشق لغة:

قال ابن منظور: "العشق فرط الحب، وقيل: هو عجب المحب بالمحبوب، يكون في عفاف الحب، ودعارته، عشقه يعشقه عشقا، وعشقا، وتعشقه. وقيل: التعشق تكلف العشق، وقيل: العشق الاسم، والعشق المصدر"(٣).

معنى العشق اصطلاحاً:

قال ابن عبد البر: "سئل بعض الحكماء عن العشق، فقال: شغل قلب فارغ"(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " العشق هو فساد الإدراك، والتخيل، والمعرفة؛ فإن العاشق يخيل له المعشوق على خلاف ما هو به حتى يصيبه ما يصيبه من داء العشق"(٥).

فالعشق والسكر لا يتعلق بهما إلا القلب الفارغ من محبة الله تعالى وخشيته وهيبته سبحانه وتعالى، وعلى هذا فإن لفظ العشق والسكر والمسكر من الألفاظ والأفعال المذمومة شرعا وعقلا.

وقد جعل ابن القيم فصلا كاملا عن عشق قوم لوط فقال: فصل والطائفة الثانية الذين حكى الله عنهم العشق هم اللوطية كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الحجر: ٦٧](٦).

---

(١) مدارج السالكين: (٣/٣٠٦).

(٢) زاد المعاد: (٤/٢٧٦).

(٣) لسان العرب: (١٠/٢٥١).

(٤) بهجة المجالس لابن عبد البر: (٢/٨١٧).

(٥) جامع الرسائل لابن تيمية: (٢/٢٤٣ـ ٢٤٤).

(٦) الجواب الكافي: ص١٤٩.

الأضرار الناتجة عن عشق الصور الذي هو شرك المحبة:

تقديم محبة المخلوق على محبة الخالق، ورضا المخلوق على رضا الخالق. يقول ابن القيم: "ومن المعلوم أنه ليس في عشق الصور مصلحة دينية ولا دنيوية، بل مفسدته الدينية والدنيوية أضعاف أضعاف ما يقدر فيه من المصلحة، وذلك من وجوه أحدها: الاشتغال بذكر المخلوق وحبه عن حب الرب تعالى وذكره، فلا يجتمع في القلب هذا وهذا إلا ويقهر أحدهما صاحبه ويكون السلطان والغلبة له"(١)، فيشتغل العاشق بمحبة غير الله تعالى عن محبته، ويقدم محابه على محاب الله تعالى، وهذا يلزم منه بعد الاشتغال القلبي يكون الاشتغال باللسان والذكر بمحبة هذا المخلوق.

خلو القلوب من محبة الله تعالى وإخلاص العمل لوجهه الكريم، فنجد من ابتلي بالعشق: قلبه فارغ من محبة الله تعالى، يقول ابن القيم: "وعشق الصور إنما تبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله تعالى، المعرضة عنه، المتعوضة بغيره عنه، فإذا امتلأ القلب من محبة الله والشوق إلى لقائه، دفع ذلك عنه مرض عشق الصور. ولهذا قال تعالى في حق يوسف: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]. فدل على أن الإخلاص سبب لدفع العشق وما يترتب عليه من السوء والفحشاء التي هى ثمرته و نتيجته، فصرف المسبب صرف لسببه"(٢).

الغفلة عن ذكر الله تعالى والانشغال بوساوس الشياطين. يقول ابن القيم: "سئل بعض العلماء عن عشق الصور فقال: قلوب غَفَلَتْ عن ذكر الله فابتلاها الله بعبودية غيره، فالقلب الغافل مأوى الشيطان فإنه وسواس خناس قد التقم قلب الغافل يقرأ عليه أنواع الوساوس والخيالات الباطلة"(٣)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٤ – ١٢٥]. قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٦ – ٣٨]. تردد عشاق الصور في عمه البصيرة وانطماس الحق في قلوبهم، يقول ابن القيم في معنى قوله تعالى: ﴿يعمهون﴾ أي: "يتحيرون وإنما وصف الله سبحانه اللوطية بالسكرة لأن سكرة العشق مثل سكرة الخمرة"(٤).

الانقطاع عن الله تعالى والبعد عن رحمته التي هي سبب الخير كله، يقول ابن القيم: "عشق المردان، فما ابتلى به إلا من سقط من عين الله وطرد عن بابه وأبعد قلبه عنه، وهو من أعظم الحجب القاطعة عن الله، كما قال

---

(١) الجواب الكافي لابن القيم: (١٥١/١).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم: (٢٦٨/١).

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم: (١١٣/١).

(٤) التبيان في اقسام القرآن لابن القيم: (٢٦٩/١).

بعض السلف: إذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان، وهذه المحبة هي التي جلبت على قوم لوط ما جلبت، وما أتوا إلاّ من هذا العشق قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]"[١]. وكما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل وعمى البصيرة وسكر القلب بل جنونه"[٢]. وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فإن الذي يورثه العشق من نقص العقل والعلم، وفساد الدين والخلق، والاشتغال عن مصالح الدين والدنيا أضعاف ما يتضمنه من جنس المحمود. وأصدقُ شاهدٍ على ذلك ما يعرف من أحوال الأمم، وسماع أخبار الناس في ذلك؛ فهو يغني عن معاينة ذلك وتجربته، ومن جرب ذلك أو عاينه اعتبر بما فيه كفاية؛ فلم يوجد قط عشق إلا وضرره أعظم من منفعته"[٣]. فعشق الصور والانشغال بها يورث أمورا لا تحمد عقباها، من نقصان في العقول وفساد الدين والأخلاق. وقال رحمه الله تعالى: "وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذاباً، وأقلهم ثواباً، فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقاً بها مستعبداً لها اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى؛ فدوام تعلق القلب بها أشد ضرراً عليه ممن يفعل ذنباً ثم يتوب، ويزول أثره من قلبه"[٤].

ولاشك أن هذا التعلق بغير الله تعالى يستجمع على العبد أنواعاً من الشرور والفساد بأنواعه، والله تعالى سبحانه وتعالى يغار، وغيرته أن يأتي أحد محارمه ويتعدى حدود الله تعالى، فإذا تجرأ العبد على الفاحشة فإن الله تعالى يغار؛ لأنها انتهكت محارمه[٥].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى مبيناً التلازم بين العشق والشرك بالله تعالى: "ولهذا كان العشق والشرك متلازمين، وإنما حكى الله سبحانه العشق عن المشركين من قوم لوط وعن امرأة العزيز وكانت إذ ذاك مشركة، فكلما قوى شرك العبد بُليَ بعشق الصور، وكلما قوى توحيده صرف ذلك عنه، والزنا واللواطة كمال لذتهما إنما يكون مع العشق، ولا يخلو صاحبهما منه، وإنما لتنقله من محل إلى محل لا يبقى عشقه مقصوراً على محل واحد بل ينقسم على سهام كثيرة لكل محبوب نصيب من تألهه وتعبده"[٦].

وقال رحمه الله تعالى متحدثاً عن شناعة فاحشة الشرك والعشق وشدة تأثيرهما على القلب وفساده: "فليس في الذنوب أفسد للقلب، والدين من هاتين الفاحشتين، ولهما خاصيَّة في تعبيد القلب من الله؛ فإنهما من أعظم

(١) الجواب الكافي لابن القيم: (١٧٤/١).
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٤٢٥/١٥).
(٣) الاستقامة لابن تيمية: (٤٥٩/١).
(٤) العبودية لابن تيمية: ص٩٧ــ ٩٨.
(٥) الفوائد لابن القيم: (٣٤/١).
(٦) اغاثة اللهفان لابن القيم: ص٧١.

الخبائث؛ فإذا انصبغ القلب بهما بَعُد ممن هو طيب، لا يصعد إليه إلا طيب، وكلما ازداد خبثاً ازداد من الله بعداً، ولما كانت هذه حال الزنا كان قريباً للشرك قال الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣]"[١].

ثانياً: شرك الطاعة:

دلالة وجود شر ك الطاعة في قوم لوط عليه السلام:

المتأمل في قصة قوم لوط يجد طاعتهم العمياء لسادتهم وكبرائهم، فهم يحلون لهم ويحرمون عليهم من دون الله تعالى، فتكون الطاعة لغير الله تعالى، وكل تحكيم لأمر غير الله تعالى في شرع الله تعالى بوحي شيطاني أو بوحي بشري هو طاعة لغير الله تعالى، وتقديم حب غير الله تعالى على حبه سبحانه، وتقديم لطاعة غير الله تعالى على طاعته، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية الكريمة: " هما وحيان، وحي الله، ووحي الشيطان"[٢]، كما قال تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

ومن المعلوم بالضرورة أن من ترك طاعة الله تعالى إلى طاعة غيره واستحل الحرام واتبعه في دينه فقد أشركه به تعالى، بل آثر حكمه وحكم هواه على حكم الله تعالى، وقد بين تعالى أن الشياطين يوسوسون إلى أوليائهم من شياطين الإنس ليجادلوكم، فإذا حصلت الطاعة لهم من المؤمنين خرجوا من الإيمان وأصبحوا مشركين، كما صرحت الآية: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

يقول السعدي في معنى الآية: "فإن المشركين حين سمعوا تحريم الله ورسوله الميتة، وتحليله للمذكاة، وكانوا يستحلون أكل الميتة قالوا معاندة لله ورسوله، ومجادلة بغير حجة ولا برهان أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله؟ يعنون بذلك: الميتة. وهذا رأي فاسد، لا يستند على حجة ولا دليل بل يستند إلى آرائهم الفاسدة التي لو كان الحق تبعاً لها، لفسدت السموات والأرض، ومن فيهن، فتبا لمن قدم هذه العقول على شرع الله وأحكامه"[٣].

يقول الألوسي في تفسيره: "والظاهر أن التعبير عن هذه الإطاعة بالشرك من باب التغليظ"[٤].

---

(١) اغاثة اللهفان: ص٦٥.

(٢) تفسير ابن كثير: (٣٢٨/٣).

(٣) تفسير السعدي: (٢٧١/١).

(٤) تفسير الالوسي: (١٠/٦).

وكيف يكون الشرك في الدعاء شركًا أكبر مخرجًا من الملة، ولا يكون الشرك في التشريع كذلك؟ فإن الشرك في التشريع يعتبر مخرجاً من الملة، وكل ما هو مخالف لأمر الله تعالى سماه الله تعالى شركاً. وهل كان شرك إبليس إلا في رد أمر الله؟ وهل كان كفر قوم لوط إلا في رد أمر الله وتكذيب رسله ؟.

وكلا النوعان من شرك الطاعة أي: الشرك في التشريع، وشرك الدعاء متآلفان ومتجانسان ومرتبطان، إذا وجد أحدهما كان دليل وجود الآخر لزوماً، فإذا وجد شرك الدعاء في قوم كان فيهم شرك الطاعة لغير الله تعالى ولا يمكن فصل أحدهما عن الأخر.

والآيات متعددة في بيان شرك الطاعة كما قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وقوم لوط عليه السلام لم يكن كفرهم بسبب دعائهم غير الله تعالى وتحكيمهم أمر كبرائهم ورؤسائهم فحسب كما مر بنا، وإنما بسبب ردهم أمر الله تعالى، وعدم قبوله وتكذيب رسولهم الذي دعاهم للنجاة، لكنهم حكموا شرع غير الله تعالى وأحبوه وقبلوه وتمادوا فيه، وقد غاب عنهم وعن غيرهم ممن جعل غير الله تعالى مشرعاً وحاكماً وجود التلازم بين ربوبية الله تعالى وبين حق الله تعالى الكامل في الحكم والأمر والتشريع.

وقد بين تعالى أن إفراده تعالى بالحكم كإفراده بالدعاء حيث قال تعالى: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، فالتحاكم إلى شرع الله تعالى من تمام العبودية لله تعالى فهو أحد العبادات التي يجب صرفها لله وحده، وصرفها لغير الله شرك.

ومن أراد تحقيق الربوبية والألوهية الحقة فلابد له من التحاكم لأمر الله تعالى وإثبات حق التشريع لله تعالى وحده والأمر والنهي وقبول أمره ونهيه والرضا به ظاهراً وباطناً.

المطلب الثالث: النفاق وأنواعه

ومن نواقض الإيمان التي دلت عليها قصة قوم لوط النفاق.

معنى النفاق في اللغة: اختلفت أقوال اللغويون في معنى النفاق في اللغة على عدة معاني:

الأول: قيل النفاق مشتق من النافقاء: وهي حجرة اليربوع، والجمع النوافق. والنفقة أيضاً، ومن هذا المعنى كان اشتقاق المنافق في الدين[1]. يقال: قد نفق ونافق، هكذا يفعل المنافق يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه[2].

---

(١) الصحاح للجوهري: (١٥٦٠/٤)، القاموس المحيط: (١١٩٦/١)، النهاية في غريب الأثر لابن الاثير: (٢٠٨/٥).
(٢) تهذيب اللغة: (١٥٦/٩).

الثاني: أنه مشتق من النَّفق وهو: سرب في الأرض له مخرج إلى مكان آخر. وتسمية المنافق منافقاً؛ لأن صاحبَه يكتُم خلافَ ما يُظهِر، فكأن الإيمان يَخرُج منه، أو يخرج هو من الإيمانِ في خفاء(١).

معنى النفاق شرعاً:

هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر والشر. فيظهر المنافق خلاف ما يبطن، ويخالف قوله فعله، وقد سمي بذلك منافقاً لأنه يدخل في الشرع من باب، ويخرج منه من باب آخر(٢).

وصاحب النفاق هو المنافق ويسمى الزنديق أيضاً، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: " والمنافق هو الزنديق في اصطلاح الفقهاء الذين تكلموا في توبة الزنديق"(٣). وقد كشف الله تعالى حقائق المنافقين وبين دسائسهم وشرهم وخطرهم وسوء عاقبتهم في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، أي: الخارجون من الشرع. وجعل اللّه المنافقين شرا من الكافرين فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٩ – ١٠]

أنواع النفاق: ينقسم النفاق إلى نوعين(٤):

النوع الأول: النفاق الأكبر ويسمى بالنفاق الاعتقادي، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان ويبطن خلاف ذلك، وهو الذي كان على عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، ومن صوره:

- الكفر وعدم الإيمان.
- والاستهزاء بالدين وأهله والسخرية منهم.
- بغض الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعض ما جاء به.
- عدم اعتقاد وجوب تصديق النبي صلى الله عليه وسلم.

النوع الثاني: هو النفاق الأصغر، ويسمى النفاق العملي، وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يخرج من الملة، لكنه وسيلة إلى ذلك. وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق، وإذا كثر صار بسببه منافقا خالصا كما دل على ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله

(١) مقاييس اللغة: (٥/٣٦٤).

(٢) التوحيد للفوزان: ص٢١، عقيدة أهل السنة والجماعة لسعيد بن مسفر: ص٦٥.

(٣) الفتاوى الكبرى لابن تيمية: (٥/٢٩٣).

(٤) التوحيد للفوزان: ص٢١، عقيدة أهل السنة والجماعة لسعيد بن مسفر: ص٦٥-٦٦.

عليه وسلم: «أربع خلال من كن فيه كان منافقا خالصا، من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها» (1).

دلالة الآيات على وجود النفاق في قوم لوط عليه السلام:

قال تعـالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

ما ورد من الآثار في وجود النفاق في قوم لوط عليه السلام:

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أما امرأة لوط فإنها كانت تدل على الأضياف، وأما امرأة نوح فلا علم لي بها"(2). وقيل في روايات أخرى أن زوجتي النبيين لوط ونوح عليهما السلام، كانتا منافقتين(3).

وروى أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في هذه الآية: "أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على لوط"(4).

وروى كذلك بسنده عن الضحاك في معنى الآية قال: "ما بغت امرأة نبي قط، "فخانتاهما"، قال: في الدين خانتاهما"(5)، وقال أيضاً: "كانتا مخالفتين دين النبي صلى الله عليه وسلم كافرتين بالله"(6)، وروى عن عكرمة مثله وقال: "وكانت خيانتهما أنهما كانتا مشركتين"(7).

وروى بسنده عن ابن عباس قوله: "كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، فكان ذلك من أمرها، وأما امرأة لوط فكانت إذا ضاف لوطا أحد خبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا"(8).

---

(١) صحيح البخاري: (١٦٠/٣)، كتاب الجزية، باب إثم من عاهد ثم غدر.

(٢) جامع البيان: (٨١١٤/١٠)، وقد رواه جمع، وصححه الحاكم عن ابن عباس وأخرج ابن عدي والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر عن الضحاك أنه قال: "خيانتهما النميمة وتمامه في رواية: "كانتا إذا أوحى الله تعالى بشيء أفشتاه للمشركين".

(٣) قال الشوكاني: وقع الإجماع على أنه ما زنت امرأة نبي قط، وقيل: كانت خيانتهما بالنفاق، السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: ص٤٧٨٣. تفسير القرطبي: (٢٠٢/١٨)، فتح القدير: (٢٥٥/٥).

(٤) جامع البيان: (٨١١٣/١٠)، والسيوطي في الدُّر المنثور: (٦١/١٠)، وأخرجه ابن عيينة، جزء فيه حديث سفيان بن عيينة: ص١١٨.

(٥) جامع البيان: (٨١١٣/١٠).

(٦) جامع البيان: (٨١١٤/١٠).

(٧) جامع البيان: (٨١١٢/١٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن عدي والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر: (٢٢٨/٨).

(٨) جامع البيان: (٨١١٣/١٠)، والسيوطي في الدُّر المنثور: (٦١/١٠).

وروى السيوطي عن عكرمة رضي الله عنه انه قال في الآية: "فخانتاهما"، قال: "في الدين"(١).

مما سبق يظهر لنا أن خيانة زوجة لوط عليه السلام كانت في الدين، وهو ما يعرف بالنفاق؛ الذي يكون صاحبه مبطناً خلاف ما يظهر، و لم تكن الخيانة بمعنى الخيانة في الفراش(٢).

والخيانة والنفاق كما قال الراغب: "بمعنى واحد، إلا أن الخيانة تقال اعتباراً بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتباراً بالدين، ثم يتداخلان، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر، ونقيضها الأمانة"(٣).

قال الشوكاني: "وقع الإجماع على أنه ما زنت امرأة نبي قط، وقيل: كانت خيانتهما بالنفاق، وقيل: خانتاهما بالنميمة"(٤)، وإلى هذا القول ذهب الزمخشري(٥). ونقل البغوي عن الكلبي(٦) قوله: "أسرتا النفاق وأظهرتا الإيمان"(٧)، وإن كان في روايته ضعف كما ذكر العلماء أمثال البخاري وغيره، فقد نقل ابن حجر عن ابن عدي قوله في الكلبي: "رضوه في التفسير"(٨).

فقول الكلبي: أن زوجتا النبيين نوح ولوط عليهما السلام كانتا منافقتين يظهران الإيمان وتبطنان الكفر، فهذا هو معنى الخيانة، وأنها كانت في الدين و لم تكن في الفراش، كما جاء في رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

نخلص من ذلك أن زوجة النبي لوط عليه السلام كانت متصفة بالنفاق الذي هو إظهار خلاف الحقيقة، و لم تكن موافقة للنبي لوط عليه السلام في الدين، وقد وصفها القرآن الكريم بالكفر كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠] وكان جزائها من الله تعالى دخول النار مع الداخلين.

---

(١) الدر المنثور: (٨/٢٢٨).

(٢) أضواء البيان: (٨/٢٢٤).

(٣) نقلاً عن روح المعاني: (٢٨/١٦٢).

(٤) فتح القدير: (٥/٢٥٥).

(٥) الكشاف: (٤/٥٧٥).

(٦) محمد بن السائب الكلبي، كان عالماً بالنسب وأحاديث العرب وأيامهم، قالوا: في روايته ضعيف جدا. الطبقات الكبرى: (٦/٣٥٨)، قال البخاري عنه في الضعفاء: تركه يحيى بن سعيد، الضعفاء الصغير: (١/١٠١). الكاشف: (٢/١٧٤).

(٧) تفسير البغوي: (٤/٣٦٨).

(٨) لسان الميزان: (٧/٥١٧).

الفصل الثاني

المبحث السادس: خيانة أزواج الأنبياء

أولاً: معنى الخيانة

ثانياً: خيانة زوجة النبي " لوط " عليه السلام

ثالثاً: أقوال المفسرين في معنى خيانة أزواج النبيين " نوح " و " لوط " عليهما السلام

رابعاً: ما ورد في هلاك زوجة " لوط " عليه السلام

خامساً: فرية وقوع الفاحشة من زوجة النبي " لوط " عليه السلام والرد عليها

المبحث السادس: خيانة أزواج الأنبياء:

أولاً: معنى الخيانة

الخيانة في اللغة: أصل الخيانة: من الخون، وهو النقص؛ ذلك لأن الخائن ينتقص المخون مما ائتمنه عليه، يقال: خانه يَخُونُه خَوْناً وخِيانةً وخانَةً ومَخانَةً.

وتطلق الخيانة في اللغة على أمرين:

الأول: على التفريط في الأمانة التي يأتمن الغير عليها، وعدم مراعاة حق الله تعالى فيها.

الثاني: على نقض العهد والغدر وإخفاء الشيء. وكلاهما انتقاص من حقوق الغير[(١)].

قال الزمخشري: "معنى الخون: النقص، كما أن معنى الوفاء التمام. ومنه: تخوّنه، إذا تنقصه، ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء، لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، والمعنى لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه، ورسوله بأن لا تستنوا به. وأَمَانَاتِكُمْ، فيما بينكم بأن لا تحفظوها"[(٢)]، فالخون هو النقص، والوفاء هو التمام، فتكون الخيانة نقص في الحقوق عامة، والوفاء إتمام.

والتخون: هو التعهد. وهو على معاني شتى، يقال: خانني فلان خيانة وخانه الدهر أي انقلب حاله من حال النعيم إلى السوء ومن اللين إلى الشدة، يقول الأصفهاني: "الخيانة والنفاق واحد، إلا أن الخيانة تقال اعتباراً بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتباراً بالدين، ثم يتداخلان، فالخيانة: مخالفة الحق بنقض العهد في السر. ونقيض الخيانة: الأمانة، يقال: خنت فلاناً، وخنت أمانة فلان"[(٣)]. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، وخائنة الأعين: ما يكون من مسارقة الأعين إلى غير ما أحله الله تعالى[(٤)].

ولا تختص الخيانة في عدم أداء أمانات الناس وإيصال حقوقهم إليهم، بل هي تشمل أيضا عدم أداء ما افترضه الله تعالى على عباده من الأوامر والنواهي. لذلك ينهى الله تعالى عباده المؤمنين من الخيانة والكفر والغش، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧]. ذكر الطبري في معنى الآية: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تخونوا الله، وخيانتهم الله ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الإيمان في

---

(١) انظر: تاج العروس: (٤٩٩/٣٤)، لسان العرب: (١٤٤/١٣).

(٢) الكشاف: (٢٠٢/٢).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: (٣٣٤/١)، التعاريف للمناوي: (٣٢٩/١).

(٤) تهذيب اللغة للأزهري: (٢٥/٣)، تاج العروس: (٤٩٩/٣٤)، لسان العرب: (١٤٤/١٣).

الظاهر والنصيحة وهو يستتر الكفر والغش لهم في الباطن يدلون المشركين على عورتهم ويخبرونهم بما خفي عنهم من خبرهم"(١).

معنى الخيانة شرعاً: قال ابن كثير في معنى الخيانة هي: "نقض لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود"(٢).

والخون والخيانة: إبطال ونقض ما وقع عليه تعاقد من دون إعلان بذلك النقض.

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

والخيانة ضد الأمانة وهي مأخوذة من الأمن. والأمانة: هي الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفريضة، سميت أمانة لأنها يؤمن معها من منع الحق(٣).

والخيانة ضد الوفاء، واستعمل الوفاء في الإتمام بالعهد لأن من أنجز بما عاهد عليه فقد أتم عهده، فلذلك يقال: أوفى بما عاهد عليه. فالإيمان والطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم هي عهد بين المؤمن وبين الله ورسوله، فكما جاء التحذير من المعصية العلنية جاء التحذير من المعصية الخفية وهي خيانة العهد.

ثانياً: خيانة زوجة النبي " لوط " عليه السلام.

ما ورد في خيانة زوجة لوط(٤) عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]

روى ابن جرير رحمه الله تعالى بسنده عن ابن عباس، قوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: "كانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون. وكانت امرأة لوط تَدُل على الضيف"(٥). وروى عن ابن عباس أيضاً قال: "أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على لوط"(٦).

وروى أيضا بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما بغت امرأة نبي قط ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: في الدين خانتاهما"(٧).

---

(١) تفسير الطبري: (٢٢١/٩).

(٢) تفسير ابن كثير: (٣٢١/٢)، فتح القدير: (٣٢٠/٢).

(٣) تفسير ابن كثير: (٣٠٢/٢)، تفسير القرطبي: (٣٩٥/٧).

(٤) قيل: اسمها واهلة، وقيل: والهة، روى الالوسي عن مقاتل قال: "اسم امرأة نوح والهة، واسم امرأة لوط والعة". روح المعاني: (١٦٢/٢٨).

(٥) جامع البيان: (٨١١٣/١٠)، والسيوطي في الدُّر المنثور: (٦١/١٠)، وأخرجه ابن عيينة، جزء فيه حديث سفيان بن عيينة: ص١١٨.

(٦) جامع البيان: (٨١١٣/١٠)، فتح القدير: (٣٨٥/٥)، روح المعاني: (١٦٢/٢٨).

(٧) جامع البيان: (٨١١٣/١٠)، الدر المنثور: (١٦/١٠).

وروى ابن جرير بسنده عن ابن عباس قوله: "كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تطلع على سرّ نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، فكان ذلك من أمرها؛ وأما امرأة لوط فكانت إذا ضاف لوطًا أحد أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء"(١).

وروى بسنده عن الضحاك قال: "كانتا مخالفتين دين النبي صلى الله عليه وسلم كافرتين بالله"(٢).

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما زنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس: إنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط، فكانت تدل على الضيف، فتلك خيانتها"(٣).

معنى الآية: يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة ما اشتملت عليه الآية من ضرب الأمثال التي يذكرها الله تعالى لتقريب المعنى للأفهام وللاتعاظ والتدبر في حال قصص السابقين، وليس كل من يسمع الأمثال يفهمها ويأخذ الحكمة منها، وإنما يتدبرها وينتفع بها أصحاب العقول السليمة العالمون، أولوا الألباب، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وفي هذه الآية يضرب الله تعالى مثلاً للكفار وهما زوجتي النبيين الكريمين نوح ولوط عليهما السلام، لم يكن بينهما وبين أزواجهما ما فرضه الله تعالى على كل زوجين من الأمانة وحسن المعاشرة والصدق، وهي أسس الرباط المقدس، كما قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، قال ابن عباس في قوله: "وَأَخَذْنَ مِنْكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا" هو: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان"(٤). ولم يكن بينهما ما بين الزوجين من التواصي بالخير وحسن العشرة والموافقة في الدين وحفظ السر وغير ذلك مما أمر الله تعالى به أن يكون بين كل زوجين، بل كانت العلاقة بين النبي لوط عليه السلام وبين زوجه علاقة قائمة على غير ما يرضي الله تعالى، فقد وصفها القرآن الكريم بقوله: "فخانتاهما" أي: وقعت من زوجتي النبيين نوح ولوط عليهما السلام الخيانة لأزواجهم(٥).

---

(١) جامع البيان: (٨١١٣/١٠)، وأخرجه الزيلعي في كتابه: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري: (٦٦/٤). وأخرجه الحاكم في المستدرك: (٤٩٦/٢)، وصححه الذهبي. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير: (٣١٥/٨).

(٢) جامع البيان: (٨١١٣/١٠)، الدر المنثور: (٦١/١٠).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: (٣٣٦٢/١٠)، الدر المنثور: (٢٢٨/٨).

(٤) تفسير ابن كثير: (٢٤٥/٢).

(٥) تفسير البغوي: (٣٦٨/٤)، فتح القدير: (٢٥٥/٥).

ثالثاً: أقوال المفسرين في معنى خيانة أزواج النبيين "نوح" و "لوط" عليهما السلام: [1]

ذكر المفسرون أربعة أقوال في معنى خيانة زوجة النبي نوح و لوط عليهما السلام:

القول الأول: أن معنى الخيانة في الآية يقصد به الخيانة في الدين، وهي تعني اتصاف كلا الزوجتين بالكفر، فلم تكونا على دين النبيين نوح ولوط عليهما السلام، بل كانت كافرتين[2].

القول الثاني: أن المقصود بالخيانة هو: أن زوجتي النبيين الكريمين نوح ولوط عليهما السلام كانتا تسعيان بالنميمة[3]. عن قتادة قال: "انطلقت امرأته -يعني لوط- حين رأتهم -يعني الرسل- إلى قومها فقالت: إنه قد ضافه الليلة قوم ما رأيت مثلهم قط، أحسن وجوها ولا أطيب ريحا ! فجاءوا يهرعون إليه[4]. فهذه الخيانة في الدين هي التي تسببت في إنزال العذاب على زوجة لوط وعدم شمولها بالنجاة كما حدث للوط وابنتيه الذين صدقوا العهد وامنوا و لم يكونوا من الخائنين.

القول الثالث: معنى الخيانة النفاق، فكانت زوجتا النبيين منافقتين، ومعنى نفاقهما أنهما كانتا تبطنان الإيمان وتظهران الكفر[5].

القول الرابع: أن المقصود بالخيانة في الآية هي إخبار الناس بأخبار وأسرار النبيين نوح ولوط عليهما السلام؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، فكان ذلك من أمرها؛ وأما امرأة لوط فكانت إذا ضاف لوطا أحد أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء"[6].

فمعنى خيانة الأنبياء كما بينها المفسرون، أنها الخيانة في الدين، وعدم التوافق فيما بينهما في الإيمان، بل كان النبيين مؤمنين وكانتا أزواجهم كافرتين منافقتين، وكل المعاني الثلاث متقاربة: النفاق والكفر والسعي بالنميمة، فالمنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان، والنميمة هي خصلة من النفاق.

(١) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون: (٦/٤٦).
(٢) جامع البيان: (١٠/٣١١٨)، تفسير ابن كثير: (٤/٣٩٤).
(٣) روح المعاني: (٢٩/٢٧)، جامع البيان: (٦/٤٣٩٢)، ابن جرير في تاريخه: (١/١٨٦).
(٤) جامع البيان: (٥/٣٥٦٩)، ذم اللواط: ص١٠، ابن جرير في تاريخه: (١/١٨٦-١٨٧)، تفسير البغوي: (٤/٣٦٨).
(٥) تفسير البغوي: (٤/٣٦٨)، تفسير البيضاوي: (٥/٣٥٨). تفسير الخازن: (٧/١٢٣).
(٦) جامع البيان: (١٠/٨١١٣). أخرجه الحاكم في المستدرك: (٢/٤٩٦)، وصححه الذهبي، زاد المسير: (٨/٣١٥).

وقد نقل ابن القيم رحمه الله تعالى إجماع الأمة على أن المقصود من خيانة أزواج الأنبياء هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر وهذا ما أجمعت عليه الأمة، وأنه ما زنت امرأة نبي قط، سواء كانت مؤمنة أو كافرة، وخيانة امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام إنما كانت في إظهارهما الإيمان وإخفائهما الكفر لا غير[١].

يقول الشنقيطي: "فيه بيان أن العلاقة الزوجية لا تنفع شيئاً مع الكفر: فلم تنفعهما هذه العلاقة الزوجية و لم تشفع لهما عند الله تعالى، ففي الدنيا حل عليهما العذاب من الله تعالى وفي الآخرة مصيرهما دخول النار، فالدخول في نار جهنم هو النتيجة الحتمية للخيانة في الدين والكفر بالله تعالى. ولا تنفع حينئذ أواصر الزوجية ولا الأنساب والأحساب[٢].

رابعاً: ما ورد في هلاك زوجة لوط عليه السلام

ذكر الله تعالى من قصة زوجة النبي لوط عليه السلام، وأن الله تعالى كتب لسيدنا لوط وأهله النجاة إلا امرأته فإنها بقت في العذاب ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٠ – ١٧١]. وروى ابن جرير وابن أبي حاتم بسندهما عَنْ قتادة، في معنى قوله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ قَالَ: "فِي الْبَاقِينَ فِي عَذَابِ اللَّهِ"[٣].

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن قتادة قوله: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ قال: "هي امرأته"[٤]، وروى بسنده أيضاً عن عبد الرحمن بن زيد: قال في قول الله: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ "هي امرأة لوط المغبرة الشقية، "في الغابرين" الباقين الذين غبروا وابقوا"[٥].

وروى ابن جرير بسنده عن الضحاك: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ "يقول: إلا امرأته تخلّفت فمسخت حجراً، وكانت تسمى هيشفع"[٦]. وروى أيضاً بسنده عن السدي، في قوله: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ قال: الهالكين[٧].

---

(١) تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء: ص٣٩، ابن كثير في تفسيره: (٣٩٤/٤)، وابن أبي حاتم: (٣٣٦٢/١٠)، أضواء البيان: (٢٢٤/٨).

(٢) أضواء البيان: (٢٢٤/٨)، تفسير الماوردي: (٢٩٦/٤)، فتح القدير: (٢٥٥/٥).

(٣) جامع البيان: (٣٥٦٩/٥)، سنده صحيح، ذكره في الصحيح المسبور: (٣٣٤/٢).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم: (١٥١٩/٥)، و السيوطي في الدر المنثور: (٣١٧/٦).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم: (٢٨٠٩/٩).

(٦) جامع البيان: (٦٩٣٥/٨)، والسيوطي في الدر المنثور: (١٢٠/٧).

(٧) جامع البيان: (٦٩٣٥/٨)، وإسناده حسن، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٣٢٢٥/١٠)، النكت والعيون: (٦٦/٥)، وذكره في الصحيح المسبور: (٢١٠/٤).

وروى أيضا بسنده عن حذيفة قال: "لما دخلوا عليه، ذهبت عَجُوزه "عجوزُ السوء"، فأتت قومها فقالت: لقد تضيَّف لوطًا الليلة قومٌ ما رأيت قومًا قطُّ أحسنَ وجوهًا منهم! قال: "فجاءوا يسرعون، فعاجلَهم إلى لــوط، فقام ملك فلزَّ الباب[1] يقول: فسدّه واستأذن جبريل في عقوبتهم، فأذن له، فضربهم جبريل بجناحه، فتركهم عميانًا، فباتوا بشرّ ليلة، ثم قالوا: إنا رسل ربك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، قال: "فبلغنا أنها سمعت صوتًا، فالتفتت فأصابها حجر، وهي شاذّة من القوم معلومٌ مكانها[2].

وروى ابن جرير أيضاً بسنده عن سعيد قال: "فمضت الرُّسُل من عند إبراهيم إلى لوط، فلما أتــوا لوطًــا، وكان من أمرهم ما ذكر الله، قال جبريل للوط: يا لوط، إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين، فقــال لهم لوط: أهلكوهم الساعة! فقال له جبريل عليه السلام: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هــود: ٨١] فأنزلت على لوط: "أليس الصبح بقريب"، قال: فأمره أن يسري بأهله بقطع من الليل، ولا يلتفت منهم أحد إلا امرأته، قال: فسار، فلما كانت الساعة التي أهلكوا فيها، أدخل جبريل جناحَه فرفعها، حتى سمع أهلُ الســماء صياح الديكة ونباحَ الكلاب، فجعل عاليها سافلَها، وأمطر عليها حجارة من سجِّيل. قال: وسمعت امــرأة لــوط الهَدَّة[3]، قالت: واقوماه! فأدركها حَجَرٌ فقتَلها"[4].

معنى الآية:

في هذه الآيــة: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣ – ٨٤]، يبين تعالى أنه كتب النجاة للوط عليه السلام ولأهله، لكن امرأته لم تكن مــن الناجين، وأن مجيء الملائكة إلى النبي لوط عليه السلام من أجل عذاب قومه، وكان عليه السلام قد عالجه الخــوف والوجل بسبب الملائمة، ولا ضير في ذلك فهذه طبيعة النفس البشرية. وأمروه بالخروج من القرية باستثناء زوجتــه فهي هالكة في العذاب.

فقد كتب الله تعالى على زوجة لوط الهلاك فهلكت. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ يقول: إنه مصــيب امرأتك ما أصاب قومك من العذاب، لكونها كانت كافرة[5]، وهلاك زوجة لوط علبه السلام كان بقدر مــن الله تعالى بلا شك، فإن الله تعالى أمر نبيه لوط ومن آمن معه بعدم الالتفات فأطاع لوط ربــه، إلا زوجتــه التفتــت، فكانت من الهالكين.

---

(١) قال الزمخشري في معنى لزَّ الباب يلزه: إذا لحجه، ولز الشيء بالشيء قرن به وألصق فالتز به. أساس البلاغة: (٥٦٣/١).

(٢) جامع البيان: (٦٩٣٥/٨)، وذكره عبد الرزاق في تفسيره: (١٩٥/٣-١١٨٠)، تفسير القرطبي: (٧٨/٩).

(٣) الهدة: صوت وقوع الشيء الثقيل، المعجم الوسيط: (٩٧٦/٢)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (٧/٦).

(٤) جامع البيان: (٦٩٣٥/٨)، الدر المنثور: (٣٣٣/٥).

(٥) تفسير الطبري: (٤٣٩٦/٦)، فتح القدير: (٥١٥/٢).

يقول ابن كثير: "أنها خرجت معهم وأنها لما سمعت الوجبة التفتت وقالت: واقوماه فجاءها حجر من السماء فقتلها ثم قربوا له هلاك قومه تبشيرا له لأنه قال لهم أهلكوهم الساعة فقالوا: إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب، هذا وقوم لوط وقوف على الباب عكوف قد جاءوا يهرعون إليه من كل جانب، ولوط واقف على الباب يدافعهم ويردعهم وينهاهم عما هم فيه، وهم لا يقبلون منه بل يتوعدونه ويتهددونه، فعند ذلك خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب وجوههم بجناحه فطمس أعينهم فرجعوا وهم لا يهتدون الطريق"(١).

ومن الملاحظ أن كلمة الغابرين قد تكررت في آيات عدة:

قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٣ – ٨٤]، وللآية شواهد من كتاب الله تعالى: ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ۝ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٠ – ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [الحجر: ٥٧ – ٦٠]، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ۝ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ [الصافات: ١٣٣ – ١٣٦] قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [النمل: ٥٧].

المعنى اللغوي لكلمة "غَبَرَ": غبر في اللغة: تدور حول معنيين. الأول بمعنى: بقى، يقال: غَبَرَ الشَّيْءُ يغْبُرُ غبُوراً كقعُودٍ: بمعنى مكَث وبَقيَ.

والثاني: بمعنى الذهاب، يقال: غبَر غبُوراً، ذهَبَ ومضَى. والغَابرُ: البَاقي، والغَابرُ: الماضي، وجمع الغُبرِ أغْبَارٌ، كقُفلٍ وأَقفَالٍ، وجَمعُ الغُبّرِ غُبّرَات، وغبّرُ المرَضِ: بقاياهُ. وكذلك غُبرُ اللّيلِ: آخِره وبقَاياه، واحِدُها غُبرٌ"(٢).

وقد ذكر المفسرون أن كلمة: "الغابرين" تدور حول ثلاث معاني:

الأول: من الباقين في الهلكى، والأكثر في اللغة أن يكون معنى الغابر هو: الباقي، كما قال ابن عباس وقتادة: "غبر الشيء إذا مضى، وغبر إذا بقي(٣)، قال الأعشى(٤):

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤٥٥/٢).

(٢) تاج العروس: (١٨٦/١٣-١٨٩) مادة: غبر، القاموس المحيط: (٥٧٥/١)، لسان العرب: (٣/٥).

(٣) انظر: تاج العروس: (١٨٦/١٣-١٨٩) مادة: غبر، القاموس المحيط: (٥٧٥/١)، لسان العرب: (٣/٥)، النهاية في غريب الاثر: (٦٣٠/٣)، جامع البيان: (٣٥٦٨/٥)، الجامع لأحكام القرآن: (٢٤٦/٧).

(٤) ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، الاعشى الكبير: من شعراء الطبقة الاولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، ليس أحد أكثر شعراً منه. سمي (صناجة العرب) عاش عمرا طويلا، وأدرك الإسلام و لم يسلم. ولقب بالأعشى لضعف بصره. وعمي في أواخر عمره. وفاته سنة: (٧هـ) في قرية (منفوحة) قرب مدينة (الرياض). الأعلام للزركلي: (٣٤١/٧).

عض بما أبقى المواسي له من أمة في الزمن الغابر[١]

قال الطبري: "إلا امرأته" كانت من الباقين قبلَ الهلاك، والمعمَّرين الذين قد أتى عليهم دهرٌ كبيرٌ ومرّ بهم زمن كثيرٌ، حتى هرِمت فيمن هرِم من الناس، فكانت ممن غبرَ الدهرَ الطويلَ قبل هلاك القوم، فهلكت مع من هلك من قوم لوط حين جاءهم العذاب[٢].

القول الثاني: من الغابرين، أي: في النجاة، لطول عمرها. قال النحاس وأبو عبيدة: أن المعنى من المعمرين؛ أي أنها قد هرمت.

والغابر عند أهل اللغة من الأضداد[٣]، يقال لما بقي غابر ولما ذهب وغاب غابر[٤].

وقال الزجاج: "مِنَ الْغَابِرِينَ" أي من الغائبين عن النجاة[٥].

القول الثالث: من الغابرين في الغم؛ لأنها لقيت هلاك قومها[٦].

سبب النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أحد﴾ عن عدم الالتفات:

ومعنى عدم الالتفات أي لا ينظر إلى ما وراءه أو يشتغل بما خلفه من مال أو غيره، ويعود ذلك النهي لسببين:

الأول: أن لا يروا عذاب قومهم وهول ما نزل بهم فيرحموهم ويرقوا لهم.

الثاني: حتى لا ينقطعوا عن السير المطلوب منهم بما يقع من الالتفات فإنه لا بد للملتفت من فترة في سيره[٧].

وقيل: أن لوط عليه السلام أخرجها مع أهله ونهاهم عن الالتفات لأن الالتفات يكون فيه شيء من العطف عليهم أو التعلق بهم، والله قطع أواصر العلاقة بينهم، وقطع أن يكون بينه وبينهم صلة بالعطف أو بغيره، فقال له: ﴿وَلا يَلْتَفِتْ مِنكم احد إلا امرأتك.. ﴾ فالتفتت هي فأصابها حجر فهلكت، أو أنها لم تسر مع لوط والذين آمنوا معه بل تخلفت وبقيت مع الباقين في العذاب[٨].

(١) البيت في ديوان الأعشى من قصيدة يهجو علقمة بن علاثة، ويمدح عام بن الطفيل. ديوان الأعشى: (١٠٥/١) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: (٢١٩/١)، جامع البيان: (٣٥٦٨/٥).

(٢) جامع البيان: (٣٥٦٨/٥).

(٣) كتاب الأضداد: ص٣٣٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٢٤٦/٧)،

(٥) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٦) تفسير الماوردي: (٢٣٧/٢)، الجامع لأحكام القرآن: (٢٤٦/٧)، معاني القرآن للنحاس: (٥١/٣).

(٧) فتح القدير: (٥١٥/٢).

(٨) روح المعان للألوسي: (٢٥١/٦)، تفسير الرازي: (٢٠١٨/١)، تفسير ابن كثير: (١٥٨/٦).

خامساً: فرية وقوع الفاحشة من زوجة النبي لوط عليه السلام والرد عليها:

ذكر ابن عطية في المحرر نقلا عن تفسير شفاء الصدور لابن النقاش: قال الحسن البصري: خانتاهما بالكفر والزنا وغيره(١).

ويعني هذا بأن زوجة النبي لوط عليه السلام كانت تفعل الفاحشة مع قومها من أهل القرية، فهي بالإضافة إلى كفرها فإنها كانت تتجرأ على فعل الفاحشة مع قومها.

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]، وقوله تعالى ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

وجه استدلالهم بهاتين الآيتين من خلال عدة أمور وهي كما يلي:

أولاً: أن الله تعالى قال للنبي نوح عليه السلام عن ابنه: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ وهذا يعني أنه وليس من ذريته بنص الآية، فيكون ابن زنا، وأن زوجة النبي نوح عليه السلام خائنة لزوجها نوح عليه السلام بدليل: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ وإذا كانت زوجة نوح عليه السلام خائنة لزوجها كما دلت عليه هذه الآية، فإن زوجة لوط عليه السلام كذلك خائنة، فالآية جمعتهما في صفة واحدة وهي صفة الخيانة(٢).

ثانياً: ذكر القائلين بجواز وقوع الزنا من زوجات النبيين نوح ولوط عليهما السلام، فإن زوجة النبي لوط عليه السلام، كانت تدل قومها على الأضياف وتخبرهم بقدومهم ومعونة لهم وموافقة لهم في هذا الأمر فمن غير المستبعد أن تكون مع قومها تفعل الفاحشة، فإن كانت متوافقة معهم في المبدأ فما المانع أن تكون متوافقة معهم في الفعل والذنب.

ثالثاً: ذكروا أن العصمة من الله تعالى ثابتة للأنبياء فقط عليهم السلام، وليست ثابتة لأزواج الأنبياء فهن غير معصومات عن فعل الفاحشة، فإذا جاز منهم وقوع الكفر فمن باب أولى وقوع ما هو دونه وهو الزنا(٣).

الجواب على هذه الشبهة:

أولا: استدلالهم بقوله تعالى: فخانتاهما، على جواز وقوع الخيانة من أزواج الأنبياء استدلال غير صحيح، فقد ذكر المفسرون معنى الخيانة على الوجه الصحيح وبينوا مدلولها، كما سبق بيان ذلك.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٣٣٥/٥).

(٢) انظر تفسير الرازي: (١٨٥/١٧)، قصص الأنبياء للنجار: ص٣٨.

(٣) انظر حاشية قصص الأنبياء للنجار: ص ٣٨

فهذه الخيانة في الدين هي التي تسببت في إنزال العذاب على زوجة لوط وعدم شمولها بالنجاة كما حدث للوط وابنتيه الذين صدقوا العهد وامنوا و لم يكونوا من الخائنين. قال ابن عباس: "ما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون وإذا آمن به أحد أخبرت به الجبابرة وأما امرأة لوط فإنها كانت تدل على قومه على أضيافه إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار وإذا نـزل بالنهار دخنت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف"(١).

ثانياً: أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ بأن ابن النبي نوح عليه السلام ليس ابنه وهو ابن زنا، فهذا أمر فيه خلاف بين العلماء المفسرين، نقل هذا الخلاف الفخر الرازي في تفسيره وذكر الأقوال في ذلك:

القول الأول: أنه ابن سيدنا نوح عليه السلام في الحقيقة؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ [هود: ٤٢]، وصرف هذا اللفظ إلى أنه رباه، فأطلق عليه اسم الابن لهذا السبب صرف للكلام عن حقيقته إلى مجازه من غير ضرورة وأنه لا يجوز، والذين خالفوا هذا الظاهر إنما خالفوه لأنهم استبعدوا أن يكون ولد الرسول المعصوم كافراً، وهذا بعيد، فإنه ثبت أن والد رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم كان كافراً، ووالد إبراهيم عليه السلام كان كافراً بنص القرآن، فكذلك ههنا، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في أنه عليه السلام لما قال: ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾ [نوح: ٢٦ – ٢٧]، فكيف ناداه مع كفره؟. فذكر الرازي جواباً عن قولهم هذا من وجوه: (٢)

الأول: أن ابن نوح عليه السلام كان ينافق أباه فظن نوح أنه مؤمن؛ فلذلك ناداه ولولا ذلك لما أحب نجاته.

والثاني: أنه عليه السلام كان يعلم أنه كافر، لكنه ظن أنه لما شاهد الغرق والأهوال العظيمة فإنه يقبل الإيمان فصار قوله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢] كالدلالة على أنه طلب منه الإيمان وتأكد هذا بقوله: "وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ" أي: تابعاً لهم في الكفر، واركب معنا.

والثالث: أن شفقة الأبوة لعلها حملته على ذلك النداء، فقد جاء التصريح بالآية بأبوة سيدنا نوح عليه السلام لابنه لقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ﴾ ، وبالتصريح من النبي الأب نوح عليه السلام: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، وحمل اللفظ على غير معناه أمر مخالف للحقيقة وللمراد الصحيح من الآية.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣٩٤/٤).

(٢) التفسير الكبير: (١٨٥/١٨).

القول الثاني: نقل الفخر الرازي عن محمد بن علي الباقر(١) والحسن البصري قولهم أنه كان ابن امرأته، قرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير: " نُوحٌ ابْنَهَ" بفتح الهاء يريد أن ابنها إلا أنهما اكتفيا بالفتحة عن الألف.

وقد روى عبد الرزاق عن ابن عباس يعني قوله: "ونادى نوح ابنه"، قال: ابنه غير انه خالفه في العمل والنية(٢).

القول الثالث: أنه ولد على فراشه لغير رشدة(٣).

وقد ذكر الألوسي راداً على قولهم الثالث فقال: "وما يقال من أنه كان لغير رشدة لقوله سبحانه: "فخانتاهما" فارتكاب عظيمة لا يقدر قدرها، فإن الله تعالى قد طهر الأنبياء عليهم السلام عما هو دون ذلك من النقص بمراحل فحاشاهم ثم حاشاهم أن يشار إليهم بأصبع الطعن، وإنما المراد بالخيانة الخيانة في الدين، ونسبة هذا القول إلى الحسن ومجاهد كما زعم الطبرسي(٤) كذب صريح، وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهم "ابنهَ" بهاء مفتوحة دون ألف اكتفاء بالألف عنها وهو لغة كما قال ابن عطية"(٥).

وقال في موضع آخر مبيناً شناعة هذا القول وعظم نسبته لأزواج الأنبياء الكرام المطهرين: "ولعمري لا يكاد يقول بذلك إلا ابن زنا، فالحق عندي أن عهر الزوجات كعهر الأمهات من المنفرات التي قال السعد: إن الحق منعها في حق الأنبياء عليهم السلام وما ينسب للشيعة(٦) مما يخالف ذلك في حق سيد الأنبياء صلى الله تعالى عليه

---

(١) أبو جعفر الباقر: محمد بن علي بن الحسين الإمام الثبت الهاشمي العلوي المدني أحد الأعلام، روى عن أبيه وجابر بن عبد الله وأبي سعيد وابن عمر وعبد الله بن جعفر وعدة، وأرسل عن عائشة وأم سلمة وابن عباس، حدث عنه ابنه جعفر بن محمد وعمرو بن دينار والأعمش والأوزاعي وابن جريج وقرة بن خالد وخلق، مولده سنة ست وخمسين، وروايته في سنن النسائي، كان سيد بني هاشم في زمانه، مات سنة أربع عشرة ومائة وقيل سنة سبع عشرة. تذكرة الحفاظ: (١/١٢٥).

(٢) رواه عبد الرزاق عن قتادة وغيره عن عكرمة وعن ابن عباس: (٢/٣٠٧). وابن أبي حاتم في تفسيره: (٦/٢٠٣٤) وسندهما صحيح، وابن كثير: (٤/٣٢٦)، ونقل أبو الليث في بحر العلوم قول بعض الحكماء: إن الابن إذا لم يفعل ما يفعل الأب انقطع عنه والأمة إذا لم يفعلوا ما فعل نبيهم أخاف أن ينقطعوا عنه. بحر العلوم: (٢/١٥٣).

(٣) يقال هذا ولَد رِشْدة: إذا كان لِنكاح صحيح، كما يقال في ضِده: ولَدُ زِنْية بالكسر فيهما. وقال الأزهري في فَصْل بَغي: أفصحُ اللُّغتين. النهاية في غريب الاثر: (٢/٥٤٣).

(٤) الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، أمين الدين، أبو علي: مفسر محقق لغوي. من الامامية. نسبته إلى طبرستان. له "مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان " مجلدان، و "جوامع الجامع – ط" في التفسير أيضا (ت: ٥٤٨ هـ). الأعلام للزركلي: (٥/١٤٨).

(٥) روح المعاني: (١٢/٥٨).

(٦) وهم شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام ومنهم افترقت صنوف الشيعة كلها، (وفرقة منهم) ادعت الإمرة والسلطان و هم الأنصار ودعوا إلى عقد الأمر لسعد بن عبادة الخزرجي، (وفرقة) مالت إلى أبي بكر بن أبي قحافة وتأولت فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينص على خليفة بعينة وأنه جعل الأمر إلى الأمة تختار لأنفسها من رضيته، واعتل قوم منهم برواية ذكروها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره في ليلته التي توفي فيها بالصلاة بأصحابه

وسلم كذب عليهم فلا تعول عليه وكان شائعاً وفي هذا على ما قيل: تصوير لحال المرأتين المحاكية لحال الكفرة في خيانتهما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الإيمان والطاعة"[(١)].

وتكلم ابن كثير رحمه الله تعالى في الرد على هذه الشبهة فقال رحمه الله تعالى: "وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه، وإنما كان ابن زِنْية، ويحكى القول بأنه ليس بابنه، وإنما كان ابن امرأته"[(٢)]، واحتج بعضهم بقوله: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ﴾ وبقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ ثم ذكر رحمه الله تعالى من احتج بهاتين الآيتين فقال: "فممن قاله الحسن البصري، وبعضهم يقول: كان ابن امرأته. وهذا يحتمل أن يكون أراد ما أراد الحسن، أو أراد أنه نسب إليه مجازاً، لكونه كان ربيبًا عنده، فالله أعلم"[(٣)]،

ونقل رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله تعالى وغيره من السلف قوله: "ما زنت امرأة نبي قط"[(٤)]، قال: قال: وقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: الذين وعدتك نجاتهم. ثم قال: "وقولُ ابن عباس رضي الله عنهما في هذا هو الحق الذي لا محيد عنه، فإن الله سبحانه أغير من أن يمكن امرأة نبي من الفاحشة، ولهذا غضب الله على الذين رمَوا أم المؤمنين عائشة بنتَ الصدّيق زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنكر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١ – ١٥]"[(٥)].

فجعلوا ذلك الدليل على استحقاقه إياه وقالوا رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لأمر ديننا ورضيناه لأمر دنيانا وأوجبوا له الخلافة بذلك فاختصمت هذه الفرقة وفرقة الأنصار وصاروا إلى سقيفة بني ساعدة ومعهم أبو بكر وعمر وأبو عبيده بن الجراح والمغيرة بن شعبة الثقفي وقد دعت الأنصار إلى العقد لسعد بن عبادة الخزرجي والاستحقاق للأمر والسلطان فتنازعوا هم والأنصار في ذلك حتى قالوا منا أمير ومنكم أمير فاحتجت هذه الفرقة عليهم بأن النبي عليه السلام قال: الأئمة من قريش وقال بعضهم أنه قال: الإمارة لا تصلح إلا في قريش فرجعت فرقة الأنصار ومن تابعهم إلى أمر أبي بكر غير نفر يسير مع سعد بن عبادة ومن اتبعه من أهل بيته فإنه لم يدخل في بيعته حتى خرج إلى الشام مراغما لأبي بكر وعمر فقتل هناك بحوران قتله الروم وقال: فصار مع أبي بكر السواد الأعظم والجمهور الأكثر فلبثوا معه ومع عمر مجتمعين عليهما راضين بهما. فرق الشيعة: (٤/١). انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٨٩/٢).

(١) روح المعاني: (١٦٢/٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير: (٣٢٥/٤-٣٢٦).

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٥) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

وممن رد هذه الشبهة الجاحظ[١]، فقال بعدما ذكر قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النور: ٢٦] وفي هذا دليل على أن التأويل في امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام على غير ما ذهب إليه كثير من أصحاب التفسير: وذلك أنهم حين سمعوا قوله عز وجل: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنهُمَا﴾ فدل ذلك على أنه لم يعن الخيانة في الفرج[٢]، فليس المقصود من الآية هي الخيانة في الفراش.

ثانياً: يقال لمن أحتج بجواز وقوع الزنا من زوجات الأنبياء قياساً على وقوع الكفر منهن بدلالة الآية: ﴿فخانتاهما﴾، وذكروا أن العصمة ثابتة للأنبياء فقط، ولا يشترط في ثبوتها للأنبياء الكرام ثبوتها لأزواجهم، فجوزوا وقوع الزنا منهن. فقولهم هذا باطل وغير صحيح؛ لأن كفر المرأة لا يلحق زوجها وإن كان أمراً مخرجاً من الملة، بل الضرر والذنب يكون على المرأة فقط ولا يلحق زوجها.

ومن هنا استدل العلماء على جواز زواج الكتابيات الكافرات. قال ابن تيمية رحمه الله تعالى بعدما ذكر قوله تعالى: "﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ وكانت خيانتهما لهما في الدين لا في الفراش. فإنه ما بغت امرأة نبي قط؛ إذ نكاح الكافرة قد يجوز في بعض الشرائع ويجوز في شريعتنا نكاح بعض الأنواع وهن الكتابيات، وأما نكاح البغي فهو: دياثة. وقد صان الله النبي عن أن يكون ديوثا. ولهذا كان الصواب قول من قال من الفقهاء: بتحريم نكاح البغي حتى تتوب"[٣].

أما فاحشة الزنا إن صدرت من المرأة فإن العار والفضيحة لا تحيط بها وحدها بل تلحقها وتلحق زوجها كذلك[٤]. وعلى هذا فعند استبعاد كون زوجات الأنبياء الكرام زانيات أو واقعات في الفاحشة، هذا هو الأمر الحقيقي والأقرب للصواب، لأنه إذا وقعت منهن الفاحشة والفجور فإنه ولابد أن يلحق العار بأزواجهن، ومقام النبوة متره عن كل فحش وسوء. ومن هذا الباب لا يجوز نسبة القول بأن زوجات الأنبياء زانيات أو أشبه بذلك.

ثالثاً: أما قولهم أن زوجة لوط عليه السلام لم تكن تتعفف عن الفاحشة مع رجال القرية فهذا أمر مستبعد أيضاً وغير صحيح. فقد دلت الآيات الكريمة أن قوم لوط عليه السلام كانت رغبتهم في الرجال وليس في النساء:

---

(١) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الادب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره. وكان مشوه الخلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة،(١٦٣ - ٢٥٥ هـ). الأعلام: (٧٤/٥)، لسان الميزان: (٣٥٥/٤).

(٢) كتاب الحيوان: (٥٩/٤).

(٣) الإيمان الأوسط: ص١٩.

(٤) قصص الأنبياء للنجار: ص٤٢.

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥ – ١٦٦]، كما وضح هذا المعنى ابن جرير رحمه الله تعالى في معنى الآية يقول: وتدعون الذي خلق لكم ربكم من أزواجكم من فروجهن فأحله لكم[1].

كل هذا يدل على تفضيل قوم لوط مناكحة الذكران على الأمر المباح وهو الزواج بالنساء. وبهذا يظهر لنا بطلان قول خيانة أزواج الأنبياء في الفراش.

(١) جامع البيان: (٦٢٣٣/٨).

الفصل الثالث

ما ورد في لوط عليه السلام من مسائل الإيمان بالملائكة عليهم السلام:

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الملائكة.

المطلب الثاني: الايمان بالملائكة.

المطلب الثالث: ما ورد في مجيء الملائكة للنبيين إبراهيم و لوط عليهما السلام و ما جاء في صفاتهم وأسمائهم.

المطلب الرابع: التعريف بأسماء الملائكة كما جاءت في الآثار.

المطلب الخامس: ما ورد من الآيات في مجيء الملائكة للنبيين إبراهيم ولوط عليهما السلام.

﴿الفصل الثالث﴾

الفصل الثالث: ما ورد في لوط عليه السلام من مسائل الإيمان بالملائكة عليهم السلام:

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الملائكة

المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة

المطلب الثالث: ما ورد في مجيء الملائكة للنبيين إبراهيم و لوط عليهما السلام و ما جاء في صفاتهم وأسمائهم

المطلب الرابع: التعريف بأسماء الملائكة كما جاءت في الآثار

أولاً: جبريل عليه السلام

ثانياً: ميكائيل عليه السلام

ثالثاً: إسرافيل عليه السلام

المطلب الخامس: ما ورد من الآيات في مجيء الملائكة للنبين إبراهيم ولوط عليهما السلام

مسألة هل الملائكة أفضل من الأنبياء وسائر بني البشر أم البشر أفضل منهم

الفصل الثالث: ما ورد في لوط عليه السلام من مسائل الإيمان بالملائكة عليهم السلام:

المطلب الأول: تعريف الملائكة:

معنى الملائكة في اللغة: جمع ملك، قال ابن فارس: "الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة"(١).

والكلمة لها عدة اشتقاقات في اللغة:

الأول: مشتق من كلمة: "مألك"، بتقديم الهمزة وهي من الأُلُوكِ وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل مَلأَكٌ(٢).

الثاني: مشتق من "ملاك" وقد أجمع علماء اللغة على حذف الهمزة ثم نقلت حركة الهمزة فيه إلى الساكن قبله، ثم حذفت الألف تخفيفاً فصارت ملكاً، والملك واحد الملائكة(٣).

الثالث: مشتق من "الألوكة والملأكة" وهي: الرسالة، والملأك: الملك؛ لأنه يبلغ عن الله تعالى، يقال: ألك؛ أي تحمل الرسالة(٤).

قال الطبري رحمه الله: "فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة؛ لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه"(٥).

وإنما سميت الرسالة ألوكة ومألكة لأنها تؤلك في الفم، من قولهم: يألك اللجام ويعلكه. قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: " والملك في اللغة هو حامل الألوكة وهي الرسالة(٦).

الرابع: مشتق من "الملك"، قال الراغب الأصفهاني: "والمتولي من الملائكة شيئاً من السياسات يقال له: ملك بالفتح، ومن البشر يقال له: ملك بالكسر"(٧).

المعنى الشرعي للملائكة: وردت عدة تعاريف في معنى الملائكة شرعاً:

قيل معنى الملائكة شرعاً: هم خلق من خلق الله تعالى، خلقهم الله عز وجل من نور، مربوبون مسخرون، عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة، لا يأكلون ولا

---

(١) معجم مقاييس اللغة: (٣٥٢/٥).

(٢) لسان العرب: (٤٩١/١٠)، تاج العروس: (٦٧٩٣/١).

(٣) كتاب العين: (٣٨٠/٥).

(٤) المعجم الوسيط: (٢٤/١).

(٥) جامع البيان: (١٩٨/١).

(٦) النبوات: ص١٨٦.

(٧) مفردات الاصفهاني: (٣٨٦/٢).

يشربون، ولا يملون ولا يتعبون ولا يتناكحون ولا يعلم عددهم إلا الله[1]. وعرفها بعضهم بأنها: أجسام نورانية، أعطيت قدرة على التشكل والظهور بأشكال مختلفة بإذن الله تعالى[2]. وقال ابن حجر في تعريف الملائكة: "أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السماوات"[3].

وعرفها الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى فقال: "الملائكة: عالم غيبي مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه. قال الله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠]"[4].

فمن المعاني السابقة يظهر في تعريف الملائكة الشرعي أنهم خلق من خلق الله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، أعطاهم الله تعالى القدرة على التشكل والتغير، وهذا يعني أنه ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء بل هي صفات خاصة لله تعالى.

والراجح من التعاريف السابقة هو تعريف الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى؛ لأنه في هذا التعريف بيان أنهم غير مخصوصون بخصائص الربوبية والألوهية، بل عباد مكرمون يفعلون ما يؤمرون.

المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة:

يستلزم الإيمان بالله تعالى الإيمان بملائكته الكرام إيماناً جازماً لا يتطرق إليه الشك، وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والإقرار بالملائكة والجن عام في بني آدم لم ينكر ذلك إلا شواذ من بعض الأمم ولهذا قالت الأمم المكذبة، قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤]"[5].

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة: ص ٩٤.

(٢) المعجم الوسط: (٨٨٦/٢).

(٣) فتح الباري لابن حجر: (٣٠٦/٦).

(٤) شرح ثلاثة اصول للعثيمين: ص٩٠.

(٥) النبوات لابن تيمية: ص٢٤.

ثم قال ابن تيمية رحمه الله تعالى معقباً بعد ذكر أمثلة للأمم المكذبة التي بلغها خبر الملائكة الكرام: "فهؤلاء الأمم المكذبة لا يوجد أحد منهم إلا وقد سمع بذكر الملائكة إما معترفاً بهم وإما منكراً لهم فذكر الملائكة والجن عام في الأمم وليس في الأمم أمة تنكر ذلك إنكاراً عاما"(١).

وقد تكلم القرآن في آيات عدة عن مجيء الرسل إلى النبي لوط عليه السلام وحوارهم معه ومقابلتهم له، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٧٧ – ٨١]

قال تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٣ – ٣٤]

- **أصول الإيمان بالملائكة:**

إن الإيمان بالملائكة لا يتحقق إلا بمعرفة أمور مهمة وثوابت راسخة لا يكتمل إيمان المرء إلا بها، ولابد من وجودها مجملة دون نقص أو خلل، وإذا اختل أصل منها لا يعتبر إيمان المرء كاملاً بالملائكة الكرام.

الأصل الأول: وجوب التصديق الجازم بوجودهم، وأنهم رسل مكرمون ومرسلون من عند الله تعالى لوظائف مخصوصة خلقهم الله تعالى لها.

الأصل الثاني: إنزالهم منازلهم، فهم عباد لله تعالى، وخلق من خلقه، مخلوقون كالإنس والجن ومكلفون ومأمورون من عند الله تعالى، والملائكة يختلفون عن البشر؛ بأنهم جبلوا على الطاعة وعدم العصيان، خلقهم الله لعبادته وتنفيذ أوامره.

قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ – ٢٩]

كلفهم الله تعالى بأعمال ومهام فمنهم الموكلون بحمل العرش، ومنهم الموكلون بالوحي، إلى غيرها من الأمور التي كلفهم الله تعالى بها، قال شارح الطحاوية: "فهم رسل الله في خلقه وأمره وسفراؤه بينه وبين عباده يترلون الأمر من عنده في أقطار العالم ويصعدون إليه بالأمر قد أطت السموات بهم وحق لها أن تئط ما فيها موضع

---

(١) النبوات لابن تيمية: ص٢٤.

أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد لله ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه حتى آخر ما عليهم والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم وصلاته بصلاتهم ويضيفهم إليه في مواضع التشريف وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له ومراتبهم من الدنو وتارة يصفهم بالإكرام والكرم والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص"(١).

الأصل الثالث: الاعتراف أن منهم رسلاً مرسلون إلى بعضهم البعض أو مرسلون إلى غيرهم مما يشاء من عباده، كما أرسل الله الملك جبريل إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالوحي، وكما أرسل الملائكة إلى سيدنا إبراهيم ولوط عليهما السلام في صورة شبان حسان، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣١ – ٣٢].

الأصل الرابع: الإيمان بالملائكة لابد أن يكون جملة كما جاء ذكرهم في كتاب الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فلابد من الإيمان بهم بشكل إجمالي وبعمومهم وصفاتهم ومهامهم كما جاءت في الكتاب والسنة. وتفصيلاً كما ذكرهم الله تعالى في كتابه الكريم وكما وصفهم لنا رسوله الكريم، فقد جاء في وصف الملك جبريل عليه السلام:

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧ – ٩٨](٢).

المطلب الثالث: ماورد في مجيء الملائكة للنبيين إبراهيم و لوط عليهما السلام و ماجاء في صفاتهم وأسمائهم:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٦٩ – ٧١] .

• عدد الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى قوم سدوم:

اختلف المفسرون في عدد الملائكة المكلفين بعذاب قوم سدوم: قال ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء: "كانوا ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل"، وقال الضحاك: "كانوا تسعة"، وقال مقاتل: "كانوا إثنى عشر ملكا".

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (٣٣٧/١).

(٢) شعب الايمان للبيهقي: (١٦٣/١)، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة: ص٩٥.

وقال محمد بن كعب: "كان جبريل ومعه سبعة". وقال السدي: "كانوا أحد عشر ملكا على صورة الغلمان الوضاءِ وجوههم"(١).

واخرج ابن أبي حاتم عن عثمان بن محصن رضي الله عنه قال في ضيف إبراهيم عليه السلام: "كانوا أربعة: جبريل عليه السلام، وميكائيل، وإسرافيل، ورفائيل"(٢)، وقد أخبر الله تعالى أن الملائكة قدموا إلى النبيين إبراهيم ولوط عليهما السلام.

كما جاء في رواية ابن جرير بسنده في تفسيره عن شمر بن عطية قال: "كان لوط أخذ على امرأته أن لا تذيع شيئًا من سرّ أضيافة. قال: فلما دخل عليه جبريل ومن معه، رأهم في صورة لم تر مثلها قطُّ، فانطلقت تسعى إلى قومها، فأتت النادي فقالتْ بيدها هكذا، وأقبلوا يهرعون مشيا بين الهرولة والجمز، فلما انتهوا إلى لوط، قال لهم لوطٌ ما قال الله في كتابه. قال جبريل: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ [هود: ٨١]، قال: فقال بيده، فطمس أعينهم، فجعلوا يطلبونهم، يلمسون الحيطان وهم لا يبصرون"(٣).

وروى ابن جرير بسنده في تفسيره عن حذيفة قال: "لما بصرت بهم" يعني بالرسل "عجوز السوء امرأته، انطلقت فأنذرتهم، فقالت: قد تضيف لوطا قوم ما رأيت قوما أحسن وجوها ! قال: ولا أعلمه إلا قالت: ولا أشد بياضا وأطيب ريحا ! قال: فأتوه يهرعون إليه، كما قال الله، فأصفق لوط الباب. قال: فجعلوا يعالجونه. قال: فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم، فأذن له، فصفقهم بجناحه، فتركهم عميانا يترددون في أخبث ليلة أتت عليهم قط"(٤).

فقد جاء في وصف الملائكة الذين قدموا على النبي لوط عليه السلام أنهم حسان الوجوه، و لم يرى في حسنهم وطيب رائحتهم.

وأن الملك الذي أذن الله تعالى له في عذاب أهل قرية سدوم هو الملك جبريل عليه السلام. فقد روى ابن جرير بسنده عن وهب بن منبه يقول: "كانَ أهل سدوم الذين فيهم لوط، قومًا قد استغنوا عن النساء بالرجال، فلما رأى الله ذلك منهم، بعث الملائكة ليعذبوهم، فأتوا إبراهيم، وكان من أمره وأمرهم ما ذكر الله في كتابه. فلما بشروا سارة بالولد، قاموا وقام معهم إبراهيم يمشي، قال: أخبروني لم بعثتم؟ وما خطبكم؟ قالوا: إنا أرسلنا إلى أهل سدوم لندمرها، وإنهم قوم سَوء قد استغنوا بالرجال عن النساء. قال إبراهيم: أرأيتم إن كان فيهم خمسون رجلاً صالحًا؟ قالوا: إذًا لا نعذبهم! فجعل ينقص حتى قال أهل بَيْت؟ قالوا: فإن كان فيها بيت صالح! قال: فلوط وأهل

(١) انظر هذه الاقوال: تفسير البغوي: (٣٩٢/٢)، فتح القدير: (٥٠٩/٢).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: (٢٠٥٤/٦)، وذكره ابن كثير: (٣٣٣/٤)، الدر المنثور: (٤٤٦/٤). النكت والعيون: (٣٦٩/٥).

(٣) جامع البيان: (٤٣٩٢/٦)، ابن جرير في تاريخه: (١٨٦/١).

(٤) جامع البيان: (٤٣٩٢/٦)، ابن جرير في تاريخه: (١٨٦/١، ١٨٧).

بيته؟ قالوا: إن امرأته هَوَاها معهم! فلما يَئس إبراهيم انصرف. ومضوا إلى أهل سدوم، فدخلوا على لـوط، فلما رأتهم امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم، فأرسلت إلى أهل القرية إنه قد نزل بنا قومٌ لم يُرَ قومٌ قطُّ أحسن منـهم ولا أجمل! فتسامعوا بذلك، فغشُوا دار لُوط من كل ناحية وتسوَّروا عليهم الجدران. فلقيهم لوط فقال: يـا قـوم لا تفضحون في ضيفي، وأنا أزوّجكم بناتي، فهن أطهر لكم! فقالوا: لو كنَّا نُريد بناتك، لقد عرفنا مكانهن! فقـال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ [هـود: ٨٠]! فوجد عليه الرسل وقالوا: إن ركنك لشديد، وإنهم آتيهم عـذاب غير مردود! فمسح أحدهم أعينهم بجناحيه، فطمس أبصارَهم فقالوا: سُحِرْنا، انصرفوا بنا حتى نرجع إليه! فكـان من أمرهم ما قد قصَّ الله تعالى في القرآن. فأدخل ميكائيل -وهو صاحبُ العذاب- جناحه حـتى بلـغ أسـفل الأرض، فقلبها، ونزلت حجارة من السماء، فتتبعت من لم يكن منهم في القرية حيث كانُوا، فأهلكهم الله، ونجّـى لوطًا وأهله، إلا امرأته"(١).

من الأثر يتبين لنا سؤال النبي إبراهيم عليه السلام الملائكة عن سبب مجيئهم إلى قرية سدوم. التصريح بأن الملك "جبريل" عليه السلام هو الموكل بعذاب قوم لوط عليه السلام، وهو الذي رفع القرية بجناحه وقلبها.

وروى ابن جرير بسنده في تفسيره عن قتادة، عن حذيفة، دخل حديث بعضهم في بعض قـال: " كـان إبراهيم عليه السلام يأتيهم فيقول: "ويحكم أنهاكم عن الله أن تعرَّضوا لعقوبته! فلم يطيعوا، حتى إذا بلغ الكتـاب أجلَه، لمحل عذابهم وسطوات الرّبّ بهم. قال: فانتهت الملائكة إلى لوط وهو يعمـل في أرض لـه، فـدعاهم إلى الضيافة، فقالوا: إنَّا مُضيِّفوك الليلة، وكان الله تعالى عهد إلى جبريل عليه السلام أن لا يُعذبهم حتى يشهد علـيهم لوط ثلاث شهادات. فلما توجه بهم لوط إلى الضيافة، ذكر ما يعمل قومه من الشَّرّ والدواهي العظام، فمشى معهم ساعةً، ثم التفت إليهم، فقال: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ ما أعلم على وجه الأرضِ شرًّا منـهم! أيـن أذهب بكم؟ إلى قومي وهم شرُّ من خَلَقَ الله! فالتفت جبريل إلى الملائكة فقال: احفظوا هذه واحـدة! ثم مشـى ساعةً، فلما توسَّط القرية وأشفق عليهم واستحيا منهم، قال: أما تعلمون ما يعملُ أهل هذه القرية؟ وما أعلم على وجه الأرض شرًّا منهم، إن قومي شر خلق الله ! فالتفت جبريل إلى الملائكة، فقال: احفظوا، هاتان ثنتـان! فلمـا انتهى إلى باب الدار بكَى حياءً منهم وشفقة عليهم، وقال: إن قومي شرُّ خلق الله، أما تعلمون ما يعمل أهل هـذه القرية؟ ما أعلم على وجه الأرض أهل قرية شرا منهم! فقال جبريل للملائكة: احفظوا هذه ثـلاثٌ، قـد حُـقَّ العذاب! فلما دخلوا ذهبت عجوزه، عجُوز السَّوء، فصعدت فلوحت بثوبها، فأتاها الفساق يهرعون سراعًا، قالوا: ما عندك؟ قالت: ضيَّف لوطًا الليلة قومٌ ما رأيت أحسنَ وجوهًا منهم ولا أطيب ريحًا منهم! فهُرِعوا يسارعون إلى

---

(١) جامع البيان: (٦/٤٣٩٣- ٤٣٩٤)، ورواه ابن جرير في تاريخه: (١/١٨٧- ١٨٨)، الدر المنثور: (٤/٤٥٠)، النكت والعيون: (٢/٤٨٧).

الباب، فعاجلهم لوط على الباب، فدافعوه طويلا هو داخل وهم خارج، يناشدهم الله ويقول: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ ، فقام الملك فلزَّ الباب، واستأذن جبريل في عقوبتهم، فأذن الله له، فقام في الصورة التي يكون فيها في السماء، فنشر جناحه، ولجبريل جناحان، وعليه وشاح[1] من درّ[2] منظوم، وهو براق الثنايا[3] أجلَى[4] الجبين، ورأسه حُبُك[5]، مثل المرجان[6]، وهو اللؤلؤ، كأنه الثلج، وقدماه إلى الخضرة، فقال: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ ، أمِطْ يا لوط من الباب ودعني وإياهم. فتنحى لوط عن الباب، فخرج عليهم، فنشر جناحه، فضرب به وجوههم ضربةً شَدَخ[7] أعينهم، فصاروا عميًا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم. ثم أمر لوطًا فاحتمل بأهله من ليلته، قال: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ [8].

مما سبق يظهر لنا تحذير النبي إبراهيم عليه السلام قوم لوط عليه السلام من الوقوع في الفاحشة، وأن العذاب سيحل عليهم من الله تعالى مقابل أعمالهم.

---

(١) هو: شيء ينسج عريضا من أديم وربما رصع بالجوهر والخرز وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها. ويقال فيه: وشاح وإشاح. انظر: النهاية في غريب الاثر: (٥/٤٠٩).

(٢) الدرة بالضم: اللؤلؤة العظيمة، قال ابن دريد: هو ما عظم من اللؤلؤ، جمعها در. تاج العروس: (١١/٢٨٢).

(٣) وصف لثناياه بالحسن والصفاء، وأنها تلمع إذا تبسم كالبرق وأراد صفة وجهه بالبشر والطلاقة. النهاية في غريب الاثر: (١/٣٠٥).

(٤) الأجلى: خفيف شعر ما بين النزعتين من الصدغين والذي انحسر الشعر عن جبهته، النهاية في غريب الاثر: (١/٨٠٣).

(٥) الحبك من الحبكة، وهي تطلق على معاني: والحبكة، بالضم: الحجزة بعينها، ومنها أخذ الاحتباك بالباء، وهو شد الإزار، وحكى عن ابن المبارك قال: جعلت سواكي في حبكتي، أي في حجزتي. وقيل: الحبكة: أن ترخي من أثناء حجزتك من بين يديك لتحمل فيه الشيء ما كان. وتحبك تحبكا: شدها أي الحجزة. أو تحبك: تلبب بثيابه. والحبكة أيضا: الحبل يشد به على الوسط. وأيضا: القدة التي تضم الرأس إلى الغراضيف من القتب والرحل كالحباك. والحبك من الماء والشعر: الجعد المتكسر منهما، الواحد حباك. والحبك من السماء: طرائق النجوم. وقال الفراء: الحبك: تكسر كل شيء كالرملة إذا مرت عليها الريح الساكنة، والحبيكة: الطريقة من خصل الشعر. تاج العروس: (٢٧/١٠٢-١٠٣)، والمقصود بيان جمال وحسن الملك جبريل عليه السلام.

(٦) المرجان: جنس حيوانات بحرية ثوابت من طائفة المرجانيات لها هيكل وكلس أحمر يعد من الأحجار الكريمة ويكثر المرجان في البحر الأحمر، والمقصود الاشارة إلى جمال والحسن. المعجم الوسيط: (٢/٨٦١).

(٧) الشدخ: كسر الشيء الأجوف يقال: شدخت رأسه فانشدخ. النهاية في غريب الاثر: (٢/١١١٨)، المعجم الوسيط: (١/٤٧٥).

(٨) جامع البيان: (٦/٤٣٩٤-٤٣٩٥) واسناده منقطع لأن قتادة لم يسمع من حذيفة. وذكره ابن كثير في تفسيره: (٧/٥٤٧).

المطلب الرابع: التعريف بأسماء الملائكة كما جاءت في الآثار:

أولاً: جبريل عليه السلام:

معنى اسم جبريل: قال ابن جرير رحمه الله تعالى: "وأما جبريل فإن للعرب فيه لغات ثم ساق بأسانيده عن ابن عباس وعكرمة أنه بمعنى عبد الله وكل اسم إيل فهو بمعنى "الله"[1]. وروى السيوطي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "جبريل كقولك عبد الله جبر عبد وإيل الله". وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "جبريل عبد الله وميكائيل عبيد الله وكل اسم فيه إيل فهو معبد لله"[2].

وروى عن علي بن حسين قال: "اسم جبريل عبد الله واسم ميكائيل عبيد الله واسم إسرافيل عبد الرحمن وكل شيء راجع إلى ايل فهو معبد لله عز وجل"[3].

وروى عن عكرمة قال: "جبريل اسمه عبد الله وميكائيل اسمه عبيد الله قال: والإل هو: الله وذلك لقوله تعالى: ﴿يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ قال: لا يرقبون الله"[4].

ثانياً: ميكائيل:

جاء في تاج العروس أن معنى اسم ميكائيل هو: اسمُ ملكٍ من الملائكةِ معروفٌ، موَكَّلٌ بالأرزاقِ[5]، ومعناه معبد لله أي عبد الله أو عُبيد الله[6].

- **ماجاء في وصف "ميكائيل":**

روى السيوطي بسنده عن وهب بن منبه رضي الله عنه: " أنَّ حزقيل كان في سبي بختنصر[7] مع دانيال[8] من بيت المقدس، فزعم حزقيل أنه كان نائماً على شاطئ الفرات، فأتاه ملك وهو نائم فأخذ برأسه فاحتمله حتى

(١) جامع البيان: (٨/١٦٥)، قال الأصفهاني: قيل في جبرائيل وميكائيل: إن إيل اسم الله تعالى، قيل ذلك ولكنه اسم الله في اللغة السريانية. مفردات ألفاظ القرآن: (١/٥٨).

(٢) الدر المنثور: (١/٢٢٥)، وعزاه لابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان والخطيب في المتفق والمفترق.

(٣) الدر المنثور: (١/٢٢٥)، وعزاه لابن جرير وأبو الشيخ في العظمة.

(٤) الدر المنثور: (١/٢٢٥)، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٥) تاج العروس: (٣٠/٤١٨).

(٦) سبق بيان معنى إيل في ص ١٨٢.

(٧) بختنصر: ملك فارس، قتل بني إسرائيل وهدم بيت المقدس وسار بسبايا بني إسرائيل إلى أرض بابل، فسامهم سوء العذاب، أراد أن يتناول السماء، فطلب حيلة يصعد بها، فسلط الله عليه بعوضة، فدخلت منخره فوقفت في دماغه، فلم تزل تأكل دماغه وهو يضرب رأسه بالحجر حتى مات. الدر المنثور: (٦/٢٣٥).

(٨) نبي من بني اسرائيل، مصنف عبد الرزاق: (٦/١١٤).

وضعه في خزانة بيت المقدس، قال: فرفعت رأسي إلى السماء فإذا السموات منفرجات دون العرش، قال: فبدا لي العرش ومن حوله فنظرت إليهم من تلك الفرجة فإذا العرش – إذا نظرت إليه – مظل على السموات والأرض، وإذا نظرت إلى السموات والأرض رأيتهن متعلقات ببطن العرش، وإذا الحملة أربعة من الملائكة لكل ملك منهم أربعة وجوه: وجه إنسان ووجه نسر ووجه أسد ووجه ثور، فلما أعجبني ذلك منهم نظرت إلى أقدامهم فإذا هي في الأرض على عجل تدور بها، وإذا ملك قائم بين يدي العرش له ستة أجنحة لها لون كلون فرع لم يزل ذلك مقامه منذ خلق الله الخلق إلى أن تقوم الساعة، فإذا هو جبريل عليه السلام وإذا ملك أسفل من ذلك أعظم شيء رأيته من الخلق فإذا هو ميكائيل وهو خليفة على ملائكة السماء، وإذا ملائكة يطوفون بالعرش منذ خلق الله الخلق إلى أن تقوم الساعة يقولون: قدوس قدوس ربنا الله القوي ملأت عظمته السموات والأرض وإذا ملائكة أسفل من ذلك لكل ملك منهم ستة أجنحة جناحان يستر بهما وجهه من النور وجناحان يغطي بهما جسده وجناحان يطير بهما"(١).

فالملك ميكائيل هو من الملائكة الكرام له مهمة من عند الله تعالى وهي إنزال الرزق، وهو من الملائكة الذين قاموا بإهلاك قوم لوط عليه السلام وتدمير قريتهم.

ثالثاً: إسرافيل:

معنى إسرافيل اسم أعجمي كأنه مضاف إلى إيل و إسرافين لغة فيه، كما قالوا: جبرين وإسماعين وإسراءين(٢).

وهو الملك الموكل بالنفخ في الصور يوم القيامة(٣)، و لم يرد اسم إسرافيل في القرآن وإنما ورد في السنة كما جاء في حديث عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها حينما سألت بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ، قَالَتْ: "كَانَ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَ ميكائيل وَ إسرافيل فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"(٤).

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: (٤/٣٣٦-٣٣٧)، وعزاه السيوطي لأحمد في الزهد وأبو الشيخ في العظمة.

(٢) لسان العرب: (٩/١٥١)، مختار الصحاح: (١/١٢٥).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: (١/٥٩٩).

(٤) صحيح مسلم: (١/٥٣٤) كتاب صلاة المسافرين، ورواه البيهقي في السنن الكبرى: (٣/٥ - ٤٤٤).

والمشهور عند أهل التفسير أن إسرافيل هو الملك الموكل بالنفخ في الصور، قال القرطبي: "والأمم مجمعة على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام وقيل: من أنكر أن يكون الصور قرنا فهو كمن ينكر العرش والميزان والصراط وطلب لها تأويلات"(١).

وقد جاءت الروايات أنه قدم إلى سيدنا لوط مع جبريل وغيرهم من الملائكة.

وذكر العلماء في معنى الصور الذي ينفخ فيه الملك إسرافيل عليه السلام: أنه قرن ينفخ فيه إسرافيل، ونقل عن مجاهد أنه: كهيئة البوق، وقال مرجحاً عدد النفخات في الصور: "وأن الصحيح في النفخ في الصور أنهما نفختان لا ثلاث وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى نفخة الصعق لأن الأمرين لازمان لهما أي فزعوا فزعا ماتوا منه أو إلى نفخة البعث وهو اختيار القشيري وغيره، فإنه قال في كلامه على هذه الآية: والمراد النفخة الثانية التي يحيا فيها الناس فزعين، ويعاينون من الأمر ما يهولهم ويفزعهم وهذا النفخ كصوت البوق لتجتمع الخلق في أرض الجزاء"(٢).

المطلب الخامس: ماورد من الايات في مجيء الملائكة للنبين إبراهيم ولوط عليهما السلام:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۝ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۝ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۝ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ۝ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٦٩ – ٧٦].

ما ورد في مجيء الملائكة للنبي إبراهيم عليه السلام وبشارتهم له:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٦٩ – ٧٠]

روى ابن أبي حاتم بسنده في تفسيره عن عكرمة في معنى الآية قال: "بشر بنبوته"(٣).

وأخرج عبد الرزاق في تفسيره عن قتادة: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ "وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم، ظنوا أنه لم يجئ بخير، وأنه يحدِّث نفسه بشر"(٤).

---

(١) تفسير القرطبي: (٢٠/٧).

(٢) تفسير القرطبي: (٢٣٩/١٣-٢٤٠).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: (٢٠٥٣/٦)، تفسير ابن كثير: (٣٦/٧).

(٤) تفسير عبدالرزاق: (١٨٩/٢)، جامع البيان: (٤٣٧٠/٦)، تفسير ابن أبي حاتم: (٢٠٥٤/٦) معالم التنزيل: (٢٢٥/٣)، النكت والعيون: (٤٨٣/٢).

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسندهما عن جندب بن سفيان[1] قال: "لما دخل ضيف إبراهيم عليه السلام، قرّب إليهم العجل، فجعلوا ينكتُون بقِداح في أيديهم من نبْل، ولا تصل أيديهم إليه، نكرهم عند ذلك"[2].

وأخرج ابن جرير بسنده في تفسيره عن السدي قال: "بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط، أقبلت تمشي في صورة رجال شباب، حتى نزلوا على إبراهيم فتضيَّفوه، فلما رآهم إبراهيم أجلّهم، فراغ إلى أهله، فجاء بعجل سمين، فذبحه ثم شواه في الرَّضْف[3]، فهو الحنيذ[4] حين شواه. وأتاهم فقعد معهم، وقامت سارة تخدُمهم. فذلك حين يقول تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وَهُوَ جَالِسٌ﴾، في قراءة ابن مسعود، فلما قرّبه إليهم قال ألا تأكلون؟ قالوا: يا إبراهيم، إنا لا نأكل طعامًا إلا بثمن. قال: فإن لهذا ثمنًا! قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله على أوّله، وتحمدونه على آخره. فنظر جبريل إلى ميكائيل فقال: حُقَّ لهذا أن يتخذه ربه خليلا! فلما رأى أيديهم لا تصل إليه[5]، فزع منهم وأوجس منهم خيفة، فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم وقامت هي تخدمهم، ضحكت وقالت: عجبًا لأضيافنا هؤلاء، إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمةً لهم، وهم لا يأكلون طعامنا"[6].

وأخرج عبد الرزاق في تفسيره عن قتادة قال: "لما أوجس إبراهيم خيفة في نفسه حدثوه عند ذلك بما جاؤوا فيه، فضحكت امرأته وعجبت من أن قومًا أتاهم العذاب، وهم في غفلة، فضحكت من ذلك وعجبت ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]"[7].

وروى ابن جرير بسنده عن وهب بن منبه يقول: "لما أتى الملائكة إبراهيم عليه السلام فرآهم راعه[8] هيئتهم وجمالهم، فسلموا عليه، وجلسوا إليه، فقام فأمر بعجل سمين، فحُنِذَ له، فقرّب إليهم الطعام، ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة﴾، وسارة وراء البيت تسمع، قالوا: لا تَخَفْ إنَّا نبشرك بغلام حليم

---

(١) جندب بن عبد الله بن سفيان، أبو عبد الله البجلي العلقي، كان غلاماً حزوراً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. التاريخ الكبير: (٢٢١/٢)، الكاشف: (٢٩٨/١). مشاهير علماء الأمصار: (٤٧/١).

(٢) جامع البيان: (٤٣٧٠/٦)، تفسير ابن أبي حاتم: (٢٠٤٥/٦).

(٣) الرضف: هي الحجارة المحماة، ورضفه يرضفه: كواه بها. القاموس المحيط: (١٠٥١/١).

(٤) الحنيذ: حنذت الشاة أحنذها حنذا: شويتها وجعلت فوقها حجارة محماة لتنضجها، الصحاح للجوهري: (٤٦٢/٢)، المحكم والمحيط الأعظم: (٢٩٠/٣).

(٥) أي: لا يأكلون منه.

(٦) جامع البيان: (٤٣٧١/٦)، المحرر الوجيز: (١٨٩/٣)، معالم التتريل: (٢٢٥/٣-٢٢٦)، النكت والعيون: (٤٨٥/٢).

(٧) تفسير عبد الرزاق وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما ولابن المنذر وأبي الشيخ: (١٨٩/٢)، جامع البيان: (٤٣٧١/٦)، تفسير ابن أبي حاتم: (٢٠٥٤/٦)، النكت والعيون: (٤٨٥/٢).

(٨) الروع: الفزع، يقال: راعه الأمر يروعه روعا، النهاية في غريب الحديث والأثر: (٦٦٣/٢)، تاج العروس: (١٢٨/٢١-١٢٩).

مبارك! وبشّر به امرأته سارة، فضحكت وعجبت: كيف يكون لي ولد وأنا عجوز، وهو شيخ كبير! فقالوا: أتعجبين من أمر الله؟ فإنه قادر على ما يشاء! فقد وهبه الله لكم، فأبشروا به[1].

وروى ابن جرير بسنده في تفسيره عن السدي قال: " لما ضحكت سارة. وقالت: " عجبًا لأضيافنا هؤلاء، إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا "! قال لها جبريل: أبشري بولد اسمُه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فَضربتْ وَجْهَهَا عجبًا، فذلك قوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الذاريات: ٢٩ – ٣٠]، وقالت: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ قَالُوٓا۟ ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ قالت سارة: ما آية ذلك؟ قال: فأخذ بيده عودًا يابسا فلواه بين أصابعه، فاهتز أخضر، فقال إبراهيم: هُو لله إذاً ذبيحًا"[2]. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۝ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٤ – ٧٥]،

روى ابن جرير وابن أبي حاتم بسندهما في تفسيرهما عن قتادة، قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ يقول: "ذهب عنه الخوف" ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي: "بإسحاق"[3].

وروى ابن جرير بسنده عن ابن إسحاق قال في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾: "بإسحاق، ويعقوب ولد من صلب إسحاق، وأمن مما كان يخاف"، قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]"[4]، وروى عبد الرزاق[5] في تفسيره عن قتادة: ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾، قال: "حين أخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم لوط، وأنهم ليسوا إياه يريدون"[6].

معنى الآيات: يخبر الباري جل وعلا عن مجيء الملائكة عليهم السلام وهم جبريل و ميكائيل و إسرافيل، على اختلاف في عددهم بين المفسرين، لكن الروايات أثبتت مجيء جبريل عليه السلام الذي طمس أعين قوم لوط بجناحيه فعماهم، وكذلك مجيء الملك إسرافيل الذي قلب القرية بجناحيه. وقد جاءوا إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام وهم ليسوا بأضياف ولكن الله سبحانه وتعالى سماهم أضياف في كتابه العزيز. وذلك لسببين كما ذكر المفسرون،

الأول: قالوا سماهم أضياف كما ظن بهم سيدنا إبراهيم عيه السلام اكرماً له.

---

(١) جامع البيان: (٤٣٧٢/٦)، النكت والعيون: (٤٨٥/٢)، معالم التنزيل: (٢٢٦/٣)، زاد المسير: (١٣٠/٤).

(٢) جامع البيان: (٤٣٧٤/٦)، زاد المسير: (١٣١/٤). النكت والعيون: (٤٨٥/٢)، المحرر الوجيز: (١٨٩/٣).

(٣) جامع البيان: (٤٣٧٧/٦)، تفسير ابن أبي حاتم: (٢٠٥٧/٦).

(٤) جامع البيان: (٤٣٧٧/٦)، معالم التنزيل: (٢٢٧/٣).

(٥) أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الاعلام: (٢١٠/٣)، الكنى والأسماء: (٣٦٥/١).

(٦) تفسير عبد الرزاق: (١٩٢/٢)، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم، جامع البيان: (٤٣٧٧/٦). الدر المنثور: (٤٥٤/٤)، تفسير ابن أبي حاتم: (٢٠٥٧/٦)، الجامع لأحكام القرآن: (٧٢/٩).

الثاني: لأن كل من يدخل دار غيره فهو يسمى ضيفاً وإن لم يأكلوا[1].

وقد حلو عليه في صورة شبان في أبهى صور الجمال والحسن والوضاءة اختبارا وامتحانا لقوم لوط وذلك لأنهم ابتلوا بعشق المردان والتعلق بهم وقد كان مرور الملائكة ابتداءً بسيدنا إبراهيم ومجيئهم له بالبشرى ثم بعد ذلك توجهوا بأمر من الله تعالى إلى قرية لوط عليه السلام.

وقد سماهم الله تعالى في سورة الذاريات بـالمكرمين، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤].

وكما قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ – ٢٧]. وسبب تسميتهم بأنهم مكرمون: قيل لإكرام الله تعالى لهم أو لأن سيدنا إبراهيم أكرمهم وعجل لهم القرى، أو لأنه استقبله ببشاشة الوجه وطلاقة المحيا. وقيل لأن سيدنا إبراهيم وزوجته سارة خدماهم بنفسيهما[2].

ومعنى البشرى في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۝ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٤ – ٧٥]، وللمفسرين في معنى البشرى التي قدموا بها إلى سيدنا إبراهيم عدة أقوال[3]:

الأول: أنهم بشروه بالنبي اسحاق عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

الثاني: أنهم بشروه عليه السلام بإرسال النبي محمد صلى الله عليه السلام وأنه خاتم النبيين.

الثالث: أنهم بشروه بهلاك قوم لوط عليه السلام المجرمين.

الرابع: وقيل أنهم بشره بأنهم رسل من الله تعالى، وأنهم لا خوف عليهم ولاهم يحزنون.

والراجح من الأقوال كما هو ظاهر من سياق القصة في القرآن: أن بشارة الملائكة للنبي إبراهيم عليه السلام، كانت بقدوم النبي إسحاق عليه السلام، ومن ثم بشروه بهلاك قوم لوط عليه السلام، حيث أن استئصال جذور الشر واقتلاع أساس الفاحشة والقضاء عليها، هو أهم ما يفرح المؤمنين ويدخل في نفوسهم الفرح والسرور.

---

(١) تفسير الرازي: (٣١٩/٩).

(٢) تفسير الرازي: (٢٩١/١٤)، جامع البيان: (٤٣٧٤/٦).

(٣) تفسير الطبري: (٤٣٦٧/٦)، النكت والعيون: (٤٨٢/٢)، البغوي: (١٨٧/٤)، تفسير القرطبي: (٦٢/٩)، تفسير ابن كثير: (٣٣٢/٤)، التفسير الكبير: (١٩/١٨).

ولسائل أن يسأل مالحكمة من مجيء الرسل إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام وهم قد أرسلوا لعذاب قوم لوط المكذبين.

والجواب عن ذلك يكون بأمرين:

أولهما: أن سيدنا إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء، ولوط عليه السلام من قومه، وقد آمن به وهو من قرابته، ومن إكرام الله تعالى لسيدنا إبراهيم أنه سبحانه إذا أراد إرسال رسولا إلى غيره ومن قرابته أن يخبره بما سيحل بهم من النقمة للعصاة وبما سيحل بالمؤمنين من النعمة والنجاة من الهلاك.

الأمر الآخر: أن سيدنا إبراهيم كان في همٍّ شديد وخوف من حلول العذاب بسيدنا لوط عليه السلام، فقد قال للملائكة حينما أخبروه بأنهم أرسلوا لعذاب "إن فيها لوطاً" كما ذكر تعالى في كتابه العزيز، فكانت منهم البشارة بوجود النبوة في عقبه وإن كان سيهلك جم غفير من قوم لوط، فإن الله تعالى سيجعل الخير في عقب سيدنا إبراهيم عليه السلام[(١)].

فهل كان يعلم سيدنا إبراهيم حين قدم الأضياف عليه أنهم ملائكة:

القول الأول: أن سيدنا إبراهيم لم يكن يعلم أنهم ملائكة مرسلون من عند الله تعالى فلذلك قال لهم عليه السلام: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]، وكان خائفاً منهم لذلك قال: ﴿إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: ٥٢]، أما على احتمال أنه ما كان عالماً بأنهم ملائكة فسبب خوفه أمران:

أحدهما: أنه كان يترل في طرف من الأرض بعيد عن الناس، فلما امتنعوا من الأكل خاف أن يريدوا به مكروهاً.

وثانيها: أن من لا يعرف إذا حضر وقدم إليه طعام فإن أكل حصل الأمن وإن لم يأكل حصل الخوف.

من هنا نرى أن سبب خوفه منهم أنه عليه السلام لم يكن يعلم أنهم ملائكة مرسلون من عند الله تعالى وكان ينظر إليهم مسارقة بدون تحديق فيرى أن أيديهم لا تصل إلى الأكل، وأنه كان من المعتاد أن من قدم القِرى للأضياف أن رأى منهم إقبالا على الطعام، دل على أنهم جاءوا بخير فيأمنهم، وإذا لم يأكلوا علموا أنهم أرادوه بمكروه فيخافهم.

القول الثاني: وهناك من يرى أن سيدنا إبراهيم كان يعرف أنهم ملائكة وأحس ذلك منهم كما كان يقول ابن عباس رضي الله عنهما، لكنه لم يكن يعرف لماذا أرسلوا وأن سبب خوفه منهم أن يكون إرسالهم لإحلال العذاب بقومه، أو أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله تعالى عليه[(٢)].

---

(١) تفسير الرازي: (٢٩١/١٤).

(٢) اللباب في علوم الكتاب: (١٣٢/٩).

فسبب خوفه على هذا التقدير أيضاً يعود إلى أمرين[1]:

أحدها: أنه خاف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله تعالى عليه.

والثاني: أنه خاف أن يكون نزولهم لتعذيب قومه.

قال الفخر الرازي في بيان أقرب الاحتمالين: " أما الذي يقول إنه ما عرف أنهم ملائكة الله تعالى فله أن يحتج بأمور:

أحدها: أنه تسارع إلى إحضار الطعام، ولو عرف كونهم من الملائكة لما فعل ذلك.

وثانيها: أنه لما رآهم ممتنعين من الأكل خافهم، ولو عرف كونهم من الملائكة لما استدل بترك الأكل على حصول الشر.

وثالثها: أنه رآهم في أول الأمر في صورة البشر، وذلك لا يدل على كونهم من الملائكة.

وأما من يقول: إنه عرف ذلك احتج بقوله: ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ﴾ [هود: ٧٠]، وإنما يقال هذا لمن عرفهم و لم يعرف بأي سبب أرسلوا، ثم بين تعالى أن الملائكة أزالوا ذلك الخوف عنه فقالوا: " لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ".

والصحيح أن سيدنا إبراهيم لم يكن يعلم ابتداءً أنهم ملائكة مرسلون من عند ربهم كما قال لهم: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ .

فهو عليه السلام لم يعلم أنهم ملائكة لذلك كان منه الإنكار كما في سورة الذاريات، والإنكار ضد العرفان، وأما في سورة هود: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ۝ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ﴾ [هود: ٦٩ – ٧٠][2].

الأمر الآخر: لو عرف كونهم من الملائكة لما استدل عليه السلام بترك الأكل على حصول الشر وهو نزول العذاب، ثم إنه قد رآهم متشكلون في صورة شبان حسان الهيئة.

أمر آخر: أنه قد كان عليه السلام خائفاً منهم لأنهم أتوه بغير استئذان، وأنه كان في مكان منفرداً عن قومه فحلوا عليه.

يقول العلامة الطيبي: "الحق أن الخوف إنما صدر عن مجموع كونهم منكرين وكونهم ممتنعين من الطعام كما يعلم من الآيات الواردة في هذه القصة ولأنه لو عرفهم بأنهم ملائكة لم يحضر بين أيديهم الطعام و لم يحرضهم على الأول وإنما عدلوا إلى قولهم: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إلى قَوْمِ لُوطٍ﴾ ليكون جامعاً للمعاني بحيث يفهم منه المقصود أيضاً"[1].

---

(١) التفسير الكبير: (٢١/١٨).

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

وأخبرنا تعالى أن سيدنا إبراهيم ظل خائفاً منهم إلى أن قالوا له: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ۝٣٢ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣١ – ٣٣].

وقد ذكر المفسرون في سبب ضحك زوجة إبراهيم عليه السلام عندما سمعت البشارة من الملائكة عدة أوجه:

الأول: فرحت بزوال الخوف عن سيدنا إبراهيم حيث قالت الملائكة: ﴿لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلى قَوْمِ لُوطٍ﴾.

والثاني: قيل سبب ضحكها لأنها كانت تنكر فعل قوم لوط وما كانوا عليه من الخبث ففرحت عندما علمت بقدوم الملائكة لإهلاكهم.

الثالث: قال السدي: "قال إبراهيم عليه السلام لهم: ﴿أَلا تَأْكُلُونَ ﴾ قالوا: لا نأكل طعاماً إلا بالثمن، فقال: ثمنه أن تذكروا اسم الله تعالى على أوله وتحمدوه على آخره، فقال جبريل لميكائيل عليهما السلام: "حق لمثل هذا الرجل أن يتخذه ربه خليلاً" فضحكت امرأته فرحاً منها بهذا الكلام"[٢].

الرابع: أن سارة قالت لإبراهيم عليه السلام: أرسل إلى ابن أخيك وضمه إلى نفسك، فإن الله تعالى لا يترك قومه حتى يعذبهم، فعند تمام هذا الكلام دخل الملائكة على إبراهيم عليه السلام، فلما أخبروه بأنهم إنما جاؤوا لإهلاك قوم لوط صار قولهم موافقاً لقولها، فضحكت لشدة سرورها بحصول الموافقة بين كلامها وبين كلام الملائكة.

الخامس: أن الملائكة لما أخبروا إبراهيم عليه السلام أنهم من الملائكة لا من البشر وأنهم إنما جاؤوا لإهلاك قوم لوط طلب إبراهيم عليه السلام منهم معجزة دالة على أنهم من الملائكة فدعوا ربهم بإحياء العجل المشوي فطفر ذلك العجل المشوي من الموضع الذي كان موضوعاً فيه إلى مرعاه، وكانت امرأة إبراهيم عليه السلام قائمة فضحكت لما رأت ذلك العجل المشوي قد طفر من موضعه.

السادس: أنها ضحكت تعجباً من أن قوماً أتاهم العذاب وهم في غفلة.

السابع: لا يبعد أن يقال إنهم بشروها بحصول مطلق الولد فضحكت، إما على سبيل التعجب فإنه يقال: إنها كانت في ذلك الوقت بنت بضع وتسعين سنة وإبراهيم عليه السلام ابن مائة سنة، وإما على سبيل السرور.

ثم لما ضحكت بشرها الله تعالى بأن ذلك الولد هو إسحق ومن وراء إسحق يعقوب. إلى غيرها من الأقوال.

والراجح كما ذكر الرازي أنها ضحكت فرحاً بزوال ذلك الخوف عن إبراهيم عليه السلام[٣].

---

(١) نقلاً عن تفسير الآلوسي: (٨/٣٠٠).

(٢) تفسير الرازي: (٨/٤٤١).

(٣) انظر هذه الاقوال تفسير الرازي: (٨/٤٤١).

- **ما ورد في مجادلة سيدنا إبراهيم في قوم لوط التي فسرها بعض المفسرون بالشفاعة:**

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤]، روى ابن جرير وابن أبي حاتم بسندهما في تفسيرهما عن مجاهد: ﴿يجادلنا﴾، "يخاصمنا"(١).

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم بسندهما في تفسيرهما عن سعيد: ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾، قال: "لما جاء جبريل ومن معه قالوا لإبراهيم: إنَّا مهلكو أهل هذه القرية إنَّ أهلها كانوا ظالمين: قال لهم إبراهيم: أتهلكون قريةً فيها أربع مائة مؤمن؟ قالوا: لا! قال: أفتهلكون قرية فيها ثلاث مائة مؤمن؟ قالوا: لا! قال: أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا! قال: أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنًا؟ قالوا: لا! قال: أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنًا؟ قالوا: لا! وكان إبراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط، فسكتَ عنهم واطمأنت نفسه"(٢). وروى ابن جرير عن ابن عباس قال: "قال الملك لإبراهيم: "إن كان فيها خمسة يصلون رُفع عنهم العذاب"(٣).

وروى عبد الرزاق في تفسيره وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة: في قوله تعالى: ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾، قال: "بلغنا أنه قال لهم يومئذ: أرأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين؟ قالوا: إن كان فيها خمسون لم نعذبهم. قال: أربعون؟ قالوا: وأربعون! قال: ثلاثون؟ قالوا: ثلاثون! حتى بلغ عشرة. قالوا: وإن كان فيهم عشرة! قال: ما قومٌ لا يكون فيهم عشرة فيهم خير، قال ابن عبد الأعلى، قال محمد بن ثور، قال معمر: بلغنا أنه كان في قرية لوط أربعة آلاف ألف إنسان، أو ما شاء الله من ذلك"(٤).

وروى ابن جرير في تفسيره بسنده عن السدي ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى﴾، قال: "ما خطبُكم أيها المرسلون؟ قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم لوط، فجادلهم في قوم لوط قال: أرأيتم إن كان فيها مائة من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا! فلم يزل يحُطُّ حتى بلغ عشرة من المسلمين، فقالوا: لا نعذبهم، إن كان فيهم عشرة من المسلمين، ثم قالوا: " يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه ليس فيها إلا أهل بيت من المؤمنين" هو لوط وأهل بيته،

---

(١) جامع البيان: (٤٣٧٨/٦)، وروى عن مجاهد مثله، تفسير ابن أبي حاتم: (٢٠٥٧/٦)، تفسير مجاهد: ص٣٨٩.

(٢) جامع البيان: (٤٣٧٨/٦)، تفسير ابن أبي حاتم: (٢٠٥٨/٦)، زاد المسير: (١٣٤/٤). قال ابن كثير: قال قتادة وغيره قريبا من هذا و زاد ابن إسحاق: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا. قال: فإن كان فيها لوط يدفع به عنهم العذاب. تفسير ابن كثير: (٣٣٥/٤). وابن جرير في تاريخه: (١٨٤/١).

(٣) جامع البيان: (٤٣٧٩/٦). الدر المنثور وعزاه لابن جرير وابن المنذر: (٤٥٥/٤)، الكشاف: (٣٨٩/٢)، فتح القدير: (٤٦٧/٣).

(٤) تفسير عبد الرزاق: (١٩٣/٢)، جامع البيان: (٤٣٧٩/٦)، تفسير ابن أبي حاتم: (٢٠٥٧/٦)، الجامع لأحكام القرآن: (٧٢/٩).

وهو قول الله تعالى ذكره: ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾. فقالت الملائكة: ﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا إنَّه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾"[1].

روى ابن جرير بسنده عن ابن إسحاق قال: "﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى﴾، يعني: إبراهيم جادل عن قوم لوط ليردّ عنهم العذاب قال: فيزعم أهل التوراة أن مجادلة إبراهيم إياهم حين جادلهم في قوم لوط ليردّ عنهم العذاب، إنما قال للرسل فيما يكلمهم به: أرأيتم إن كان فيهم مائة مؤمن أتهلكونهم؟ قالوا: ، لا! قال: أفرأيتم إن كانوا تسعين؟ قالوا: لا! قال: أفرأيتم إن كانوا ثمانين؟ قالوا: لا! قال: أفرأيتم إن كانوا سبعين؟ قالوا: لا! قال: أفرأيتم إن كانوا ستين؟ قالوا لا! قال: أفرأيتم إن كانوا خمسين؟ قالوا لا! قال: أفرأيتم إن كان رجلا واحدًا مسلمًا؟ قالوا: لا! قال: فلما لم يذكروا لإبراهيم أن فيها مؤمنًا واحدًا، ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾، يدفع به عنهم العذاب، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾ [هود: ٧٦]"[2].

وروى الطبري بسنده عن ابن جريج، قال إبراهيم: "أتهلكونهم إن وجدتم فيها مائة مؤمن ثم تسعين؟ حتى هبَط إلى خمسة. قال: وكان في قرية لوط أربعة آلاف ألف[3]، وروى ابن جرير بسنده عن مسلم أبو حسبة الأشجعي قال: ﴿لما ذهب عن إبراهيم الروع﴾، إلى آخر الآية، قال إبراهيم: أتعذب عالمًا من عالمك كثيرًا، فيهم مائة رجل؟ قال: لا وعزتي، ولا خمسين! قال: فأربعين؟ فثلاثين؟ حتى انتهى إلى خمسة. قال: لا! وعزتي لا أعذبهم ولو كان فيهم خمسة يعبدونني! قال الله عز وجل: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي لوطًا وابنتيه، قال: فحلّ بهم من العذاب، قال الله عز وجل: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾، وقال: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط﴾"[4].

من الآثار السابقة يظهر لنا عدة أمور:

أولاً: مجادلة سيدنا إبراهيم عليه السلام للملائكة.

ثانياً: شفاعة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

ثالثاً: مجيء الملائكة للوط عليه السلام.

---

(١) جامع البيان: (٤٣٧٩/٦)، المحرر الوجيز: (١٩٢/٣).

(٢) جامع البيان: (٤٣٨٠/٦).

(٣) جامع البيان: (٤٣٨٠/٦)، معالم التنزيل: (٢٢٨/٣)، والقرطبي في الجامع: (٧٢/٩).

(٤) جامع البيان: (٤٣٨٠/٦).

وفيما يلي بيان معنى ذلك كما ورد في الآثار:

أولاً: مجادلة سيدنا إبراهيم عليه السلام للملائكة.

معنى الجدال:

قال ابن منظور: "الجَدْل شِدَّة الفَتْل، وجَدَلْتُ الحَبْلَ أَجْدِلُه جَدْلاً إذا شددت فَتْله والجَدَل اللَّدَدُ في الخُصومة والقدرةُ عليها وقد جادله مجادلة وجِدالاً، والاسم الجَدَل وهو شدَّة الخصومة"(١).

قال الأصفهاني في معناه أنه: "المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله ومنه الجديل، وجدلت البناء أحكمته ودرع مجدولة. ومنه الجدال فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهى الأرض الصلبة(٢).

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى مجادلة إبراهيم عليه السلام: "كان مجادلته إياهم أن قال لهم: إن كان فيهم خمسون أتهلكونهم؟ قالوا لا، قال: أفرأيتم إن كان فيهم أربعون؟ قالوا لا، قال: فثلاثون؟ قالوا لا، حتى انتهى إلى عشرة أو خمسة"(٣).

و لم تكن مجادلة إبراهيم عليه السلام من أجل تغيير أمرٍ قدره الله تعالى على قوم لوط واعتراضاً على قضاء الخالق الذي له الحكمة في كل شيء، و لم تكن المجادلة مع الله تعالى؛ لأن هذا من أعظم الذنوب، ولأن فيه جرأة على الله تعالى، وهو لا يليق بمقام النبوة. إذن فما المقصود بهذه المجادلة، وما الغرض منها: المقصود من هذه المجادلة سؤال الملائكة عن العذاب الذي سيحل بقوم لوط، وهل يمكن أن يحل العذاب بالقرية وفيها المؤمنون، و لم تكن المجادلة بمعنى المخاصمة؛ لأن فيه سوء أدب مع الله تعالى، وهو لا يليق بآحاد المسلمين فكيف بصفوة الأنبياء الكرام ومن اعتقد أن معنى المجادلة هي المخاصمة أو الاعتراض فهو في جهل كبير.

يقول ابن جرير رحمه الله تعالى منتقداً قول أن المجادلة في الآية بمعنى المخاصمة أو الاعتراض: "وهذا من الكلام جهلٌ، لأن الله تعالى ذكره أخبرنا في كتابه أنه يجادل في قوم لوط، فقول القائل: إبراهيم لا يجادل موهمًا بذلك أن قول من قال في تأويل قوله: (يجادلنا)، يخاصمنا، أن إبراهيم كان يخاصم ربَّه، جهلٌ من الكلام، وإنما كان جدالُه الرسلَ على وجه المحاجَّة لهم"(٤).

فقد كانت مجادلة إبراهيم عليه السلام للرسل على وجه السؤال والاستفسار والطلب، فعندما صرحوا له بسبب قدومهم وأنهم مبعوثون لإنفاذ أمر الله تعالى في قوم لوط أخذ يسألهم، أتهلكون قريةً فيها أربع مائة مؤمن؟.

---

(١) لسان العرب: (١٠٣/١١).

(٢) مفردات غريب القرآن: (٩٠/١).

(٣) روضة المحبين: ص ٣٦٧.

(٤) جامع البيان: (٤٣٨٠/٦).

وكما روى ابن جرير عن ابن عباس قال: "قال الملك لإبراهيم: إن كان فيها خمسة يصلون رُفـع عنـهم العذاب"(١).

نقل صاحب غرائب القرآن عن بعض الأصوليين والمفسرين قولهم: " إن أمـر الله ورد بإيصـال العـذاب ومطلق الأمر لا يوجب الفور، والملائكة يدعون الفور إما للقرائن أو لأن مطلق الأمر يستدعي ذلك، فهـذه هـي المجادلة. أو لعل إبراهيم كان يدعي أن الأمر مشروط لم يحصل بعد وهم لا يسلمون"(٢).

والشفاعة معنى قريب من المجادلة في موقف النبي إبراهيم عليه السلام عندما جادل الملائكة في أمر لوط عليه السلام ومن آمن معه كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤]، فإن قيـل أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يجادل في قوم لوط عليه السلام، فالمقصود بالمجادلة في الآية هو طلب الشفاعة في النبي لوط عليه السلام ومن آمن معه.

وهكذا فقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام يسعى ويشفع في تأخير العذاب عنهم وليس لرد العذاب، فإنـه لا راد لأمر قد قضاه الله تعالى، وبيان ذلك كما ذكر المفسرون من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن الملائكة حينما قالوا: ﴿إِنَّاْ مُهْلِكُو أَهْلِ هذه القرية﴾ فقال إبراهيم كما ورد في روايات عدة: أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلاً من المؤمنين أتهلكونها؟ قالوا: لا.

الوجه الثاني: رغبة سيدنا إبراهيم عليه السلام في عدم تعجيل العذاب عليهم وإمهال قوم لـوط والصـبر عليهم لعلهم يرجعون إلى الله ويتوبون إليه ويكفوا عن معاصيهم، وهذا ما رجحه الإمام الـرازي في تفسـيره أن مجادلة سيدنا إبراهيم للرسل من أجل الصبر عليهم وإمهالهم لعلهم يتوبون، وقد دل على ذلك امتداح الله تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام في الآية ﴿إِنَّ إبراهيم لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ وحلمه عليه السلام يعني عدم استعجاله على معاقبة من ظلمه بل صبره عليهم ورحمته بهم(٣).

فالحليم الذي لا يتعجل بمكافأة من يؤذيه، ومن كان كذلك فإنه يتأوه إذا شاهد وصول الشدائد إلى الغير، فلما رأي مجيء الملائكة لإهلاك قوم لوط عظم حزنه، وأخذ يتأوه فوصفه الله تعالى بأنه منيب؛ لأن من ظهرت منه هذه الشفقة العظيمة على الخلق فإنه يتوب ويرجع إلى الله تعالى عز وجل في إزالة ذلك العذاب، أو يقال: من كان لا يرضى بوقوع غيره في الشدائد، فأن لا يرضى بوقوع نفسه فيها أولى، ولا طريق لتخليص النفس من عذاب الله والوقوع فيه إلا بالتوبة والإنابة.

---

(١) جامع البيان: (٤٣٧٩/٦)، النكت والعيون: (٤٨٧/٢)، القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: (٧٢/٩).

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (٣٨/٤).

(٣) انظر: تفسير الرازي: (٤٤٣/٨)، تفسير الالوسي: (٣١٠/٨)، اللباب في علوم الكتاب: (٤٦١/٥).

وقد كانت مجادلة النبي إبراهيم عليه السلام للملائكة دليلاً على حرصه وخوفه على النبي لوط عليه السلام ومن آمن معه، من أن يلحقهم العذاب، وقد ارتاحت نفسه عندما علم أن العذاب لا يحيط بالمؤمنين، وأن النبي لوط من الناجين المخلَّصين من العذاب.

ثانياً: شفاعة سيدنا إبراهيم عليه السلام:

الشفاعة لغة: الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمةً ومرتبةً إلى من هو أدنى(١).

اصطلاحاً: سؤال التجاوز عن الذنوب والآثام(٢).

وجميع أهل السنة والجماعة يثبتون الشفاعة للنبي ولغيره من الأنبياء والملائكة الكرام والمؤمنين كما وردت في ذلك نصوص كثيرة، قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه: ١٠٩]،

وقد فسر ابن تيمية رحمه الله تعالى معنى مجادلة إبراهيم عليه السلام الواردة في قوله تعالى: ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾ بمعنى الشفاعة(٣).

والشفيع يمكن أن يطلب من الله ويسأله لكن بشروط:

الأول: الإذن من الله للشافع كي يشفع؛ لأن الشفاعة ملك لله وحده قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤].

الثاني: الرضا عن المشفوع له بأن يكون أهلاً للشفاعة لأنَّ المشركين لا تنفعهم الشفاعة، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وكما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. فإن الله تعالى هو الذي يأذن لمن يشاء في الشفاعة، وهي لا تغني من الحق شيئاً إن لم يأذن الله تعالى للشافع أن يشفع لغيره، في حين أنه يثبت انعدام قيمة الشفاعة وعدم تأثيرها بين الكفار في يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى:

---

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني: ص٢٦٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الاثير: (٢/٤٥٨).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: (١/٤٤٥).

" فشفاعة المخلوق عند المخلوق تكون بإعانة الشافع للمشفوع له بغير إذن المشفوع عنده، بل يشفع إما لحاجة المشفوع عنده إليه وإما لخوفه منه فيحتاج أن يقبل شفاعته عنده، والله تعالى غني عن العالمين وهو وحده سبحانه يدبر العالمين كلهم فما من شفيع إلا من بعد إذنه؛ فهو الذي يأذن للشفيع في الشفاعة، وهو يقبل شفاعته كما يلهم الداعي الدعاء ثم يجيب دعاءه؛ فالأمر كله له فإذا كان العبد يرجو شفيعا من المخلوقين فقد لا يختار ذلك الشفيع أن يشفع له وإن اختار فقد لا يأذن الله له في الشفاعة ولا يقبل شفاعته"(١).

ثالثاً: مجيء الملائكة للوط عليه السلام:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: ٦١ – ٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [هود: ٧٧].

روى ابن جرير بسنده عن مجاهد في قوله: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ قال: "أنكرهم لوط"(٢)، وروى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما عن السدي قال: "خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط، فأتوها نصف النهار، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها، وكانت له ابنتان، اسم الكبرى "ريثا"، والصغرى "زغرتا"، فقالوا لها: يا جارية، هل من منزل؟ قالت: نعم، فَمكانَكم لا تدخُلوا حتى آتيكم! فَرِقَتْ عليهم من قَوْمها. فأتت أباها فقالت: يا أبتاه أرادك فتيان على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم أحسنَ منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم! وقد كان قومه نهوه أن يُضيف رجلا، فقالوا: خَلِّ عنَّا فلنضِف الرجال! فجاء بهم، فلم يعلم أحدٌ إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومها، قالت: إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قَطّ! فجاءه قومه يُهْرَعون إليه"(٣).

شهادة لوط على قومه:

روى ابن جرير وابن أبي حاتم بسندهما عن حذيفة أنه قال: "لما جاءت الرسل لوطًا أتوه وهو في أرض له يعمل فيها، وقد قيل لهم، والله أعلم: لا تهلكوهم حتى يشهدَ لوط. قال: فأتوه فقالوا: إنا مُتَضيِّفوك الليلة، فانطلق بهم، فلما مضى ساعةً التفت فقال: أما تعلمون ما يعمَل أهل هذه القرية؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض أناسًا

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: (١/٤٤٥).

(٢) جامع البيان: (٦/٤٣٨٢)، إسناده صحيح، وذكره في الصحيح المسبور: (٣/١٦٤).

(٣) جامع البيان: (٦/٤٣٨٢)، تفسير ابن أبي حاتم: (٦/٢٦٠) تاريخ الطبري: (١/١٨٥) زاد المسير: (٤/١٣٥)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وقال الذهبي قي التلخيص: على شرط مسلم. مستدرك الحاكم: (٢/٦١٣).

أخبث منهم! قال: فمضى معهم. ثم قال الثانية مثل ما قال، فانطلق بهم. فلما بصرت بهم عجوزُ السَّوْء امرأته، انطلقَت فأنذرتهم"(١).

وروى ابن جرير بسنده عن قتادة، قال: أتت الملائكة لوطًا وهو في مزرعة له، وقال الله للملائكة: إن شهد لوط عليهم أربعَ شهادات فقد أذنت لكم في هَلَكتهم. فقالوا: "يا لوط، إنا نريد أن نُضيِّفك الليلة. فقال: وما بلغكم من أمرهم؟ قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشرُّ قرية في الأرض عملا ! يقول ذلك أربع مرات، فشهد عليهم لوط أربع شهادات، فدخلوا معه منزله"(٢).

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم بسندهما عن ابن عباس قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾، يقول: "ساء ظنًا بقومه وضاق ذرعًا بأضيافه"(٣).

روى ابن جرير بسنده عن ابن إسحاق، قال: "خرجت الرسل فيما يزعم أهل التوراة من عند إبراهيم إلى لوط بالمؤتفكة، فلما جاءت الرسل لوطًا سيء بهم وضاق بهم ذرعًا، وذلك من تخوف قومه عليهم أن يفضحُوه في ضيفه، فقال: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾"(٤).

معنى الآيات: بعد خروج الملائكة من عند سيدنا إبراهيم عليه السلام توجهوا إلى سيدنا لوط وكان بين القريتين أربع فراسخ (٥)، ثم لقوا إحدى ابنتي سيدنا لوط وطلبوا منها أن يضيفوهم فخافت عليهم من قومها ثم توجهوا إلى بيت سيدنا لوط وقد أتوه في صورة شبان حسان وعلى أحسن هيئة وهنا أصاب الوجل والخوف سيدنا لوط على أضيافة من قومه. وللمفسرين عدة معاني في قوله تعالى ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ :

الأول: أنه ظن أنهم من الإنس فخاف عليهم خبث قومه، وأن يعجزوا عن مقاومتهم.

الثاني: ساءه مجيئهم لأنه ما كان يجد ما ينفقه عليهم، وما كان قادراً على القيام بحق ضيافتهم.

الثالث: ساءه ذلك لأن قومه منعوه من إدخال الضيف داره.

الرابع: ساءه مجيئهم، لأنه عرف بالحذر أنهم ملائكة وأنهم إنما جاؤوا لإهلاك قومه.

---

(١) جامع البيان: (٤٣٨١/٦)، تفسير ابن أبي حاتم: (٢٠٦١/٦)، وروى عبد الرزاق بنحوه في تفسيره: (١٩١/١-١٩٢).

(٢) جامع البيان: (٤٣٨٢/٦)، تاريخ الطبري: (١٨٥/١).

(٣) جامع البيان: (٤٣٨١/٦)، تفسير ابن أبي حاتم: (٢٠٦١/٦).

(٤) جامع البيان: (٤٣٨٢/٦).

(٥) جمع فرسخ والفَرْسَخُ: هو السُّكونُ والساعةُ والراحةُ ومنه: فَرْسَخُ الطَّريق: ثلاثةُ أميالٍ هاشِمِيَّة أو اثنا عشرَ ألف ذِرَاعٍ أو عَشَرَةُ آلافٍ. القاموس المحيط: ص٣٢٩.

القول الراجح من هذه الأقوال هو القول الأول: كما بين الرازي: أنه ظن أنهم من الأنس و لم يكن يعلم أنهم ملائكة وخاف عليهم من قومه الفجار إتيانهم الفاحشة بهم(١)، يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ .

وإلى هذا مال ابن جرير رحمه الله تعالى فقال عن سيدنا لوط: "لم يكن يعلم أنهم رسلُ الله في حال ما ساءه مجيئهم، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة، وخاف عليهم، فضاق من أجل ذلك بمجيئهم ذرعًا، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه"(٢).

أما قول من قال أنه عليه السلام كان يعلم أنهم ملائكة وخاف منهم وقوع العذاب فهو بعيد، ذلك لأنهم أتوه في صورة شباب حسان الهيئة، حتى وإن كان عليه السلام يعلم أنهم ملائكة فهو لا يخشى من وقوع العذاب، بل هو في انتظار الفرج من عند الله تعالى، ونصر المؤمنين والانتقام من العصاة المتمردين، فقد كان يدعوا ربه بنصره على القوم المجرمين، ونصر الله تعالى لا يكون إلا بإعزاز المؤمنين واستخلافهم في الأرض وهلاك الكفار وإبادتهم ومحقهم وهذه سنة الله تعالى في خلقه.

ثم يصور لنا القرآن الكريم مدى الضيق والكرب الذي وصل إليه هذا النبي الكريم فقال: ﴿هذا يوم عصيب﴾ أي: شديد الكرب، ويوم شديد الهول، وذلك لتيقنه بأذية قومه لأضيافه، وقد ضاق به ذرعا(٣)، وقلّت به الحيل والسبل في مدافعة قومه الأشرار أو عن مدافعة المكروه والاحتيال، ويقال أن الأصل في "ضاق ذرعاً" أن الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله قصير الذراع، فضرب ذلك مثلاً في العجز وعدم القدرة، ويجوز أن يكون الذرع كناية عن انقباض الصدر والقلب، وكلاهما صحيح، فالآيات تصور لنا غربة سيدنا لوط عليه السلام وضعفه وخوفه على أضيافه من قومه، وهو على الحق وفي المقابل عُلو قومه وانتفاشهم وتمردهم وهم أهل الباطل.

و لم يكن النبي لوط عليه السلام ممتنعاً عن ضيافة الأضياف الذين حلوا عليه بخلاً منه، أو عدم رغبة منه في ضيافتهم، وحشاهم أنبياء الله تعالى أن يوصفوا بصفات البخل وعدم إكرام الضيف، وإنما الموقف أصعب من أن

---

(١) تفسير الرازي: (٨/٤٤٥)، أورد الرازي عدة أقوال في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ الأول: أنه إنما وصفهم بأنهم منكرون، لأنه ما عرفهم، فلما هجموا عليه استنكر منهم ذلك وخاف أنهم دخلوا عليه لأجل شر يوصلونه إليه، فقال هذه الكلمة. والثاني: أنهم كانوا شباباً مرداً حسان الوجوه، فخاف أن يهجم قومه عليه بسبب طلبهم فقال هذه الكلمة. والثالث: أن النكرة ضد المعرفة، أي: لا أعرفكم، ولا أعرف أنكم من أي الأقوام، ولأي غرض دخلتم علي"، تفسير الالوسي: (٨/٣١٥).

(٢) جامع البيان: (٦/٤٣٨١).

(٣) قال الأزهري: "الذرع يوضع موضع الطاقة والأصل فيه البعير يذرع بيديه في سيره ذرعاً على قدر سعة خطوته، فإذا حمل عليه أكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فضعف ومد عنقه، فجعل ضيق الذرع عبارة عن قدر الوسع والطاقة. فيقال: مالي به ذرع ولا ذراع أي مالي به طاقة" نقلاً عن التفسير الكبير: (١٨/٢٦).

يكرم أضيافه أو أن يقدم لهم القرى عليه الصلاة والسلام، كما كان من النبي إبراهيم عليه السلام، ذلك لأن همه عليه الصلاة والسلام وشغله الشاغل في هذا الوقت هو مدافعة قومه الفجار وحماية أضيافه منهم حتى لا يصاب أضيافه بأي سوء أو مكروه[1].

ظن سيدنا لوط بقومه:

كان سيدنا لوط عليه السلام كسائر الأنبياء متيقناً بنزول الفرج والنصر من عند الله تعالى كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]،

﴿كُذِبُواْ﴾ فيها قراءتان: التخفيف والتثقيل. وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ بالتثقيل وتنكر التخفيف[2].

ولهذا نجد أن سيدنا لوط كان متيقناً بنصر ربه، وأيضاً متأكداً بتكذيب قومه وبحلول العذاب عليهم. و لم يكن يأسه من الله تعالى؛ لأن معه الأمل وهو لم ينقطع أمله بالله تعالى. وأن مَنْ انقطع الأمل عنه فليس له منفذ إلا الرجاء، ولا ينقطع أمل إنسان إلا إنْ كان مؤمناً بأسبابه المعزولة عن مُسبِّبه الأعلى. وأنبياء الله لا تُهمّهم الأسباب؛ لأن معهم المُسبِّب هو الله تعالى. فإن سيدنا لوط لم يكن يسيء الظن بخالقه معاذ الله تعالى، لكنه كان متيقناً بوقوع العذاب عليهم من عند الله فإن الظن في هذه الآية بمعنى اليقين والاعتقاد الراجح.

- **مسألة هل الملائكة أفضل من الأنبياء وصالحي البشر أم البشر أفضل منهم:**

كثيراً ما تكلم الناس في هذه المفاضلة، هل الملائكة أفضل من البشر أم الناس أفضل وهذا مما خاضوا فيه قديماً و حديثاً، وكذلك اختلفوا في ذلك إلى قولين:

أصحاب القول الأول: قالوا إن البشر من الرسل والأنبياء أفضل من الرسل من الملائكة، وهو قول غالب أهل السنة.

---

(١) انظر: أدب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع الخلق في القرآن الكريم: ص٣٩٢.

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف بالتخفيف، وافقهم الأعمش ورويت عن عائشة رضي الله عنها، وروي عنها إنكارها، وقد وجهت بوجوه فيها والمشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره أن الضمائر كلها ترجع إلى المرسل إليهم، أي: وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كَذَبُوهم فيما ادعوا من النبوة، وفيما يوعدون به من العقاب، والباقون بالتشديد على عود الضمائر كلها على الرسل، أي: وظن الرسل أنهم قد كذّبهم أممهم فيما جاءوا به لطول البلاء عليهم. اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ص: ٤٧٨، والتفسير الكبير: (١٨/١٨٠).

وأصحاب القول الثاني: قالوا أن الملائكة أفضل من البشر وهذا هو قول المعتزلة[1] وغيرهم من المتكلمين[2]، ونقله عنهم ابن حزم ورجحه أيضاً حيث قال: "وهم يقرون أن الملائكة أفضل من الأنبياء عليهم جميعهم السلام وصدقوا في هذا"[3].

وأتباع الأشعري على قولين: منهم من يفضل الأولياء و الأنبياء، ومنم من يقف ولا يقع في ذلك قولاً[4].

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى: "و قد تكلم الناس قديماً وحديثاً في المفاضلة بين الملائكة والبشر، فذهب ذاهبون إلى أن الرسل من البشر أفضل من الرسل من الملائكة والأولياء من البشر أفضل من الأولياء من الملائكة، وذهب آخرون إلى أن الملأ الأعلى مفضلون على سكان الأرض و لكل واحد من القولين وجه"[5].

والقول الثالث: أن الملائكة أفضل من صالحي البشر إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو عليه الصلاة والسلام أفضل من جميع الملائكة. يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "وذكر لي عن بعض من تكلم في أعمال القلوب أنه قال: أما الملائكة المدبرون للسموات والأرض وما بينهما والموكلون ببني آدم؛ فهؤلاء _أي: صالحي البشر_ أفضل من هؤلاء الملائكة. وأما الكروبيون الذين يرتفعون عن ذلك فلا أحد أفضل منهم وربما خص بعضهم نبينا صلى الله عليه وسلم. واستثناؤه من عموم البشر إما تفضيلا على جميع أعيان الملائكة أو على المدبرين منهم أمر العالم"[6].

ومما سبق يظهر لنا أن صاحب كل قول احتج بدليل لتأييد ما يذهب إليه.

وخلاصة القول في المسألة أن صالحي البشر هم أفضل بلا شك من صالحي الملائكة، ولا يمكن أن نقول أن البشر بإطلاق هم أفضل من الملائكة لأن في البشر أنواع، فمنهم التقي والصالح والكافر والمنافق، ومحال أن يكونوا جميعهم خير من الملائكة المكرمون الذين لا يعصون ربهم ويفعلون ما يؤمرون. وهذا ما رجحه الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى وذكر على ذلك ثلاثة عشر دليلاً[7].

---

(١) إحدى الفرق الكلامية، ترأسهم واصل بن عطاء مخالفا للحسن البصري بقوله أن صاحب الكبيرة ليس بكافر وليس بمؤمن بإطلاق، ويعتمد مذهبهم على خمسة أصول: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمترلة بين المترلتين، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر. دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة: ص ٣١٦-٣٢٦.

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب: (٥٢٩/١، ٥٣٥ وما بعدها).

(٣) الفصل لابن حزم: (١٠٠/٣).

(٤) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٣٥٦/٤)، أيضاً ذكر ذلك ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية: ص ٣٢٠، معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين: ص٢٠٥، اللباب في علوم الكتاب: (٥٢٩/١).

(٥) شعب الايمان: (١٧٠/١)، البداية والنهاية لابن كثير: (٥٨/١).

(٦) مجموع الفتاوى: (٣٥٧/٤).

(٧) مجموع الفتاوى: (٣٧٢/٤).

أوردها الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى في بيان تفضيل صالحي البشر خاصة على الملائكة. و لعل من أهم أسباب تفضيل صالحي البشر على عموم الملائكة هو ما يكون في بني البشر من منازعة دواعي القوة الشهوانية والقوة الغضبية في النفس البشرية والقوة الشيطانية، وهذا ما تخلو منها حياة الملائكة المطهرة من كل هذه القوى لذلك تكون العبادة منهم خالية من المنغصات والمكدرات، أما بني البشر فحياتهم مزيجاً من العبادات ومصارعة الشهوات.

قال ابن القيم: "كان صالح البشر أفضل من الملائكة لأن الملائكة عبادتهم بريئة عن شوائب دواعي النفس والشهوات البشرية فهي صادرة عن غير معارضة ولا مانع ولا عائق وهي كالنفس للحي، وأما عبادات البشر فمع منازعات النفوس وقمع الشهوات ومخالفة دواعي الطبع فكانت أكمل، ولهذا كان أكثر الناس على تفضيلهم على الملائكة لهذا المعنى ولغيره، فمن لم يخلق له تلك الدواعي والشهوات فهو بمنزلة الملائكة، ومن خلقت له وأعانه الله على دفعها وقهرها وعصيانها كان أكمل وأفضل"(١).

والخلاصة أن صالح البشر من الأنبياء والأولياء أفضل من الملائكة المقربين وذلك لما أعده الله تعالى لهم في دار كرامته من النعيم والجزاء العظيم.

---

(١) طريق الهجرتين: ص٣٥٠.

الفصل الرابع

ما ورد في قصة لوط عليه السلام من الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

وفيه مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالأنبياء الكرام.

المبحث الثاني: دلائل النبوة.

المبحث الثالث: أبرز خصائص دعوة سيدنا لوط عليه السلام.

المبحث الرابع: نبوة سيدنا لوط إلى قوم سدوم، والآيات الدالة على ذلك.

الفصل الرابع

المبحث الأول: الإيمان بالأنبياء الكرام

المطلب الأول: معنى الإيمان بالأنبياء الكرام

المطلب الثاني: **ما** ورد في إثبات عصمة لوط عليه السلام

المبحث الثاني: **دلائل النبوة**:

المطلب الأول: دلائل نبوة سيدنا لوط عليه السلام

المطلب الثاني: أهم ما تميزت به دعوة الأنبياء جميعاً صلوات الله عليهم

أولاً: الابتلاء وتحمل الأذى

ثانياً: التكذيب والكفر والجحود من أقوامهم

ثالثاً: كل رسول يرسل بلسان قومه

رابعاً: أن الأنبياء جميعاً يعيشون قضية عصرهم

المبحث الأول: الإيمان بالأنبياء الكرام

المطلب الأول: معنى الإيمان بالأنبياء الكرام:

لا يتحقق إيمان المرء إلا إذا آمن بأنبياء الله تعالى الكرام، وهذا لا يكون إلا بتحقق صدق محبتهم وموالاتهم والاقتداء بهم في جميع أعمالهم وأقوالهم. إيماناً جازماً بجميعهم دون تفريق بين أحد منهم، وقبول تام لجميع ما جاؤوا به من الشرائع والأحكام دون تفريق بين شيء منها. يقول ابن تيمية في معنى الإيمان بنبوة الأنبياء: "كما أظهر من الإيمان بنبوة الأنبياء وما جاؤوا به من إعلان ذكرهم ومحبتهم وموالاتهم والتصديق لأقوالهم والإتباع لأعمالهم ما لم يكن هذا لأمة أخرى وهذا هو الذي ينتفع به من جهة الأنبياء وهو تصديقهم فيما اخبروا وطاعتهم فيما أمروا والاقتداء بهم فيما فعلوا وحب ما كانوا يحبونه وبغض ما كانوا يبغضونه وموالاة من يوالونه ومعاداة من يعادونه ونحو ذلك مما لا يحصل إلا بمعرفة أخبارهم والقرآن والسنة مملوء من ذكر الأنبياء وهذا أمر ثابت في القلوب مذكور بالألسنة"(١).

فالإيمان بأنبياء الله تعالى يعني التصديق الجازم الذي لا يتطرق إليه شك أن الله تعالى اصطفى أشرف خلقه وأصلح أهل زمانهم وأيدهم بالآيات الباهرات والمعجزات الدالة على صدقهم، ولابد من موالاتهم، ومحبتهم وطاعتهم واليقين الجازم أن الخير كله في أتباعهم والاقتداء به، وكل الشر والسوء في الانحراف عن طريقهم، والبعد عن نهجهم. قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤]، فالإيمان بالأنبياء الأكارم يكون على مرتبتين:

المرتبة الأولى إيمان إجمالي: وهو الإيمان بكل رسول أرسله الله وكل نبي قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فنؤمن بأنبياء الله تعالى سواء علمناهم أو لم نعلمهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨].

(١) مجموع الفتاوى: (٢٧/٢٩٦).

الثانية إيمان تفصيلي: فكل من دل النقل الصحيح على نبوته وجب علينا أن نؤمن بهم ونتولاهم ونصدقهم ونتبعهم. ومنهم على سبيل المثال لا الحصر سيدنا إبراهيم عليه السلام، وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ولوط عليهم السلام، كما جاء ذكرهم وغيرهم في كتاب الله العزيز.

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۞ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۞ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۞ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٥ – ٤٨]، وقال تعالى عن نبوة سيدنا لوط عليه السلام: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾ [الشعراء: ١٦١ – ١٦٢]. فالإيمان بالله تعال يقتضي الإيمان بأنبيائه الأكارم لأنهم مبلغين عن ربهم وهادين إلى دينه والكفر بأنبياء الله تعالى فقد باع دينه بدنياه وخسر خسراناً مبيناً.

يقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وحتى يتحقق الإيمان بنبي من الأنبياء لابد من التصديق بغيره من الأنبياء دون التفريق بين أحد منهم فالإيمان بالنبي لوط عليه السلام لا يكفي إن لم يكن هناك إيمان بباقي الأنبياء، والإيمان بالنبي عيسى لا يكفي إن لم يكن هناك إيمان جازم بغيره والإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم لا يقبل إن لم يكن قد تغلغل في القلب الإيمان بباقي الأنبياء و هكذا، قال تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤]، فالتفريق بين الرسل في الإيمان والتصديق ببعضهم دون بعض مما ينافي الإيمان بالله، ومن ثم كان عدم التفريق بينهم هو مما امتدح الله تعالى به هذه الأمة العظيمة وأثنى عليهم بهذه الخصيصة، وهي عدم التفريق بين أنبياء الله تعالى حيث أن الجميع مرسلون من عند الله تعالى داعون إلى مبدأ واحد، تجمعهم وحدة الرسالة ووحدة الهدف، كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفي المقابل من يكفر بنبي من الأنبياء ويصدق بغيره، فقد نعته الله تعالى بالكفر ووعدهم الله تعالى بالعذاب المهين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٠ – ١٥٢].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في معنى الآية: "يتوعد الله تبارك و تعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى، حيث فَرّقوا بين الله ورسله في الإيمان، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض، بمجرد التشهي والعادة، وما ألفوا عليه آباءهم، لا عن دليل قادهم إلى ذلك، فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك بل بمجرد الهوى والعصبية. فاليهود آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ، والسامرة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى بن عمران، والمجوس يقال: إنهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له زرادشت، ثم كفروا بشرعه، فرفع من بين أظهرهم. والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء، فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانًا شرعيًّا، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ فوسمهم بأنهم كفار بالله ورسله ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ أي: في الإيمان"(١).

فلذلك كان التصديق بأحد الرسل يستلزم الإيمان بهم جميعاً جملة وتفصيلاً، والتكذيب بأحدهم هو تكذيب بهم جميعاً(٢).

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وقال تعالى عن تكذيب قوم لوط بنبيهم لوط: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠]، فتكذيب قوم لوط بنبيهم لوط هو تكذيب لجميع الأنبياء لذلك قال تعالى: ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ و لم يقل المرسل لأن جميع الأنبياء يستقون رسالاتهم من منبع واحد ويدعون إلى الإيمان بالله تعالى.

يقول الألوسي في معنى الآية: "وتكذيبهم المرسلين باعتبار إجماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الأزمنة و الأمصار"(٣). وقال الفخر الرازي في بيان أن تكذيب الرسول الواحد هو تكذيب للرسل جميعاً لوجهين: "أحدهما: أنهم وإن كذبوا نوحاً لكن تكذيبه في المعنى يتضمن تكذيب غيره، لأن طريقة معرفة الرسل لا تختلف فمن حيث المعنى حكى عنهم أنهم كذبوا المرسلين. وثانيهما: أن قوم نوح كذبوا بجميع رسل الله تعالى، إما لأنهم كانوا من الزنادقة أو من البراهمة"(٤).

فمن هنا يكون المكذب برسول واحد كافر بجميع المرسلين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥٠ – ١٥١]، فقد نصت الآية الكريمة على كفر من يفرق بين

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢/٤٤٥).

(٢) الرسل والرسالات: ص١٦، تذكرة المؤتسي فيمن حدث ونسي: (١/٣٤٢).

(٣) تفسير الالوسي: (١٤/٢٦٩).

(٤) تفسير الرازي: (١١/٤٩٢).

الإيمان بالله تعالى والإيمان برسله فلا يتحقق الإيمان بالله تعالى إلا بالإيمان برسله. يقول القرطبي في معنى هذه الآيـــة: "نصّ سبحانه على أنَّ التفريق بين الله ورسله كفر، وإنَّما كان كفراً لأنَّ الله فرض على الناس أن يعبدوه بما شرعه على ألسنة الرسل، فإذا جحدوا الرسل ردّوا عليهم شرائعهم، و لم يقبلوها منهم، فكانوا ممتنعين من التزام العبوديـــة التي أُمروا بالتزامها، فكان كجحد الصانع سبحانه، وجحد الصانع كفر لما فيه من ترك التزام الطاعـــة والعبوديـــة، وكذلك التفريق بين الله ورسله"(١).

وقد أمرنا الله تعالى بالإيمان بجميع ما أنزل على جميع الأنبياء بدون تفريق بينهم قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وفي المقابل ذم من يفـــرق بـــين أنبيـــاء الله تعـــالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقـــرة: ٩١]، قـــال الرازي مبيناً سبب ذم الله تعالى لليهود المفرقين بين أنبياء الله تعالى وبالتالي بين الكتب المترلة كما قـــال عنـــهم الله تعالى في كتابه: ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، "يعني بالتوراة وكتب سائر الأنبياء الذين أتوا بتقرير شرع موسى عليه السلام، ثم أخبر الله تعالى عنهم أنهم يكفرون بما وراءه وهو الإنجيل والقرآن. وأورده هذه الحكاية عنهم على سبيل الذم لهم وذلك أنه لا يجوز أن يقال لهم آمنوا بما أنزل الله إلا ولهم طريق إلى أن يعرفوا كونه مترلاً من عند الله وإلا كان ذلك تكليف ما لا يطاق، وإذا دل الدليل على كونه مترلاً من عند الله وجب الإيمان به، فثبـــت أن الإيمـــان ببعض ما أنزل الله دون البعض تناقض"(٢).

وفي المقابل وعد الله تعالى الذين آمنوا بالله تعالى وبرسله و لم يفرقوا بين أحد مـــن رســـله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٢]. قال السعدي في معـــنى الآية: "والذين آمنوا بالله ورسله وهذا يتضمن الإيمان، بكل ما أخبر الله به عن نفسه، وبكل ما جاءت به الرســـل من الأخبار والأحكام. و لم يفرقوا بين أحد منهم بل آمنوا بهم كلهم. فهذا هو الإيمان الحقيقي، واليقين المبني علـــى البرهان. أولئك سوف يؤتيهم أجورهم أي: جزاء إيمانهم، وما ترتب عليه، من عمل صالح، وقول حسن، وخلـــق جميل، كل على حسب حاله. ولعل هذا هو السر في إضافة الأجور إليهم. وكان الله غفورا رحيما يغفر الســـيئات ويتقبل الحسنات"(٣).

(١) تفسير القرطبي: (٦/٥)، انظر: الرسل والرسالات: ص٢٤-٢٥.
(٢) التفسير الكبير: (٣/١٦٩).
(٣) تفسير السعدي: (١/٢١٣).

فلذلك كان كفر من فرق بين رسل الله تعالى وقالوا: "نؤمن ببعض ونكفر ببعض"، متعلق بسببين:

الأول: أن رسل الله تعالى هم مبلغون عن الله تعالى ناقلون لشرعه، فالناس مأمورون بعبادة ما شرعه الله تعالى على ألسنة رسله الكرام، ويلزم من ذلك أن التصديق بالله تعالى لا يتم إلا بالتصديق بأنبيائه ورسله الكرام.

الثاني: أن من جحد شيئاً مما جاءت به الرسل الكرام جميعاً أو ما جاء به رسول من الرسل، فكأنما جحد أمر الله تعالى الذي أرسل هؤلاء الرسل وأختارهم واجتباهم، وأن انتقاصهم أو واحداً منهم، هو انتقاص في اختيار الله تعالى وعدم الرضا بما رضيه الله تعالى.

المطلب الثاني: ما ورد في إثبات عصمة لوط عليه السلام:

إن من رحمة الله تعالى بخلقه أن أرسل إليهم رسلاً بشراً يدعونهم إلى الله تعالى وينهونهم عن كل ما لا يرضيه سبحانه وكون رسل الله تعالى بشراً فهذا يعني أنهم معرضون للحزن والضيق والفرح والسرور وللخوف فيعتريهم ما يعتري سائر البشر؛ لأنهم بشر فهم يأكلون ويشربون ويتزاوجون ويمشون في الأسواق، وهذا لا يعتبر قدحاً في عصمتهم إذ العصمة ثابتة لهم فيما يبلغون عن ربهم وعن كبائر الذنوب والشرك والكفر بالله تعالى، وصدور الصغائر منهم لا يكون على سبيل العمد وإنما سهوا ثم تكون المبادرة الفورية للتوبة والإنابة. والخوف والفزع وارد منهم كما كان من رسول الله تعالى حينما رأى جبريل على هيئته الملائكية فزع وخاف مما رأى، وكذلك خوف سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما دخل عليه الملائكة و لم يأكلوا عندما قدم لهم القِرى، وهذا الخوف قد اعترى سيدنا لوط عندما أحاط به قومه ودافعوه للتمكن من أضيافه وإيقاع الأذى بهم. ومما دل على ثبوت ذلك قوله تعالى على لسان نبيه لوط عليه السلام: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠].

وروى ابن جرير بسنده عن السدي: قال لوط عليه السلام: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، يقول: "إلى جُنْد شديد، لقاتلتكم"[1].

وروى عن قتادة قال في قوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: العشيرة[2].

وروى عن ابن جريج قال: "بلغنا أنه لم يبعث نبيٌّ بعد لوط إلا في ثَرْوَة من قومه، حتى النبي ﷺ"[3].

(١) جامع البيان: (٤٣٨٨/٦)، الدر المنثور: (٣٤٣/٣).

(٢) جامع البيان: (٤٣٨٨/٦)، وذكره عبد الرزاق في تفسيره: (١٩٦/٢)، معالم التتريل: (٢٣٠/٣)، المحرر الوجيز: (١٩٥/٣).

(٣) جامع البيان: (٤٣٨٨/٦)، الدر المنثور: (٤٥٩/٤)، وأخرج عبد الرزاق عن قتادة قال: "لم يبعث الله نبياً إلا في ثروةٍ من قومه بعد لوط بعث الله محمداً في ثروة قومه، وقال قوم شعيب: ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾" تفسير الصنعاني: (٣/٣)، وأخرجه الترمذي في سننه: (٢٩٣/٥) بلفظ: " ما بعث الله بعده نبياً إلا في ثروة من قومه، قال محمد بن عمرو: الثروة الكثرة والمنعة، قال أبو عيسى حديث حسن، والامام أحمد في مسنده: (٣٣٢/٢).

وروى عن ابن إسحاق قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾، أي: "عشيرة تمنعني أو شيعة تنصرني، لحلت بينكم وبين هذا"(١)، وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «نَحْنُ أحَقُّ بالشَّكِّ من إبراهيم ﷺ إذْ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، قال: ويَرحَمُ الله لوطًا لقد كان يَأوِي إلى رُكنٍ شدِيدٍ ولَوْ لَبِثتُ في السِّجنِ طولَ لَبثِ يوسُفَ لَأَجَبتُ الدّاعِيَ» (٢).

معنى الآية: يبين الله تعالى في هذه الآية: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، هو أن ما أصاب النبي لوط عليه السلام من حالة القلق والهلع حينما رأى مقدم قومه إليه، وأنه في نفس الوقت لا يستطيع مدافعتهم أو ردهم عما اجتمعوا عليه، لذلك تمنى أن تكون له عشيرة ومنعة وقوة يتحصن بهم ويتقوى بهم بعد قوة الله تعالى وإمداد الله تعالى سبحانه له فقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾(٣)، قال الرازي في معنى الآية: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾، أي: "كونه بنفسه قادراً على الدفع وكونه متمكناً إما بنفسه وإما بمعاونة غيره على قهرهم وتأديبهم، والمراد بقوله: ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، هو أن لا يكون له قدرة على الدفع لكنه يقدر على التحصن بحصن ليأمن من شرهم بواسطته"(٤).

مناقشة قول من يدعي التعارض بين الآية والحديث:

هناك شبهة تقول بوجود التعارض بين معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لأجبته»، فيكون معنى الآية مخالفا لما جاء في حديث الرسول ﷺ.

قال بعض المفسرين في معنى الآية: أن سيدنا لوط عليه السلام مع خوفه من قومه لم يكن متوكلاً على ربه تمام التوكل و لم يكن واثقاً بموعود خالقه وبنصره وبقوته على دفع السوء عن أضيافه وأن هذه المقولة إنما صدرت

---

(١) جامع البيان ٤٣٨٨/٦، ذكره عبد الرزاق في تفسيره ١٩٦/٢، عن قتادة والبغوي في معالم التنزيل٢٣٠/٣.

(٢) رواه مسلم: (١٣٣/١) باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، والبخاري في صحيحه: (١٢٣٣/٢) بلفظ: «ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد»، وروى البخاري في الادب المفرد بلفظ: «ورحمة الله على لوط إن كان ليأوى إلى ركن شديد إذ قال لقومه لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ما إن بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة من قومه». قال الشيخ الألباني: حسن صحيح، الأدب المفرد: (٢١٢/١-٦٠٥). وذكره ابن جرير في جامع البيان: (٤٣٨٩/٦)، الدر المنثور: (٣٤/٢).

(٣) انظر جامع البيان: (٤٣٨٨/٦)، تفسير البغوي: (٣٩٥/٢).

(٤) التفسير الكبير: (٢٩/١٨).

منه بسبب انقطاع أمله بخالقه وأنه ليس له ركن شديد منه وأنه بهذا الشعور قد أساء الظن بخالقه، ومما استشهدوا به على صحة قولهم حديث أبي هريرة.

وذكروا أن الرسول عليه السلام انتقص فعل سيدنا لوط وأنكر عليه طلبه الاحتماء بركن شديد. يقول الطيبي في معنى الحديث: "قال رسول الله ﷺ ذلك لأن كلامه يدل على إقناط كلي ويأس شديد من أن يكون له ناصر ينصره وكأنه استغرب ذلك القول وعده نادراً منه إذ لا ركن أشد من الركن الذي كان يأوي إليه"[١]. وعلى فرض القول بوجود التعارض بين الآية والحديث على حد زعم من قال بذلك، وهو أنهم فهموا أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه إثبات أن سيدنا لوط عليه السلام كان يأوي إلى ركن شديد، وأن الآية الكريمة اشتملت على أمرين:

الأول: إثبات أن سيدنا لوط عليه السلام لم يكن يأوي إلى ركن شديد.

الثاني: تمني سيدنا لوط عليه السلام أن تكون له قوة وعشيرة يأوي إليهم.

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

أولاً: لا حجة لقائل بوجود التعارض بين الحديث وبين الآية. فإن معنى الآية أن سيدنا لوط كان يتمنى أن يكون له عشيرة وأعوان وأنصار من المؤمنين يستعين بهم على مدافعة قومه الفساق وليفعل بهم الأفاعيل وينتقم منهم ويحل بأسه عليهم[٢].

ومعنى الحديث الشريف هو دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة للوط عليه السلام لأنه كان يأوي إلى ركن شديد من الله تعالى فهو في قوة ومنعة من ربه وكان صادقاً في توكله وهذا دأب الأنبياء جميعاً، وإن ظهر منهم الفزع الخارجي إلا أن قلوبهم مطمئنة بالله تعالى.

يقول الزمخشري في معنى الحديث أي: "إلى قوي أستند إليه وأمتنع به فيحميني منكم شبَّه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته"[٣] وقال ابن قتيبة[٤] في معنى الحديث: "وفى الوقت الذي ضاق فيه صدره واشتد جزعه بما دهمه من قومه، وهو يأوي إلى الله تعالى أشد الأركان"[٥]. وقال غيره: "ولا يخرج هذا لوطًا من صفات المتوكلين على الله الواثقين بتأييده ونصره، لكن لوطًا – عليه السلام أثار منه الغضب في ذات الله ما يثير من البشر،

(١) نقله عنه العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (٢٦١/٢٣).

(٢) جامع البيان: (٤١٨/١٥)، تفسير ابن كثير: (٣٣٨/٤).

(٣) نقلا عن عمدة القاري: (٢٦١/٢٣).

(٤) الحافظ الثقة أبو العباس محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني محدث فلسطين سمع هشام بن عمار، وابن رمح، ومنه ابن عدي وأبو علي النيسابوري مات سنة عشر وثلاثمائة. طبقات الحفاظ: (٣٢٣/١).

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال: (٥٢٦/٩).

فكان ظاهر قول لوط كأنه خارج عن التوكل، وإن كان مقصده مقصد المتوكلين فنبه النبي على ظاهر قول لوط تنبيه على ظاهر قول إبراهيم، وإن كان مقصده غير الشك لأنهم كانوا صفوة الله المخصوصين بغاية الكرامة"(١).

وقد برر الإمام النووي رحمه الله تعالى مقولة سيدنا لوط عليه السلام في الآية: "يجوز أنه نسي الالتجاء إلى الله في حمايته الأضياف أو أنه التجأ إلى الله فيما بينه وبين الله وأظهر للأضياف العذر وضيق الصدر"(٢).

حتى وإن كان سيدنا لوط نسي في تلك اللحظة الالتجاء إلى ربه فهذا لا يعني عدم التوكل على الله في كل حال، وهناك آيات تبين التجاء لوط إلى الله تعالى بعدما طفح منه الكيل داعياً على قومه طالبا من ربه النصر.

ويقول ابن حزم رحمه الله راداً على من احتج بالآية أن فيها معنى عدم التوكل على الله تعالى: "وهذا لا حجة لهم فيه أما قوله عليه السلام: "لو أن لي بكم قوة أو أوى إلى ركن شديد"، فليس مخالفا لقول رسول الله ﷺ: "رحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد"، بل كلا القولين منهما عليهما السلام حق متفق عليه؛ لأن لوطا عليه السلام إنما أراد منعةً عاجلةً يمنع بها قومه مما هم عليه من الفواحش من قرابة أو عشيرة أو أتباع مؤمنين وما جهل قط لوط عليه السلام أنه يأوي من ربه تعالى إلى أمنع قوة وأشد ركن، ولا جناح على لوط عليه السلام في طلب قوة من الناس فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١](٣).

أما قول الطيبي في معنى الحديث: " قال رسول الله ذلك لأن كلامه يدل على إقناط كلي ويأس شديد من أن يكون له ناصر ينصره وكأنه استغرب ذلك القول وعده نادرا منه إذ لا ركن أشد من الركن الذي كان يأوي إليه". فيرد عليه بأن الرسول عليه السلام لم يندهش من قول لوط و لم ينكر عليه هذا القول؛ لأنه قد صدر منه عليه الصلاة والسلام ليطلب المنعة والقوة من قومه ليتحقق له تبليغ الرسالة إلى الناس، وفي هذا يقول ابن حزم منتقداً من قال بإنكار الرسول صلى الله عليه وسلم مقولة سيدنا لوط عليه السلام: "فكيف ينكر على لوط أمراً هو فعله عليه السلام تالله ما أنكر ذلك رسول الله ﷺ وإنما أخبر عليه السلام أن لوطا كان يأوي إلى ركن شديد يعني من نصر الله له بالملائكة و لم يكن لوط علم بذلك ومن اعتقد أن لوطا كان يعتقد أنه ليس له من الله ركن شديد فقد كفر إذ نسب إلى نبي من الأنبياء هذا الكفر"(٤).

ثانياً: الآية تدل على صدق سيدنا لوط مع ربه وحسن توكله عليه واستمداد قوته منه وإن كان ظاهرها يوهم بغير ذلك كما فهم البعض فهو تمنى أن تكون له عشيرة ومنعة وهذا من الأخذ بالأسباب والأخذ بالأسباب

---

(١) المرجع السابق والصفحة نفسها.

(٢) نقله العيني في عمدة القاري: (٢٦١/٢٣).

(٣) الفصل في الملل والاهواء والنحل: (٧/٤).

(٤) نقلا عن الفصل في الملل و الاهواء والنحل: (٧/٤).

من مقتضيات الإيمان بالله تعالى وصدق التوكل عليه وهذا الأمر كان من غيره من الأنبياء فالرسول صلى الله عليه وسلم طلب من المهاجرين والأنصار مناصرته ومؤآزرته وسيدنا عيسى قال للحواريين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]. كل ذلك مع صدق الاعتماد على الله تعالى، فان سيدنا لوط وإن كان طالباً للقوة المادية البشرية فهذا لا يعني انتفاء القوة المعنوية من قلبه وتعلقه بالله تعالى واحتمائه عليه السلام بربه وثقته به سبحانه، وركونه إلى الأسباب فقط[(١)].

ولا شك أن حمية القرابة والنسب يبعثان في نفس الإنسان القوة والمنعة والألفة ويمنعان من الفرقة والتفكك والفرقة ومن تسلط الأعداء والغرباء ويزيدان من قوة الإنسان وعدم مبالاته أو خوفه من الأعداء، لكن الله سبحانه وتعالى قد أعذر نبيه لوط عليه السلام نفسه حين عدم وجود عشيرة وقوم وأهل ينصرونه، فإن تأييد بعض الرسل بالعشيرة والمنعة أو عدم وجود العشيرة والأهل عند البعض الآخر كما هو حال سيدنا لوط فإنه بأمر من الله تعالى ولحكمة يعلمها جل جلاله فقد قدم سيدنا لوط إلى بلاد الشام مع سيدنا إبراهيم عليه السلام و لم يكن يعرف أحدا فيمن بعث إليهم ومع ذلك أمره الله تعالى بمواجهتهم وتطهيرهم ومجادلتهم، ولعل الحكمة أن لا يكون له عشيرة وقوم يحتمي بهم حتى يكون منه صدق اللجوء إلى الله تعالى والافتقار إليه في كل حال فهو سبحانه الملاذ الآمن والحصن الحصين لعباده المتوكلين عليه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما بعث الله تعالى من بعده نبيا إلا في ثروة من قومه".

ثالثاً: في الآية دلالة على خوف سيدنا لوط على أضيافه وهذا هو من تمام بشريته عليه الصلاة والسلام و لم يلمه الله تعالى على خوفه بل أرسل إليه ملائكته لتطمينه وتبشيره بالنصر المحقق وبالظفر على أعدائه وأنه محاط بالعناية الإلهية هو وأضيافه وأهله وأن من اعتصمت به وتوكلت عليه وجعلته ركنك الشديد لن يخذلك ولن يتركك[(٢)].

رابعاً: مما يدل على أن سيدنا لوط كان طالباً للقوة المعنوية والنصرة والمساندة من عشيرته، أنه لم يبعث نبي بعد لوط عليه السلام إلا في منعة وقوة من قومه كما مر في الحديث الشريف، ومن شروط النبي المرسل الذكورية والحرية والقوة على إبلاغ الرسالة.

وأنه لا يشترط أن يكون النبي المرسل صاحب سيادة في قومه وصاحب قوة ومنعة كما كان من حال سيدنا لوط عليه السلام فلم يكن له منعة وعشيرة كثيرة وغلبة على قومه، بخلاف سيدنا شعيب فقد قال تعالى عنه على

---

(١) مآلات الخطاب المدني: ص١٢٧.

(٢) تفسير الرازي: (٤٤٩/٨).

لسان قومه ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾. لكن الأغلب أن يكون النبي المرسل صاحب قوة وعشيرة ونسب وسؤدد كما كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم(١).

خامساً: لم يكن في حديث النبي ﷺ انتقاص لسيدنا لوط، وليس فيه إنكار عليه، بل فيه زيادة رفعة له ودليل على علو شأنه، ودعاء الرسول عليه السلام لسيدنا لوط بالرحمة، وقد بين ابن حجر أن رسول الله قد دعا لغيره و لم يكن نبياً و لم يبدأ عليه السلام بنفسه كما في قصة السيدة هاجر عليها السلام في الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يرحم الله أم إسماعيل لولا أنها عجلت لكان زمزم عينا معينا"(٢).

المبحث الثاني: دلائل النبوة:

معنى دلائل النبوة لغة: جمع دلالة بالفتح والكسر، وهي العلامة والأمارة. يقال: دله على الطريق يدله دلالة ودلولة، والفتح أعلى. و الدليل و الدليلي الذي يدلك(٣).

ومعنى دلائل النبوة شرعاً: قال ابن تيمية رحمه الله تعالى هي: "الأدلة والعلامات المستلزمة لصدقهم والدليل لا يكون إلا مستلزما للمدلول عليه مختصاً به لا يكون مشتركا بينه وبين غيره فإنه يلزم من تحققه تحقق للمدلول وإذا انتفى المدلول انتفى هو فما يوجد مع وجود الشيء ومع عدمه لا يكون دليلاً عليه بل الدليل لا يكون إلا مع وجوده فما وجد مع النبوة تارة ومع عدم النبوة تارة لم يكن دليلاً على النبوة بل دليلها ما يلزم من وجوده وجودها"(٤).

لذلك فإن دلائل النبوة هي ما أكرم الله عز وجل به نبيه محمداً ﷺ مما يدل على صدق نبوته، وهذا لا يعني أن صدق نبوة الأنبياء متوقف على حدوث المعجزة، بل المعجزة من جملة صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى: "والطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات لكن كثير منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات وقرروا ذلك بطرق مضطربة والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر ونحو ذلك ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح لكن الدليل غير محصور في المعجزات فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ولا يلتبس

---

(١) العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية): ص ٨٣.

(٢) رواه البخاري: (١٢٢٦/٣)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: "واتخذ الله إبراهيم خليلا"، فتح الباري بشرح صحيح البخاري: (١٣٧/١١).

(٣) لسان العرب: (٢٤٩/١١) مادة (دلل)، ومختار الصحاح: (٨٨/١).

(٤) النبوات: ص١١٨.

هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما وتعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب لـه طرق كثيرة ما دون دعوى النبوة فكيف بدعوى النبوة"[1]، فهذه العلامات والدلائل يختص بها من خصه الله مـن رسله دون غيرهم فتكون لأنبياء الله تعالى فقط و لا تكون لغيرهم من الإنس والجن، فلأن أنبياء مرسلون إلي الثقلين فلابد أن يكون ما يأتون به من الآيات خارجاً عن مقدور الإنس والجن أيضا، يقول تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وهذه الآيات التي أيد الله بها أنبيائه لا تكون إلا مع النبوة فقط فهي دليل على نبوتهم عليهم الصلاة والسلام، أما ما كان موجوداً مع النبوة ومع عدمها فهو ليس دليلاً على النبوة.

والدليل والأمارة أو العلامة كلها تدل على معنى واحد وهي تدل على نبوة النبي من غير التحدي من قومه، أما المعجزة هي ما يجريه الله تعالى على يد نبي من أنبيائه على وجه التحدي. وقد خص الله سبحانه وتعالى أنبيائـه الكرام بأفضل الخصائص وأنبل السجايا وكل من يختاره الله تعالى لحمل رسالته لابد أن يكون فيه ما ليس في غـيره من المحاسن ومتره عما في غيره من المساوئ.

وقد ذكر أبو نعيم الأصبهاني[2] في مقدمة كتابه دلائل النبوة أهم الخصائص والفضائل التي تميز بها الرسـل الكرام دون غيرهم فبين أن هناك عدة فضائل تميزوا بها:

الفضيلة النوعية ومعناها: أن الله الحكيم القدير لا يختار للرسالة إلا المتقدم على المبعوث إليهم، المزين بكل المناقب، ولهذا لم يوجد نبي قط به عاهة في بدنه أو اختلاط في عقله، أو دناءة في نسبه، أو رداءة في خلقه.

الفضيلة الإكرامية وهي تعني: أن الله الرؤوف الرحيم إذا أمر رسله للإبلاغ عنه أمده بزوائد تقوي قلبه، وتشحذ قريحته، وتمكنه من الأخلاق الحميدة والعزائم القوية، والحكم المديد، كما أيد موسى عليه السلام بحل العقدة من لسانه.

الإمداد بالهداية: ومعناه أن الله العلي العظيم متى قلد عبدا قلائد الرسالة فحكمته تقضي أن لا يخليـه مـن مواد الإرشاد.

التثقيف عند الزلة: ومعناه تنبيه الله تعالى لرسله في لحظات الضعف وإرشادهم إلى ما هو الأصوب في علمه سبحانه فالله اللطيف بعباده، الوافي لأوليائه بالنصر والتأييد، لا يعدم وافده وصفيه المرشح لحمل أثقال النبوة التنبيـه والتثقيف[3].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (١٥٨/١).

(٢) هو: أحمد بن عبد الله بن أحمد الاصبهاني، (٣٣٦ – ٤٣٠ ﻫ = ٩٤٨ – ١٠٣٨ م)، أبو نعيم: حافظ، مؤرخ، ولد ومات في أصبهان. من تصانيفه (حلية الاولياء وطبقات الاصفياء)، و (معرفة الصحابة) و (دلائل النبوة) و (ذكر أخبار أصبهان) و (الشعراء). الأعلام: (١٥٧/١)، المقتنى في سرد الكنى: (١١٧/٢).

(٣) دلائل النبوة: ص٢.

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذا الصدد: "فكان كل من هذين النوعين دليلاً وعبرة على نبوته من طريقين فكان دليلا وعبرة على نبوته من جهة إخبار بالغيب الذي لا يعلمه إلا نبي وكانت عبرة بما فيها من أحوال المؤمنين والكافرين التي توجب اتباع سبيل المؤمنين الذين اتبعوا مثله وتجنب سبيل الكافرين الذين خالفوا مثله ومثل من اتبعه شقيا كان في هذا دلالة وعبرة توجب إتباعه وتنهى عن مخالفته، وهذا أيضا دليلا على نبوة من قبله من الأنبياء من وجهين من جهة أنه أخبر بمثل ما أخبروا به من غير مواطأة بينهم وبينه ولا تشاعر لم يأخذوا عنه و لم يأخذ عنهم، وكل منهما أخبر عن الله بأخبار مفصلة يمتنع الاتفاق عليها عادة إلا بتواطؤ فإذا لم يكن تواطؤ وتشاعر وامتنع اتفاق ذلك من غير مواطأة علم أن كلا من المخبرين صادق"[(١)].

المطلب الأول: دلائل نبوة سيدنا لوط عليه السلام:

أولاً: ما تواتر عن أخبار النصارى بوجود خبر سيدنا لوط وسيدنا محمد ﷺ وغيرهم من الأنبياء في كتبهم مثل أخبار هرقل ملك الروم[(٢)] وما وجد من صورة سيدنا لوط عليه السلام كما ورد في الحديث المروي عن هشام بن العاص الأموي[(٣)]، قال: بعثت أنا ورجل آخر من قريش إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة[(٤)] يعني دمشق فترلنا على جبلة بن الأيهم الغساني[(٥)]، فدخلنا عليه وإذا هو على سرير له، فأرسل إلينا برسول نكلمه، فقلنا له: والله لا نكلم رسولا، إنما بعثنا إلى الملك، فإن أذن لنا كلمناه وإلا لم نكلم

---

(١) الجواب الصحيح: (٣١٩/٥-٣٢٠).

(٢) قال الجوهري: هرقل ملك الروم، على وزن خندف. ويقال أيضا هرقل، على وزن دمشق: (١٨٤٩/٥).

(٣) وقيل الرواية عن هشام بن العاص السهمي والله تعالى أعلم. وهشام بن العاص السهمي هو: الرجل الصالح المجاهد، ابن أخت أبي جهل، وهي أم حرملة المخزومية، قال ابن سعد: كان هشام قديم الاسلام بمكة، وهاجر إلى الحبشة، ثم رد إلى مكة إذ بلغه أن النبي ﷺ قد هاجر ليلحق به، فحبسه قومه بمكة. ثم قدم بعد الخندق مهاجراً وشهد ما بعدها. سير أعلام النبلاء: (٧٧/٣).

(٤) الغوطة بالضم ثم السكون وطاء مهملة: وهو من الغائط وهو المطمئن من الأرض وجمعه غيطان وأغواط، و الغوطة هي الكورة التي منها دمشق والغوطة كلها أشجار وأنهار متصلة وهي بالإجماع أنزه بلاد الله وأحسنها منظراً. معجم البلدان: (٢١٩/٤).

(٥) جبلة بن الأيهم الغساني: أبو المنذر ملك آل جفنة بالشام كان ملك غسان فكتب إليه رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام فأسلم، فلما كان زمن عمر رضي الله عنه فوطىء رجل من مزينة فوثب المزني فلطمه وكان ذلك بدمشق فأخذ الرجل فانطلق به إلى أبي عبيدة بن الجراح فقالوا هذا لطم جبلة بن الأيهم قال فليلطمه قالوا وما يقتل قال لا قالوا فما تقطع يده قال لا إنما أمر الله عز وجل بالقود قال جبلة أترون أني جاعل وجهي ندا لوجه جدر جاء من عمق يعني موضعا في ناحية المدينة بئس الدين هذا ثم ارتد نصرانيا وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم فبلغ ذلك عمر فشق ذلك عليه. سير أعلام النبلاء: (٥٣٢/٣)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: (٢٥٦/٥).

الرسول، فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك. قال: فأذن لنا، فقال: تكلموا فكلمه هشام بن العاص، ودعاه إلى الإسلام، وإذا عليه ثياب سواد، فقال له هشام: ما هذه التي عليك ؟ فقال: لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام. قلنا: ومجلسك هذا ؟ فوالله لنأخذنه منك و لنأخذن ملك الملك الأعظم، إن شاء الله تعالى، أخبرنا بذلك نبينا ﷺ ، قال: لستم بهم، بل هم قوم يصومون بالنهار، ويفطرون بالليل. فكيف صومكم ؟ فأخبرناه، فملأ وجهه سواداً، فقال: قوموا. وبعث معنا رسولا إلى الملك، فخرجنا حتى إذا كنا قريبا من المدينة، قال لنا الذي معنا: إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك، فإن شئتم حملناكم على براذين وبغال، قلنا: والله لا ندخل إلا عليها، فأرسلوا إلى الملك: إنهم يأبون. فدخلنا على رواحلنا متقلدين سيوفنا حتى انتهينا إلى غرفة له، فأنخنا في أصلها، وهو ينظر إلينا، فقلنا: لا إله إلا الله، والله أكبر، والله يعلم لقد تنفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق(١) تصفقه الرياح. فأرسل إلينا: ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم. وأرسل إلينا أن ادخلوا. فدخلنا عليه وهو على فراش له، وعنده بطارقته(٢) من الروم، وكل شيء في مجلسه أحمر، وما حوله حمرة، وعليه ثياب من الحمرة. فدنونا منه فضحك، وقال: ما كان عليكم لو حييتموني بتحيتكم فيما بينكم، فإذا عنده رجل فصيح بالعربية، كثير الكلام. فقلنا: إن تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك، وتحيتك التي تحيا بها لا يحل لنا أن نحييك بها. قال: كيف تحيتكم فيما بينكم ؟ فقلنا: السلام عليك. قال: فكيف تحيون ملككم ؟ قلنا: بها، قال: وكيف يرد عليكم ؟ قلنا: بها. قال: فما أعظم كلامكم ؟ قلنا: لا إله إلا الله، والله أكبر، فلما تكلمنا بها، قال: والله لقد تنقضت الغرفة حتى رفع رأسه إليها. قال: فهذه الكلمة التي قلتموها حيث تنفضت الغرفة كلما قلتموها في بيوتكم تنفض بيوتكم عليكم ؟ قلنا: لا، ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك. قال: لوددت أنكم كلما قلتم تنفض كل شيء عليكم، وأني خرجت من نصف ملكي، قلنا: لم ؟ قال: لأنه كان أيسر لشأنها وأجدر أن لا يكون من أمر النبوة وأن يكون من حيل الناس. ثم سألنا عما أراد، فأخبرناه، ثم قال: كيف صلاتكم وصومكم ؟ فأخبرناه. فقال: قوموا. فقمنا، فأمر لنا بمنزل حسن ونزل كثير، فأقمنا ثلاثا، فأرسل إلينا ليلا، فدخلنا عليه فاستعاد قولنا فأعدناه، ثم دعا بشيء كهيئة الربعة(٣) العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب، ففتح بيتا وقفلا، واستخرج حريرة سوداء، فنشرها، فإذا فيها صورة حمراء، وإذا فيها رجل ضخم العينين، عظيم الآليتين، لم أر مثل طول عنقه، وإذا ليست له لحية، وإذا له ضفيرتان، أحسن ما خلق الله. قال: هل تعرفون هذا ؟ قلنا: لا. قال: هذا آدم، عليه السلام، وإذا هو أكثر الناس شعرا، ثم

---

(١) العذق: النخلة بحملها، يقال: أعذق وعذاق، وبالكسر: القنو منها والعنقود من العنب. القاموس المحيط: (١١٧١/١).

(٢) من كلمة (بطرق) والبطريق بلغة أهل الشام والروم هو القائد معرب وجمعه بطارقة، هو جمع بطريق وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم وهو ذو منصب. ويقال إن البطريق عربي وافق العجمي وهي لغة أهل الحجاز. لسان العرب: (٢١/١٠).

(٣) الربعة بالتسكين جؤنة العطار، ورجل ربعة أي: مربوع الخلق لا طويل ولا قصير، وامرأة ربعة أيضا وجمعهما جميعا ربعأت بالتحريك، مختار الصحاح: (٢٦٧/١).

فتح لنا بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها صورة بيضاء، وإذا له شعر كشعر القطط، أحمر العينين، ضخم الهامة[١]، حسن اللحية، فقال: هل تعرفون هذا ؟ قلنا: لا. قال: هذا نوح، عليه السلام. ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها رجل شديد البياض، حسن العينين، صلت الجبين [٢]، طويل الخد، أبيض اللحية، كأنه يتبسم، فقال: هل تعرفون هذا ؟ قلنا: لا، قال: هذا إبراهيم عليه السلام. ثم فتح بابا آخر، فإذا فيها صورة بيضاء، وإذا والله رسول الله قال: أتعرفون هذا ؟ قلنا: نعم محمد رسول الله ﷺ. قال: وبكينا. قال: والله يعلم أنه قام قائما ثم جلس وقال: والله إنه لهو ؟ قلنا: نعم. إنه لهو، كأنما ننظر إليه، فأمسك ساعة ينظر إليها، ثم قال: أما إنه كان آخر البيوت ولكني عجلته لكم لأنظر ما عندكم. ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء، فإذا فيها صورة أدماء سحماء[٣]، وإذا رجل جعد قطط[٤]، غائر العينين، حديد النظر، عابس، متراكب الأسنان، مقلص الشفة، كأنه غضبان، فقال: هل تعرفون هذا ؟ قلنا: لا. قال: هذا موسى عليه السلام، وإلى جنبه صورة تشبهه، إلا أنه مدهان الرأس، عريض الجبين، في عينه قبل، فقال: هل تعرفون هذا ؟ قلنا: لا. قال: هذا هارون بن عمران. ثم فتح بابا آخر، فاستخرج حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل آدم[٥]، سبط[٦]، ربعة كأنه غضبان، فقال: هل تعرفون هذا ؟ قلنا: لا: قال: هذا لوط عليه السلام"[٧] ثم ذكر الحديث بطوله.

فمن خلال ما سبق يظهر لنا أن صفات سيدنا لوط عليه السلام وغيره من الأنبياء، كانت معروفة في كتب النصارى، مما يدل على صدق نبوتهم عليهم الصلاة والسلام، وبعثتهم إلى أقوامهم لدعوتهم إلى الله تعالى، ولو لم يكونوا أنبياء مبعوثين إلى أقوامهم لدعوتهم من عند الله تعالى لما ثبت ذكرهم في الكتب السماوية المترلة من عند الله تعالى.

ثانيًا: أنه قد علم بالضرورة ثبوت نبوة لوط عليه السلام وذلك مما قصه الله تعالى من خبره وخبر قومه المكذبين لدعوته المصرين على المعاصي، قال تعالى في تقرير نبوة الأنبياء الكرام ومنهم لوط عليه السلام: ﴿ وَإِن

(١) الرأس: يقال ضخم الهامة أي ضخم الرأس، الصحاح للجوهري: (٢/٢٦٢).

(٢) صلت الجبين صلوتة أي: كان بارزاً واضحاً في سعة وبريق. المعجم الوسيط: (١/٥١٩).

(٣) أصلها من (سحم) يقال سحماً وسحاماً وسحمة أي: أسود فهو أسحم وهي سحماء. المعجم الوسيط: (١/٤٢٠).

(٤) يقال رجل قطط أو هو جعد قطط أي: بليغ الشح، وشعر جعد أي بين الجعودة. وقد جعد شعره، وجعده صاحبه تجعيدا. ورجل جعد وامرأة جعدة. ويقال للكريم من الرجال: جعد. المعجم الوسيط: (٢/٧٤٥)، الصحاح تاج اللغة: (٢/٤٥٧).

(٥) اي رجل اسمر، انظر: الاشتقاق: ص٧١.

(٦) شعره منبسط مسترسل، يقال: رجل سبط بالمعروف أي: سهل وقد سبط سباطة وسبط سبطا وقيل: رجل سبط اليدين أي: بين السبوطة سخي ورجل سبط بين السباطة طويل. المحكم والمحيط الأعظم: (٨/٤٣٩).

(٧) دلائل النبوة للبيهقي: (١/٣٨٨/٣٠٣٠٩)، وقد ذكره ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح: (٥/١٥٨). وابن كثير في التفسير وقال: إسناده لا بأس به: تفسير ابن كثير: (٢/٢٥٤).

﴿يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٢ – ٤٤]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠ – ١٦٤]، إلى غيرها من الآيات التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز لتقرير نبوة النبي لوط عليه السلام وكذلك نبوة غيره من الأنبياء. فإن أخبار قوم لوط قد عرفها الناس بالخبر المتواتر وبما عرف من آثارهم الموجودة إلى يومنا هذا من قبل عدة قرون وستبقى إلى قيام الساعة عبرة ومثلاً للسابقين واللاحقين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٥ – ٧٧]،

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧ – ١٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الذاريات: ٣٧]، يقول ابن كثير في معنى الآية أي: جعلناها عبرة، لما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل، وجعلنا محلتهم بحيرة منتنة خبيثة، ففي ذلك عبرة للمؤمنين، ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾(١).

والحاصل أن آيات الأنبياء التي أيدهم الله تعالى بها وعجائب الله التي خصهم بها قد تعلم بالخبر المتواتر أو تعلم بالمشاهدة فتكون العبرة والانتفاع لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد(٢).

ثالثاً: ما قصه الله تعالى في كتابه العزيز من نصرة سيدنا لوط وأهل بيته الأطهار وإنجائهم من العذاب الأليم وما حدث من الآية العظيمة التي لم يكن لها نظير في العالم وقد كانت فرقاناً بين الحق والباطل وهي رفع القرية ثم قلبها وجعل عاليها سافلها قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢ – ٨٣]، ومن ثم نجاة سيدنا لوط وأهل بيته فكانوا من المخرجين و لم يكونوا من المهلكين قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ – ٣٦].

رابعاً: تأييد الله سبحانه وتعالى لسيدنا لوط عليه السلام بالملائكة الكرام وهم جبريل و إسرافيل وغيرهم عندما جاؤوا لتطمين سيدنا لوط عليه السلام، ولإهلاك قومه العاصين بأمر الله تعالى، حينما أمروه وابنتيه بالخروج من القرية حتى لا يلحق بهم العذاب، وهذا التأييد من الله تعالى بملائكته الكرام لا يكون لغير الأنبياء فإن الملائكة لا تتنزل على غير الأنبياء من السحرة والكهان وكذلك الشياطين لا تتنزل على الأنبياء، والملائكة لا تكذب على الله

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤٢٢/٧).

(٢) النبوات: ص ١٢٠.

تعالى، وهكذا فإن ما كان من الملائكة من تأييدهم لسيدنا لوط وإهلاكهم للكفار العصاة هو مما اعتاده سائر الأنبياء وهو أمر اختصوا به دون غيرهم(١).

كما حدث لرسول الله ﷺ أيده الله تعالى بالملائكة يوم غزوة بدر قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ٩ – ١٢]

خامساً: ما تقوم عليه دعوة سيدنا لوط عليه من الأصول العامة التي تتفق عليه جميع الشرائع وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه وكل ما جاء به سيدنا لوط عليه السلام هو حق في نفسه وخير لمن سمعه فيه النجاة والفلاح قائم على أصول ثابتة صحيحة تتضمن العلم النافع والعمل الصالح.

كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى عن سيدنا لوط عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٦١ – ١٦٣]، فإن ما جاء به الأنبياء عامة وما جاء به سيدنا لوط على وجه الخصوص هو حق وعدل متفق عليه بين جميع الشرائع.

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "إن ما جاء به الرسول يدل عليه السمع والعقل وهو حق في نفسه كالحكم الذي يحكم به فإنه يحكم بالعدل وهو الشرع فالعدل هو الشرع و الشرع هو العدل ولهذا يأمر نبيه أن يحكم بالقسط وأن يحكم بما أنزل الله والذي أنزل الله هو القسط والقسط هو الذي أنزل الله وكذلك الحق والصدق هو ما أخبرت به الرسل وما أخبرت به فهو الحق والصدق"(٢).

سادساً: ما عرف من سيرة سيدنا لوط بين قومه من الأخلاق الحسنة والترفع عن الدنايا وإكرام الضيف والحكمة والعلم قال تعالى: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤ – ٧٥] ، وغيرته عليه السلام على محارم الله تعالى وإنكاره للمنكر وأمره بالمعروف وبغضه لما كان عليه قومه من استحلال الفواحش. كما قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ

---

(١) السابق: ص ١١٥.

(٢) النبوات: ص١٥٦.

﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠ – ٨١]، وغير ذلك من الصفات الحسنة ومكارم الأخلاق التي عرف بها الأنبياء الكرام غيره.

سابعاً: أن نبي الله لوط عليه السلام وسائر الأنبياء عليهم السلام قد اخبروا بمثل ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من غير مواطأة بينهم وبينه ولا تشاعر، فلم يأخذوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم و لم يأخذ عنهم. وقد أخبروا جميعهم عن الله تعالى مما يستحيل الاتفاق عليها إلا بتواطؤ منهم أو تشاعر أو أن يأخذ بعضهم عن بعض، فإذا لم يكن بين أنبياء الله تعالى تواطؤ أو تشاعر عُلم صدق الأنبياء جميعاً فيما يدعون إليه. يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد الحديث عن دلائل نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "وهذا أيضاً دليل على نبوة من قبله من الأنبياء من وجهين: من جهة أنه أخبر بمثل ما أخبروا به من غير مواطأة بينهم وبينه ولا تشاعر لم يأخذوا عنه و لم يأخذ عنهم، وكل منهما أخبر عن الله بأخبار مفصلة يمتنع الاتفاق عليها عادة إلا بتواطؤ فإذا لم يكن تواطؤ وتشاعر وامتنع اتفاق ذلك من غير مواطأة علم أن كلا من المخبرين صادق"(١).

(١) الجواب الصحيح: (٥/٣٢٤).

المطلب الثاني: أهم ما تميزت به دعوة الأنبياء جميعاً صلوات الله تعالى عليهم وسلامه:

أولاً: الابتلاء وتحمل الأذى(١):

من سنة الله تعالى في خلقه الابتلاء والاختبار ليتبين صدق الصادق وكذب المسيء ويتبين الصابر من الجازع والقانت من رحمه ربه ممن يرجوا رحمة ربه يقول تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] والمتأمل في سيرة الأنبياء الكرام يرى أن حياتهم لم تخلوا من أنواع الابتلاء وأنهم قد مروا بصور شتى منه وهو لا يعتبر منقصة في حقهم بل هو رفعة في درجاتهم وزيادة في مكانتهم الدنيوية و الأخروية ففي الدنيا نالوا شرف المكانة وعلو الذكر وحسن العاقبة والنصر على أعدائهم فكانوا خير مثال على مر العصور، وفي الآخرة الدرجات العلى في الجنة ورضا ربهم عليهم. ومن صور ابتلائهم عليهم الصلاة والسلام.

ما جاء في قصة نوح عيه السلام أبتلاه الله بابن كافر لم يؤمن معه و لم يتبع ما جاء به فلم يكن من الناجين.

قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود: ٤٢ – ٤٣]، وابتلى الله إبراهيم بأبيه الكافر الذي بذل معه أنواع الوسائل لدعوته لكنه أصر على الكفر قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ۝ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ۝ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ۝ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم: ٤١ – ٤٧]، وابتلاه تعالى كذلك بذبح ابنه إسماعيل كما قال تعالى:

﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ

---

(١) جاء معنى الابتلاء في اللغة عدة معاني: قيل بمعنى الاختبار والتجربة. قال ابن منظور: " بلا " بلوت الرجل بلوا وبلاء وابتليته اختبرته وبلاه يبلوه بلوا إذا جربه واختبره" . لسان العرب: (٨٣/١٤)، أو بمعنى المحنة جاء في المعجم الوسيط: (البلاء) المحنة تنزل بالمرء ليختبر بها والغم والحزن والجهد الشديد في الأمر". المعجم الوسيط: ص ٧١، يقول الأصفهاني: "بلي الثوب بلى وبلاء، أي: خلق، ومنه قيل لمن سافر: بلو سفر وبلي سفر، أي: أبلاه السفر، و بلوته: اختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له ". مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ص٧١. فلابتلاء يدور معناه حول الاختبار والتمحيص والامتحان.

ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠١ – ١١١] ، إلى غيرها من صور الابتلاء التي تعرض لها الأنبياء الكرام طوال فترة دعوهم إلى الله تعالى.

وكما قال ابن القيم: "الطريق طريقٌ تعِب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمي في النار الخليل، وأُضْجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضرَّ أيوب. .. وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم"(١).

ومن صور ابتلاء سيدنا لوط عليه السلام:

الابتلاء بالزوجة الخائنة التي كانت تدل أهل القرية الفسقة على أضياف سيدنا لوط عليه السلام فاستحقت من الله تعالى العذاب الأليم في الدنيا كما قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١]، أما في الآخرة فقد استحقت دخول النار مع الداخلين قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

الإخراج من موطنه: حينما حكم عليه قومه بأنه يفارقهم في العقيدة والأخلاق وأنه عليه السلام والمؤمنون معه قوم يتطهرون ويتنزهن عن فعل الفواحش فلا مكان لهم بين أهل هذه القرية. كما قال تعالى عن جواب قوم لوط لنبيهم الناصح لهم للخير: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

قلة العشيرة والأهل وقلة الأتباع والأنصار: فاستغاث ربه سبحانه وتعالى حينما رأى تكالب قومه عليه، ولا طاقة له بردهم وردعهم عما كانوا عليه، وعما تغلغل في نفوسهم من محبة الفواحش والرغبة فيها. كما قال تعالى عن النبي لوط عليه السلام: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠].

ثانياً: التكذيب والكفر والجحود من أقوامهم:

فقد حكى القرآن صوراً من تكذيب الناس لأنبيائهم، وما كان منهم إلا الصبر والتحمل عليهم صلوات الله تعالى وسلامه.

كما قال عن تكذيب وإعراض الأمم السابقة: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ

(١) الفوائد: ص ٤٢.

إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۞ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ٩ – ١٤].

وعن قوم لوط خاصة قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠].

وقد تكلم القرآن الكريم عن صبر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على أذى قومه وتكذيبهم له حيث قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۞ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٣ – ٣٤]، وقد أوصى الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر والثبات أمام تكذيب قومه واستهتارهم. وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ولاشك أن عاقبة صبر الأنبياء على أذى أقوامهم و ما لقوه منهم من الكفر والتكذيب والإعراض، كانت عاقبته الذكر الحسن في الباقين والعاقبة الحسنة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۞ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٣ – ٢٤]

ثالثاً: كل رسول يرسل بلسان قومه:

كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، فقد كان الأنبياء يبعثون من بين أقوامهم ويتكلمون بألسنتهم وهذا يحقق مقاصد شتى:

أولها: حتى يفقهوا ما يقولون لهم وما يبلغونهم به عن ربهم عز وجل، ويدركوا ما يدعونهم إليه من تصحيح لعقائدهم وتقويماً لسلوكهم، ومن ثم فالخطاب الدعوي الموجه للناس ينبغي أن يكون واضحاً لا لبس فيه ولا غموض.

ثانياً: كون النبي يتكلم بلسان قومه يعني أنه منهم يعرفهم ويعرفونه، ويعرف طباعهم وما هم عليه من الصفات والمنكرات واعوجاج السلوك، وانحراف المعتقد.

ثالثاً: يفيد هذا أنهم يعرفونه؛ فليس غريباً عليهم، وليس نكرة فيهم، ولهذا قالوا لصالح عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢]، أي كنا نعرفك ونؤمل فيك الخير ونرجوه.

رابعاً: أن الأنبياء جميعاً يعيشون قضية عصرهم:

فسيدنا لوط عليه السلام دعا إلى التوحيد ثم ندد بالفساد الأخلاقي الذي كان عليه قومه، وشعيب عليه السلام دعا إلى التوحيد وندد بالفساد الاقتصادي والظلم الذي كان عليه قومه، وموسى عليه السلام دعا قومه إلى التوحيد والإيمان وندد بالاستعباد و الإهانة للناس كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢]. وقد كانت هذه الخصائص بمجملها في سيدنا لوط عليه السلام.

الفصل الرابع

المبحث الثالث: أبرز خصائص دعوة سيدنا لوط

المطلب الأول: مناصحته لقومه وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر

أولاً: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ثانياً: ثمرات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دعوة سيدنا لوط عليه السلام

المطلب الثاني: تذكيرهم بتقوى الله تعالى والتوبة من الذنوب

الآيات المتضمنة معنى التقوى في قصة لوط عليه السلام

المبحث الثالث: أبرز خصائص دعوة سيدنا لوط:

المطلب الأول: مناصحته لقومه وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر:

كان سيدنا لوط عليه السلام لا يألوا جهداً في تقديم الوعظ والنصيحة لقومه ويأمرهم بالمعروف وينـــهاهم عن المنكر، كيف لا وهو ناصح مشفق عليهم مرسل من ربه لما فيه صلاحهم ونجاتهم. قـــال تعـــالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هـــود: ٧٨]، وللآية نظير من كتاب الله تعالى: ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ۝ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ۝ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ قَالَ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾ [الحجر: ٦٧ – ٧١].

معنى المعروف عند علماء اللغة:

قيل: هو كل ما يحسن في الشرع[١]. وقيل المعروف هو: "ما تقبله الأنفس ولا تجد منه تكرها"[٢]. وقيل هو: "مـــا قبله العقل وأقره الشرع ووافقه كرم الطبع"[٣].

معنى المنكر لغة: هو "كل ما تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو يقبحه الشرع أو يحرمه أو يكرهه"[٤].

معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الشرع:

يقول ابن تيمية في معنى المعروف والمنكر: "يدخل في المعروف كل واجب وفي المنكر كل قبيح والقبائح هي السيئات وهي المحظورات كالشرك والكذب والظلم والفواحش"[٥].

وذكر ابن حجر عن ابن أبي جمرة[٦]: "يطلق اسم المعروف على ما عرف بأدلة الشرع من أعمال البر، سواء جرت به العادة أم لا"[٧].

---

(١) التعريفات للجرجاني: ص٢٨٣.

(٢) التعاريف للمناوي: ص٦٦٦.

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٤) المعجم الوسيط: (٩٥٢/٢).

(٥) العقيدة الأصفهانية: ص١٧٦.

(٦) عبد الله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، من علماء الحديث، من كتبه جمع النهاية اختصر به صحيح البخاري توفي بمصر، سنة ٦٩٥ هـــ، الأعلام للزركلي: (٢٢١/٤).

(٧) فتح الباري: (٤٤٨/١٠).

وقال ابن حجر الهيتمي(١): "المراد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر بواجب الشرع، والنهي عن محرماته"(٢).

وقد ذكر الجرجاني أربع أقوال في معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٣):

الأول: أن الأمر بالمعروف: الإرشاد إلى المراشد المنجية والنهي عن المنكر الزجر عما لا يلاءم في الشريعة.

والثاني: أن الأمر بالمعروف هو: الدلالة على الخير والنهي عن المنكر المنع عن الشر.

والثالث: أن الأمر بالمعروف هو: أمر بما يوافق الكتاب والسنة والنهي عن المنكر نهي عما تميل إليه النفس والشهوة.

والرابع: أن الأمر بالمعروف هو: إشارة إلى ما يرضي الله تعالى من أفعال العبد وأقواله، والنهي عن المنكر تقبيح ما تنفر عنه الشريعة والعفة وهو ما لا يجوز في دين الله تعالى.

وكل ما تنفر الطباع منه ولا يرضاه الله سبحانه وتعالى من الأقوال أو الأفعال المستقبحة عقلاً وشرعاً لا بد من إزالته وإنكاره، وكل ما هو مستحسن عقلاً وشرعاً من الأقوال والأفعال التي يحبها الله تعالى ويرضاها لابد الإرشاد إلى فعلها وتمكينها بين الناس وهذا هو وصف المؤمنين في كتاب الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١]، وهذا الوصف هو الذي جعل أمة محمد ﷺ تتسم بالخيرية دون غيرها من الأمم، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فكل ما يحبه الله تعالى من العبادات والطاعات والعادات الظاهرة والباطنة القولية والفعلية فهو معروف، والمنكر خلاف ذلك، والله تعالى أمرنا بفعل المعروف ونهانا عن فعل المنكر وحذر منه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، ذكر ابن كثير عن قتادة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ الآية، قال: "ليس من خُلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به و يستحسنونه إلا أمر الله به، وليس من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه. وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق و مذامها"(٤).

---

(١) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، أبو العباس: فقيه مصري، مولده في محلة أبي الهيتم وإليها نسبته. تلقى العلم في الازهر، ومات بمكة. له تصانيف كثيرة، منها: مبلغ الأرب في فضائل العرب، والزواجر عن اقتراف الكبائر،(٩٠٩ - ٩٧٤ هـ).الأعلام: (١/٢٣٤).

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر: (٢/٨٣٧).

(٣) التعريفات للجرجاني: ص٥٤.

(٤) تفسير ابن كثير: (٤/٥٩٦).

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معنى المنكر الذي جاء أنبياء الله تعالى لإنكاره: "المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله، أعظمه الشرك بالله وهو أن يدعو مع الله إلهاً آخر كالشمس والقمر والكواكب أو كملك من الملائكة أو نبياً من الأنبياء أو رجل من الصالحين أو أحد من الجن أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم أو غير ذلك مما يدعى من دون الله أو يستغاث به أو يسجد له، فكل هذا وأشباهه من الشرك الذي حرمه الله على لسان جميع رسله، ومن المنكر كل ما حرمه الله كقتل النفس بغير حق وأكل أموال الناس بالباطل بالغصب أو الربا أو الميسر والبيوع والمعاملات التي نهى رسول الله كذلك قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وتطفيف الكيل والميزان والإثم والبغي بغير الحق. وكذلك العبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله"(١).

وإن لم تكن جميع المنكرات السابقة ظاهرة في قوم لوط عليه السلام إلا أنه حارب فيهم أعظم المنكرات وهو الإشراك بالله تعالى واقتراف الفواحش، ولاشك أن دعوة الناس إلى الإيمان بالله تعالى الذي هو رأس المعروف ودعوتهم إلى معالي الأمور والعدل والإحسان ونهيهم عن الشرك بالله تعالى الذي هو رأس المنكر وكذلك عن السوء والفواحش هي مهمة الأنبياء العظمى التي أرسلهم الله من أجلها وأنزل بسببها كتبه.

فقد قال الله تعالى في وصف نبيه محمد ﷺ أنه: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فإن تحريم الخبائث والمعاصي والفواحش واللواط والزنا هي إزالة للمنكرات، وإباحة الطيبات والزواج هي أمر بالمعروف كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وتحريم الخبائث يندرج في معنى النهي عن المنكر كما أن إحلال الطيبات يندرج في معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن تحريم الطيبات هو مما نهى الله عنه، وكذلك الأمر بجميع المعروف والنهي عن كل منكر مما لم يتم إلا للرسول الذي تمم الله به مكارم الأخلاق المندرجة في المعرفة"(٢).

فإن مهمة تطهير المجتمعات من المحرمات التي سماها الله خبائث وإحلال الفضائل والمكارم التي سماها الله طيبات هي مهمة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما دلت الآية السابقة في وصف الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

وكذلك سيدنا لوط عليه السلام الذي كان يسعى لإزالة الأخلاق الذميمة ويجتثها من أصولها وتثبيت الخصال الحميدة في نفوس قومه وتخميد نار القوة الشهوانية المستعرة في نفوس قومه، ويسعى إلى كبت اللذات

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٢٦/٢٨).

(٢) الاستقامة: (٢٠٢/٢) مجموع الفتاوى: (١٢١/٢٨).

الشهوانية الخارجة عن الشريعة السماوية، ويسعى في إنكار الفاحشة[1] التي وسم بها مجتمعه، والزنا من أعظم أنواع الفواحش كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، وسماه الله فاحشة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]،

ولاشك أن اللواط فاحشة مثل الزنا بل هو أعظم منه إثما و نكاراً فهو مستفحش مستقبح عقلاً وشرعاً، وقد دعا سيدنا لوط قومه إلى المعروف ونهاهم عن المنكر متدرجاً في ذلك في عدة مراتب:

المرتبة الأولى: استخدم معهم اللين والرفق، فقد كان عليه السلام يدعوهم بالرفق والحكمة والموعظة الحسنة والصبر على أذاهم وجهلهم وجاءهم بقلب الأخ الشفوق الرحيم الحريص على خيرهم والخائف عليهم قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦١]، وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨ – ٢٩] ، فقد استنكر عليه السلام فعلهم بالقول المباشر معهم وإظهار أن ما يفعلوه فاحشة ليس لها نظير في كل العالم، و لم يقدم عليها أحد من العالمين قبلهم وأن الله تعالى يبغضها ويعاقب فاعلها فهي خبث من الخبائث كما قال تعالى عنهم: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤ – ٧٥].

المرتبة الثانية: وبعدما دعاهم باللين والملاطفة و لم ينفع معهم نبههم إلى تحويل المسار بأن يجتنبوا الحرام ويلتفتوا إلى المباح الطاهر كما قال تعالى على لسان نبيه لوط: ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].

المرتبة الثالثة: عندما رأى منهم لوط عليه السلام الإصرار على الفعل والاستمرار على الضلال أغلظ علهم القول وعنفهم حيث لم ينفع معهم اللين واللطف، وصرح لهم أنَّ ما يفعلونه إثماً عظيماً وفاحشة ممقوتة واستمرارهم عليها موجب العقوبة والذم من الله تعالى.

كما قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٤ – ٥٥]، و لم ينتقل سيدنا لوط معهم من اللين إلى التعنيف ومن اللطف إلى القوة إلا من بعد أن رأى منهم الإصرار على المعصية والتمادي في جهلهم، وقد كان عالماً بحالهم وحبهم للفاحشة وهو منكر

(١) وقد قال الإمام السعدي عن معنى الفحشاء: "وهو كل ذنب عظيم استفحشته الشرائع والفطر كالشرك بالله والقتل بغير حق والزنا والسرقة والعجب والكبر واحتقار الخلق وغير ذلك من الفواحش. ويدخل في المنكر كل ذنب ومعصية متعلق بحق الله تعالى". تفسير الامام السعدي: ص٤٤٧.

في نفسه لهذا العمل متنزهاً عنه مبغضاً له كيف لا وهو مختار من عند الله تعالى لينكر عليهم وليردهم إلى طريق الصواب، وهذه الصفات من الصبر والعلم بحال المدعوين وأخذهم بالرفق واللين كل هذه الأمور اجتمعت في الأنبياء الكرام وفي نبي الله لوط عليه السلام حينما دعا قومه على نور من الله تعالى وبصيرة وبصبر ورفق وطول بال، وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى أن هذه الصفات هي التي لابد أن يتحلى بها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر فقال رحمه الله تعالى: "فلابد من هذه الثلاثة: العلم، الرفق، الصبر. العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة مستصحباً في هذه الأحوال"(١).

وجميع أنبياء الله تعالى الكرام افتتح الله معهم آيات الإرسال إلى الخلق بالإنذار والتخويف من عذاب الله تعالى وهو أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يكون الداعي إلى الله تعالى آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر إذ لم ينذر قومه ويذكرهم ويخوفهم كما قال تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ – ٧]، ثم أمره الله تعالى بالصبر على قومه، ويحتسب عند الله تعالى أسوة بغيره من الأنبياء الكرام: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

المرتبة الرابعة: حيث لم ينفع معهم الدعوة بالحسنى والتذكير بالله تعالى وتقبيح الفاحشة وتخويفهم من الله تعالى دعا عليهم وسأل الله تعالى أن ينجيه من بينهم وينصره عليهم: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من دعائم قيام المجتمع الآمن الخالي من بواعث الجريمة والفاحشة، والمنكر الذي كان يسعى الأنبياء لتطهير المجتمع منه من أعظم أسباب انهيار المجتمع وفساده، وكلاهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من لوازم استمرارية الأمان والاستقرار بين الناس وبقاء بني آدم دون إبادة أو محق.

إلا أن قومه لم يرعووا و لم يستجيبوا و لم يكن بينهم ناصح أمين وخلا من بينهم المرشد للصواب واتفق القوم برمتهم على إحقاق الباطل وإبطال الحق لذلك قال لهم سيدنا لوط عليه السلام: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ .

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وإذا كان الأمر والنهي من لوازم وجود بني آدم، فمن لم يأمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله وينه عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله، ويؤمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله، وينه عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله، وإلا فلابد أن يأمر وينهى، ويؤمر ويُنهى، إما بما يضاد ذلك، وإما بما يشترك

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية: ص ١٨.

فيه الحق الذي أنزل الله بالباطل الذي لم يتزله الله. وإذا اتخذ ذلك ديناً، كان ديناً مبتدعاً. وهذا كما أن كل بشر فإنه متحرك بإرادته همام حارث، فمن لم تكن نيته صالحة وعمله عملاً صالحاً لوجه الله وإلا كان عملاً فاسداً أو لغير وجه الله، وهو الباطل"[(١)].

أي أن المجتمعات التي خلت من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى سبيل الرشاد، فإنها لابد وأن يكون فيها الأمر والنهي بما يناقض ذلك من الأمر بالفساد والنهي عن كل حسن وجميل.

ثمرات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي كان يدعوا إليه سيدنا لوط عليه السلام:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أهم أسباب النصر على الأعداء، والتمكين في الأرض. قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]. ولذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى قد كتب لسيدنا لوط ومن آمن معه النجاة والذكر الحسن، وكان عاقبة من كذب به النكال والخسران وسوء العاقبة.

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحفاظ على سلامة واستقرار المجتمع والبعد عن الاضطراب والفوضى. فعن النعمان بن بشير[(٢)] رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل المدهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا ما لك قال تأذيتم بي ولا بد لي من الماء فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم» [(٣)].

التواصي بالأمر بالمعروف ودفع المنكرات سبب لدفع النِّقم وإحلال النِّعم والبعد عن الآفات واللعن والإبعاد من رحمة الله تعالى فما استحق قوم لوط اللعن والطرد من رحمة ربهم إلا بسب أنهم تجرءوا على حدود ربهم و لم يدفعوا المنكر ويأخذوا بيد العاصي فشابهوا اليهود في ذلك. قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ – ٧٩].

لا شك أن الأمر بالمعروف باب عظيم لتحصيل الأجر والمنفعة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [النساء: ١١٤].

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية: ص ٥١.

(٢) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الأنصاري، يكنى أبا عبد الله وهو مشهور، له ولأبيه صحبة، قال الواقدي: كان أول مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهرا، و قتل النعمان بن بشير في سنة خمس وستين. الإصابة في تمييز الصحابة: (٦/٤٤٠).

(٣) صحيح البخاري: (٢/٩٥٤)، كتاب الشركة، باب القرعة في المشكلات.

المطلب الثاني: تذكيرهم بتقوى الله تعالى والتوبة من الذنوب:

لابد لأنبياء الله تعالى الكرام من تذكير أقوامهم بتقوى الله تعالى التي هي جماع كل خير، وأساس كل فلاح في الدنيا والآخرة ولا سبيل للمسلم للفوز برضا الله تعالى في الدارين إلا إذا كان على تقوى من الله تعالى.

معنى التقوى في اللغة:

أصل التقوى من الوقاية وهي الحماية، يقال: وقاه: حماه منه، والتوقية: الكلاءة والحفظ، واتقيت الشيء، وتقيته أتقيه تقىً، وتقية، وتقاء: حذرته. والاسم: التقوى[(١)].

معنى التقوى شرعاً:

اختلفت تعبيرات العلماء في معنى التقوى وإن كان المدلول واحداً. فقد سئل علي بن أبي طالب عن التقوى فقال: "هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل"[(٢)].

وعرفها ابن القيم رحمه الله فقال: "وأما التقوى فحقيقتها: العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً، أمراً ونهياً، فيفعل ما أمر الله به إيماناً بالأمر وتصديقاً بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيماناً بالنهى وخوفا من وعيده"[(٣)].

يقول طلق بن حبيب[(٤)]: "إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى، قالوا: وما التقوى ؟ قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله"[(٥)].

فإن معنى تقوى الله تعالى يدور حول معنى مخافة الله تعالى بفعل جميع ما أمر الله تعالى به وترك جميع ما نهى الله تعالى عنه.

وقد جاءت التقوى في القرآن الكريم في مواضع متعددة منه، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقد امتدح الله تعالى عباده المتقين الذين تحققت فيهم التقوى الكاملة، فأتوا بجميع المأمورات واجتنبوا جميع المنهيات قال تعالى عنهم:

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم: (٥٩٩/٦).

(٢) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد: (٤٢١/١).

(٣) الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه: ص١٠.

(٤) طلق بن حبيب: عن جابر، وابن الزبير، روى عنه مصعب بن شيبة، وعمرو بن دينار. وقد روى عن جابر، وجندب بن سفيان.

قال أيوب: "ما رأيت أحداً أعبد من طلق، فرآني سعيد بن جبير، جالسا معه، فقال: ألم أرك مع طلق؟ لا تجالس طلقاً". وكان طلق يرى الإرجاء، وهو صدوق في الحديث. كتاب الضعفاء: ص ٧٧، ميزان الاعتدال: (٣٤٥/٢).

(٥) زاد المهاجر: ص١٠.

﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١ – ٤].

وتطلق التقوى في كتاب الله تعالى على معاني عدة منها: (١)

الأول: هو أصل التقوى وحقيقته، وهو الإيمان بالله تعالى وتوحيده كما قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦] أي: كلمة التوحيد.

الثاني: بمعنى الخشية والهيبة. كما قال جميع الأنبياء لأقوامهم ومنهم نبي الله لوط قال لقومه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٦١ – ١٦٣].

الثالث: بمعنى الطاعة والتذلل والعبادة قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

الرابع: الابتعاد عن الذنوب والمعاصي، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]، فقد ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى، فظهر أن حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية، وهي تتريه القلب والبدن عن المعاصي والمنكرات.

الخامس: قد تكون التقوى بمعنى التوبة من المعاصي والذنوب بعد اقترافها أو الوقوع فيها كما قال تعالى عن أصحاب القرى من قوم نوح وثمود ولوط ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ [الأعراف: ٩٦] أي: تابوا، وتكون التوبة بمعنى الإخلاص لله تعالى كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] أي: من إخلاص القلوب.

وليس بمستغرب أن تكون هذه المعاني جميعاً للتقوى موجودة في دعوة سيدنا لوط عليه السلام لقومه؛ فسيدنا لوط دعاهم إلى الإيمان بالله تعالى وهو أساس تقوى الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾، وأمرهم بخشية الله تعالى ومخافته من أن يحل بهم عذابه ويترل بهم عقابه بسبب فعلهم حينما قال لهم: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ وقال لهم: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ﴾، وأمرهم كذلك بطاعة الله تعالى حينما صرفهم عن الحرام إلى الطاهر المباح ونهاهم عن اقتراف الكبائر المغضبة لله تعالى فقال لهم: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٦٣].

ولاشك أن طاعة النبي المرسل من عند الله تعالى هي طاعة لله؛ لأن أنبياء الله تعالى لا يأمرون إلا بأمره ولا ينهون إلا بنهيه سبحانه وتعالى. وأن سيدنا لوط قد أمر قومه بالتوبة إلى الله تعالى كما قال لهم: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾، فهذه الآية وإن لم تتضمن معنى التوبة صراحاً إلا

(١) تفسير الرازي: (١٩٢/١).

أنها تشملها ضمناً، فإن سيدنا لوط عندما أراد من قومه الانصراف عن الفاحشة الخبيثة إلى الطهر المباح فإن ذلك لا يكون منهم إلا بحسن المقصد والإقبال على الله تعالى والندم والتوبة من فعل القبيح.

وسيدنا لوط قد دعا قومه إلى التوبة والإقلاع عن الذنوب، والله سبحانه وتعالى يقبل التوبة عن عباده إذا أخلصوا وأنابوا إلى ربهم كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤]، وسواء كانت المعاصي كبائر أو صغائر فإن الله تعالى يغفرها إذا تاب العبد منها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقد قال تعالى في حق أهل الفواحش: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. إلا الشرك بالله تعالى فإن الله لا يغفره قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، ولو لم تكن التوبة مرجوة لقوم لوط لما دعاهم إليها سيدنا لوط ورغبهم فيها. ولو لم تكن التوبة من قوم لوط عليه السلام فيها فلاحهم ونجاحهم، لكانت دعوة سيدنا لوط عليه السلام قومه إلى التوبة والندم من باب العبث وتحصيل مالا فائدة منه ولا خير يرجى من ورائه، وحاشاهم أنبياء الله تعالى الكرام أن يكون منهم العبث والدعوة إلى مالا تعلم عاقبته.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "أن الله يقبل التوبة من كل ذنب كما دل عليه الكتاب والسنة. والفواحش خصوصا ما علمت أحدا نازع في التوبة منها والزاني والمزني به مشتركان في ذلك إن تابا تاب الله عليهما ويبين التوبة خصوصا من عمل قوم لوط من الجانبين ما ذكره الله في قصة قوم لوط؛ فإنهم كانوا يفعلون الفاحشة بعضهم ببعض ومع هذا فقد دعاهم جميعهم إلى تقوى الله والتوبة منها فلو كانت توبة المفعول به أو غيره لا تقبل لم يأمرهم بما لا يقبل قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠ – ١٦٣] فأمرهم بتقوى الله المتضمنة لتوبتهم من هذه الفاحشة والخطاب وإن كان للفاعل فإنه إنما خص به لأنه صاحب الشهوة والطلب في العادة؛ بخلاف المفعول به؛ فإنه لم تخلق فيه شهوة لذلك في الأصل؛ وإن كانت قد تعرض له لمرض طارئ أو أجر يأخذه من الفاعل أو لغرض آخر"(١).

وقد قال تعالى عن أهل القرى من قوم لوط وغيرهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦ – ٩٩].

(١) مجموع الفتاوى: (١٥/٤٠٨-٤٠٩).

الآيات المتضمنة معنى التقوى في قصة لوط عليه السلام:

قال تعالى: " ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾.

الآثار الواردة في الآية:

روى ابن جرير بسنده عن قتادة في قوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾، قال: "أمرهم لوط بتزويج النساء وقال: ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾[(١)]. وروى أيضا بسنده عن مجاهد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾، قال: "لم تكن بناته، ولكن كنَّ من أمّته، وكل نبي أبُو أمَّته"[(٢)]. وروى أيضا بسنده عن قتادة في الآية، قال: "أمرهم أن يتزوجوا النساء، وأراد نبي الله لوط صلى الله عليه وسلم أن يَقي أضيافه ببناته"[(٣)]. وروى عن سعيد بن جبير، في الآية: يعني: نساءهم، هنّ بَنَاته، هو نبيّهم، وقال في بعض القراءة: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ﴾[(٤)].

ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾

روى ابن جرير عن ابن إسحاق في الآية: "أي: رجل يعرف الحقَّ وينهى عن المنكر"[(٥)].

وروى أيضا ابن أبي حاتم بسنده عن حذيفة بن اليمان، قال يقول: "عرض بناته عليهم تزويجا، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفي بتزويج بناته"[(٦)].

وروى عن ابن عباس، في الآية: " أليس منكم واحد، يقول: لا إله إلا الله"[(٧)].

وروى عن غيره: "رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر"[(٨)].

معنى الآية: إن من عادة أنبياء الله تعالى الكرام إذا أرسلوا إلى قوم أن يذكروهم بالله تعالى ويأخذوا بأيديهم إلى بر النجاة ويفتحوا لهم أبواب الهداية وسبل النجاة ويبذلوا في سبيل تحقيق كل ما في وسعهم، وإذا كانوا على منكرات من

---

(١) جامع البيان: (٦/٤٣٨٥)، وإسناده حسن، وذكره في الصحيح المسبور: (٣/٦٣)، وذكره عبد الرزاق في تفسيره: (٢/١٩٠)، وسفيان الثوري في تفسيره: ص١٣١.

(٢) جامع البيان: (٦/٤٣٨٥)، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره: (٦/٢٠٦٢)، والفخر الرازي في تفسيره: (١٨/٣٣)، والماوردي في النكت والعيون: (٢/٤٨٨)، والبغوي في معالم التتريل: (٣/٢٣٠). وروى أيضاً عن ابن أبي نجيح، قال: "ما عرض عليهم نكاحًا ولا سفاحًا". جامع البيان: (٦/٤٣٨٥)، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره: (٦/٢٠٦٣)، والماوردي في النكت والعيون: (٢/٤٨٨).

(٣) جامع البيان: (٦/٤٣٨٥)، وذكره عبد الرزاق في تفسيره: (٢/١٩٠)، والفخر الرازي في تفسيره: (١٨/٣٣).

(٤) جامع البيان: (٦/٤٣٨٦)، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره: (٦/٢٠٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٤/١٣٨).

(٥) جامع البيان: (٦/٤٣٨٧)، وذكره البغوي في معالم التتريل: (٣/٢٣٠).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم: (٦/٢٠٦٣).

(٧) المرجع نفسه: (٦/٢٠٦٣).

(٨) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

الأقوال والأفعال فإنهم صلوات الله عليهم وسلامه لا يألون جهدهم في مناصحتهم ودعوتهم وإرجاعهم إلى طريق الحق فليس بمستغرب أن نرى سيدنا لوط عليه السلام يعرض على قومه التزويج من الحرائر الأطهار ويقول لهم: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾. وقد ذكر المفسرون أن هناك قولان في معنى قوله تعالى "بناتي":

الأول: قيل المقصود بنات صلب سيدنا لوط في إحدى الروايتين عن قتادة(١).

القول الثاني: أن المقصود ببناته هن نساء أمته جميعاً عليه الصلاة والسلام كما هي رواية مجاهد قال: "لم تكن بناته، ولكن كنَّ من أمّته، وكل نبي أبُو أمَّته"(٢)، روى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، يعني: "نساءهم، هنّ بَنَاته، هو نبيّهم"(٣).

وهذا ما رجحه الإمام الرازي وابن جرير(٤) قال الرازي: "لأنهن في أنفسهن بنات ولهن إضافة إليه بالمتابعة وقبول الدعوة. قال أهل النحو: يكفي في حسن الإضافة أدنى سبب، لأنه كان نبياً لهم فكان كالأب لهم. قال تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦] وهو أب لهم وهذا القول عندي هو المختار"(٥).

وإذا تأملنا في الآية نلاحظ عدة أمور:

أولها: استخدام اسم الإشارة "هؤلاء" للدلالة على الجمع، وهو يستخدم للمذكر والمؤنث على السواء.

ثانيها: يؤكد هذا الجمع كلمة "بناتي"، وهي جمع مؤنث سالم للمفرد "بنت".

ثالثها: تأكيد ثالث للجمع "هن"، وهي تشير للمؤنث خاصة.

رابعها: أن سيدنا لوط لم يقل "هؤلاء بناتي" ثم سكت بل قال بعد ذلك "هن أطهر لكم" فإنه قصد عليه السلام صرف أنظار قومه من الحرام إلى الحلال ومن الخبائث إلى الطيبات. ولو لم يقل "هن أطهر لكم" لكان لأعداء الإسلام حجة في إدعاء أن سيدنا لوط كان يدعوا أضيافه إلى فعل الفاحشة، لذلك سيدنا لوط خصص عرضه بقوله: "هن أطهر لكم"، والمعنى أن سيدنا لوط عليه السلام أراد أن يصرف أنظار قومه عن الفاحشة والحرام والخبث إلى الطهر والحلال فهذا هو الأصل أن يكون التزويج بين النساء والرجال وهذا ما دعا إليه سائر الأنبياء.

---

(١) تفسير الرازي: (٢٧/١٨).

(٢) جامع البيان: (٤٣٨٥/٦)، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره: (٢٠٦٢/٦)، والفخر الرازي في تفسيره: (٣٣/١٨)، والماوردي في النكت والعيون: (٤٨٨/٢)، والبغوي في معالم التتريل: (٢٣٠/٣).

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره: (٢٠٦٢/٦)، وجامع البيان: (٤٣٨٦/٦)، وابن الجوزي في زاد المسير: (١٣٨/٤).

(٤) جامع البيان: (٤٣٨٦/٦).

(٥) وقد ذكر الامام الرازي عدة وجوه لبيان صحة ما رجحه، انظر: التفسير الكبير: (٢٧/١٨).

ولفظ الإشارة "هن" وإن كان يشير إلى بنات أمة لوط عليه السلام بخصوص السياق في الآية إلا أنه يشير إلى عموم النساء في حال التزويج، وكذلك لفظ: "أطهر"، فيه إشارة إلى وجوب أخذ الطيب الحلال وهو الزواج وترك المحرم الخبيث وهو اللواط، وقد استخدم القرآن لفظ التفضيل من أجل إقامة الحجة على قوم لوط فدل المعنى أن التزويج بالنساء أفضل وخير، وما يظنه قوم لوط طيباً ومستحسناً هو في واقع الأمر خبيث ومستقبح، وقد يفهم من ظاهر الآية "هن أطهر لكم" أن الفعل الذي يرغب فيه قوم لوط والفاحشة التي يحبونها طاهرة وأن ما يدعوهم إليه سيدنا لوط من التزويج بالنساء هو الأطهر وهذا قول معلوم الفساد بالضرورة إذ لا طهارة في نكاح الرجل بالرجل، وهو مثل قول الله أكبر والمراد أنه كبير لقوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الصافات: ٦٢]،ومن لفظ "هن" المقصود عموم النساء وإن كان السياق في قوم لوط، وكذلك من لفظ "لكم" المقصود عموم الرجال وإن كان السياق في قوم لوط عليه السلام فالمقصود بهاتين اللفظتين العلاقة الفطرية الطبيعية التي أودعها الله تعالى في الرجل والمرأة وهي الطيبة المباحة وهي الزواج الشرعي الذي فيه الطهر والخير.

مناقشة قول من يرى أن معنى "بناته" هن بنات صلب النبي لوط عليه الصلاة والسلام:

أما من يقول أن المقصود بناته هن بنات صلبه ففيه نظر، إذ كيف يمكن لإنسان أن يعرض بناته على الفسقة والفجار، فهذا لا يليق بأهل المروءة والعفة فكيف يكون هذا الخلق من خير خلق الله تعالى أنبيائه الكرام.

أمر آخر وهو أن قوله تعالى "بناتي" إن كان المقصود بها بنات صلب سيدنا لوط عليه السلام. كما جاء في أشهر الروايات أنهما ابنتان، فإنهما بطبيعة الحال لا تكفيان للزواج من جميع قوم سيدنا لوط الذين عرض عليهم، أما ما يكفي تزويج قومه هم بنات أمته، ومن جهة أخرى فإن لفظ البنات في الآية "بناتي" جمع ولا يطلق على أقل من ثلاث وقد كان لسيدنا لوط بنتان فقط.

من هنا نستطيع أن نقول أن المقصود بنات أمته وليس بنات صلبه عليه الصلاة والسلام(١).

ولقائل أن يقول كيف يمكن لسيدنا لوط أن يعرض بنات أمته المؤمنات على الفسقة الكفار!! فيجاب على ذلك بعدة أمور:

الأول: أن سيدنا لوط عليه السلام إنما أراد أن يفدي أضيافه ببناته خوفاً على أضيافه من العار والخزي.

الثاني: أنه كان تزويج المسلمة بالكافر في الشرائع السابقة وفي صدر الإسلام جائزاً ،

(١) تفسير الرازي: (٢٧/١٨)، اللباب في علوم الكتاب: (١٤٠/٩).

بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد زوج ابنته زينت من أبي العاص بن الربيع(١) وكان مشـــركاً، ثم نسخ هذا الحكم بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١] وبقوله: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٢١](٢).

الثالث: إذا كان تزويج المسلمات من الكفار غير جائز في ذلك الوقت فإن سيدنا لوط يكون قد عـــرض عليهم التزوج ببناته بشرط أن يسلموا.

الرابع: أن سيدنا لوط عليه السلام لم يرد بعرضه بناته على قومه الزواج حقيقة وإنما قال لهم هذا العـــرض تواضعاً منه وإظهاراً لشدة مقته وبغضه لما أرادوه من الفعل القبيح، وهذا القول هو ما عليه جُلُّ المفسرين.

يقول الألوسي: "إن ذلك القول لم يكن منه عليه السلام مجرياً على الحقيقة من إرادة النكاح بل كان ذلـــك مبالغة في التواضع لهم وإظهاراً لشدة امتعاضه مما أوردوا عليه طمعاً في أن يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعـــوا ذلـــك فيتركوا ضيوفه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم أن لا مناكحة بينه وبينهم وهـــو الأنســـب بجـــوابهم الآتي"(٣).

ثم نبه سيدنا لوط عليه السلام قومه على أن التزويج بالنساء الطاهرات هو أطهر لهم وخير لهم لأن فيه التتره عن الحرام والبعد عن الفواحش، لكنهم أشربوا حب الفاحشة في قلوبهم حتى تمكن ذلك الحب والتعلق من شغاف قلوبهم مما جعل سينا لوط عليه السلام يستنكر عليهم تواطؤ أهل القرية كلها على حب الفاحشة وخلوها جميعهـــا من ناصح أمين محب للخير يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يغضب لله ويحب لله ينشر الحق ويبغض المعصـــية، وإن خلا من بين قومه الناصح الشفوق إلا أن سيدنا لوط كان ناصحاً لهم يأمرهم بالمعروف الذي أنكروه وينهاهم عن المنكر الذي عرفوه.

---

(١) أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العبشمي صهر رسول الله ﷺ زوج ابنته زينب أكبر بناته، وأمه هالة بنت خويلد بن أسد أخت خديجة لأبيها وأمها. وكان أبو العاص بن الربيع ممن شهد بدرا مع كفار قريش، وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: (١٧٠١/٤-١٧٠٢).

(٢) تفسير الرازي: (٢٧/١٨)، الجواب الكافي: ص ١٢١.

(٣) تفسير الألوسي: (٣١٧/٨).

الفصل الرابع

المبحث الرابع: **نبوة سيدنا لوط إلى قوم سدوم والآيات الدالة على ذلك**

وفيه مطالب:

المطلب الأول: موقع قرى قوم لوط

المطلب الثاني: نبوة سيدنا لوط ورسالته إلى قوم سدوم

المطلب الثالث: الآيات الدالة على نبوة سيدنا لوط عليه السلام

المبحث الرابع: نبوة لوط إلى قوم سدوم والآيات الدالة على ذلك.

المطلب الأول: موقع قرى قوم لوط.

قرى قوم لوط عليه السلام:

من المهم جداً إلقاء الضوء على القرى التي بعث الله تعالى إليها نبيه لوط عليه السلام، وفي هذا المبحث سوف نتعرف على موقع هذه القرى ومكانها، عدد قرى قوم لوط واختلاف المؤرخين والمفسرين في ذلك، وأسماء قرى قوم لوط.

أولاً: موقع قرى قوم لوط:

بعدما افترق سيدنا لوط عليه السلام عن عمه إبراهيم عليه السلام، نزل سيدنا لوط عليه السلام بمدينة "سدوم"(١) من أرض غور زغر(٢)، وتقع سدوم بين بلاد الحجاز والشام، في منطقة الأردن(٣)، التي تعرف اليوم بالبحر الميت(٤).

وقد بعث الله تعالى سيدنا لوط عليه السلام إلى قرى سدوم العظيمة ليدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك ما كانوا عليه من منكرات الأخلاق(٥)، وقد كانت قرى قوم لوط مشهورة بالخيرات والنِّعم المتعددة، وكانت أحسن بلاد الله تعالى جمالاً وخيراً وفيراً، لكن عندما كفرت بأنعم الله تعالى أذاقها الله لباس الخوف والجوع، وأحل مكانها بحيرة منتنة خبيثة وصارت عبرة لمن يعتبر(٦).

---

(١) قيل: سدوم فعول من السدم وهو الندم مع غم، قال أبو منصور: مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سدوم، وقال الشاعر: كذلك قوم لوط حين أضحوا كعصف في سدومهم رميم، وهذا يدل على أنه اسم البلد لا اسم القاضي، إلا أن قاضيها يضرب به المثل فيقال أجور من قاضي سدوم. معجم البلدان: (٣/٢٠٠).

(٢) بحيرة زغر: وتسمى بحيرة سادوم وغاموراء، وهما كانتا مدينتين لقوم لوط فغرقهما الله تعالى فعاد مكانهما بحيرة منتنة وسميت البحيرة الميتة لأن ما فيها شيء له روح، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: (١/٣٥٥)، وانظر البداية والنهاية: (١/١٧٦)، آثار البلاد وأخبار العباد: (١/٢٠٢)، تاريخ اليعقوبي: (١/٢٥)، تاريخ الطبري: (١/١٧٥).

(٣) انظر: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ للقرماني: ص٣٠، عرائس الجالس للثعلبي: ص١٣١.

(٤) يذكر بعض العلماء أن البحر الميت لم يكن موجودا قبل معجزة قوم لوط وقلب القرية، وإنما حدث الانخفاض في سطح الأرض بعد واقعة قوم لوط وأصبح عالي القرية سافلها. أطلس تاريخ الأنبياء والرسل: ص ١٢٦-١٢٩.

(٥) تفسير ابن كثير: (٦/١٥٧)، روح المعاني: (٨/١٦٩)، أخبار الدول وآثار الأول: ص٣٠، المختصر في أخبار البشر: ص١٥. عرائس المجاس للثعلبي: ص١٣١.

(٦) آثار البلاد وأخبار العباد ٢٠٢/١، تفسير ابن كثير١٥٧/٦

ثانياً: عدد قرى قوم لوط:

اختلف المفسرون في عدد قرى قوم لوط التي بعث إليهم نبي الله لوط عليه السلام، فمنهم من قال هي أربع قرى. كما جاء في رواية ابن أبي حاتم عن الهذلي في قوله تعالى: "المؤتفكات" قال: "هن أربع المؤتفكات: دادوما، وسدوم، وعامورا، وصابوما"[(١)].

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أرسل لوط إلى المؤتفكات وكانت قرى لوط أربع مدائن سدوم وأمورا و عامورا وصبوير، وكان في كل قرية مائة ألف مقاتل، وكانت أعظم مدائنهم سدوم، وكان لوط يسكنها، وهي من بلاد الشام ومن فلسطين مسيرة يوم وليلة"[(٢)].

قال المقدسي في قرى لوط التي أرسل إليها هي: "سدوم وكاروما وعمورا وصبوآيم، أربع قرى من فلسطين"[(٣)].

فمن خلال النظر في هذه الروايات يظهر لنا أن للعلماء عدة أقوال في عدد قرى قوم لوط:

القول الأول: أنها كانت أربع قرى على اختلاف أسمائها كما ورد في الروايات، لكن الواضح أن أعظمها هي قرية سدوم كما جاء في رواية ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

القول الثاني: أن عدد قرى قوم لوط خمس قرى[(٤)]. كما جاء في رواية ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثني أن الله تبارك وتعالى بعث جبريل إلى المؤتفكة، مؤتفكة قوم لوط فيهم، فاحتملها بجناحه ثم صعد بها حتى إن أهل السماء ليسمعون نباح كلابهم وأصوات دجاجهم ثم اتبعها الله بالحجارة يقول الله: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٤ – ٧٥]، فأهلكها الله ومن حولها من المؤتفكات وكن خمساً: صيغه وصغره وغمره ودوما وسدوم وهي القرية العظمى"[(٥)].

وكذلك روى ابن كثير رحمه الله عن محمد بن كعب القُرَظي قال: "كانت قرى قوم لوط خمس قريات: سدوم وهي العظمى، وصعبة وصعوة وعثرة ودوما، احتملها جبريل بجناحه، ثم صعد بها، حتى إنّ أهل السماء الدنيا

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: (١٨٣٨/٦).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: (١٨٣٨/٦)، روح المعاني: (١٦٩/٨).

(٣) البدء والتاريخ للمقدسي: (٥٧/٣).

(٤) أخبار الدول وآثار الأول للقرماني: ص٣٠، المختصر في أخبار البشر: ص١٥، وفي عرائس المجالس للثعلبي: ص ١٣٥–١٣٦، أن قرى قوم لوط خمس قرى ووقت العذاب اقتلع جبريل عليه السلام أربع قرى وترك الخامسة؛ لأن أهلها آمنوا بدعوة النبي لوط عليه السلام، واسمها صفرة.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم: (٢٠٦٧/٦)، أخبار الدول وآثار الأول للقرماني: ص٣١، المختصر في أخبار البشر: ص١٥. وقد ذكر هذه الرواية ابن جرير رحمه الله في تاريخه عنه، تاريخ الطبري: (١٨٣/١).

ليسمعون نابحة كلابها، وأصوات دجاجها، ثم كفأها على وجهها، ثم أتبعها الله بالحجارة، يقول الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات"(١).

وقد ذكر المسعودي أن الله تعالى أرسل نبيه لوطاً عليه السلام إلى المدائن الخمس، وهي: سدوم، وعمورا، وأدموتا، وصاعورا، وصابورا، وإن قوم لوط هم أصحاب المؤتفكة(٢).

القول الثالث: أن قرى قوم لوط كانت ثلاث كما في رواية ابن جرير رحمه الله تعالى عن قتادة، قال: "وذكر لنا أن جبرئيل أخذ بعروقها الوسطى، ثم ألوى بها إلى جو السماء حتى سمعت الملائكة ضواغي كلابهم، ثم دمر بعضها على بعض، ثم أتبع شذاذ القوم صخراً، قال: وهي ثلاث قرى، يقال لها سدوم وهي بين المدينة والشام"(٣).

مما سبق يظهر لنا أن الراجح في عدد القرى كان خمس وهي: سدوم، وأدوموتا أو دوما، وصعبة أو صابورا، و صعرة أو صاعور، و عمرة أو عامورا، كما جاء في رواية ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما(٤)، واختلاف أسماء القرى كما وردت في الروايات أمر غير ذي بال، لأنه قد يكون بسبب التصحيف في النسخ، أو لأنها من الألفاظ العبرية، والذي يهم أنها كانت قرى متعددة وتسمى بالمؤتفكات وأعظمها قرية سدوم، وما يهمنا أنه أرسل إليها النبي لوط عليه السلام ودعاهم إلى الحق وكان منهم التكذيب وعدم الاستجابة للنبي المرسل إليهم فأنزل الله تعالى عليهم رجزاً من العذاب المهين.

المطلب الثاني: نبوة سيدنا لوط ورسالته إلى قوم سدوم:

نبوة لوط عليه السلام:

معنى النبوة في اللغة: ذكر اللغويون أن معنى النبوة والنبي لها عدة اشتقاقات منها:

أولا: أن يكون مشتقا من النبأ وهو الخبر، فيقال اسم النبي مأخوذ من النبأ، قال ابن منظور: "النبأ الخبر والجمع أنباء، وإن لفلان نبأ أي خبرا وقوله عز وجل: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: ١ – ٣]، فقيل في معنى النبأ أي: عن القرآن الكريم، وقيل: عن البَعْث، وقيل: عن أَمْرِ النبي صلى اللّه عليه وسلم وقد أَنْبَأَه إِياه.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣٤١/٤).
(٢) مروج الذهب: (١٢/١)، المختصر في أخبار البشر: (١٥/١)، تاريخ ابن خلدون: (٤٠/٢).
(٣) تاريخ الطبري: (١٨٢/١).
(٤) أخبار الدول وآثار الأول للقرماني: ص٣٠، المختصر في أخبار البشر: ص١٥.

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: " نبأ: النبأ، مهموز: الخبر، وإن لفلان نبأ، أي: خبرا. والفعل: نبأته وأنبأته واستنبأته، والجمع: الأنباء، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ينبئ الأنباء عن الله عز وجل. والنبي، يقال: الطريق الواضح يأخذك إلى حيث تريد"(١).

وقال الفيروزآبادي: "النبأ الخبر، والنبي المخبر عن الله تعالى، وترك الهمز المختار، ونبأ كمنع نبئاً و نبوءاً ارتفع ونبأ عليهم طلع، ومن أرض إلى أرض خرج وقول الأعرابي عن الرسول: نبئ الله بالهمز، أي الخارج من مكة إلى المدينة، والنبيء هو الطرق الواضح والمكان المرتفع المحدودب كالنابيء"(٢).

ثانيا: أن تكون مشتقة من النبيء، وقد تكون كلمة النبي مشتقة من النبيء، والنبيء هو: الطريق الواضح والمكان المرتفع المحدودب كالنابيء(٣).

ثالثا: أن تكون مشتقة من النباوة وهو العلو والارتفاع، قال ابن منظور: "النبي: العلم من أعلام الأرض التي يهتدى بها، قال بعضهم: ومنه اشتقاق النبي لأنه أرفع خلقا، وذلك لأنه يهتدى به، وهم أهل بيت النبوة، ونقل عن ابن السكيت قوله: "النبي هو الذي أنبأ عن الله، فترك همزه قال: وإن أخذت النبي من النبوة والنباوة وهي: الارتفاع من الأرض لارتفاع قدره، ولأنه شرف على سائر الخلق فأصله غير الهمز وهو فعيل بمعنى مفعول، وتصغيره نبي والجمع أنبياء"(٤).

نلاحظ مما سبق أن كلمة "النبي" لها ثلاث اشتقاقات لغوية:

الأول: أن تكون مشتقة من النبأ وهو الخبر، وجمعها أنباء وأخبار، ولاشك أن النبي يخبر عن ربه سبحانه وتعالى من الشرائع والأوامر والنواهي لمن بعث إليهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]، فالنبوة مشتقة من الإنباء وهو الإخبار، فالنبي يخبر عن الله تعالى، و ما يخبر به أنبياء الله تعالى الكرام لا يمكن لأحد من البشر أن يتوصل إليه أو يعرفه من غير طريق الأنبياء الكرام، ذلك لأنهم مخبرون عن الله تعالى، وقد خصهم الله تعالى بتبليغ هذا الخبر دون غيرهم.

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ونفس النبوة تتضمن الخبر فإن النبوة مشتقة من الإنباء وهو الإخبار بالمغيب، فالنبي يخبر بالمغيب ويخبرنا بالغيب ويمتنع أن يقوم دليل صحيح على أن كل ما أخبر به الأنبياء يمكن معرفته

---

(١) العين للخليل: (٣٨٢/٨). وقال الفيومي: "أنباته الخبر بالخبر ونبأته به: أعلمته، ونبيء على فعيل مهموز؛ لأنه أنبأ عن الله تعالى، أي: أخبر". المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: (٥٩١/٢).

(٢) القاموس المحيط: (٦٧/١).

(٣) القاموس المحيط: (٨٦٩/٢)، لسان العرب: (٣٠٢/١٥).

(٤) لسان العرب: (٣٠٢/١٥).

بدون الخبر فلا يمكن أن يجزم بأن كل ما أخبرت به الأنبياء هو منتف فإنه يمتنع أن يقوم دليل على هذا النفي العام ويمتنع أن يقول القائل كل ما أخبر به الأنبياء يمكن غيرهم أن يعرفه بدون خبرهم ولهذا كان أكمل الأمم علما المقرون بالطرق الحسية والعقلية والخبرية فمن كذب بطريق منها فاته من العلوم بحسب ما كذب به من تلك الطريق"(١).

الثاني: أن يكون مشتق من النَبْوة بفتح النون وإسكان الباء، أو من النبو وهو: الارتفاع والعلو، وقد أعلى الله تعالى من شأن أنبيائه الكرام ورفع قدرهم على جميع الخلق ذلك لأنهم مبلغون عن الله تعالى، فرفعة الأنبياء وعلو شأنهم لأنهم مختارون لأعظم رسالة وهي التبليغ عن الله تعالى، ولإنعام الله تعالى عليهم بنعمة الاصطفاء والتبليغ عنه(٢).

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٦ – ٥٨].

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى هذا المعنى، فقال رحمه الله تعالى: "فمن أنبأه الله وجعله منبئا عنه فلا يكون إلا رفيع القدر عليا"(٣)، وبيَّن رحمه الله تعالى أن صفة العلو وارتفاع الشأن لا تدل على خصوص النبوة إذ قد يوصف بها النبي وغير النبي، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

الثالث: أن تكون مشتقة من النبيء وهو الطريق الواضح، وأنبياء الله تعالى هم الموصلون إلى كل خير، يأخذوا بيد أقوامهم إلى الحق والخير وطريقهم واضح إلى الله تعالى، وهو طريق الحق والهداية. وهذه من أعظم نعم الله تعالى إلى عباده، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠].

معنى النبوة اصطلاحاً: قيل أن النبي هو من أوحي إليه بملك أو ألهم في قلبه أو نبه بالرؤيا الصالحة، فالرسول أعلى منزلة وأفضل بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة لأن الرسول هو من أوحي إليه جبرائيل خاصة بتنزيل الكتاب من الله. فالنبي هو من نزل عليه ملك، أو ألهم في قلبه، أو نبه برؤيا صالحة(٤).

قال البيهقي في شعب الإيمان في معنى النبوة: "يكرم الله عز وجل به أحداً من عباده فيميزه عن غيره بإلقائه إليه ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعيد، فتكون النبوة على هذا الخبر والمعرفة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: (١/١٧٩).

(٢) كتاب المواقف للإيجي: (٣/٣٢٩).

(٣) النبوات: (١/٢٣٧).

(٤) التعريفات: ص ٣٠٧.

بالمخبرات الموصوفة فالنبي صلى الله عليه وسلم هو المخبر بها، فإن أنضاف إلى هذا التوقيف أمر بتبليغه الناس ودعائهم إليه كان نبياً رسولاً وإن ألقي إليه ليعمل به في خاصته و لم يؤمر بتبليغه والدعاء إليه كان نبيا و لم يكن رسولا فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا"[١].

وقيل النبوة هي: "سِفَارة بين الله وبين ذوى العقول؛ لإزاحة عِلَلِهم في أَمر مَعادهم ومَعاشهم"[٢]، فالنبي هو من أوحي إليه بشرع ليخبر به ويدعوا إليه. وهو سفير بين الله تعالى وبين الناس، نافع لهم في أمر دينهم ودنياهم.

معنى الرسول في اللغة: قال ابن منظور "الرسل القطيع من كل شيء والجمع أرسال"[٣]، قال الجرجاني: "الرسول في اللغة هو الذي أمره المرسل بأداء الرسالة بالتسليم أو القبض، وهو إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام"[٤].

فالرسول هو المبعوث من عند الله تعالى على وجه الخصوص لتبليغ شرعاً إلى قوم من الأقوام.

ومعنى الرسول في الاصطلاح: ذكر الألوسي أقوالاً في معنى الرسول فقال هو: "ذكر حر بعثه الله تعالى بشرع جديد يدعو الناس إليه والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام.

وقيل: الرسول ذكر حر بعثه الله تعالى إلى قوم بشرع جديد بالنسبة إليهم وإن لم يكن جديداً في نفسه كإسماعيل عليه السلام إذ بعث لجرهم أولاً والنبي يعمه ومن بعث بشرع غير جديد كذلك.

وقيل: الرسول ذكر حر له تبليغ في الجملة وإن كان بيانا وتفصيلا لشرع سابق والنبي من أوحى إليه و لم يؤمر بتبليغ أصلا أو أعم منه ومن الرسول.

وقيل: الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له.

وقيل: الرسول من له كتاب أو نسخ في الجملة والنبي من لا كتاب له ولا نسخ، وقيل: من يأتيه الملك عليه السلام بالوحي يقظة والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام لا غير: وهذا أغرب الأقوال، ويقتضي أن بعض الأنبياء عليه السلام لم يوح إليه إلا مناماً وهو بعيد ومثله لا يقال بالرأي[٥].

فهذه عدة أقوال في معنى الرسول الذي هو مبلغ عن ربه يدعوا من أرسل إليهم إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم.

---

(١) شعب الإيمان: (١/١٥٠).

(٢) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز: (١/١٤٤٩).

(٣) لسان العرب: (١١/٢٨١)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (١/٣٧٦).

(٤) التعريفات للجرجاني: (١/١٤٨).

(٥) روح المعاني للألوسي: (١٧/١٧٢).

المطلب الثالث: الآيات الدالة على نبوة سيدنا لوط عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤ – ٩٠].

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤ – ٧٥].

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٦١ – ١٦٢].

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٣].

الآثار الواردة في معنى الآية الأولى:

روى ابن جرير بسنده عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾، قال: أخلصناهم[1]. وروى بسنده أيضاً عن مجاهد: في قوله تعالى: ﴿وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ قال: "الحكم"، هو اللبُّ[2].

وروى بسنده عن ابن جريج قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ أي: "يا محمد"[3].

وروى ابن جرير بسنده عن ابن زيد قال في قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ يا محمد، ﴿ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ أي: "ولا تقتد بغير هؤلاء"[4].

وروى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " ثم قال في الأنبياء الذين سماهم في هذه الآية: ﴿ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[5].

---

(١) جامع البيان: (٤/٣٢٥٣). وقد ذكرهما ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٣٦)، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عنه: (٣/٣١٢). فتح القدير: (٢/١٩٩)، المحرر الوجيز: (٢/٣١٨).

(٢) جامع البيان: (٤/٣٢٥٣)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: (٢/٣١٨)، وقد ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٣٨) عن عكرمة أن الحكم: "هو اللب".

(٣) جامع البيان: (٤/٣٢٥٣)، وقد ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٣٦).

(٤) جامع البيان: (٤/٣٢٥٣).

(٥) جامع البيان: (٤/٣٢٥٣)، وقد ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٣٣٦). أخرج ابن أبي حاتم عن جويرية بن بشير. قال: " سمعت رجلاً سأل الحسن عن قوله ﴿الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوّة﴾ من هم يا أبا سعيد؟ قال: " هم الذين في

معنى الآيات: في هذه الآية الكريمة يبين تعالى اختصاصه لأشرف خلقه بمقام النبوة وتشريفه لهم بكرامة الاجتباء والتفضيل على العالمين، هداهم الله إلى طريق الصواب والحق فكانوا خير مثالا للناس وذكر الله سبحانه وتعالى من جملة الأنبياء الذين اختارهم وأمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمته من بعده بالاقتداء بهم والسير على نهجهم ومنهم سيدنا لوط عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦] التي ذكرها الله تعالى للعبرة والاتعاظ مما فيها من الدروس العظيمة والفوائد الجمة للرسول صلى الله عليه وسلم ولامته من بعده، ففي قصته عليه السلام خير مثال يحتذى به في الصبر على قومه وعلى دعوته إياهم إلى الحق والصواب، وفي نفس الوقت تسليه له عليه الصلاة والسلام، ورحمة من الله تعالى للناس أن بصرهم بأخبار الأمم السابقة و ما حدث لهم وما أصابهم حتى تكون العبرة والاتعاظ.

ذكر المفسرون مسألة: هل سيدنا لوط هو من ذرية نوح عليه السلام أو من ذرية إبراهيم عليه السلام؟.

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٤ – ٨٧]

ففي معنى الآية قولان للمفسرين:

القول الأول: أن يكون الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ يعود إلى النبي نوح عليه السلام، ويرى بعض المفسرون منهم ابن جرير رحمه الله تعالى أن الضمير يعود على أقرب مذكور في الآية وهو سيدنا نوح عليه السلام، وعلى هذا يكون جميع الأنبياء المذكورين في الآية هم من ذرية نوح عليه السلام، وهم: داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحي وعيسى واليسع وإلياس وإسماعيل ويونس ومنهم سيدنا لوطاً عليهم صلوات الله عليهم جميعاً، وبهذا يكون سيدنا لوط من جملة الأنبياء الذين هم من ذرية نوح.

قال ابن جرير: "ومعلوم أن لوطًا لم يكن من ذرية إبراهيم صلى الله عليهم أجمعين. فإذا كان ذلك كذلك، وكان معطوفًا على أسماء من سمَّينا من ذريته، كان لا شك أنه لو أريد بالذرية ذرية إبراهيم، لما دخل يونس ولوط

صدر هذه الآية ". تفسير ابن أبي حاتم: (١٣٣٧/٤)، وأخرج السيوطي عن ابن عباس في قوله ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ قال: " أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بهداهم". وعزاه إلى سعيد بن منصور والبخاري والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني وابن مردويه. الدر المنثور: (٣١٣/٣)، وأخرج السيوطي عن قتادة قال: " قص الله عليه ثمانية عشر نبياً، ثم أمره أن يقتدي بهم". الدر المنثور: (٣١٣/٣).

فيهم. ولا شك أن لوطًا ليس من ذرّية إبراهيم، ولكنه من ذرية نوح، فلذلك وجب أن تكون "الهاء" في "الذرية" من ذكر نوح"(١). وقال البغوي رحمه الله تعالى مثله(٢).

وقد ذكر الرازي الأقوال في المسألة واستدل على هذا القول بأن المقصود في الآية نوح عليه السلام، بعدة وجوه:

الأول: أن نوحاً أقرب المذكورين وعود الضمير إلى الأقرب واجب.

الثاني: أنه تعالى ذكر في جملتهم لوطاً وهو كان ابن أخ إبراهيم وما كان من ذريته، بل كان من ذرية نوح عليه السلام، وكان رسولاً في زمان إبراهيم.

الثالث: أن ولد الإنسان لا يقال أنه ذريته، فعلى هذا إسماعيل عليه السلام ما كان من ذرية إبراهيم، بل هو من ذرية نوح عليه السلام.

الرابع: قيل إن يونس عليه السلام ما كان من ذرية إبراهيم عليه السلام، وكان من ذرية نوح عليه السلام(٣).

وقد وافق ابن جرير رحمه الله قول الرازي في أن الضمير في الآية لا يعود إلى سيدنا إبراهيم، وإنما يعود على أقرب مذكور.

القول الثاني: أن يكون الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ يعود إلى النبي إبراهيم عليه السلام:

وأن جميع الأنبياء ومنهم لوط عليه السلام يكونوا من ذرية إبراهيم عليه السلام وذلك من باب التغليب.

وقد ذكر الرازي حجة القائلين بأن سيدنا إبراهيم هو المقصود بالذكر في الآيات: "وإنما ذكر الله تعالى نوحاً لأن كون إبراهيم عليه السلام من أولاده أحد موجبات رفعة إبراهيم"(٤).

وقد بين الرازي مراتب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً فقال أن الله تعالى: "ذكر أولاً أربعة من الأنبياء، وهم: نوح، وإبراهيم، وإسحق، ويعقوب. ثم ذكر من ذريتهم أربعة عشر من الأنبياء: داود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوطاً، والمجموع ثمانية عشر.

---

(١) جامع البيان: (٣٢٥١/٤).

(٢) تفسير البغوي: (١٥٦/٣).

(٣) التفسير الكبير: (٥٣/١٣).

(٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

فإن قيل: رعاية الترتيب واجبة، والترتيب إما أن يعتبر بحسب الفضل والدرجة وإما أن يعتبر بحسب الزمان والمدة، والترتيب بحسب هذين النوعين غير معتبر في هذه الآية فما السبب فيه ؟ قلنا–الرازي–: الحق أن حرف الواو لا يوجب الترتيب، وأحد الدلائل على صحة هذا المطلوب هذه الآية فإن حرف الواو حاصل هاهنا مع أنه لا يفيد الترتيب البتة، لا بحسب الشرف ولا بحسب الزمان"(١).

فبين أن أنبياء الله تعالى الكرام ليسوا على درجة واحد بل بينهم تفاوت واختلاف والترتيب بينهم يكون إما حسب الفضل والشرف، أو بحسب الزمان والمدة وكلاهما غير معتبرين في هذه الآية، وأن الواو في الآية لا تفيد الترتيب بين الأنبياء الكرام.

لكنه بين أن الواو تفيد نوعاً من أنواع الترتيب عنده كما قال: " وأقول عندي فيه وجه من وجوه الترتيب، وذلك لأنه تعالى خص كل طائفة من طوائف الأنبياء بنوع من الإكرام والفضل.

فمن المراتب المعتبرة عند جمهور الخلق: مرتبة الملك والسلطان والقدرة، والله تعالى قد أعطى داود وسليمان من هذا الباب نصيباً عظيماً.

والمرتبة الثانية: البلاء الشديد والمحنة العظيمة، وقد خص الله أيوب بهذه المرتبة والخاصية.

والمرتبة الثالثة: من كان مستجمعاً لهاتين الحالتين، وهو يوسف عليه السلام، فإنه نال البلاء الشديد الكثير في أول الأمر، ثم وصل إلى الملك في آخر الأمر.

والمرتبة الرابعة: من فضائل الأنبياء عليهم السلام وخواصهم قوة المعجزات وكثرة البراهين والمهابة العظيمة والصولة الشديدة وتخصيص الله تعالى إياهم بالتقريب العظيم والتكريم التام، وذلك كان في حق موسى وهارون.

والمرتبة الخامسة: الزهد الشديد والإعراض عن الدنيا، وترك مخالطة الخلق، وذلك كما في حق زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، ولهذا السبب وصفهم الله بأنهم من الصالحين.

والمرتبة السادسة: الأنبياء الذين لم يبق لهم فيما بين الخلق أتباع وأشياع، وهم إسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط(٢).

فإذا اعتبرنا هذا الوجه الذي راعيناه ظهر أن الترتيب حاصل في ذكر هؤلاء الأنبياء بحسب هذا الوجه الذي شرحناه"(٣).

---

(١) التفسير الكبير: (١٣/٥٣).

(٢) قال عطاء: "ما من أحد من الأنبياء إلا يقوم معه يوم القيامة قوم من أمته إلا آل لوط فإنه يقوم القيامة وحده". النكت والعيون: (٥/٨١).

(٣) التفسير الكبير: (١٣/٥٣-٥٤).

فقد بين الرازي أن الأنبياء الكرام الذين ذكرهم الله تعالى في الآية مرتبون حسب مراتب معينة معتبرة ومعروفة عند الناس، وهي كما يلي:

مرتبة الملك والسلطان والقدرة، ومرتبة البلاء والامتحان ومرتبة قد جمع فيه النبي بين المرتبتين السابقتين، ومرتبة قوة المعجزات والمهابة العظيمة، ومرتبة الزهد في الدنيا ومرتبة من لم يكن لهم أتباع ولا أشياع مثل سيدنا لوط عليه السلام.

والأنبياء في هذه الآية مذكورون حسب هذه المراتب، وإن كانت " الواو " فيها لا تفيد الترتيب لكن الرازي ذكر أنها تفيد نوعاً من الترتيب عنده، فيكون جميع الأنبياء هم من نسل سيدنا إبراهيم عليه السلام وهم متسلسلون في المراتب كما هو واضح من الآية، وقد عطف سيدنا لوط عليه السلام على من قبله بـ "الواو" فهو في المرتبة السادسة: مرتبة الأنبياء الذين ليس لهم أتباع ولا أشياع.

فيكون الضمير في قوله تعالى: ﴿ومن ذريته﴾ يعود إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، ويكون سيدنا لوط عليه السلام هو من ذرية إبراهيم عليه السلام كما بين الرازي و باعتبار إفادة الواو الترتيب في الآية، وتسلسل الأنبياء الكرام فيها حسب الترتيب المذكور.

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى أنه يمكن أن يكون سيدنا لوط عليه السلام داخلاً في ذرية سيدنا إبراهيم من باب التغليب.

يقول رحمه الله تعالى: "وعود الضمير إلى "نوح"؛ لأنه أقرب المذكورين، ظاهر. وهو اختيار ابن جرير، ولا إشكال عليه.

وعوده إلى "إبراهيم"؛ لأنه الذي سبق الكلام من أجله حسن، لكن يشكل على ذلك "لوط"، فإنه ليس من ذرية "إبراهيم"، بل هو ابن أخيه هاران بن آزر؛ اللهم إلا أن يقال: إنه دخل في الذرية تغليبًا"(١).

واستدل بقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، ثم قال: فإسماعيل عمه، ودخل في آبائه تغليبا(٢).

واستدل كذلك بقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الحجر: ٣٠ – ٣١]، ثم قال: فدخل إبليس في أمر الملائكة بالسجود، وذم على المخالفة؛ لأنه كان قد تشبه بهم، فعومل معاملتهم، ودخل معهم تغليبا، وكان من الجن وطبيعتهم النار والملائكة من النور(٣).

(١) تفسير ابن كثير: (٢٩٨/٣).

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

الراجح في المسألة أن سيدنا لوط هو من ذرية نوح عليه السلام وليس من ذرية إبراهيم عليه السلام لأن إبراهيم هو عمه أخو أبيه هاران، وإن كانت العرب تسمي العم والد والخال والد. كما ذكر ابن جرير رحمه الله تعالى: لاشك أن لوطا ليس من ذرية إبراهيم ولكنه من ذرية نوح عليه السلام(١).

وبين الألوسي هذا القول في المسألة واختار كونه لنوح عليه السلام لأنه أقرب(٢).

ثم بين تعالى في نهاية الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩] أنه امتن على أنبيائه بالهداية إلى الطريق المستقيم الذي لاعوج فيه ووفقهم بفضله لإصابة الصواب فنالوا بذلك شرف الدنيا والآخرة فإن الضمير في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعود على الأنبياء الذين من ذرية نوح عليه السلام ومعهم لوط عليه السلام.

قد وهبهم الله تعالى الحكم وهو الفهم بأحكام الكتاب وآتاهم النبوة ومنهم من أنزل عليه كتبه مثل صحف إبراهيم وموسى وزبور داود وإنجيل عيسى صلوات الله عليهم جميعاً.

وللآية من سورة الأنعام شواهد أخرى من كتاب الله تعالى مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦]، يقول ابن كثير في معنى الآية: " يخبر تعالى أنه منذ بعث نوحًا عليه السلام، لم يرسل بعده رسولا ولا نبيًّا إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم، عليه السلام، خليل الرحمن، لم يترل من السماء كتابًا ولا أرسل رسولا ولا أوحى إلى بشر من بعده، إلا وهو من سلالته"(٣).

وقد يوهم ظاهرها التعارض مع قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٦ – ٢٧]

يقول ابن كثير في معنى الآية: " فلم يوجد نبي بعد إبراهيم عليه السلام، إلا وهو من سلالته، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سُلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، حتى كان آخرهم عيسى ابن مريم، فقام في ملئهم مبشراً بالنبي العربي القرشي الهاشمي، خاتم الرسل على الإطلاق، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، الذي اصطفاه الله من صميم العرب العَرْباء، من سلالة إسماعيل بن إبراهيم، عليهم السلام: و لم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه"(٤).

(١) جامع البيان: (٣٢٥١/٤).
(٢) روح المعاني: (٢١٢/٧).
(٣) تفسير ابن كثير: (٢٨/٨).
(٤) المرجع نفسه: (٢٧٥/٦).

بيان وجه توهم وجود التعارض بين الآيتين، أن الآية الأولى تشير إلى أن الله تعالى جعل النبوة والكتاب في ذرية سيدنا نوح عليه السلام وسيدنا إبراهيم، بينما الآية الثانية تشير إلى أن النبوة والكتاب جعلها الله تعالى في ذرية سيدنا إبراهيم عليه السلام فقط.

وقد أجاب المختار الشنقيطي عن توهم التعارض هذا فقال: " إن وجه الاقتصار على إبراهيم، أن جميع الرسل بعده من ذريته، وذكر معه نوح لأمرين هما:

الأول: أن كل من كان من ذرية إبراهيم فهو من ذرية نوح.

والثاني: أن بعض الأنبياء من ذرية نوح و لم يكن من ذرية إبراهيم؛ كهود وصالح ولوط ويونس -على خلاف فيه-، ولا ينافي ذلك الاقتصار على إبراهيم؛ لأن المراد من كان بعد إبراهيم لا من كان قبله أو في عصره كلوط عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام"(١).

ومن الآيات الدالة على نبوة سيدنا لوط عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤ – ٧٥]

الآثار الوارد في الآية:

روى الطبري بسنده عن ابن زيد رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ قال: أي "في الإسلام"(٢).

معنى أخوة لوط لقومه:

ذكر المفسرون قولان في معنى: أخوة لوط لقومه: الواردة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦١].

القول الأول: أن سيدنا لوط لم يكن أخاً لقومه في النسب ولكنه بسبب نزوله بينهم ومعاشرته لهم ومواطنته بينهم ودعوته لهم أصبح أخا لهم(٣).

قال صاحب التحرير والتنوير(٤): "وجُعل لوط أخاً لقومه و لم يكن من نسبهم وإنما كان نزيلاً فيهم، إذ كان قوم لوط من أهل فلسطين من الكنعانيين، وكان لوط عبرانياً وهو ابن أخي إبراهيم ولكنه لما استوطن بلادهم

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ويليه منع جواز المجاز في المترل للتعبد والإعجاز: ص: ١٧٩.

(٢) جامع البيان: (٥٧٢١/٧)، الدر المنثور: (٦٤٤/٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٣٠٦/١١).

(٣) تفسير ابن كثير: (٣٣٣/٣).

(٤) تفسير التحرير والتنوير: (١٧٨/١٩).

وعاشر فيهم وحالفهم وظاهرهم جعل أخاً لهم، فمن هنا نرى أنه كان أخاً لهم بسبب مجاورته عليه الصلاة والسلام لهم في السكنى في البلد لا في النسب لأنه ابن أخي إبراهيم عليه السلام ، وهما من بلاد الشرق من بلاد بابل ولذلك جاء التعبير بالأخوة لاختياره لمجاورتهم ، ومناسبتهم بمصاهرتهم ، وإقامته عليه الصلاة والسلام بينهم في مدينتهم وسنين عديدة ، وإتيانه بالأولاد من نسائهم ، مع مخالفته لهم في المبدأ والمعتقد(١).

ويؤيده قول الرازي: "وقال ههنا "إِخْوانَ لُوطٍ"، وقال: "قَوْمُ نُوحٍ": لأن لوطاً كان مرسلاً إلى طائفة من قوم إبراهيم عليه السلام معارف لوط"(٢)، فليس المقصود بالأخوة هنا أخوة النسب، لأن سيدنا لوط عليه السلام كان عبرانياً، وإنما يقصد بالأخوة هنا في الآية هي أخوة المعاشرة والمصاحبة، كما قال تعالى في مصاحبة المبذرين للشياطين: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧]، فليس المقصود هنا أخوة النسب بين الإنسان والشيطان، وإنما مشابهة الشياطين ومماثلتهم في التبذير فكانوا إخوة لهم في أفعالهم، وفي أخوة سيدنا لوط لقومه لأنه عاش بينهم ودعاهم إلى الخير وكان حريصاً على ما فيه منفعتهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة. فهو أخاً لهم من هذا الباب.

القول الثاني: إن المقصود بأخوة لوط في الآية: هي أخوة المصاهرة(٣)، ذلك لأن سيدنا لوط عليه السلام نزل بين قومه وعاش معهم وتزوج منهم وأنجب كذلك، وإن كان المقصود أخوة المعاشرة أو المصاهرة، فكلاهما متقاربة لأن المصاهرة لا تكون إلا بالمعاشرة والمواطنة.

و مما يدل أنه لم يكن منهم أنه تمنى لو كان له عشيرة وأهل بينهم كما قال تعالى على لسان سيدنا لوط عليه السلام: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠].

وقد ذكرت المصادر التاريخية أنه عليه الصلاة والسلام قد قدم من أرض مصر مع عمه إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة، ونزل هو عليه الصلاة والسلام بلاد الأردن، وعمه إبراهيم نزل بلاد الشام، فالذي يظهر أن المقصود بالأخوة في الآية هي بسبب نزوله عليه الصلاة والسلام بينهم ودعوته لهم، وخوفه وحرصه على صلاحهم ومنفعتهم، وأن هذه العلاقة التي بينتها الآية هي أعظم وأقوى من علاقة النسب والمصاهرة.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (٥/٣٨٣). قال النسفي: " سماهم اخوانه لأن بينهم وبينه نسبا قريبا". مدارك التنزيل وحقائق التأويل تفسير النسفي: (٢/١١٦٠).

(٢) التفسير الكبير: (٢٨/١٣٨).

(٣) روح المعاني: (١٩/١١٤).

﴿الفصل الخامس﴾

المبحث الأول: ما ورد في مسائل الإيمان باليوم الآخر

وفيه مطالبان:

المطلب الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر

المطلب الثاني: ما ورد في مسائل الإيمان باليوم الآخر

المبحث الثاني: ما ورد في مسائل الإيمان بالقضاء والقدر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى القضاء والقدر وما ورد من مسائل في تقريرهما.

المطلب الثاني: عذاب قوم لوط عليه الصلاة والسلام.

المبحث الأول: ما ورد في مسائل الإيمان باليوم الآخر.

المطلب الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر.

معنى الإيمان باليوم الآخر: هو الاعتقاد الجازم الذي لا يتطرق إليه شك بوجود يوم للحساب والجزاء وهو يوم القيامة يبعث الله فيه العباد فيجازي المحسن بإحسانه ويلاقي المسيء فيه جزاء عمله. وهو يقتضي اليقين التام بما أخبر به الصادق الأمين محمد صلى الله عليه وسلم، من أحوال تكون في يوم القيامة وما قبله، مما يحدث في الحياة البرزخية التي تكون في القبر، ثم البعث يوم القيامة والحساب والجزاء ونصب الميزان وتطاير الصحف والمرور على الصراط، ومن ثم دخول الجنة أو النار، وأنهما مخلوقتان لا يفنيان أبداً ولا يبيدان، ورؤية المؤمنين لله تعالى في الجنة(١).

وقد أشار إلى هذا المعنى شيخ الإسلام بقوله: "ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه و سلم مما يكون بعد الموت. فيؤمن بفتنة القبر وبعذاب القبر ونعيمه فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم فيقال للرجل ما ربك وما دينك ومن نبيك فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة"(٢).

فهذه لمحة موجزة تصور أحوال يوم القيامة وما يمر به الإنسان في ذلك اليوم المشهود المجموع له كل الخلائق من أجل الحساب والجزاء. ويؤيد ذلك كلام الحليمي في معنى الإيمان باليوم الآخر: "ومعناه التصديق بأن لأيام الدنيا آخرا وأنها منقضية وهذا العالم منقض يوما ما ففي الاعتراف بانتفائه اعتراف بابتدائه إذ القديم لا يفنى ولا يتغير"(٣).

وقد دل النقل الصحيح والعقل الصريح على ثبوت اليوم الآخر وأنه واقع لا محالة و لا ريب في وقوعه، فمن الآيات التي تدل على ذلك ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥ – ١٦]، إلى غير ذلك من الآيات التي تثبت معاد الناس وبعثهم ووقوفهم أمام الله تعالى.

ومن السنة ما رواه البخاري عن جرير(٤) قال: " كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة يعني البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (١٤٥/٣، ١٤٦، ١٤٧)، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية: ص١٣٢-١٤٣، المستفيد بشرح كتاب التوحيد: (٢٥٢/٢).

(٢) العقيدة الواسطية: ص٣١-٣٥.

(٣) مختصر شعب الايمان للبيهقي: ص ٢٥.

(٤) جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نضر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن حزيمة بن حرب بن علي البجلي الصحابي الشهير يكنى أبا عمرو، وقيل: يكنى أبا عبد الله، أسلم في السنة التي قبض فيها النبي صلى الله عليه وسلم، ووجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي الخلصة فهدمه، ونزل الكوفة بعد ذلك وابتنى بها دارا في بجيلة وتوفي بالسراة في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة، وكانت ولاية الضحاك سنتين ونصفاً بعد زياد بن أبي سفيان. الإصابة في تمييز الصحابة: (٤٧٥/١)، الطبقات الكبرى: (٢٢/٦).

قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِ الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠][١].

ففي هذا الحديث دليل على رؤية المؤمنين لربهم التي لا تكون إلا يوم القيامة في الجنة، وقد دل العقل الصريح على ثبوت يوم القيامة وحتمية وقوعه بإذن الله تعالى فإن من مقتضى حكمة الله تعالى أن يكون هناك يوم يجتمع فيه الخلائق ويجازى كلاً بعمله.

المطلب الثاني: ما ورد في مسائل الإيمان باليوم الآخر:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ۝ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٣٨ – ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

الآثار الواردة في الآية الأولى:

روى ابن جرير بسنده في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ قال: "صبحهم عذاب مستقرّ، استقرّ بهم إلى نار جهنم"[٢]، وروى بسنده عن قتادة، قوله: ﴿فتماروا بالنذر﴾ لم يصدقوه[٣].

وروى ابن جرير بسنده في تفسيره عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً﴾ الآية، قال: "ثم صبحهم بعد هذا، يعني بعد أن طمس الله أعينهم، فهم من ذلك العذاب إلى يوم القيامة"[٤].

وروى بسنده عن قتادة يقول: "صبحهم عذاب مستقر، استقربهم إلى نار جهنم[٥]،

وأخرج الطبري بسنده عن قتادة، قوله ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ يقول: عزيز في نقمته إذا انتقم[٦].

معنى الآية: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ۝ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ .

---

(١) صحيح البخاري: (٢٠٣/١-٥٢١) كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما: (٣٣٦/٣-١٠٠٢).

(٢) جامع البيان: (٧٧٥٣/٩)، وإسناده حسن، وذكره بنحوه البغوي في معالم التنزيل: (٢٦٦/٥)، فتح الباري: (٦١٦/٨).

(٣) جامع البيان: (٧٧٥٣/٩)، واسناده حسن، ذكره في الصحيح المسبور: (٤١٧/٤).

(٤) جامع البيان: (٧٧٥٣/٩)، وأخرج السيوطي في الدر المنثور عن سعيد بن منصور عن الحسن رضي الله عنه في قوله تعالى: " ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر"، قال: "عذاب في الدنيا استقر بهم في الآخرة ": (٦٨٠/٧).

(٥) جامع البيان: (٧٧٥٣/٩)، واسناده حسن، ذكره في الصحيح المسبور: (٤١٧/٤).

(٦) جامع البيان: (٧٧٥٣/٩)، واسناده حسن، ذكره في الصحيح المسبور: (٤١٧/٤).

عند التأمل في هذه الآية يرى فيها ما يثبت اليوم الآخر فإن الله تعالى يخبرنا عما حل بقوم لوط من النقمة والعذاب بسبب كفرهم وتكذيبهم ففي الدنيا جازاهم الله بقلب القرية عليهم وبالرجم بالحجارة المسومة، وفي الآخرة كما ورد في الآية "عذاب مستقر".

ومعنى عذاب مستقر: أي: استقر فيهم العذاب حتى يلاقوا يومهم الموعود ويوافيهم الله تعالى بالدخول في نار جهنم والاستقرار فيها. فهو عذاب مستمر عليهم لا يفارقهم حتى يسلموا إلى عذاب النار في يوم القيامة(١).

قال الشوكاني في معنى العذاب المستقر: "أي: أتاهم صباحاً عذاب مستقر بهم نازل عليهم لا يفارقهم ولا ينفك عنهم"(٢).

وقد ذكر الإمام الرازي عدة وجوه في معنى العذاب المستقر:

الأول: أنه "عذاب لا مدفع له، أي يستقر عليهم ويثبت، ولا يقدر أحد على إزالته ورفعه أو إحالته ودفعه.

الثاني: عذاب مستقر أي بمعنى عذاب دائم، فإنهم لما أهلكوا نقلوا إلى الجحيم، فكأن ما أتاهم عذاب لا يندفع بموتهم، فإن الموت يخلص من الألم الذي يجده المضروب من الضرب والمحبوس من الحبس، وموتهم ما خلصهم.

الثالث: عذاب مستقر عليهم لا يتعدى غيرهم، أي هو أمر قد قدره الله عليهم وقرره فاستقر، وليس كما يقال: إنه أمر أصابهم اتفاقاً كالبرد الذي يضر زرع قوم دون قوم، ويظن به أنه أمر اتفاقي، وليس لو خرجوا من أماكنهم لنجوا كما نجا آل لوط، بل كان ذلك يتبعهم، لأنه كان أمراً قد استقر"(٣).

وهذا من شدة ما أعده الله تعالى لقوم لوط من العذاب والنكال يوم القيامة، فا لاستقرار يعني عدم التحول والانتقال من حال إلى حال، بل الثبات على الحال الأول دون الانصراف إلى غيره، فكيف إذا كان بجانب الاستقرار على حال دون حال أن يكون ما ثبت عليه الحال هو عذاب في نار جهنم دائم غير منقطع ثابت غير متحول.

لذا يمكن الاستدلال بما ورد في قصة قوم لوط من بيان جزاء الكفار المكذبين وهو استحقاقهم لدخول العذاب المستقر على الإيمان بوجود اليوم الآخر وثبوته وأن قوم لوط الكافرين سوف ينالهم عذاب مستقر في نار جهنم ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴾.

---

(١) جامع البيان: (٧٧٥٣/٩)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (٣١٣/٢٨)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: (١٧٣/٨).

(٢) فتح القدير: (١٢٧/٥).

(٣) التفسير الكبير: (٥٦/٢٩)، تفسير البغوي: (٤٣٣/٧).

وكذلك ما حكاه القرآن الكريم عن زوجة لوط الخائنة أن مصيرها يوم القيامة دخول نار جهنم التي قال عنها سبحانه وتعالى: ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾. وإن كانت العلاقة التي تجمع بين سيدنا لوط عليه السلام هي علاقة الزوجية التي يفترض فيها القداسة والمودة والرحمة والأمانة وعدم الخيانة في الدين والمعتقد. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]، لكن زوجة لوط عليه السلام استحقت دخول النار بخيانتها وكفرها، فلا أحد ينتفع في ذلك اليوم إلا صاحب العمل الصالح ولا تشفع لأحد أواصر المصاهرة أو لحمة النسب فكلها تنهار أمام الإيمان بالله والسير على هدي رسله.

وقد بين شيخ الإسلام أن هذه الآية قد تضمنت مثلا للكفار وأن جميع الأواصر الدنيوية والعلائق الاجتماعية لا مكان لها بين الناس في يوم الحساب والجزاء، فقال: "إن الكافر يعاقب على كفره وعداوته لله ورسوله وأوليائه ولا ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين المؤمنين من لحمة نسب أو صلة صهر أو سبب من أسباب الاتصال، فإن الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة إلا ما كان منها متصلا بالله وحده على أيدي رسله، فلو نفعت وصلة القرابة والمصاهرة أو النكاح مع عدم الإيمان لنفعت الوصلة التي كانت بين لوط ونوح وامرأتيهما فلما لم يغنيا عنهما من الله شيئا، وقيل ادخلا النار مع الداخلين"(١).

ويقول الرازي في بيان عدم الانتفاع بأواصر المحبة والقرابة والزوجية في يوم القيامة إن لم تكن على أساس من تقوى الله تعالى ومتابعة نبيه عليه الصلاة والسلام: "ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كانوا فيه من القرابة بينهم وبين نبيهم وإنكارهم للرسول صلى الله عليه وسلم، فيما جاء به من عند الله وإصرارهم عليه، وقطع العلائق، وجعل الأقارب من جملة الأجانب بل أبعد منهم وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبياً كحال امرأة نوح ولوط، لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان وقيل لهما في اليوم الآخر ادخلا النار، ثم بين حال المسلمين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم كحال امرأة فرعون ومترلتها عند الله تعالى مع كونها زوجة ظالم من أعداء الله تعالى، ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة، والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفاراً"(٢).

ولا شك بوجوب إثبات التلازم بين الإيمان بالله تعالى وبالإيمان برسله المبلغين عنه الناقلين خبر المعاد ويوم الجزاء. فالإيمان بالله تعالى لا يتحقق إلا بالإيمان بالمرسلين الذين هم الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم أمر دينهم وشرائع ربهم فمن أطاع من الناس كان مصيره دخول الجنة في يوم القيامة ومن عصى استحق العذاب، وان رسل الله هم من اخبر الناس بأمر المعاد والحساب فكان لزوماً أن يؤمن الناس بما جاء به الرسل ومن ضمنه أمر

---

(١) إعلام الموقعين: (١/١٨٨).
(٢) التفسير الكبير: (٣٠/٤٤).

المعاد ؛ولهذا فان من كفر بالرسل فإنه غير مصدق باليوم الآخر و ما فيه من أحوال وأهوال أخبر بها الأنبياء كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

يقول ابن تيمية مبيناً التلازم بين الإيمان بالله والإيمان برسله واليوم الآخر والعمل الصالح: "أن توحيد الله والإيمان برسله واليوم الآخر هي أمور متلازمة مع العمل الصالح. فأهل هذا الإيمان والعمل الصالح: هم أهل السعادة من الأولين والآخرين والخارجون عن هذا الإيمان: مشركون أشقياء. فكل من كذب الرسل فلن يكون إلا مشركا وكل مشرك مكذب للرسل وكل مشرك وكافر بالرسل فهو كافر باليوم الآخر وكل من كفر باليوم الآخر فهو كافر بالرسل وهو مشرك"[(١)].

فمن كان مخلصاً لله تعالى في توحيده وعبادته له فهو من أهل الصلاح والتقوى والعمل الصالح، ولا يكون من الإنسان الإقبال على العمل الصالح إلا إذا كان مؤمناً بالله تعالى وبرسالة أنبيائه الكرام التي فيها الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر، فإن العمل الصالح هو ثمرة الإيمان بيوم القيامة، الذي لا تكون معرفته والتصديق به إلا بعد التصديق الجازم بما جاء به الأنبياء الكرام.

---

(١) مجموع الفتاوى: (٣٢/٩).

﴿الفصل السادس﴾

المبحث الثاني: ما ورد في مسائل الإيمان بالقضاء والقدر

المطلب الأول: معنى القضاء والقدر وما ورد من مسائل في تقريرهما

أولاً: معنى القضاء والقدر

ثانياً: ما ورد في تقرير مسألة الايمان بالقضاء والقدر

ثالثاً: معنى الأمر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾

رابعاً: معنى الإرادة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾

خامساً: علاقة "لو" بالقدر

المبحث الثاني: ما ورد في مسائل الايمان بالقضاء والقدر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى القضاء والقدر وما ورد من مسائل في تقريرهما.

أولاً: معنى القضاء والقدر

القضاء في اللغة: أصل الكلمة قضاء؛ لأنه من قضيت ولما جاءت الياء بعد ألف زائدة همزت والجمع أقضية، وقضى معناه حكم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣][(١)]، وقال الأزهري: " القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه. وكل ما أحكم عمله أو أتم أو ختم أو أدي أداء أو أوجب أو أعلم أو أنفذ أو أمضي فقد قضي[(٢)]".

وقال ابن فارس: "القاف والضاد والحرف المعتل: أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته[(٣)]".

مما سبق يظهر لنا أن معنى القضاء لغة هو: الحكم وإحكام العمل وإنفاذه وإتمام الشيء.

معنى القضاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

لقد ورد معنى القضاء في القرآن الكريم بعدة معاني منها:

جاء القضاء في القرآن الكريم بمعنى الأمر: قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ .

وورد القضاء في القرآن الكريم بمعنى الإنهاء والفراغ: كما جاء في نزول العذاب بقوم لوط: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]. أي: وأنهينا إليه[(٤)].

وهو بمعنى الوحي المترل من عند الله تعالى المفرغ منه كما ذكر ابن جرير في معنى الآية، أي: "وفرغنا إلى لوط من ذلك الأمر، وأوحينا أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين"[(٥)].

---

(١) الصحاح للجوهري: (٢٤٦٣/٦)، ولسان العرب: (١٨٦/١٥)، وتاج العروس: (٢٩٦/١٠)، والقاموس المحيط: (١٧٠٧/١).

(٢) نقلا عن لسان العرب: (١٨٦/١٥).

(٣) معجم مقاييس اللغة: (٩٩/٥).

(٤) انظر تفسير ابن كثير: (٤٦٠/٤).

(٥) جامع البيان: (٤٩٠٧/٦).

ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، أي: فرغ من تسويتهن سبع سماوات في يومين[1].

وورد القضاء في القرآن الكريم بمعنى الإعلام والإخبار، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، والمعنى أي تقدمنا إلى بني إسرائيل وأخبرناهم في الكتاب الذي انزل إليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين[2].

وقد يكون بمعنى الحكم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢] أي اصنع، واحكم، وافعل ما شئت وما وصلت إليه يدك، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩] ، أي الفصل وهو الحكم بينهم[3]، ومنه معنى الأداء: كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، أي: أديتموها وفرغتم منها[4]، أو يكون بمعنى القتل أو الموت، يقال: ضربه فقضى عليه، أي: قتله، قال تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥] أي قتله[5].

هذه هي أهم معاني القضاء الواردة في القرآن الكريم وهناك غيرها من الاشتقاقات التي تدور حول معنى واحد وهو أن الحكم والقضاء بيد الله تعالى وهو الذي يقضي الأمور وبيده مقاليدها سبحانه وتعالى.

ثانيا: معنى القدر لغة: جاء في معجم مقاييس اللغة: "القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته"[6]. يقول الفيروزآبادي: "القدر محركة: القضاء والحكم ومبلغ الشيء ويضم كالمقدار والطاقة كالقدر فيهما جمعها: أقدار، وقدر الله تعالى ذلك عليه يقدره ويقدره قدرا وقدرا وقدره عليه وله. واستقدر الله خيرا: سأله أن يقدر له به. وقدر الرزق: قسمه. والقدر: الغنى واليسار"[7]. فالقدر هو: مبلغ الشيء ومنتهاه، وأقدار الله تعالى أي قسمته في عباده سبحانه وتعالى.

معنى القدر في الكتاب والسنة: ورد معنى القدر في كتاب الله العزيز بعدة معاني منها:

ورد القدر بمعنى الطاقة والوسع، قال تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، الشاهد: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾. يقول

---

(١) جامع البيان: (٢١/٤٤٠)، تفسير ابن كثير: (٧/١٥٦).

(٢) تفسير ابن كثير: (٥/٤٣)، لسان العرب: (١٥/١٨٦).

(٣) تاج العروس: ص٨٥٥٢.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: (٢/٥٠٧).

(٥) لسان العرب: (١٥/١٨٦).

(٦) معجم مقاييس اللغة: (٥/٦٢).

(٧) القاموس المحيط: ص٥٩١.

ابن كثير في الآية: "أمر تعالى بإمتاعها، وهو تعويضها عما فاتها بشيء تُعطاه من زوجها بحسب حاله، على الموسع قدره وعلى المقتر قدره"(١).

أو يكون بمعنى التضييق، ومنه قوله تعالى عن نبي الله يونس عليه السلام: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، أي ظن عليه الصلاة والسلام أن لن يضيق الله عليه(٢).

وورد معنى القدر بفتح الدال أو بإسكانها في السنة النبوية بمعنى الحكم والقضاء، كما جاء في حديث الاستخارة الذي رواه البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن إذا هم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: في عاجل أمري وآجله فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به. ويسمي حاجته"(٣). الشاهد: "فاقدره لي".

معنى القضاء والقدر شرعاً: وأجمع ما قيل في معنى القضاء والقدر شرعاً هو ما ذكره السفاريني رحمه الله تعالى حيث قال: "القدر عند السلف ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد، وأنه تعالى عز وجل قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم الله سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه و تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها"(٤).

فكل شيء من حولنا من المكروهات والمحبوبات والخير والشر والحسنات والسيئات لا تخرج عن قدر الله تعالى وقضائه الذي قدره سبحانه وتعالى أزلاً، يقول الإمام أحمد في معنى القدر: "والقدر خيره وشره وقليله وكثيره وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوبه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله قضاء قضاه وقدرا قدره عليهم لا يعدو واحد منهم مشيئة الله عز وجل ولا يجاوز قضاؤه بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له واقفون فيما قدر عليهم لأفعاله وهو عدل منه عز ربنا وجل"(٥).

---

(١) تفسير ابن كثير: (٦٤١/١).

(٢) تفسير ابن كثير: (٣٦٦/٥).

(٣) رواه البخاري: (٥٩٠٣/٢٣٤٥/٥)، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة.

(٤) لوامع الأنوار البهية ٢٤٨/١

(٥) طبقات الحنابلة، لأبي الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (ت: ٥٢٦هـ)، تحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت: (٣٤٣/١).

فإن معنى القضاء والقدر شرعاً يدور حول معنى صيرورة كل شيء إلى الله تعالى، وأنه لا غالب لحكمه ولا معقب لأمره سبحانه وتعالى، وأن الله تعالى قدر في الأزل مقادير الخلائق قبل خلقهم وعلم ذلك سبحانه قبل خلقه، ولا يمكن أن يخرج شيئاً عن قدر الله تعالى.

ثانياً: ما ورد في تقرير مسالة الإيمان بالقضاء والقدر.

أن الآيات الواردة في تقرير مسألة القضاء والقدر كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۝ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٧٤ – ٧٦].

الآثار الواردة في مجادلة سيدنا إبراهيم عليه السلام للملائكة وردهم عليه:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۝ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٧٤ – ٧٦].

معنى الآية: في الآية إخبار بجواب الملائكة لسيدنا إبراهيم عليه السلام بعدما كان يجادلهم في أمر سيدنا لوط عليه السلام وقومه وما كان من أمرهم له بالإعراض عن هذه المجادلة والمخاصمة التي لا تغير شيئاً مما هو مقدر عليهم في سابق علم الله تعالى حيث إن عذاب الله تعالى واقع بهم لا محالة، وأن قضاء الله تعال نازل بهم لا راد له ولا معقب لحكمه سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

وقد ذكرتُ في مبحثٍ سابقٍ ما المقصود من مجادلة سيدنا إبراهيم للملائكة الكرام وأنها كانت على وجه الشفاعة والرغبة في تأجيل العذاب عن قوم لوط علهم حتى يتوبوا ويعودوا إلى رشدهم وصوابهم(١).

ثالثاً: معنى الأمر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ .

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢ – ٨٣]، ذكر الإمام الرازي في معنى " الأمر " ثلاث أقوال:

الأول: أن المراد بالأمر هو الطلب الذي ضد النهي.

الثاني: أن المقصود بالأمر هنا هو قضاء الله تعالى وقدره الذي قدره على قوم لوط بإحلال العذاب بهم.

---

(١) سبق في ص: ١٩٥.

الثالث: أن يكون المراد بالأمر في الآية هو العذاب فيكون المعنى: ولما جاء عذابنا، وهذا التقدير كما ذكر المفسرون يحتاج إلى إضمار فيكون المعنى ولما جاء وقت عذابنا جعلنا عاليها سافلها[1].

والقول الأول الذي يفيد بأن الأمر في الآية هو ضد النهي هو ما رجحه بعض المفسرون و الإمام الرازي في تفسيره وقد ذكر لذلك عدة وجوه:

الأول: أن لفظ الأمر حقيقة في هذا المعنى مجاز في غيره دفعاً للاشتراك.

الثاني: أن الأمر لا يمكن حمله هاهنا على العذاب، وذلك لأنه تعالى قال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عاليها سَافِلَهَا﴾ وهذا الجعل هو العذاب، فدلت هذه الآية على أن هذا الأمر شرط والعذاب جزاء، والشرط غير الجزاء، فهذا الأمر غير العذاب، وكل من قال بذلك قال إنه هو الأمر الذي هو ضد النهي.

الثالث: أن الله تعالى قال قبل هذه الآية ﴿إنا أرسلنا إلى قوم لوط ﴾ ، فدل هذا أن الملائكة كانوا مأمورين من عند الله تعالى بالذهاب إلى قوم لوط وإنزال العذاب بهم[2].

فالإمام الرازي يرى أن المقصود بالأمر في الآية هو طلب الله تعالى من الملائكة إنزال العذاب بقوم لوط على وجه التكليف ليكون منهم تخريب القرى وإبادتها في الوقت الذي قدره الله تعالى وعلى الصفة التي أرادها سبحانه وتعالى. وقد وافقه الألوسي على هذا المعنى[3].

أما غيرهما من المفسرين أمثال ابن جرير وابن كثير فقد ذكروا أن المقصود بالأمر في الآية هو الأمر بالعذاب وقضاء الله تعالى الذي قدره وكتبه عليهم بالهلاك والخراب فيكون معنى الآية أي فلما جاء عذابنا[4] والأمر هنا مضاف إلى الله تعالى، وكل ما أضيف إلى الله تعالى فعلى نوعين:

النوع الأول: إذا كان عيناً قائماً بذاتها فهي مملوكة لله تعالى كما قال تعالى عن مريم عليها السلام: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَارُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧] " وقال تعالى عن المسيح ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] .

النوع الثاني: إذا كان المضاف إلى الله تعالى صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والكلام فهي صفة لله تعالى فيقال: علم الله تعالى وكلام الله تعالى قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢]، وفي قوله تعالى قد سمى الله تعالى المأمور به وهو إنزال العذاب بقوم لوط " أمراً " كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا

---

(١) تفسير الرازي: (١٥/٤٣٩).

(٢) تفسير الرازي: (١٥/٤٣٩)، اللباب في علوم الكتاب: (٩/١٤٦)، تفسير الألوسي: (٨/٦٢٨).

(٣) تفسير الالوسي: (٨/٣٢٦).

(٤) جامع البيان: (١٥/٤٣٢)، تفسير ابن كثير: (٤/٣٤٠).

سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢](١). وإن كانت ألفاظ المصادر يعبر بها على المفعول فيصح تسمية المأمور به وهو إنزال العذاب أمراً كما سبق إيضاح معنى الأمر في الآية. إلا أن الراجح أن يقال أن المقصود بالأمر في الآية هو ما قدره الله تعالى وقضاه من العذاب على قوم لوط وهذا المعنى هو ما رجحه الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى حيث قال: "وألفاظ المصادر يعبر بها عن المفعول فيسمى المأمور به أمرا والمقدور قدرة والمرحوم به رحمة والمخلوق بالكلمة كلمة فإذا قيل في المسيح: إنه كلمة الله فالمراد به أنه خلق بكلمة قوله كن و لم يخلق على الوجه المعتاد من البشر وإلا فعيسى بشر قائم بنفسه ليس هو كلاما صفة للمتكلم يقوم به وكذلك إذا قيل عن المخلوق: إنه أمر الله. فالمراد أن الله كونه بأمره كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] ، ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢]"(٢).

فالأمر في الآية هو أمر كوني وقدري قدره الله تعالى على قوم لوط عليه السلام بسبب عصيانهم وكفرهم فاستحقوا العذاب وكل من يحيد عن الصواب و يعصي الله تعالى فسيحل عليه الغضب والنقمة بسبب ما اقترفت أيديهم كما حل بالأقوام السابقين، ما قال تعالى عن قوم هود: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨]، وقال تعالى عن قوم صالح: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦].

أقسام أمر الله تعالى:

تجدر الإشارة هنا إلى أن أمر الله تعالى ينقسم إلى قسمين:

الأول: أمر كوني قدري.

الثاني: أمر ديني شرعي.

ومشيئة الله تعالى تشمل خلقه وأمره الكوني، وتشمل كذلك ما يحبه الله تعالى وما يكرهه كل ذلك داخل في مشيئته، فإن الله تعالى شاء الكفر والمعاصي والذنوب لكنه لا يحبها ولا يرضاها وهو سبحانه شاء الإيمان والطاعات وهو يحبها ويرضاها فإذا وجد الكفر والعصيان والفواحش كما كان من قوم لوط وغيرهم من الكفار فهو أمر قد تعلقت به المشيئة الكونية القدرية و لم يتعلق به محبة الله تعالى له ولا رضاه عنه ولا أمره الديني سبحانه به. كما قال تعالى ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧].

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢٨٣/١٧).

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

لكنه تعالى شاء الكفر من الكافر والمعصية من العاصي قدراً. لذلك نجد أن لفظ المشيئة كوني قدري ولفظ المحبة ديني شرعي وكل ما يحدث وما يكون من المحبوبات والمكروهات والطاعات والمعاصي لا تخرج عن مشيئة الله تعالى وتكوينه القدري. أما الطاعات والإيمان فإن الله تعالى أرادها إرادة دينية شرعية. لذلك نجد أن لفظ الإرادة كذلك ينقسم إلى نوعين:

الأول: إرادة كونية وهي المشيئة العامة التي يدخل فيها كل شيء.

الثاني: إرادة دينية وهي المحبة، فإن المحبة غير المشيئة والأمر غير الخلق، وكذلك الأمر نوعان: أمر تكوين وأمر تشريع.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ [الإسراء: ١٦].

ذكر المفسرون فيها عدة أقوال في بيان معنى الأمر في الآية كما ذكر ذلك عنهم ابن كثير رحمه الله تعالى[1]:

القول الأول: قالوا إن الأمر في الآية أمراً قدرياً وأن الله تعالى سخر أهل القرى إلى فعل الفواحش والمعاصي فلذلك استحقوا العذاب من الله تعالى وهو مثل قوله تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا ﴾ [يونس: ٢٤]. وكذلك قد أشار إلى هذا المعنى الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، ثم ذكر رحمه الله تعالى عدة أوجه مستدلاً بها على أن الأمر في هذه الآية كونياً قدرياً:

الوجه الأول: أن الإضمار على خلاف الأصل فلا يصار إليه إلا إذا لم يكن تصحيح الكلام بدونه.

الوجه الثاني: أن ذلك يستلزم إضمارين: أحدهما أمرناهم بطاعتنا، الثاني: فخالفونا أو عصونا ونحو ذلك.

الوجه الثالث: أن ما بعد الفاء في مثل هذا التركيب هو المأمور به نفسه كقولك: أمرته ففعل، وأمرته فقام، وأمرته فركب، لا يفهم المخاطب غير هذا.

الوجه الرابع: أنه سبحانه جعل سبب هلاك القرية أمره المذكور، ومن المعلوم أن أمره بالطاعة والتوحيد لا يصلح أن يكون سبب الهلاك بل هو سبب للنجاة والفوز.

الوجه الخامس الذي يبطل ما قبله: وهو أن هذا الأمر لا يختص بالمترفين بل هو سبحانه يأمر بطاعته وإتباع رسله المترفين وغيرهم فلا يصح تخصيص الأمر بالطاعة بالمترفين.

الوجه السادس: أن الأمر لو كان بالطاعة لكان هو نفس إرسال رسله إليهم، ومعلوم أنه لا يحسن أن يقال: أرسلنا رسلنا إلى مترفيها ففسقوا فيها، فإن الإرسال لو كان إلى المترفين لقال من عداهم: نحن لم يرسل إلينا.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٦١/٥)، تفسير السعدي: (٤٥٥)، تفسير الرازي: (٢٠/١٠)، تفسير الماوردي: (٤١٥/٢).

الوجه السابع: أن إرادة الله سبحانه لإهلاك القرية إنما يكون بعد إرسال الرسل إليهم وتكذيبهم، وإلا فقبل ذلك هو لا يريد إهلاكهم لأنهم معذورون بغفلتهم وعدم بلوغ الرسالة إليهم. كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١]، فإذا أرسل الرسل فكذبوهم أراد إهلاكها فأمر رؤسائها ومترفيها أمرا كونيا قدريا لا شرعيا دينيا بالفسق في القرية فاجتمع أهلها على تكذيبهم وفسق رؤسائهم فحينئذ جاءها أمر الله وحق عليها قوله بالإهلاك والمقصود ذكر الأمر الكوني والديني[١].

القول الثاني: يرى ابن جرير وابن كثير أن الأمر في الآية أمراً دينياً شرعياً. حيث فسروا الآية بأن الله تعالى أمر أهل القرى من الأمم المكذبة أمثال قوم نوح وعاد وثمود ولوط بالطاعات ثم عصوا وفعلوا الفواحش والذنوب فلذلك استحقوا من الله تعالى الرجز والعذاب الأليم. وهذا ما رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما' وقاله سعيد ابن جبير أيضاً، وقد ذكره ابن كثير في معنى الآية[٢].

و يرى ابن القيم أن هذا القول من المفسرين فيه تكلف، قال: "ولا حاجة إلى تكلف تقدير "أمرنا مترفيها فيها" بالطاعة فعصونا وفسقوا فيها بل الأمر هاهنا ثم ذكر رحمه الله تعالى الأوجه الآنفة الذكر.

وذكر المفسرون معاني أخرى لكلمة "أمرنا" فقالوا قد تكون بمعنى: (أمَّرْنا) بالتشديد من الأمارة، فيكون معنى الآية: سلطنا عليهم شرارها، روى ذلك ابن جرير عن ابن عباس قال: "سلطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب، وهو قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٣][٣].

وقرأها بعضهم بالمد فقال: "آمرنا" أي أكثرنا فسقة القرية، ذكر ذلك ابن جرير عن الحسن البصري، أنه قرأ ذلك بمدّ الألف من أمرنا، وقد روى ذلك ابن جرير عن ابن عباس وغيره، يقول: "أكثرنا عددهم"[٤].

مما سبق يظهر لنا أن كلمة "أمرنا" في الآية ورد فيها أكثر من معنى، فقد تكون بمعنى الإمارة أو التكثير وإذا كان الأمر في الآية بمعنى أمرنا أهلها بالطاعة لكنهم فسقوا وعصوا فحل عليهم العذاب، وهذا القول هو ما عليه غالبية المفسرون، وقد رجحه ابن جرير إذ يقول: "فأولى التأويلات به تأويل من تأوّله: أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها، فحقّ عليهم القول، لأن الأغلب من معنى أمرنا: الأمر، الذي هو خلاف النهي دون غيره، وتوجيه

(١) شفاء العليل: (٧٧١/٢، ٧٧٠).

(٢) جامع البيان: (٥١٣٦/٦)، تفسير ابن كثير: (٦١/٥، ٦٢)، النكت والعيون: (٢٣٥/٣)، المحرر الوجيز: (٤٤٤/٣).

(٣) جامع البيان: (٥١٣٧/٦)، وروى أيضاً ذلك عن الربيع بن أنس وأبي العالية: (٢٣٢١/٧)، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره: (٢٣٢١/٧).

(٤) جامع البيان: (٥١٣٧/٦)، وذكره الماوردي في النكت والعيون: (٢٣٥/٣).

معاني كلام الله جلّ ثناؤه إلى الأشهر الأعرف من معانيه أولى ما وجد إليه سبيل من غيره"[١]. فيكون الأمر هنا ديني شرعي، وهناك من فهم أن الأمر في الآية كوني قدري كما رجح ذلك ابن القيم رحمه الله وذكر أربعة أوجه في بيان ذلك.

والحاصل أن سبب هلاك أهل القرى أمثال قوم لوط وغيرهم هو ما وصلوا إليه من الترف والرفاهية وكثرة النعم والخيرات فكما هو معروف أن قوم لوط كانوا يتمتعون بجميع النعم وأن قراهم كانت من أحسن القرى من حيث وفرة الثمار والخيرات والمناظر الجميلة لكنها كفرت بأنعم الله تعالى فأذاقها الله لباس الخوف والجوع بسبب بطرهم وترفهم وتعاليهم على نعمة الله تعالى.

وقد يقال أن معصية قوم لوط وفسقهم وفعلهم للفاحشة هي سبب هلاكهم ونزول العذاب بهم لكن الله تعالى لم ينزل العذاب بهم إلا بعد أن هيأ لذلك الأسباب وقدر الأقدار فأحدث الله تعالى سبباً حتى يكون الهلاك والإبادة وهذا السبب هو مجيء الملائكة إلى سيدنا لوط عليه السلام في صورة أضياف حسان ثم بعد ذلك افتتنوا بهم قومه وأرادوا النيل منهم وتسلسلت الأحداث كما قصها الله تعالى في كتابه العزيز وبعد ذلك نزل عليهم العذاب بهذا السبب، في حين أن الله تعالى قادر أن ينزل العذاب على قوم لوط من قبل مجيء الملائكة لكن الله أمهلهم وأمدهم في طغيانهم يعمهون ثم جعل مجيء الملائكة سبب لعذابهم ومن ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في بيان هذا الأمر: " فإن قيل فمعصيتهم السابقة سبب لهلاكهم فما الفائدة في قوله تعالى: "أمرنا مترفيها ففسقوا فيها"، وقد تقدم الفسق منهم قبل المعصية السابقة وإن كانت سبباً للهلاك لكن يجوز تخلف الهلاك عنها ولا يتحتم كما هو عادة الرب تعالى المعلومة في خلقه أنه لا يتحتم هلاكهم بمعاصيهم، فإذا أراد إهلاكهم ولا بد أحدث سبباً آخر يتحتم معه الهلاك، ألا ترى ثمود، لم يهلكهم بكفرهم السابق حتى أخرج لهم الناقة فعقروها فأُهلكوا حينئذ، وقوم فرعون لم يهلكهم بكفرهم السابق بموسى حتى أراهم الآيات المتتابعات، واستحكم بغيهم وعنادهم فحينئذ أهلكوا، وكذلك قوم لوط لما أراد هلاكهم أرسل الملائكة إلى لوط في صورة الأضياف فقصدوهم بالفاحشة ونالوا من لوط وتواعدوه، وكذلك سائر الأمم، إذا أراد الله هلاكهم أحدث لها بغياً وعدوانا يأخذها على أثره، وهذه عادته مع عباده عموماً وخصوصاً، فيعصيه العبد وهو يحلم عنه ولا يعاجله حتى إذا أراد أخذه قيض له عملاً يأخذه به مضافاً إلى أعماله الأولى فيظن الظان أنه أخذه بذلك العمل وحده، وليس كذلك بل حق عليه القول بذلك وكان قبل ذلك لم يحق عليهم القول بأعماله الأولى حيث عمل ما يقتضي ثبوت الحق عليه ولكن لم يحكم به أحكم الحاكمين و لم يمض الحكم فإذا عمل بعد ذلك ما يقرر غضب الرب عليه أمضى حكمه عليه وأنفذه قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٥].

---

(١) جامع البيان: (٦/٥١٣٨، ٥١٣٩).

وقد كانوا قبل ذلك أغضبوه بمعصية رسوله ولكن لم يكن غضبه سبحانه قد استقر واستحكم عليهم إذ كان بصدد أن يزول بإيمانهم فلما آيس من إيمانهم تقرر الغضب واستحكم فحلت العقوبة"[(١)].

فإن الله سبحانه وتعالى مهيئ الأسباب ومقدر الأقدار قد يسبب للعبد الذي يعصيه من الأسباب ثم يترل به بأسه أو أن يأخذه على غرة أخذ عزيز مقتدر، وكل شيء يعود إلى حكمة الله تعالى، وإن كان التعذيب لقوم لوط كان عقيب مجيء الملائكة لسيدنا لوط فإن هذا لا يدل على أن العذاب لم يكن بسبب المعصية السابقة لهم قبل مجيء الملائكة، فإن العبد يعصي ويذنب ثم قد يهيئ له الله تعالى الأسباب ويأخذه الله تعالى بالعذاب وهو لا يدري بأي معاصيه قد حل عليه العذاب، هل هي المعصية التي كانت قبل حدوث السبب أو المعصية التي كانت بعده.

رابعاً: معنى الإرادة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾

في الآية أراد الله سبحانه وتعالى بقدرته ومشيئته هلاك القرى الكافرة أمثال قوم لوط وغيرهم وهو إن كان في ظاهره شراً لكنه يحمل الخير في باطنه لأن في إبادة الأقوام الظالمين منع للشر والفساد وإبعاد للظلم والفحشاء وهذا كله خير. لذلك يمتنع إطلاق إرادة الشر على الله سبحانه وتعالى وعلى أفعاله نفياً وإثباتا.

ولبيان ذلك لابد من توضيح أن الإرادة تنقسم إلى نوعين كما ذكر العلماء[(٢)]:

النوع الأول: إرادة كونية قدرية بها يخلق الله تعالى ويرزق ويهدي ويضل ويحي ويميت، وهي مشيئته سبحانه وتعالى قد يحبها الله تعالى ويرضاها وقد لا يحبها ولا يرضاها ولكن لابد من وقوعها لأنها مقصودة لغيرها كخلق إبليس فقد يعتقد البعض أن إبليس شر محض وهذا غير صحيح لأن هناك حكم كثيرة من خلقه منها ما يكون من العبد من التوبة والندم والاستغفار والانكسار بعد المعاصي التي يحرض عليها بني آدم.

فكذلك المعاصي التي كانت من قوم لوط عليه السلام لم يردها الله تعالى شرعاً وهو سبحانه لا يحبها لكنه تعالى شاءها قدراً وكوناً ومن ثم كان هلاك قرى قوم لوط وغيرها من القرى لا يخرج عن إرادة الله تعالى الكونية القدرية.

يقول صاحب معارج القبول: "ولا يكون في الكون غير ما يريد، والمراد بالإرادة هنا الإرادة القدرية الكونية التي لا بد لكل شيء منها ولا محيص ولا محيد لأحد عنها وهي مشيئة الله الشاملة وقدرته النافذة، فما شاء الله تعالى

---

(١) شفاء العليل: (٤٩/١).

(٢) شفاء العليل: (٧٣٦/٢)، شرح العقيدة الواسطية للفوزان: ص٣٠، معارج القبول: (٢١٣/١)، لوامع الأنوار البهية: (٣٣٨/١).

كان، وما لم يشأ لم يكن، فهو سبحانه الفعال لما يريد ولا نفوذ لإرادة أحد إلا أن يريد وما من حركة ولا سكون في السموات ولا في الأرض إلا بإرادته ومشيئته ولو شاء عدم وقوعها لم تقع"[1].

النوع الثاني: الإرادة الدينية الشرعية وبها يأمر الله تعالى عباده بما ينفعهم وينهاهم عما يضرهم، وهذه الإرادة مقصودة لذاتها، والله تعالى يحبها ويرضاها؛ لأن الله تعالى أراد الطاعة كوناً وشرعاً وأحبها، ولذلك قد تقع الإرادة الشرعية وقد لا تقع كما كان من قوم لوط، فإن الله تعالى أمرهم على لسان نبيهم لوط عليه السلام بالإيمان والطاعة والبعد عن الفاحش وكل هذا يحبه الله تعالى لكنه لم يكن منهم فلم تقع الإرادة الدينية الشرعية.

وهي مثل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

وقد ذكر ابن القيم بعد تقسيم الإرادة إلى نوعين إرادة كونية قدرية وإرادة دينية شرعية قائلاً: "الإرادة بالمعنى الأول تستلزم وقوع المراد ولا تستلزم محبته والرضا به، وبالمعنى الثاني لا تستلزم وقوع المراد وتستلزم محبته، فإنها لا تنقسم بل كل ما أراده من أفعاله فهو محبوب مرضي له، ففرق بين إرادة أفعاله وإرادة مفعولاته فإن أفعاله خير كلها وعدل ومصلحة وحكمة لا شر فيها بوجه من الوجوه، وأما مفعولاته فهي مورد الانقسام وهذا إنما يتحقق على قول أهل السنة أن الفعل غير المفعول والخلق غير المخلوق كما هو الموافق للعقول والفطر واللغة ودلالة القرآن والحديث وإجماع أهل السنة كما حكاه البغوي في شرح السنة عنهم"[2].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۞ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۞ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۞ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ۞ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۞ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۞ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٠ – ٦٦].

وهي نظير قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [النمل: ٥٧].

الآثار الواردة في الآية:

روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ يعني: "استئصال هلاكهم مصبحين"[3]،

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم بسندهما عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ﴾ قال: "وأوحينا إليه"[4].

---

(١) معارج القبول: (٢/٢١٣).

(٢) شفاء العليل: (٢/٧٣٦).

(٣) جامع البيان: (٦/٤٩٠٧)، وذكره الماوردي في النكت والعيون: (٣/١٦٥).

(٤) جامع البيان: (٦/٤٩٠٧)، تفسير ابن أبي حاتم: (٧/٢٢٦٩).

وروى عبد الرزاق بسنده عن قتادة ﴿واتبع أدبارهم﴾ قال: "أمر أن يكون خلف أهله، يتبع أدبارهم في آخرهم إذا مشوا"(١).

وروى ابن جرير بسنده عن مجاهد ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ "لا يلتفت وراءه أحد، ولا يعرج"(٢).

معنى الآية: في الآية الكريمة ذكر الله تعالى القضاء والقدر، فإن الله تعالى قدَّر أن تكون زوجة لوط عليه السلام من الباقين، ثم تكون من المهلكين في العذاب والقضاء بأن دابر قوم لوط مقطوع، وقد مر بنا(٣) ذكر معاني القضاء في القرآن الكريم والتي منها الفراغ والانتهاء فيكون المعنى أي: فرغنا إلى لوط وتقدمنا إليه من أمر قومه أن أولهم وآخرهم مجذوذ مستأصل وسيحل بهم العذاب الأليم(٤).

ومن الملاحظ أن الفعل قضى قد عدي بـ إلى "وقضينا إليه" فهو يتضمن معنى الوحي والإخبار فيكون المعنى انهينا الخبر إليه بالوحي وأوحينا إليه مقضياً ومبتوتاً ذلك الخبر بالوحي وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤](٥).

وقوله تعالى "وقضينا" يفهم منه الإبهام وعدم وضوح القضاء الذي قضاه الله تعالى وذلك للتعظيم وتفخيم هذا القضاء ثم فسره تعالى بعد ذلك فقال: "أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين"، فصار المعنى أن الله تعالى قضى في قوم لوط قضاءً مبتوتاً محققاً أنهم مستأصلين مجذوذين(٦).

خامساً: علاقة "لو" بالقدر:

ما حكم "لو" في قوله تعالى على لسان سيدنا لوط: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠].

ذكر النحاة أنَّ: "لو" حرف امتناع لامتناع(٧)، وهناك حالتان في استخدامه:

الحالة الأولى: أن يستخدم في الكلام على الماضي كأن يقول الإنسان لو أني فعلت كذا وكذا أو ليتني فعلت كذا وكذا.

---

(١) تفسير الصنعاني: (٢/٣٤٩)، وإسناده صحيح، ورواه ابن أبي حاتم: (٩/٦٧)، وابن كثير: (٤/٣٣٨)، والشوكاني في فتح القدير عنه: (٤/١٨٧)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر. وذكره في الصحيح المسبور: (٣/١٦٤).

(٢) جامع البيان: (٦/٤٩٠٧)، وإسناده صحيح، ذكره في الصحيح المسبور: (٣/١٦٤).

(٣) انظر: ص٣٦٣.

(٤) جامع البيان: (١٧/١١٦)، تفسير ابن كثير: (٤/٤٦٠)، زاد المسير لابن الجوزي: (٤/٤٠٧).

(٥) تفسير الرازي: (٩/٣٢٥)، إتحاف السائل بما في الطحاوية من المسائل: (١٨/٤)، شرح العقيدة الطحاوية صالح آل الشيخ: (١/٢٣٩).

(٦) تفسير الرازي: (٩/٣٢٥).

(٧) النحو الوافي: (٤/٤٩٣)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: (٣/١٢٩٧).

حكم التلفظ بهذه العبارة: لا يجوز كما ذكر العلماء؛ لأن ذلك من باب التحسر والندم على ما فات وهذا يجعل قلب الإنسان متعلق بالأسباب وتضعف يقينه بالله تعالى وتصرفه عن الإيمان بتصريف الله تعالى وتدبيره للأمور، فعند نزول نازلة بالعبد أو مصيبة تحل به فقد يصيبه الجزع والحزن ويبدأ يلوم نفسه ويؤنبها ويرجع ما أصابه إلى الأسباب ويقول ليتني فعلت كذا وليتني لم أفعل كذا أو يقول: لو أني فعلت كذا لما حدث كذا، وكل ذلك لا يغير من تقدير الله تعالى السابق النافذ لا محالة، وكمال التوحيد من العبد يقتضي عدم الالتفات من العبد إلى الخلف وإلقاء اللوم على النفس والتحسر إذ أن ذلك لا يغير في قضاء الله تعالى شيئاً، بل الواجب على العبد الإيمان بما قدره الله تعالى وبما كتبه، وليعلم أنه لا يخرج شيء عن مقدور الله تعالى، وكل ما في هذا الكون من فعله وتدبيره سبحانه وتعالى[1].

يقول ابن القيم: "وذلك لأن قوله لو كنتُ فعلتُ كذا وكذا، لم يَفُتْني ما فاتني، أو لم أقع فيما وقعتُ فيه، كلامٌ لا يُجدي عليه فائدةً البتة، فإنه غيرُ مستقبِل لما استدبر من أمره، وغيرُ مستقِيل عَثْرَته بـ "لو"، وفي ضمن "لو" ادعاء أن الأمر لو كان كما قدَّره في نفسه، لكان غيرَ ما قضاه الله وقدَّرَه وشاءه، فإنَّ ما وقع مما يتمنَّى خلافَه إنما وقع بقضاء الله وقَدَرِه ومشيئته، فإذا قال: لو أني فعلتُ كذا، لكان خلافَ ما وقع فهو مُحال، إذ خلافُ المقدَّر المقْضيِّ مُحال، فقد تضمَّن كلامُه كذباً وجهلاً ومُحالاً، وإن سَلِمَ من التكذيب بالقَدَر، لم يَسْلَم مِن معارضته بقوله: لو أني فعلتُ كذا، لدفعتُ ما قَدَّر اللهُ عليَّ"[2].

ومن أمثلة ذلك في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقد جاء النهي الصريح عن استعمال هذه الكلمة "لو" على لسان الرسول الكريم ﷺ فيما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك، واستعِن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قُل: قدّر الله وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان» [3].

وفي الحديث حث على الأخذ بالأسباب بجميع أسباب القوة بما فيها القوة المعنوية والمادية وأن هذا من أهم دواعي حسن الظن بالله تعالى، وأن يبلغ الإنسان في ذلك وسعه، لأن فيه غاية النفع والخير له الجالب لمحبة الله تعالى،

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد صالح الفوزان: (٢/٢٣٢)، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: ص١٢١، القول السديد شرح كتاب التوحيد: ص ١٧٣، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: ص٥٩٨.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد: (٢/٣٥٦).

(٣) رواه مسلم: (١٣/١٤٢-٤٨١٦)، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله.

إذ أنه في جميع الأحوال المؤمن الذي يتحلى بقوة الإيمان وبقوة الرابط بينه وبين خالقه أحب إلى الله تعالى ممن تمتكت بينه وبين خالقه روابط الإيمان وعلائق التقوى ومن كان كذلك كان نفعه لغيره أقل وقوته وعلمه بما ينفعه ويصح حاله أضعف وأوهن. وفي هذا الحديث يدعوا الرسول ﷺ إلى أمرين جليلين هما:

الأول: الحرص على ما فيه منفعة العبد وبذل الوسع في ذلك واستفراغ كل طاقته فيه مع الأخذ بالأسباب المندوب إليها.

ثانياً: الاعتماد القلبي على الله تعالى والاستعانة به في كل حال، فهو الذي بيده منفعة العباد ومضرتهم.

وبعد أن يتسلح المؤمن بهذين السلاحين اللذين لا غنى عنهما لمن رام الفلاح، عليه الرضا بما قد قدره الله تعالى عليه إذا صادف الإنسان من المكروهات والعقبات عكس ما يرجو ويتمنى، وهنا تظهر قوة إيمانه وثباته الحقيقي، لذلك يجب أن يرجع العبد ما حدث له إلى قضاء الله تعالى وقدره فهو الغالب على أمره و لا يجوز له بحال من الأحوال أن يقول: "لو أني فعلت كذا لما كان كذا وكذا" ولعل ما فاته فيه ضره وما أتاه خيراً له كما قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، يقول القرطبي في معنى الحديث: "أن الذي يتعين بعد وقوع المقدور التسليم لأمر الله والرضا بما قدر والإعراض عن الالتفات لما فات فإنه إذا فكر فيما فاته من ذلك فقال: لو أني فعلت كذا لكان كذا جاءته وساوس الشيطان فلا تزال به حتى يفضي إلى الخسران، فيعارض بتوهم التدبير سابق المقادير، وهذا هو عمل الشيطان المنهي عن تعاطي أسبابه بقوله: فلا تقل لو فإن لو تفتح عمل الشيطان، وليس المراد ترك النطق بـ "لو" مطلقا إذ قد نطق النبي ﷺ بها في عدة أحاديث، ولكن محل النهي عن إطلاقها إنما هو فيما إذا أطلقت معارضة للقدر مع اعتقاد أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدور لا ما إذا أخبر بالمانع على جهة أن يتعلق به فائدة في المستقبل فإن مثل هذا لا يختلف في جواز إطلاقه وليس فيه فتح لعمل الشيطان ولا ما يفضي إلى تحريم"(١).

وقد بين ابن القيم أن هذا الحديث تضمن أصولا عظيمة من أصول الإيمان:

أحدها: اتصاف الله تعالى بالمحبة وأنه يحب حقيقة سبحانه وتعالى.

ثانياً: أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها، فهو القوي ويحب المؤمن القوي وهو وتر يحب الوتر وجميل يحب الجمال وعليم يحب العلماء ونظيف يحب النظافة ومؤمن يحب المؤمنين(٢).

---

(١) نقلاً عن فتح الباري: (٢٢٨/١٣).

(٢) شفاء العليل: ص ١٨.

وقد علل الرسول ﷺ النهي عن استخدام هذه المقولة فقال: «فإن لو تفتح عمل الشيطان» ، فهي تعين الشيطان لأنه يلقي الوساوس والأوهام والظنون السيئة في قلب الإنسان فيدب فيه الجزع والحزن مما يكدر عليه حياته متقلباً في الندم والحسرات فلا يكون كما أراد الله تعالى ثابتاً قوياً.

الحالة الثانية: استعمال كلمة "لو" في الإخبار على أمر مستقبل فهذا ليس من باب الاعتراض على قضاء الله تعالى وقدره وليس فيه تسخط أو جزع وعدم الرضا بالمقدور، وهذا حكمه الجواز وقد عقد الإمام البخاري باباً فيما يجوز من قول كلمة "لو" وقال بَاب مَا يَجُوزُ مِنْ اللَّوْ وذكر مقولة سيدنا لوط عليه السلام في كتاب الله العزيز: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾، مما يدل على جواز استخدام هذه الكلمة في هذا الموضع وغيرها من المواضع كما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك» [(١)].

وروى أيضا عن أنس رضي الله عنه قال: واصل النبي صلى الله عليه وسلم آخر الشهر وواصل أناس من الناس فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لو مد بي الشهر لواصلت وصالا يدع المتعمقون تعمقهم إني لست مثلكم إني أظل يطعمني ربي ويسقين» [(٢)].

وروى كذلك عن عائشة قالت: " سألت النبي ﷺ عن الجدر أمن البيت هو؟ قال: نعم، قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة، قلت: فما شأن بابه مرتفعا؟ قال: فعل ذاك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت وأن ألصق بابه في الأرض"[(٣)].

إلى غيرها من الأحاديث التي سردها البخاري رحمه الله تعالى تحت هذا الباب والتي تدل على جواز استخدام كلمة "لو" وأنها ليست غير جائزة بإطلاق.

يقول القاضي عياض: "الذي يفهم من ترجمة البخاري ومما ذكره في الباب من الأحاديث أنه يجوز استعمال "لو" و "لولا" فيما يكون للاستقبال مما فعله لوجود غيره وهو من باب لو لكونه لم يدخل في الباب إلا ما هو للاستقبال وما هو حق صحيح متيقن بخلاف الماضي والمنقضي، أو ما فيه اعتراض على الغيب والقدر السابق، قال: والنهي إنما هو حيث قاله معتقداً ذلك حتماً وأنه لو فعل ذلك لم يصبه ما أصابه قطعاً، فأما من ردَّ ذلك إلى مشيئة

---

(١) صحيح البخاري: (٢٢/١٩٩– ٦٦٩٩) كتاب التمني، باب ما يجوز من اللو. أخرجه السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه: (٢٧٧/١). قال الألباني في مختصر إرواء الغليل: (١/–٧٠) صحيح.

(٢) صحيح البخاري: (٢٢/٢٠٠– ٦٧٠٠) كتاب التمني، باب ما يجوز من اللو.

(٣) صحيح البخاري: (٢٢/٢٠٢– ٦٧٠٢)، كتاب التمني باب ما يجوز من اللو. وروى عن عبد الله بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس واديا أو شعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها».

الله تعالى وأنه لولا أن الله أراد ذلك ما وقع فليس من هذا، قال: والذي عندي في معنى الحديث أن النهي على ظاهره وعمومه لكنه نهي تتريه ويدل عليه قوله: «فإن لو تفتح عمل الشيطان» أي: يلقي في القلب معارضة القدر فيوسوس به الشيطان"(١).

فإن قول الرسول صلى الله عليه «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ» ليس فيه اعتراض على القدر وحاشاه الرسول عليه السلام أن يكون معترضاً على ما قدره الله تعالى في جميع الأحوال.

أمر آخر وهو أن الأحاديث السابقة التي ذكرها البخاري رحمه الله تعالى فيها استخدام كلمة "لو" فيما يستقبل من الأمور أو يكون من باب التمني وهذا نظير قول سيدنا لوط عليه السلام في كتاب الله العزيز: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾.

فهذا من باب التمني وليس فيه تأسف على ما فات أو اعتراض على مقدور الله تعالى، ولا شك أن سيدنا لوط كان يتمنى أن تكون له قوة ومنعة وعشيرة يحتمي بهم من قومه الأشرار، في حين أنه كان يأوي إلى ركن الله تعالى الشديد معتمداً عليه ومتوكلاً عليه. وهذه المقولة منه عليه السلام لا تنافي قوة توكله على خالقه وصدق لجوئه إليه كما قال الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة قال: «يَرحَمُ الله لوطًا لقد كان يَأوِي إلى رُكنٍ شدِيدٍ وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ أَتَانِي الدَّاعِي لَأَجَبْتُهُ» (٢).

فهذه الكلمات من سيدنا لوط ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ لا تدل على التحسر على ما فات وعدم الرضا بالمقدور و إنما على التحسر من عدم قدرة سيدنا لوط على مدافعة قومه وردهم وقد أنكر عليهم بقلبه وبلسانه ولا سبيل لديه إلى الإنكار بيديه.

يقول ابن بطال(٣) في بيان مبرر قول النبي لوط عليه السلام: "لو أن لي قوة" جواب لو محذوف كأنه قال لحلت بينكم وبين ما جئتم له من الفساد، قال: وحذفه أبلغ لأنه يحصر بالنفي ضروب المنع وإنما أراد لوط عليه السلام العدة من الرجال وإلا فهو يعلم أن له من الله ركنا شديداً ولكنه جرى على الحكم الظاهر، قال: وتضمنت الآية البيان عما يوجبه حال المؤمن إذا رأى منكراً لا يقدر على إزالته أنه يتحسر على فقد المعين على دفعه ويتمنى

---

(١) نقلا عن فتح الباري لابن حجر: (٢٢٨/١٣).

(٢) صحيح البخاري: (١٨٠/١١-٣١٥٣) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين.

(٣) علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن: عالم بالحديث، من أهل قرطبة، شرح البخاري، (ت: ٤٤٩ هـ)، الأعلام للزركلي: (٤/ ٢٨٥).

وجوده حرصا على طاعة ربه وجزعا من استمرار معصيته ومن ثم وجب أن ينكر بلسانه ثم بقلبه إذا لم يطق الدفع"[١].

والمراد هنا بيان أن الأصل في استخدام كلمة "لو" ليس محرماً بإطلاق وقد تلفظ بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولكن المنهي عنه كما ورد في الحديث السابق الذي رواه مسلم عن أبي هريرة والصيغة الجائزة كما جاءت على لسان سيدنا لوط عليه السلام.

وفي إمكان الجمع بين مقولة سيدنا لوط في الآية وما ورد في الأحاديث السابقة.

يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى: "طريق الجمع بين هذا النهي وبين ما ورد من الأحاديث الدالة على الجواز أن النهي مخصوص بالجزم بالفعل الذي لم يقع فالمعنى لا تقل لشيء لم يقع لو أني فعلت كذا لوقع قاضيا بتحتم ذلك غير مضمر في نفسك شرط مشيئة الله تعالى وما ورد من قول لو محمول على ما إذا كان قائله موقنا بالشرط المذكور وهو أنه لا يقع شيء إلا بمشيئة الله وإرادته، وهو كقول أبي بكر في الغار لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا فجزم بذلك مع تيقنه أن الله قادر على أن يصرف أبصارهم عنهما بعمى أو غيره لكن جرى على حكم العادة الظاهرة وهو موقن بأنهم لو رفعوا أقدامهم لم يبصروهما إلا بمشيئة الله تعالى"[٢].

وكذلك قال ابن قتيبة: "وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ يرحم الله لوطًا إن كان ليأوي إلى ركن شديد" فإنه أراد قوله لقومه: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد﴾ وفى الوقت الذي ضاق فيه صدره واشتد جزعه بما دهمه من قومه، وهو يأوي إلى الله تعالى أشد الأركان، قالوا: فما بعث الله تعالى نبيًا بعد لوط إلا في ثروة من قومه"[٣].

قال غيره : "ولا يخرج هذا لوطًا من صفات المتوكلين على الله الواثقين بتأييده ونصره، لكن لوطًا عليه السلام أثار منه الغضب في ذات الله ما يثير من البشر، فكان ظاهر قول لوط كأنه خارج عن التوكل، وإن كان مقصده مقصد المتوكلين فنبه النبي على ظاهر قول لوط تنبيه على ظاهر قول إبراهيم، وإن كان مقصده غير الشك لأنهم كانوا صفوة الله المخصوصين بغاية الكرامة ونهاية القربة، لا يقنع منهم إلا بظاهر مطابق للباطن بعيد عن الشبهة؛ إذ العتاب والحجة من الله على قدر ما يصنع فيهم"[٤].

---

(١) نقلاً عن فتح الباري: (١٣/٢٢٧).

(٢) نقلاً عن فتح الباري: (١٣/٢٢٨).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال: (٩/٥٢٧).

(٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

فلم يكن عليه الصلاة والسلام شاكاً في قدرة الله تعالى على نصرته ومنعته من قومــه وتأييــده وإظهــاره عليهم، ولكنه عليه الصلاة والسلام كان يتمنى المنعة والعشيرة التي يحتمي بها وهذا هو مقصود قوله عليه الصــلاة والسلام وإن كان يفهم من السياق غير ذلك.

الفصل السادس

المطلب الثاني: عذاب قوم لوط عليه الصلاة والسلام

أولاً: أسباب وقوع العذاب في قوم لوط عليه السلام.

ثانياً: عذاب قوم لوط عليه الصلاة والسلام.

- الرجم بالحجارة.
- إنزال الرجز على قوم لوط عليه السلام.
- قلب الديار على قوم لوط وجعل عاليهم سافلهم.

المطلب الثاني: عذاب قوم لوط عليه الصلاة والسلام:

أولاً: أسباب وقوع العذاب في قوم لوط عليه السلام:

ما قدره الله من المصائب والعذاب على قوم لوط هو بسبب ذنوبهم؛ فمن تمام عدل الله تعالى ومقتضى حكمته أنه يجازي على الطاعات والحسنات بالمغفرة وبالحسنة والأجر العظيم، وأنه سبحانه يجازي على المعاصي والفجور بالمكاره والمصائب، ولاشك أن ما يترل على العباد من الرجز والمصائب هي بسبب ما اقترفته أيديهم من الظلم والفواحش والتكذيب بالمرسلين وعدم قبولهم دعوة الحق فيحل عليهم حينئذٍ الخسف والقلب والغرق كما حل بالأقوام السابقين مثل قوم نوح وهود وثمود وغيرهم جاءهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وكذبوا وعصوا فحلَّ بهم العذاب وكذلك قوم لوط عليه السلام.

فعند استعراض آيات العذاب التي تصف لنا ما حل بقوم لوط المكذبين نجد أنَّ العذاب حلَّ بهم وبزوجته عليه السلام هو بسبب ذنوبهم وكفرهم وفعلهم الفواحش وهذا نظيره كثير في كتاب الله العزيز، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، فإن الله تعالى يبين أن ما اجترم الإنسان من الآثام وما تجرأ عليه من المعاصي والفواحش هي سبب لما نزل عليهم من المصائب(١).

وكذلك قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ٧٩]، وقد روى ابن جرير بسنده عن قتادة في معنى الآية: "عقوبة يا ابن آدم بذنبك"(٢). ففي هذه الآية يخاطب الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم يشمل جميع أمته من بعده ليعلموا أن ما امتن الله تعالى به على عباده من النعم هو من فضل الله تعالى وبرحمته وبركته وأن ما ألم بالإنسان من مصائب و مكاره هو من قِبَله وبذنبه عاقبه الله تعالى به، وهو أحكم الحاكمين الذي قدرها عليه في سابق علمه وقضاها له.

وقيل أن الحسنة هي ما أنعم الله تعالى على نبيه محمد ﷺ من الفوز والغنيمة يوم بدر، وأن معنى السيئة هي ما حل بالمسلمين من الهزيمة يوم أحد بسبب مخالفة المجاهدين لأمر الرسول ﷺ وهذا في حد ذاته معصية تستوجب هزيمتهم وتسلط العدو عليهم(٣).

وللآية نظائر من كتاب الله العزيز يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: (٢٠٧/٧).

(٢) جامع البيان: (٢٤١٩/٣).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: (٣٦٣/٢)، تفسير البغوي: (٢٥٢/٢)، فتح القدير للشوكاني: (١٧٧/٢).

أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وإن لفظ الحسنات في كتاب الله تعالى يشمل ما يقع من الإنسان من الطاعات التي تكون منه باختياره كما قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٩ – ٩٠]، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فالإنسان هو الذي يأتي بالحسنة ويفعلها باختياره وبكسب منه ومن ثم يجازى عليها، و هو كذلك يأتي بالسيئات مقترفاً لها ويحاسب عليها.

وتشمل الحسنات كذلك النِّعم والخصب في الأموال و الزروع والمواشي وغير ذلك مما ليس للإنسان كسب فيه.

أما في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ [النساء: ٧٩]، فإن المقصود بالحسنات هو ليس ماكتسبه الإنسان بيده من الطاعات والصالحات، وليست السيئات هنا هي المعاصي التي اقترفها، وإنما المقصود أمر آخر كما ذكر الإمام البغوي رحمه الله تعالى: "أن معنى الحسنات في هذه الآية لا يقصد منه الطاعات والحسنات التي كانت من العبد على وجه الاختيار ابتغاء مرضات الله تعالى، وكذلك السيئات هنا ليس المقصود منها المعاصي والفواحش التي اقترفها العبد بيديه على وهو مختار إذ يقول: "ليس المراد من الآية حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصي، بل المراد منها ما يُصيبهم من النِّعم والمِحَن، وذلك ليس من فعلهم، بدليل أنه سبحانه وتعالى نسبها إلى غيرهم و لم ينسبها إليهم، فقال: ﴿مَا أَصَابَكَ ﴾ ولا يقال في الطاعة والمعصية أصابني، إنّما يقال: أصبتها، ويقال في النِّعَم: أصابني، بدليل أنه لم يذكر سبحانه وتعالى عليه ثوابًا ولا عقاباً"[١].

وكذلك رأي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى الذي وجه معنى الآية توجيهاً صحيحاً وذكر شرحاً مستفيضاً في معنى الآية وقد ذكر رحمه الله تعالى أن الآية ليست دليلاً أن المقصود بالحسنات والسيئات هي الطاعات والمعاصي التي تكون من العبد.

وهذا ما يحتج به بعض الجهلة أمثال القدرية[٢] الذين يقولون أن الحسنات في الآية هي الطاعات وأن السيئات هي المعاصي

---

(١) تفسير البغوي: (٢٥٣/٢).

(٢) القدرية قسمان: فقد يكون الانسان مثبتاً للقدر متروع القدرة والقوة على الفعل والاختيار لذلك فيكون من القدرية حيث إنه معظماً للقدر نافياً قدرته على الفعل، فهذا الصنف غالي في إثبات القدر وبالتالي حكم على أفعال العبد وقدرته واختياره بالسلب، وقال: إن العبد مسير لا مخير، و لم يفرق بين الفعل الواقع باختيار العبد كالذنوب والمعاصي التي يقترفها بجوارحه، وبين الفعل الواقع رغما عنه ولا يد فيه. ولاشك أن هؤلاء ومن شايعهم ضالون منحرفون ويسمون بـ "الجبرية القدرية" لآنه مما علم

وأن العبد هو الخالق لفعله حقيقة وأن الله تعالى لم يخلق الطاعة أو المعصية[1].

وهذا من غاية الجهل منهم إذ أن المقصود بالحسنات والسيئات في الآية هو ما ينعم الله تعالى به على عبده من النعم والمسار وما يترل عليه من المصائب التي لم تقع منه مختاراً وإن كان الكل هو من عند الله تعالى وبقدره سبحانه سواء من المصائب أو النعم.

يقول ابن تيمية: "ليس المراد بالحسنات والسيئات في هذه الآية الطاعات والمعاصي كما يظنه كثير من الناس إن إدخال هذه الآية في القدر في غاية الجهالة وذلك أن الحسنات والسيئات في الآية يراد بها المسار والمضار دون

ضرورة من الدين والعقل والعادة أن الإنسان يفرق بين فعل الاختيار وفعل الإجبار، وأثر ذلك على أفعالهم أنهم تركوا العمل بالكلية احتجاجاً بالقدر قبل وقوعه، وكذلك احتجوا بالقدر علي ما يقع منهم من أعمال مخالفة للشرع، ووصل بهم الحال إلى عدم التفريق بين الكفر والإيمان؛ لأن الجميع عندهم خلق الله. وقد رد عليهم شيخ الاسلام رداً واضحاً مبيناً في كثير من مؤلفاته حيث قال رحمه الله تعالى مبيناً بطلان ما هم عليه: "والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم؛ والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم؛ وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة؛ والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وهذه الدرجة من القدر: يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم: مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها". مجموع الفتاوى: (٣/١٥٠). أما الطائفة الأخرى فهم على النقيض تماماً عن سابقتها، فقد أعطوا العبد تمام القدرة والقوة والاختيار على الفعل، جرهم ذلك إلى نفي مشيئة الله تعالى التي هي فوق كل مشيئة، واختيار الله تعالى الذي هو فوق كل اختيار، حتى غالا طائفة منهم وقالوا: إن الله تعالي لا يعلم ما يفعله العباد إلا بعد أن يقع، وهؤلاء غلاة القدرية، وزعم هؤلاء كذباً وزوراً أن الله إذا أمر العباد بأمر ونهاهم عن شيء لا يعلم من يطيعه منهم ممن يعصيه، ولا يعلم من يدخل الجنة ممن يدخل النار إلا بعدما يعلمون، لا شك أن هذا الأمر جرهم إلى نفي مرتبة العلم ومرتبة الكتابة، وأول من تزعم هذا القول معبد الجهني، ثم قلده واصل بن عطاء رأس المعتزلة وعمرو بن عبيد، وهؤلاء يسمون "قدرية مجوسية" من حيث نفيهم لقدرة الله تعالى وإثباتهم لقدرة العبد واختياره. وقد رد عليهم شيخ الاسلام مبيناً شناعة قولهم: "فمن ظن أنه يطيع الله بلا معونته كما يزعم القدرية المجوسية فقد جحد قدرة الله التامة ومشيئته النافذة، وخلقه لكل شيء، ومن ظن أنه إذا أُعين على ما يريد ويسر له ذلك كان محموداً سواء وافق الأمر الشرعي أو خالفه فقد جحد دين الله وكذب بكتبه ورسله ووعده ووعيده واستحق من غضبه وعقابه أعظم ما يستحقه الأول، فإن العبد قد يريد ما يرضاه ويحبه ويأمر به ويقرب إليه، وقد يريد ما يبغضه الله ويكرهه ويسخطه وينهى عنه ويعذب صاحبه، فكل من هذين قد يسر له ذلك" مجموع الفتاوى: (٨/٧٤).

(١) وصفهم ابن تيمية رحمه الله تعالى بأنهم: "يجعلون أنفسهم هي الخالقة المحدثة للحسنات والسيئات وأن نعمة الله الدينية على المؤمن والكافر سواء، وأنه لم يعط العبد إلا قدرة واحدة تصلح للضدين وليس بيد الله هداية خص بها المؤمن؛ أو تطلب منه بقول العبد: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وأنه لا يقدر على هداية ضال ولا إضلال مهتد؛ فهؤلاء القدرية المجوسية". مجموع الفتاوى: (٨/٤٤٤).

الطاعات والمعاصي كما في قوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وهو الشر والخير في قوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]"(١).

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن القدرية يحتجون بالآية: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، من وجه أن الإنسان هو الفاعل لأعماله وليس لله تعالى قدرة فيها، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾. والجبرية(٢) من القدرية المعظمين للقدر يحتجون بقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [النساء: ٧٨]، وهذا نص عندهم في أن الإنسان لا إرادة له ولا فعل له، وأن العبد غير مختار لأفعاله وأن الحسنات والسيئات كلها من فعل الله تعالى، وليس للعبد من أمره شيئاً حيث أنهم أوَّلوا الآية حسب أهوائهم وقالوا: إن معناها استفهام إنكاري تقديره "أفمن نفسك؟". وهناك من قرأ "فَمَنْ نَفْسُكَ" بفتح الميم، أي: فمن أنت حتى تفعل السيئة؟(٣) كل ذلك حتى لا تتناقض هذه الآية مع الآية التي قبلها: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ ، فاستدلوا بقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ على أن الحسنات والسيئات من فعل الله تعالى وليس للعبد اختيار فيها.

وقد رد عليهم ابن تيمية رحمه الله تعالى رداً مقنعاً مبيناً، ذاكراً وموضحاً أن الجميع أخطأ في فهم الآية سواء القدرية أو الجبرية(٤) أختصره في نقاط:

أولاً: ليس المقصود من الحسنات والسيئات في الآية هي الطاعات والمعاصي التي تكون من العبد على وجه الاختيار، وإنما المراد بها النعم والمصائب، فلفظ الحسنات في كتاب الله تعالى يشمل الطاعات والنعم ولفظ السيئات يشمل المعاصي والابتلاءات،

قال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠] ، وقوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٨/٢٠٥-٢٠٦).

(٢) هم القائلين بأن الانسان منزوع القدرة والقوة على الفعل والاختيار، فيكون من القدرية حيث أنه معظماً للقدر نافياً قدرته على الفعل، فهؤلاء قد غالوا في إثبات القدر وبالتالي حكموا على أفعال العبد وقدرته واختياره بالسلب، وأنه لا قدرة ولا طاقة للإنسان على الفعل، وقالوا إن العبد مسير لا مخير، وكذلك لم يفرقوا بين الفعل الواقع باختيار العبد كالذنوب والمعاصي التي يقترفها بجوارحه، وبين الفعل الواقع رغما عنه ولا يد لهم فيه. فهم ضالون منحرفون ضالون ويسمون با " الجبرية القدرية ". مجموع الفتاوى ٣/١٥٠.

(٣) قال أبو حيان: قرأت عائشة رضي الله عنها : ﴿فمن نفسك﴾ بفتح الميم ورفع السين، فمن استفهام معناه الإنكار، أي: فمن نفسك حتى ينسب إليها فعل، المعنى ما للنفس في الشيء فعل. تفسير البحر المحيط: (٣/٣١٤).

(٤) مجموع الفتاوى: (١٤/٢٣٤ -٢٤٦) بتصرف.

وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ [التوبة: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣١] ، وقوله تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٩]، فالمقصود في الآيات هنا النِّعم والبلايا، أما الحسنات التي هي الطاعات والمعاصي التي تقع من العبد مختاراً ويجازى أو يعاقب عليها فقد قال تعالى عنها: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

ثانياً: أن الله تعالى قال: ﴿مَّا أَصَابَكَ﴾ و لم يقل سبحانه وتعالى: ما أصبت وما كسبت، وما يفعله العبد قد يكون اكتسبه بيديه كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٢]، وكذلك قوله تعالى عن قوم لوط:

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ﴾ [هود: ٧٨]، فالسيئات التي كانت من قوم لوط مما عرف عنهم هي مما اكتسبته أيدهم مقترفون لها بدلالة الآيات، فاعلون لها على وجه الحقيقة، مختارون لفعلها غير مجبورين أو مضطرين.

أما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٦٥] فقد جمع الله تعالى بين ما اكتسبه العبد بيده من معايب وذنوب وبين ما حل عليه من مصائب.

وقد اجمع السلف رضوان الله عليهم على أن معنى الآية هي البلايا والنعم.

يقول السدي: "الحسنة الخصب ينتج خيولهم وأنعامهم ومواشيهم ويحسن حالهم وتلد نساؤهم الغلمان ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، وإن تصبهم السيئة، والسيئة: الضرر في أموالهم تشاؤما بمحمد و قالوا: ﴿هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ يقولون: بتركنا ديننا واتباعنا محمدا أصابنا ما أصابنا، فأنزل الله ردا عليهم ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الحسنة والسيئة"(١).

(١) رواه ابن أبي حاتم: (٣/٥٦٤٦-٥٦٤٩/١٠٠٨).

وعَنْ ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ قال: "الحسنة: ما فتح الله عليك يوم بدر وما أصاب من الغنيمة والفتح، والسيئة ما أصابه يوم أحد. إذ شج في وجهه وكسرت رباعيته"(١).

وقال: "أما الحسنة فأنعم الله بها عليك وأما السيئة فابتلاك الله بها"(٢).

أما ما نقله أبو الفرج الجوزي وابن تيمية عن أبي العالية في معنى الحسنة والسيئة الواردة في الآية: ثلاث معاني منها: أن معنى الحسنة هي الطاعة، وأن السيئة هي المعصية(٣). فقد ذكر العلماء أنه غير منسوب إليه ولا يعلم أحدٌ صحته، أما ما صح نسبته إلى أبي العالية هو ما رواه ابن أبي حاتم عنه قال: "وإن تصبهم حسنة هذا في السراء، وإن تصبهم سيئة هذا في الضراء"(٤).

فقد يكون جميع المعنيين مرادين فيكون المقصود من الحسنات في الآية هي الطاعات التي فعلها والتي أثابه الله تعالى بها إذ أن الطاعة يعقبها طاعة وهي كذلك نعمة من عند الله تعالى كما قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦]، وكذلك السيئات في الآية قد يراد بها المعاصي والمعايب، فإن المعصية يعقبها معصية وهي عقوبة على المعصية الأولى كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

كما كان من قوم لوط عليه السلام فإن معصيتهم الأولى هي تكذيبهم برسول الله لوط وإشراكهم بالله تعالى قال تعالى عنهم: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٢ – ٤٥]، وهذا الأمر أعقبه معصية أخرى وخذلان والعياذ بالله تعالى فكانت الداهية منهم التي لم يسبقهم إليها غيرهم وهي حب المردان وإتيان

---

(١) رواه ابن جرير: (٢٤١٩/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٥٦٥٣/٣-١٠٠٨/٥٦٥٨)، من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة سمع التفسير من مجاهد عن ابن عباس، ورواه ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس برقم ٥٦٥٢. وذكره الماوردي في النكت والعيون: (٥٠٩/١)، وابن الجوزي في زاد المسير: (١٣٨/٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٥٦٥٥/٣-٥٦٦٠ /١٠١٠) من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به.

(٣) مجموع الفتاوى: (٢٣٨/١٤).

(٤) رواه ابن جرير: (٢٤١٨/٣ /٩٩٩٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره بسنده: (٥٦٤٥/٣- ٥٦٤٧/١٠٠٨) عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية مثله.

الرجال، قال تعالى عنهم على لسان نبيهم موبخاً لهم: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥ – ١٦٦]، وهكذا، فكما أن الطاعات يجر بعضها بعضاً فكذلك المعاصي قد يكون بعضها عقوبة لبعض، كما جاء في الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالصدق. فإن الصدق يهدي إلى البر. والبر يهدي إلى الجنة. ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا. وإياكم والكذب. فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار. ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (١).

ثالثاً: أن السيئات والحسنات كلها من عند الله تعالى كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فالإنسان هو فاعل للمعاصي والسيئات، وبذلك يستحق العقاب من الله تعالى، وأن الله تعالى المنعم عليه بالحسنات عملاً وجزاءً، والعادل فيه بالسيئات قضاً وجزاءً، فإذا فعل العبد طاعة أثابه الله تعالى عليها حسنى وهو أكرم الأكرمين وهذا بفضله وكرمه، وإذا فعل العبد معصية جازاه الله عليها بالعقوبة التي قدرها عليه وهو عادل في ذلك غير ظالم له، والعمل الصالح يكون من اختيار العبد وتوفيق من الله تعالى، والعمل السيئ يكون من اختيار العبد وخذلان من الله تعالى، وكلاهما مقدَّر من الله تعالى لا يخرج عن قدره وقضائه(٢).

من هنا يظهر لنا أن لفظ السيئات في عموم الآيات يشمل ما يقع من الإنسان من الذنوب والفواحش التي تقع منه باختياره ويشمل الآفات والمصائب مثل الفقر والجدب والجوع والمرض والخسف والغرق وإهلاك المكذبين، كما قال تعالى عما أصاب قوم لوط وزوجته: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١] ، وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۝ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٠ – ٦٦]، وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [النمل: ٥٧]، فإن ما حدث لقوم لوط الفاسقين ولزوجته من العذاب وقلب القرية وإمطار الحجارة عليهم من السماء كل ذلك من المصائب التي حلت بهم بسبب ذنوبهم وتكذيبهم وكفرهم بنبيهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَإِن

---

(١) رواه البخاري: (٥/٢٢٦١/٥٧٤٣)، كتاب التفسير، باب قَولِ اللَّهِ تعَالَى: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وكُونُوا مع الصَّادِقِينَ"، وما ينهى عن الكذب، ورواه مسلم: (٤/٢٠١٢/٢٦٠٧)، كتاب البر والصلة والآداب، باب: " قبح الكذب وحسن الصدق وفضله".

(٢) انظر مجموع الفتاوى: (١٤/٢٣٤)، شفاء العليل: (٢/٤٧٣).

﴿يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٢ – ٤٤] بسبب سيئاتهم يقول تعالى: ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ٧٨]، فلآية تدل على أن السيئات من قوم لوط بفعلٍ منهم وباختيارهم حتى أصبحت صفة موصوفون بها على مر الزمان وسجية تميزوا بها دون غيرهم، وأنهم فاعلين لهذه الفاحشة حقيقة، لذلك قال تعالى ﴿يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾، والحاصل أن ما كان منهم من السيئات التي اقترفوها بأيديهم ومنها وأعظمها إتيان الرجال هو سبب لإنزال سيئة عليهم وهي العذاب والنكال. ولو أنهم سمعوا وأطاعوا لما عذبهم الله تعالى لكنهم عصوا وأساؤوا فعاقبهم ربهم بذنوبهم.

والمتأمل في أحوال الناس يرى أن العباد بكفرهم ومعاصيهم وبعدهم عن خالقهم يتسببون في نزول العقاب عليهم من عند الله تعالى كما حل بالأقوام السابقين من قوم نوح وهود وثمود ولوط وفرعون، كفروا واقترفوا المعاصي وجحدوا وتجرؤوا على ما يغضب الله تعالى واتبعوا الشهوات فترلت عليهم المصائب وحلت بهم الكوارث، ولو أطاعوا الله تعالى لأكرمهم بالنعم وأتمها عليهم كما أتمها على عباده الطائعين الشاكرين، فإن المعاصي سبب للمصائب والطاعات سبب للنعم وبالشكر تدوم النعمة على صاحبه، وبالجحود تزول عنه وتنقرض، فإن قوم لوط كانوا في غاية النعم والترف ومباهج الحياة لكنهم بطروا بهذه النعم واستعلوا فتغير حالهم وحلت عليهم النقمة بما كسبت أيديهم وبظلمهم لأنفسهم كما حدث من الأقوام المكذبين غيرهم يقول تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأنفال: ٥٢ – ٥٤]، وللآية شواهد أخرى من كتاب الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨]، فهذا من تمام عدل الله تعالى وحكمته أنه عاقب الأمم المكذبين الذين كذبوا بدلائل ربوبية الله تعالى وما جاء على أيدي الأنبياء من المعجزات أمثال قوم نوح ولوط وفرعون وغيرهم بسبب ذنوبهم وكفرهم تغيرت نعمتهم من زروع وكنوز ومقام كريم إلى آفات كان منها الرجم والخسف والقلب والغرق[1].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/٧٨)، تفسير البغوي: (٣/٣٦٨).

وإلى هذا المعنى أشار ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]، حيث قال: "أخبر الله تعالى أنه لا يغير نعمته التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته وشكره بكفره وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غَير غُير عليه جزاءً وفاقاً وما ربك بظلام للعبيد، فإن غير المعصية بالطاعة غير الله عليه العقوبة بالعافية والذل بالعز. وفي بعض الآثار الإلهية عن الرب تبارك وتعالى أنه قال: "وعزتي وجلالي لا يكون عبد من عبيدي على ما أُحب ثم ينتقل عنه إلى ما أَكره إلا انتقلت له مما يحب عبيدي إلى ما يكره، ولا يكون عبدٌ من عبيدي على ما أكره فينتقل عنه إلى ما أحب إلا انتقلت له مما يكره إلى ما يحب"(١).

فقد يتغير ما عليه الإنسان من النعمة وحسن الحال بسبب ما اقترفته يداه من الذنوب والمعايب، كما حل بالأقوام السابقة.

ثانياً: عذاب قوم لوط عليه الصلاة والسلام:

قضت سنة الله تعالى في الكون أن يترل العذاب بمن عصاه وخالف أمره، وأن ينجي من أطاعه واتبع أمره واهتدى بهدي رسله، فكل من أطاع الله تعالى وأتمر بأوامر المرسلين كان من الناجين الفائزين، أما من عصى واستكبر فمصيره الهلاك والدمار، والمتأمل في حال الأمم قبلنا يرى قدرة الله عليهم وكيف دمرهم وأهلكهم بما يناسب حالهم، لا يعجزه سبحانه شيء، فأغرق قوم نوح ونجى نوح ومن آمن معه، وأهلك عاد بريح صرصر عاتية ونجى هود ومن آمن معه، وأهلك قوم ثمود بالصيحة ونجى نبيهم منهم، وأهلك قوم لوط بالعذاب الذي ليس له نظير في العالمين؛ ذلك لأن فعلهم وذنبهم ليس له نظير في العالمين، فكان فيهم القلب والرجم، ثم نجى الله تعالى نبيهم لوط من بينهم هو ومن أمن معه، وفيما يلي نستعرض أنواع العذاب الذي حل بقوم لوط وما هو سببه ومن ثمّ كيف نجى الله تعالى لوطا وابنتيه وما سبب نجاتهم.

– ما ورد في عذاب قوم لوط:

الرجم بالحجارة: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢ – ٨٣]، وللآية شاهد آخر قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤].

(١) الجواب الكافي: ص٤٩.

معنى "السجيل" في اللغة: قيل: أَصْلُهُ بالْفَارِسِيَّةِ "سَنْكِ وَكِل"، أي: الحَجَرُ والطِّينِ فهي حِجَارَةً مِنْ طِينٍ طُبِخَتْ بِنَارِ جَهَنَّمَ وكُتِبَ فيها أَسْماءُ الْقَوْمِ(١)، وكان البصريين يقولون: أن السجيل هي الحجارة الصلب الشديدة، جاء في لسان العرب: "والسَّجِيلُ الصُّلْب الشديد والسِّجِّيل حجارة كالمَدَر"(٢).

أقوال المفسرين في معنى ﴿سِجِّيلِ﴾:(٣)

ذكر المفسرون أقوال متعددة في معنى "سجيل" منها:

فسرها بعضهم بمعنى الحجارة التي من الطين: كما روى ابن جرير بسنده في تفسيره عن مجاهد، في قوله: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ بالفارسية، أوَّلها حَجَر، وآخرها طين(٤).

وروى بسنده عن قتادة وعكرمة قالا: "من طين"(٥).

وقيل أن كلمة "سجيل" معناها مركب من الحجر والطين شديد الصلابة واليبوسة(٦).

وروى ابن جرير بسنده عن السدي: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾(٧)، أما السجيل فقال ابن عباس: "هو بالفارسية: سنك وجل، سنك هو الحجر، وجل هو الطين. يقول: أرسلنا عليهم حجارة من طين"(٨)، وروى بسنده عن ابن عباس قال: "طين في حجارة"(٩).

مما سبق يظهر لنا أن أهل اللغة قالوا إن أصل الكلمة فارسي من "سَنْكِ" و"كِلْ"، بفتح السين المهملة وبعد النون الساكنة كاف مكسورة، و "كل" بكسر الكاف وبعدها لام، أي: حجارة وطين، ثم عُربت مثل كثير من الكلمات المعربة(١٠)، و أهل التفسير قالوا إن الكلمة "سجيل" من سنك وجل كما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) تاج العروس: (١٧٩/٢٩).

(٢) لسان العرب: (٣٢٥/١١).

(٣) انظر هذه الاقوال في جامع البيان: (٤٣٩٦/٦)، تفسير الرازي: (٤٥١/٨)،

(٤) جامع البيان: (٤٣٩٦/٦)، تفسير ابن أبي حاتم: (٢٠٦٨/٦)، وذكره الخازن في تفسيره: (٤٧٣/٣)، والماوردي في النكت والعيون: (٣٤٣/٦)، والبغوي في تفسيره: (١٤٩/٤).

(٥) جامع البيان: (٤٣٩٦/٦) إسناده حسن، وذكره في الصحيح المسبور: (١٦٥/٣).

(٦) ذكر هذا المعنى الامام الرازي في تفسيره: (٤٥١/٨).

(٧) جامع البيان: (٤٣٩٧/٦).

(٨) جامع البيان: (٤٣٩٧/٦)، وذكره ابن كثير: (٣٤٠/٤).

(٩) جامع البيان: (٤٣٩٧/٦)، ذكره ابن أبي حاتم: (٢٠٦٨/٦).

(١٠) لسان العرب: (٣٢٥/١١).

أي: " حجارة من الطين"(١)، وهناك من فسر السجيل بأنها السماء الدنيا كما روى ابن جرير بسنده عن ابن زيد قال: "السماء الدنيا اسمها سجيل، وهي التي أنزل الله على قوم لوط"(٢).

قال البخاري في معنى "سجيل" هو: "الشديد الكبير سجيل وسجين واللام والنون أختان"(٣)، وقيل معنى سجيل أي: موضع الحجارة وهي جبال مخصوصة كما قال تعالى: ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣](٤)، وقيل في معنى السجيل هو: "الشديد من الحجارة الصلب"(٥)، وقيل السجيل من "السجل" لأنه كان في السجل علم كالكتاب(٦)، وهناك من يقول أن المقصود بالسجيل هي الحجارة من الطين المطبوخ كما يطبخ الآجر(٧).

وفي هذا يقول الفضل بن العباس(٨):

من يساجلني يساجل ماجداً يملأ الدلو إلى عقد الكرب(٩)

وأولى أقوال بالصواب كما رجح ابن جرير رحمه الله تعالى هو القول بأن المقصود بالسجيل في الآية هي الحجارة من الطين، كما روى ذلك عن مجاهد وقتادة وعكرمة وابن عباس رضي الله عنهما(١٠)، دل على ذلك قوله تعالى في الآية الأخرى في سورة الذاريات: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات: ٣٣ – ٣٤] وقد ذكر ابن كثير عن وصف هذه الحجارة أنها كانت متحجرة قوية شديدة. وقيل كانت مشوية، أو أنها كانت مطبوخة قوية صلبة(١١).

---

(١) جامع البيان: (٤٣٩٧/٦).

(٢) جامع البيان: (٤٣٩٧/٦)، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور وعزاه لابن جرير: (٤٦٤/٤).

(٣) صحيح البخاري: (٢٦٣/١٤ / ٤٣١٦). كتاب تفسير القرآن باب قوله: " وكان عرشه على الماء ".

(٤) ذكره الرازي في تفسيره: (٤٥٢/٨)، اللباب في علوم الكتاب: (١٤٦/٩).

(٥) عمدة القاري: (٣٤٥/٢٧) كتاب تفسير القرآن سورة هود، باب " ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه إلا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور.

(٦) جامع البيان: (٤٣٩٧/٦).

(٧) جامع البيان: (٤٣٩٧/٦).

(٨) الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، من قريش: شاعر، من فصحاء بني هاشم. كان معاصراً للفرزدق والأحوص، وله معهما أخبار. في شعره رقة. توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٥هـ.الأعلام للزركلي: (١٥٠/٥).

(٩) ذكره النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب: (٥٣/٣).

(١٠) جامع البيان: (٤٣٩٨/٦).

(١١) تفسير ابن كثير: (٣٤٠/٤).

أقوال المفسرين في معنى ﴿مَّنضُودٍ﴾ :

القول الأول: فسر معنى "منضود": بأنه وصف للحجارة، وأن المقصود بكلمة "منضود" أي: مصفوفة، أي يرسل عليهم حجارة من طين مصفوفة، وهذا المعنى هو ما رواه ابن جرير رحمه الله عن عكرمة وقتادة(١).

القول الثاني: هناك من فسر منضود بأنه وصف للطين وليس وصف للحجارة كما روى ذلك ابن جرير عن الربيع بن أنس(٢) قال: "نضد بعضه على بعض"(٣).

وقيل إن الحجارة كانت "منضودة" أي معدة لقوم لوط في السماء. كما ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى وروى هذا المعنى ابن جرير عن أبي بكر الهذلي بن عبد الله(٤) قال: " أما قوله: "منضود"، فإنها في السماء منضودة: معدَّة، وهي من عُدَّة الله التي أعَدَّ للظلمة"(٥).

قول آخر يرى أن معنى "منضودة" أي: متتابعة ومتتالية أي أن الحجارة كانت تسقط على قوم لوط بشكل متتابع ومتتالي يتبع بعضه بعضاً عليهم باستمرار دون انقطاع(٦).

وقد ذكر الرازي وجوها في معنى "منضود":

الأول: أن تلك الحجارة كان بعضها فوق بعض في الترول فأتى به على سبيل المبالغة.

والثاني: أن كل حجر ما فيه من الأجزاء منضود بعضها ببعض، وملتصق بعضها ببعض.

والثالث: أنه تعالى كان قد خلقها في معادنها ونضَّدَ بعضها فوق بعض، وأعدها لإهلاك الظلمة(٧).

وأولى الأقوال بالصواب كما رجحه ابن جرير رحمه الله تعالى واختاره الإمام الرازي أن "منضود هو وصف للطين وليس وصف للحجارة، فيكون المعنى أمطر على قوم لوط حجارة من طين صفته منضود، أي نضد بعضه إلى بعض فصير حجارة و لم يُمْطَرُوا الطين، فيكونَ موصوفًا بأنه تتابع على قوم لوط ومستمر الهطول عليهم.

---

(١) جامع البيان: (٤٣٩٨/٦)، اسناده حسن، وذكره في الصحيح المسبور: (٦٥/٣).

(٢) الربيع بن أنس بن زياد البكري سكن مرو، روى عن أنس بن مالك روى عنه ابن المبارك وأبو جعفر الرازي، والناس يتقون حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه لأن فيها اضطراب كثير. الثقات لابن حبان: (٢٢٨/٤).

(٣) جامع البيان: (٤٣٩٨/٦).

(٤) سلمى بن عبد الله بن سلمى أبو بكر الهذلي البصري، يروي عن الحسن وابن سيرين وعكرمة والشعبي، قال غندر: كذاب، وقال يحيى: ليس بشيء، وقال علي: ضعيف ليس بشيء، وقال السعدي: يضعف حديثه، وقال النسائي وعلي بن الجنيد: متروك الحديث، وقال الدارقطني: منكر الحديث متروك. الضعفاء والمتروكين: (١٢/٢)، تقريب التهذيب: ص١١٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير: (٣٤٠/٤)، جامع البيان: (٤٣٩٨/٦).

(٦) جامع البيان: (٤٣٩٩/٦)، تفسير ابن كثير: (٣٤٠/٤).

(٧) تفسير الرازي: (٤٥٢/٨).

ثم بيَّن رحمه الله أنه لو كان ترتيل الآية بالنصب أي "منضودةً " فيكون نعتاً للحجارة لكنها جاءت بغير نصب "منضودةٍ" فهي حينئذٍ وصف للطين وليس وصف للحجارة[1].

معنى قوله تعالى: ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ ورد في معناها أقوال:

فقد روى ابن جرير بسنده في تفسيره عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿مسوّمة ﴾، قال: "معلمة"[2]. كما قال تعالى في وصفها في سورة الذاريات: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات: ٣٤]، أي: مختومة ومنقطة، كما روى هذا المعنى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "المسومة: الحجارة المختومة، يكون الحجر أبيض فيه نقطة سوداء، أو يكون الحجر أسود فيه نقطة بيضاء، فذلك تسويمها عند ربك يا إبراهيم للمسرفين، يعني للمتعدّين حدود الله، الكافرين به من قوم لوط"[3].

وقيل: معنى مسومة أي: لا تشاكل أو تشابه حجارة الأرض، روى هذا المعنى ابن جرير عن ابن جريج، وروى أيضاً عن قتادة وعكرمة قالا: "مطوَّقة بها نَضْحٌ من حمرة"[4].

وروى عن قتادة أيضاً قال: "عليها سيما معلومة، حدّث بعضُ من رآها، أنها حجارة مطوَّقة عليها، أو بها نضحٌ من حمرة، ليست كحجارتكم"[5].

وقد يكون معنى مسومة بمعنى مخططة، كما روى ذلك ابن جرير عن الربيع قال: "عليها سيما خطوط صفر"[6].

وروى كذلك عن السدي قال: "المسومة"، المختَّمة[7]، وقيل: أنها كانت معلمة كل حجر مكتوب عليه اسم صاحبه الذي سوف يترل عليه هذا الحجر، ذكر ذلك ابن كثير فقال في معنى معلمة أي: "مختومة، عليها أسماء أصحابها، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي يترل عليه"[8]. فقد اختلفت أقوال المفسرين في معنى كلمة مسومة، فقد تكون بمعنى المعلمة أو التي عليها خطوط أو منقطة أو مطوقة بها نضح من حمرة، وكل المعاني متقاربة وهي وصف للحجارة التي أصابت قوم لوط. فقد تميزت عن غيرها من الحجارة ذلك لأنها معدة للعذاب ولرجمهم.

---

(١) جامع البيان: (٤٣٩٩/٦)، تفسير الرازي: (٤٥٢/٨).

(٢) جامع البيان: (٤٣٩٩/٦).

(٣) جامع البيان: (٧٦٢٩/٩)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: (١٧٩/٥).

(٤) جامع البيان: (٤٣٩٩/٦)، ورواه عبدالرزاق في تفسيره عنهما: (٣٠٩/٢)، والثعلبي في الكشف والبيان: (١٤٨/٥).

(٥) جامع البيان: (٤٣٩٩/٦)، ورواه أبي حاتم في تفسيره: (١١١٠٩/٢٠٩٦/٦).

(٦) جامع البيان: (٤٣٩٩/٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١١١١١/٢٠٦٩/٦)، وأخرجه السيوطي في تفسيره وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عنه: (٤٦٤/٤).

(٧) جامع البيان: (٤٤٠٠/٦)، ذكره البغوي في معالم التتريل: (٢٣٣/٣)، والماوردي في النكت والعيون: (٤٩٣/٢).

(٨) تفسير ابن كثير: (٣٤٠/٤).

معنى الآية: يصف الله تعالى لنا العذاب الذي حل بقوم لوط نكالاً من الله تعالى وجزاءً على أعمالهم وكفرهم بالله تعالى وتماديهم في فعل الفاحشة، وقد تقدم لهم النذير لكنهم لم ينصرفوا عن حبهم للفاحشة وكذبوا بما أنذرهم به سيدنا لوط عليه السلام، فحان وقت نزول العذاب عليهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ومن الملاحظ في قصة قوم لوط أن العذاب كان عليهم متنوع من بين قلب للقرية ونزول الحجارة عليهم من السماء وطمس لأبصارهم فلم يكن على صفة واحدة مما يدل على عظم ما كانوا عليه من المعاصي والذنوب.

وقد صور لنا القرآن الكريم بشاعة وقوة العذاب الذي حل بهم من انهمار الحجارة عليهم انهماراً شديداً وبشكل متتابع مثل نزول الغيث المتتابع بدون توقف أو انقطاع قال تعالى:

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٤]. وإن قيل ما نوع المطر الذي عذب به قوم لوط؟ الجواب أن الآية في سورة هود تفسره، قال تعال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۞ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٢ – ٨٣].

قال الداوودي(١): "أينما كان المطر في كتاب الله فهو العقاب، والمذكور في التفسير أنه يقال أمطر في العذاب ومطر في الرحمة وأهل اللغة يقولون مطرت السماء وأمطرت"(٢).

فقد كانت تنزل عليهم الحجارة الشديدة الصلابة المعلمة باسم كل شخص من أهل تلك القرية الظالمين لا يفلت منها أحد وأنه كانت تسقط على من كان في قرية سدوم من المجرمين وعلى من كان متفرقاً في القرى المجاورة، وحتى قيل: إن الحجر كان يسقط على الرجل وهو يتحدث بين الناس وإنها كانت تتبعهم حيثما كانوا، لم تترك أحداً منهم إلا أصابتهم بقدرة الله تعالى حتى أبادتهم جميعاً، وقد وصف الله تعالى هذا المطر بأنه مطر السوء ليس فيه الرحمة والبركة وإنما فيه العذاب والدمار(٣).

كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٠]، وكما قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٣] ،

---

(١) أحمد بن نصر الداودي الأسدي، أبو جعفر، من أئمة المالكية بالمغرب كان بطرابلس وبها أصَّل كتابه في شرح الموطأ ثم انتقل إلى تلمسان وكان فقيهاً فاضلاً متقناً مؤلفاً مجيداً، له حظ من اللسان والحديث والنظر، وكان درسه وحده لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور وإنما وصل بإدراكه، توفي بتلمسان سنة ثنتين وأربعمائة. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: (٣٥/١).

(٢) نقلاً عن عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (٢٦٦/٢٣).

(٣) تفسير ابن كثير: (٣٤١/٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ [النمل: ٥٨] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤].

– إنزال الرجز على قوم لوط عليه السلام:

قال تعالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٤].

معنى الرجز في اللغة: يقول ابن منظور: "وأَصل الرَّجز في اللغة: تتابُعُ الحركات، ومن ذلك قولهم: ناقة رَجْزاءُ إِذا كانت قوائمها ترتعدُ عند قيامها ومن هذا رَجزُ الشعر لأَنه أَقصرُ أَبياتِ الشعرِ والانتقالُ من بيت إِلى بيت سريعٌ"(١).

وفي الاصطلاح: هو العذاب المتتابع الشديد والمستمر الذي يترله الله تعالى من السماء على الأقوام المكذبين العاصين، وقد يكون طاعوناً أو غيره من أنواع العذاب السماوي(٢).

الآثار الواردة: روى ابن جرير و ابن أبي حاتم بسندهما في تفسيرهما عَنْ قتادة: "رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ، أَيْ: عَذَابًا"(٣)، يقول ابن جرير رحمه الله تعالى(٤): "والرِّجز(٥) في لغة العرب العذاب وهو غير الرُّجز(٦)، وذلك أن الرِّجز(٧): البثر، ومنه الخبر الذي روي عن النبي ﷺ في الطاعون أنه قال: «إنه رِجْزٌ عذب به بعض الأمم الذين قبلكم» (٨).

وروى بسنده عن أبي العالية في الآية: قال: "الرجز الغضب"(٩).

---

(١) لسان العرب: (٣٤٨/٤)، مختار الصحاح: ص ٢٦٧.

(٢) تفسير السعدي: ص٣٠٦، فتح القدير للشوكاني: (١٠٧/٣).

(٣) جامع البيان: (٦٤٧١/٨)، تفسير ابن أبي حاتم: (١٨١٣٧/٤٣٢/١١)، وإسناده حسن، ذكره في الصحيح المسبور: (٧٠/٤)، ونقل ابن كثير في تفسيره عن مجاهد، وأبي مالك، والسدي، والحسن، وقتادة، في معنى الرجز: أنه العذاب: (٢٧٧/١).

(٤) جامع البيان: (٤٢٧/١).

(٥) بكسر الراء وتشديدها.

(٦) بضم الراء وتشديدها.

(٧) بكسر الراء وتشديدها.

(٨) صحيح مسلم: (٢٢١٨/١٧٣٨/٤)، أخرجه الامام أحمد في مسنده: (١٧٧/١)، والطبراني في الكبير: (٩٣/١).

(٩) جامع البيان: (٤٢٨/١)، وأبن ابي حاتم في تفسيره: (١٢٠/١)، أخرجه السيوطي في تفسيره وعزاه إلى ابن جرير عنه: (١٧٥/١)، وابن كثير في تفسيره: (٢٧٧/١).

وروى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: قال: "كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب"(١).

معنى الآية: يصف لنا الله سبحانه وتعالى العذاب المنزل على قوم لوط بسبب كفرهم ومعاصيهم وفسقهم، وهو نزول العذاب المتتابع المنهمر عليهم وهو أنواع وأشكال كما يريد الله تعالى أن ينزل. يقول الشوكاني واصفاً معنى الرجز: "والرجز العذاب، أي: عذاباً من السماء وهو الرمي بالحجارة، وقيل: إحراقهم بنار نازلة من السماء، وقيل: هو الخسف والحصب، ومعنى كون الخسف من السماء أن الأمر به نزل من السماء"(٢)، وقد يسمي العذاب المنزل من السماء بالرجز لأنه يقلق من ينزل عليه ويحل عليه(٣).

فكما تستمطر رحمة الله تعالى بالطاعات وبما يحب الله تعالى، فكذلك عذاب الله تعالى ورجزه لا يحل بقوم إلا بسبب معاصيهم وظلمهم لأنفسهم وتماديهم في الباطل والغي والفسوق، كما قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩].

- **قلب الديار على قوم لوط وجعل عاليهم سافلهم:**

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢]، وللآية شاهد من قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، فالمقصود بالإضافة في قوله تعالى: "فجعلنا" هي إضافة صفة لا تقوم بذاتها وهي أمر الله تعالى، فالمراد أن قلب القرية وجعل عاليها سافلها هو بأمر الله تعالى. وورد معنى قلب القرية في آيات أخرى بمعنى الإئتفاك، وهو القلب، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٣ – ٥٤]، روى ابن جرير بسنده عن مجاهد في الآية، قال: "أهواها جبريل، قال: رفعها إلى السماء ثم أهواها"(٤).

وروى بسنده عن ابن زيد، قال: "قرية لوط أهواها من السماء، ثم أتبعها ذاك الصخر، اقتُلعت من الأرض، ثم هوى بها في السماء ثم قُلبت"(٥).

(١) جامع البيان: (٤٢٨/١)، ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٢٠/١)، والشوكاني في فتح القدير: (١٠٠/١). والسيوطي في الدر المنثور: (١٧٤/١)، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عنه وابن كثير في تفسيره: (٢٧٧/١).

(٢) فتح القدير: (٢٠٢/٤).

(٣) تفسير البيضاوي: (٣١٥/٤)، قال صاحب الكشاف: "الرجز والرجس: العذاب، من قولهم: ارتجز وارتجس إذا اضطرب، لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب". الكشاف: (٤٥٧/٣).

(٤) جامع البيان: (٧٧٢٠/٩)، اسناده صحيح، وذكره في الصحيح المسبور: (٤١٠/٤)، وذكره مجاهد في تفسيره: ص٦٢٩.

(٥) جامع البيان: (٧٧٢٠/٩)، وذكر لفظه الفراء في معاني القران: (١٠٣/٣).

يبين تعالى أن القرية المخسوف بها، هي المقلوب أعلاها أسفلها، وهي قرية سدوم، فإن الله تعالى أمر الملك جبريل صلى الله عليه وسلم، فرفعها من الأرض السابعة بجناحه، ثم أهواها مقلوبة. وجعل عاليها سافلها.

ومن شناعة فعل قوم لوط عليه السلام أن عذبهم الله تعالى بالعذاب المنقطع النظير، الذي لم يشهد له مثيل من قبلهم، وهو قلب القرية عليهم، والجزاء من جنس العمل، فمن قدم جرماً وذنباً منقطع النظير و لم يأتيه أحداً من العالمين، فهو يستحق عذاباً منقطع النظير بأمر الله تعالى الذي لا راد لأمره وقضائه.

ما ورد في قوله تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۝ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٣ – ٣٦]

أولاً: معنى العندية في قوله تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾.

معنى الآية: جاء في معنى قوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ قولان عن المفسرين:

القول الأول: أي في علم الله تعالى(١).

القول الثاني: أن معنى ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ أي في خزائنه وقدرته سبحانه وتعالى وفي قبضته(٢). كما ذكر الماوردي في معناها: أي: "في خزائن ربك لا يملكها غيره ولا يتصرف فيها أحد إلا بأمره"(٣). ويقول القرطبي رحمه الله تعالى: "أي عند الله وقد أعدها لرجم من قضى برجمه"(٤). من هنا يظهر لنا معنى الآية وأن المقصود بقوله تعالى: "عند ربك" أي في علم الله تعالى أو في قبضته وخزائنه، جعلها الله تعالى وأعدها لتعذيب قوم لوط المكذبين العاصين. ولا يصح أن يفهم معناها: بجوار ربك أو قريباً منه سبحانه وتعالى، وأن المقصود من الآية يقتضي مجاورة الله سبحانه وتعالى للحجارة في مكان معين، أو أنها مكومة بمكان بجانب العرش، ومن ثم فلا يصح الاحتجاج بقوله تعالى: "عند ربك" لإثبات التقارب بين الله تعالى وبين مخلوقاته مقاربة حسية وهذا غاية الجهل إذ أنه لا يصح فهم "العندية" في الآية على معنى المجاورة لله تعالى.

يقول ابن الجوزي: "وتحليل العندية على ما نفهمه محال في حقه سبحانه وتعالى، وقد قال تعالى في حجارة قوم لوط: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أي في قبضته وقدرته"(٥).

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام: (٤٨٢/١) النكت والعيون للماوردي: (٤٩٤/٢).

(٢) تفسير العز بن عبد السلام: (٤٨٢/١)، النكت والعيون: (٤٩٤/٢).

(٣) النكت والعيون: (٤٩٤/٢).

(٤) تفسير القرطبي: (٤٨/١٧)، تفسير مقاتل: (١٢٧/٢).

(٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين: (٩٤٩/١).

وقوله تعالى عن الحجارة التي أعدها لعذاب قوم لوط: "مسومة عند ربك" مثل قوله ﷺ عن كتاب الله تعالى الذي عنده فوق العرش في الحديث الشريف الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي» [(١)].

وقد ذكر ابن حجر رحمه الله تعال في معنى قوله ﷺ: «فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ» احتمالين:

الأول: أن معناه دون العرش. وهو كقوله تعالى: ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦]الآية، والحامل على هذا التأويل استبعاد أن يكون شيء من المخلوقات فوق العرش ولا محذور في إجراء ذلك على ظاهره، لأن العرش خلق من خلق الله.

الثاني: ويحتمل أن يكون المراد بقوله «فهو عنده» أي ذكره أو علمه فلا تكون العندية مكانية بل هي إشارة إلى كمال كونه مخفيا عن الخلق مرفوعا عن حيز إدراكهم[(٢)].

فيكون المقصود بالعندية في الآية كما ذكر ابن حجر: إما أن تكون عندية حسية بمعنى دون العرش، أو تكون عندية معنوية بمعنى أن كتاب الله تعالى مخفي عن خلقه ولا يمكن رؤيته لأن ذلك فوق إدراكهم وتصورهم.

قال الخطابي في معنى قوله ﷺ: «فوق العرش» أي: "عنده علم ذلك، فهو لا ينساه ولا يبدله، كقوله تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]، وأما اللوح المحفوظ الذي فيه ذكر أصناف الخلق وبيان أمورهم وآجالهم وأرزاقهم وأحوالهم، ويكون معنى «فهو عنده فوق العرش» أي: ذكره وعلمه وكل ذلك جائز في التخريج على أن العرش خلق مخلوق تحمله الملائكة، فلا يستحيل أن يماسوا العرش إذا حملوه وإن كان حامل العرش وحامل حملته هو الله"[(٣)].

فهو فسر العندية بأنها إحاطة علم الله تعالى بما في كتابه ولا يعزب عنه شيء وهو سبحانه لا يبدله ولا ينساه سبحانه وتعالى، وكأن الخطابي يريد الإشارة كذلك إلى العندية المعنوية، ولا يلزم من هذا القول استحالة مماسة الملائكة لعرش الرحمن.

---

(١) صحيح البخاري: (٤٦٦/١٠)، كتاب بدء الخلق، باب مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، صحيح مسلم: (٢١٠٧/٤)، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٢) فتح الباري لابن حجر: (٢٩١/٦) كتاب بدء الخلق، قوله باب ما جاء في قول الله تعالى: "وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده".

(٣) نقلاً عن فتح الباري لابن حجر: (٤١٣/١٣)، شرح السنة للبغوي: (٣٧٧/١٤).

وقد أيد الإمام البغوي ما ذهب إليه الخطابي في معنى قول الرسول ﷺ: «فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ» وأن المقصود هو أن الله تعالى ذكره عنده وعلمه، قال البغوي: "الأولى فيه بالمرء وفي أمثالها إمرارها على ظاهرها كما جاء من غير أن يتصرف فيها"(١).

وهناك من ذهب إلى أن معنى «فوق العرش» أي دون العرش استعظاماً أن يكون شيء من المخلوقات مماساً للعرش، وقيل أن لفظ «فوق» زائدة. وقد قال العيني(٢) معقباً على هذين القولين: "في كل منهما نظر: أما الأول: ففيه استعمال اللفظ في غير موضعه.

وأما الثاني: ففيه فساد المعنى؛ لأن معناه يكون حينئذ: "فهو عنده العرش"، وهذا لا يصح، والأحسن أن يقال معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "فهو عنده فوق العرش" أي: علم ذلك عند الله فوق العرش لا ينسخ ولا يبدل، أو ذكر ذلك عند الله فوق العرش، ولا محذور من إضمار لفظ العلم أو الذكر على أن العرش مخلوق ولا يستحيل أن يمسه كتاب مخلوق، فإن الملائكة حملة العرش حاملوه على كواهلهم وفيه المماسة فلا محذور أن يكون كتابه فوق العرش"(٣).

وقوله هذا موافق لما ذكره الخطابي من عدم استحالة مماسة العرش للكتاب المخلوق ولا محذور في ذلك، وإنما الاستحالة والمحذور اعتقاد العندية المكانية كما قال العيني: "العندية المكانية مستحيلة في حقه تعالى فهي محمولة على ما يليق به أو مفوضة إليه أو مذكورة على سبيل التمثيل والاستعارة وهي من المتشابهات"(٤).

فلا يصح الخوض في معنى العندية المكانية بل الواجب إمرارها كما جاءت في النصوص من غير تأويل ولا تكييف ولا تحريف ولا تشبيه، كما أشار إلى ذلك المباركفوري في فهم معنى العندية المكانية فقال: "هي خبر جاء به التوقيف فقلنا به ونفينا عنه التكييف إذ ليس كمثله شيء فالأولى بل المتعين إمراره على ظاهره كما جاء من غير تصرف فيه"(٥).

مما سبق يظهر لنا المسلك الصحيح في فهم الآية الكريمة التي وصفت حجارة قوم لوط: ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ وأيضاً في فهم قوله ﷺ: «فهو عنده فوق العرش» . وأن المقصود بالآية: أن الحجارة التي أعدها الله سبحانه وتعالى لعذاب قوم لوط هي في قبضته سبحانه وتعالى وفي سابق علمه، وأن المقصود بقول الرسول ﷺ:

---

(١) شرح السنة: (١٤/٣٧٧).

(٢) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين، من كتبه عمدة القاري في شرح البخاري، ومغاني الأخيار في رجال معاني الاثار، (٧٦٢ - ٨٥٥ هـ). الأعلام للزركلي: (٧/١٦٣).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (٢٢/٤١٧).

(٤) المرجع السابق: (٣٦/٢٥٢).

(٥) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: (٨/٧٦).

«فهو عنده فوق العرش» أي علم الله تعالى كتابه الذي فوق العرش وذكره سبحانه وتعالى، وأن من عقيدة أهل السنة والجماعة عدم الخوض في العندية المكانية لاستحالتها على الله تعالى، بل الواجب إمرار النصوص من غير تكييف ولا تشبيه بين الخالق والمخلوق.

في حين أن هناك من انحرف عن المسلك الصحيح وأساء في فهم النصوص وظن أن إثبات الاستواء لله تعالى على عرشه يترتب عليه أمور منها إثبات المشابهة بينه وبين خلقه(١).

أما وجه احتجاج من يقول بنفي الجهة والمكان عن الله تعالى بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي» (٢).

فهو أن من يحتج بهذا الحديث وغيره على نفي الجهة والمكان عن الله تعالى كما ذكر صاحب كتاب "غاية البيان في تتريه الله عن الجهة والمكان(٣)، حيث يقول: "يشيع مجسمة هذا العصر أنه لا مكان فوق العرش إنما المكان تحت العرش فقط، فيقولون تمويهاً على الناس: الله فوق العرش بلا مكان، وأحياناً يقولون تمويهاً على الناس: الله فوق العرش بلا مكان، وأحياناً يقولون الله فوق العرش حيث لا مكان، ومنهم من يقول فوق العرش مكان عدمي فالله فوق العرش حيث المكان العدمي على زعمهم، فهذا قول لا دليل عليه، لأنه لا يمتنع عقلاً ولا شرعاً أن يكون فوق العرش مكان"(٤).

ومقصوده أنه يمتنع أن يكون الله سبحانه وتعالى مستو على عرشه وأن هذا لا يليق به سبحانه وتعالى؛ لأن مجرد إثبات الاستواء لله تعالى على عرشه فيه مشابهته لخلقه في ذلك، إذ أن الجلوس والاستواء مختص بالمخلوقات والله تعالى يتتره عن مشابهة المخلوقات، وأن من يثبت لله تعالى الاستواء على العرش فقد وقع في تشبيه الخالق بالمخلوق وهذا هو فعل المشبهة المجسمة على حد زعمه.

وقد ذكر المؤلف هذا الكلام في بداية كتابه حيث قال: "إن المشبهة المجسمة تائهون في المعتقد لأنهم خالفوا الشرع والعقل بقولهم إن الله جالس على العرش، وتارة يقولون أنه مستقر عليه، ومنهم من يقول إن الله ترك مكاناً يجلس فيه معه محمداً يوم القيامة، وبقولهم أن الله متحيز في مكان فوق العرش بذاته، وبقولهم أن الله يتحرك كل ليلة

---

(١) دفع شبه التشبيه بأكف التتريه: ص٢٥٦.

(٢) سبق تخريجه: ص٢٩٨.

(٣) الشيخ خليل دريان الازهري.

(٤) غاية البيان في تتريه الله عن الجهة والمكان، لخليل دريان الازهري: ص٢.

بتروله من العرش إلى السماء الدنيا، وغير ذلك من أقوالهم التي تدل على التشبيه والتجسيم لقياسهم الخالق على المخلوق، وإتباعهم الوهم"(١).

فهو يرى أن إثبات استواء الله تعالى على عرشه يستلزم المشابه بين الخالق والمخلوقين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وأنه يستلزم أيضا التحيز وأن الله تعالى في جهة وفي مكان معين وهذا لا يصح في حق الخالق كما يقول وجائز في حق المخلوق، ثم ذكر دليلاً على صحة ما يرمي إليه، الحديث السابق الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه(٢)، حيث قال: "فلولا أن فوق العرش مكاناً لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك الكتاب: «فهو موضوع عنده فوق العرش» "(٣).

فقد فهم من الحديث أن الكتاب موضوع فوق العرش، واثبات الاستواء لله تعالى فيه مشابهة بينه وبين المخلوق الذي أثبت الحديث الشريف أنه على العرش.

وقد نقل المؤلف قولاً للمحدث ولي الدين أبو زرعة العراقي حيث قال في معنى قوله صلى الله عليه وسلم «فهو عنده فوق عرشه» "لَا بُدَّ مِنْ تَأْوِيلِ ظَاهِرِ لَفْظِهِ عِنْدَهُ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهَا حَضْرَةُ الشَّيْءِ وَاَللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ الِاسْتِقْرَارِ وَالتَّحَيُّزِ وَالْجِهَةِ فَالْعِنْدِيَّةُ لَيْسَتْ مِنْ حَضْرَةِ الْمَكَانِ بَلْ مِنْ حَضْرَةِ الشَّرَفِ أَيْ وَضَعَ ذَلِكَ الْكِتَابَ فِي مَحَلٍّ مُعَظَّمٍ عِنْدَهُ"(٤).

وقد تحدث المؤلف كثيراً وساق الأدلة العقلية والنقلية على نفي الجهة والمكان والتحيز عن الله تعالى وأورد شواهد من أقوال العلماء من أصحاب المذاهب الأربعة في بيان ذلك، ورد على من ينسب لله تعالى الجهة والمكان من المجسمة والوهابية كما يقول عنهم أنهم يثبتون لله تعالى الجهة والمكان.

مناقشة قول صاحب كتاب: "غاية البيان في تتريه الله عن الجهة والمكان":

نقول لمن نفى صفات الله تعالى مخافة الوقوع في تشبيه الله تعالى بخلقه، ليس شرطاً في إثبات الصفات لله تعالى أن ذلك يقتضي المشابهة بين الخالق والمخلوق إذ أن صفات الله تعالى مغايرة لصفات المخلوق، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وما فائدة تتريههم الله تعالى عن مشابهة الخلق إذا كان ذلك يترتب عليه شيء أعظم وهو نفي الصفات التي أثبتتها النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة، والمنهج الصحيح في فهم آيات وأحاديث الصفات قبولها وإمرارها كما جاءت وعدم الخوض فيها، وقد بين ابن تيمية رحمه

---

(١) المرجع السابق: ص٩.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٩٨.

(٣) غاية البيان: ص٥٢.

(٤) طرح التثريب في شرح التقريب: (٨/٧٥-٧٦).

الله تعالى المسلك الصحيح في فهم آيات وأحاديث الصفات بعد أن ساق جملة منها حيث قال: "اعتقادنا فيها وفي الآي الواردة في الصفات: أنا نقبلها ولا نحرفها ولا نكيفها ولا نعطلها ولا نتأولها وعلى العقول لا نحملها وبصفات الخلق لا نشبهها ولا نعمل رأينا وفكرنا فيها ولا نزيد عليها ولا ننقص منها بل نؤمن بها ونكل علمها إلى عالمها كما فعل ذلك السلف الصالح وهم القدوة لنا في كل علم"(١). فإن إثبات الصفات لله تعالى لا يقتضي التشبيه، والواجب في آيات وأحاديث الصفات عدم الخوض فيها وعدم إعمال العقل فيها بل الواجب تفويض علمها إلى الله تعالى، وقد نقل ابن تيمية رحمه الله تعالى عن إسحاق قوله في ذلك: "لا نزيل صفة مما وصف الله بها نفسه أو وصفه بها الرسول عن جهتها لا بكلام ولا بإرادة، إنما يلزم المسلم الأداء ويوقن بقلبه أن ما وصف الله به نفسه في القرآن إنما هي صفاته ولا يعقل نبي مرسل ولا ملك مقرب تلك الصفات إلا بالأسماء التي عرفهم الرب عز وجل"(٢).

أما موقف أهل السنة والجماعة من لفظ الجهة، وهل ورد في كتاب الله تعالى أو في سنة نبيه محمد ﷺ: هو أن لفظ الجهة لم يرد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله لا نفياً ولا إثباتاً. ويغني عنه القول بأن الله تعالى في السماء، كما بين ذلك ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فلفظ الجهة قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقاً، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم، ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه كما فيه إثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك، وقد علم أن ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق سبحانه وتعالى مباين للمخلوق، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق؟ فالله ليس داخلا في المخلوقات، أم تريد بالجهة ما وراء العالم ؟ فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات، وكذلك يقال لمن قال الله في جهة: أتريد بذلك أن الله فوق العالم ؟ أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات ؟ فإن أردت الأول فهو حق وإن أردت الثاني فهو باطل"(٣).

وقال رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى: "فإذا قال القائل: هو في جهة أو ليس في جهة. قيل له: الجهة أمر موجود أو معدوم فإن كان أمرا موجودا؛ ولا موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق بائن عن المخلوق لم يكن الرب في جهة موجودة مخلوقة. وإن كانت الجهة أمرا معدوما بأن يسمى ما وراء العالم جهة فإذا كان الخالق مباينا العالم وكان ما وراء العالم جهة مسماة وليس هو شيئا موجودا كان الله في جهة معدومة بهذا الاعتبار. لكن لا فرق بين قول القائل: هو في معدوم؛ وقوله ليس في شيء غيره؛ فإن المعدوم ليس شيئا باتفاق العقلاء. ولا ريب أن لفظ الجهة يريدون به تارة معنى موجودا وتارة معنى معدوما بل المتكلم الواحد يجمع في كلامه بين هذا وهذا فإذا أزيل

(١) مجموع الفتاوى: (١٨٥/٤).

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٣) الرسالة التدمرية: (٤٥/١).

الاحتمال ظهر حقيقة الأمر فإذا قال القائل: لو كان في جهة لكانت قديمة معه. قيل له: هذا إذا أريد بالجهة أمر موجود سواه فالله ليس في جهة بهذا الاعتبار. وإذا قال: لو رئي لكان في جهة وذلك محال؛ قيل له: إن أردت بذلك: لكان في جهة موجودة فذلك محال؛ فإن الموجود يمكن رؤيته وإن لم يكن في موجود غيره: كالعالم فإنه يمكن رؤية سطحه وليس هو في عالم آخر. وإن قال: أردت أنه لا بد أن يكون فيما يسمى جهة ولو معدوما؛ فإنه إذا كان باينا للعالم سمي ما وراء العالم جهة. قيل له: فلم قلت: إنه إذا كان في جهة بهذا الاعتبار كان ممتنعا ؟ فإذا قال: لأن ما باين العالم ورئي لا يكون إلا جسما أو متحيزا عاد القول إلى لفظ الجسم والمتحيز كما عاد إلى لفظ الجهة. فيقال له: المتحيز يراد به ما حازه غيره ويراد به ما بان عن غيره – فكان متحيزا عنه – فإن أردت بالمتحيز الأول لم يكن سبحانه متحيزا لأنه بائن عن المخلوقات لا يحوزه غيره وإن أردت الثاني فهو سبحانه بائن عن المخلوقات منفصل عنها ليس هو حالا فيها ولا متحدا بها. فبهذا التفصيل يزول الاشتباه والتضليل"(١). فلفظ الجهة لم يرد في الكتاب ولا في السنة ومن قال بأن الله تعالى في جهة أو في غير جهة، يلزمه أن يثبت أن الجهة أمر موجود إذا كان الله تعالى في جهة كما يقولون، ويلزم من يثبت أن الجهة أمر معدوم من قال أن الله تعالى ليس في جهة. فالنتيجة يكون إثبات ونفي الجهة أمراً باطلاً مبتدعاً لم يرد في كتاب الله تعالى ولا في سنة نبيه عليه الصلاة والسلام. يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: "ومما لم يرد إثباته ولا نفيه لفظ: (الجهة)، فلو سأل سائل: هل نثبت لله تعالى جهة؟، قلنا له: لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة إثباتا ولا نفيا، ويُغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله تعالى في السماء. وأما معناه فإما أن يراد به جهة سفل أو جهة علو تحيط بالله، أو جهة علو لا تحيط به. فالأول باطل(٢)، لمنافاته لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع، والثاني باطل أيضا(٣)، لأن الله تعالى أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته، والثالث حق، لأن الله تعالى العلي فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته"(٤).

ثانياً: الفرق بين الإسلام والإيمان.

تمهيد:

لقد ظهر التراع بين أهل السنة منذ زمن بعيد حول مسمى الإيمان والإسلام هل هما بمعنى واحد أم هما مختلفان أو مترادفان وهل الإسلام أعم من الإيمان أم أن الإيمان أعم من الإسلام؟

---

(١) مجموع الفتاوى: (٦/٣٩-٤٠).

(٢) المقصود: جهة تحيط بالله تعالى.

(٣) المقصود: جهة علو لا تحيط به تعالى.

(٤) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: ص٣١، انظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة: ص١١٦.

والأكثرية على إثبات التغاير بين الإسلام والإيمان وأنهما مختلفان، بل قالوا إن الإيمان درجة أعلى من الإسلام وبينهما تلازم ولاشك في ذلك، فإنه لا إسلام لمن لا إيمان له ولا إيمان لمن لا إسلام له. لذلك فقد تباينت أقوال الناس في الإسلام والإيمان أيهما أفضل من الآخر؟ فكان قول المرجئة مخالفاً لقول الخوارج والمعتزلة، وقول ثالث مأثور عن الصحابة والتابعين وهو أصح الأقوال كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول رحمه الله ملخصاً هذه الأقوال: "ولهذا صار الناس في الإيمان والإسلام على ثلاثة أقوال:

فالمرجئة يقولون: الإسلام أفضل؛ فإنه يدخل فيه الإيمان.

وآخرون يقولون: الإيمان والإسلام سواء وهم المعتزلة والخوارج وطائفة من أهل الحديث والسنة وحكاه محمد بن نصر(١) عن جمهورهم وليس كذلك.

والقول الثالث: أن الإيمان أكمل وأفضل، وهذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة في غير موضع وهو المأثور عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان. ثم هؤلاء منهم من يقول: الإسلام مجرد القول والأعمال ليست من الإسلام. والصحيح أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة كلها"(٢).

وفيما يلي سوف نورد قول من قال بأن معنى الإسلام يفرق عن معنى الإيمان وأدلتهم التي يحتجون بها، ثم القول المنسوب للفريق الثاني القائلين بأن معنى الإسلام والإيمان مترادفين ولا يوجد فرق بينهما في المعنى ثم نورد أدلتهم التي يحتجون بها، ثم نذكر التحقيق في المسألة وما هو القول الراجح، ثم بعد ذلك سأبين وجه استدلال المعتزلة القائلين بالترادف بين الإسلام والإيمان ووجه استدلالهم بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ – ٣٦].

الفرق بين الإسلام و الإيمان:

أولاً: ذكر قول من يرى أن الإسلام والإيمان مختلفان وبيان حجتهم:

القول الأول: يرى أصحابه أن معنى الإسلام يختلف عن معنى الإيمان، وذلك حسب الإفراد والاقتران وهو قول أكثرية أهل السنة وجمهور أهل العلم:

---

(١) أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي: (٢٠٢ – ٢٩٤ هـ)، كان إمام في الفقه والحديث. كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم في الاحكام. ولد ببغداد. ونشأ بنيسابور، ورحل رحلة طويلة استوطن بعدها سمرقند وتوفى بها. له كتب كثيرة، منها (القسامة) في الفقه، والمسند في الحديث، وكتاب (ما خالف به أبو حنيفة عليا وابن مسعود). الأعلام للزركلي: (١٢٥/٧).

(٢) مجموع الفتاوى: (٤١٥/٧).

يقول ابن رجب(١): "ومنهم من يحكي عن أهل السنة التفريق بينهما، وقد نقل هذا التفريق بينهما عن كثير من السلف"(٢).

وقال أيضا: "فحكاية ابن نصر، وابن عبد البر عن الأكثرين التسوية بينهما غير جيد؛ بل قد قيل: إن السلف لم يرو عنهم غير التفريق"(٣).

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى بعدما ذكر أسماء من قال بوجود فرق بين الإسلام والإيمان: "ولا علمت أحدا من المتقدمين خالف هؤلاء فجعل نفس الإسلام نفس الإيمان؛ ولهذا كان عامة أهل السنة على هذا الذي قاله هؤلاء كما ذكره الخطابي. وكذلك ذكر أبو القاسم التيمي الأصبهاني وابنه محمد شارح " مسلم " وغيرهما أن المختار عند أهل السنة أنه لا يطلق على السارق والزاني اسم مؤمن كما دل عليه النص وقد ذكر الخطابي: في "شرح البخاري" كلاما يقتضي تلازمهما مع افتراق اسميهما"(٤).

وقد كان أصحاب الإمام أحمد يقولون: "حقيقة الإيمان التصديق وحقيقة الإسلام الاستسلام فلا يفهم من معنى التصديق الاستسلام ولا يفهم من معنى الاستسلام التصديق"(٥).

قال الزهري: "الإسلام هو الكلمة والإيمان العمل"(٦).

ومراد الإمام الزهري: أن الإيمان يثبت بالكلمة، غير أنه قد يظن البعض أن مقصود الإمام الزهري ومن تابعه على ذلك مثل الإمام أحمد وغيره، أن الإسلام الواجب هو الكلمة فقط ولا يشترط دخول العمل وبهذا يكون قول الإمام أحمد والزهري ومن وافقهم موافقاً لقول المرجئة الذين يخرجون العمل عن مسمى الإيمان، وهذا في الحقيقة غير مقصود الإمام الزهري وهو لم يرد قول المرجئة، وقد وضح مقصود الإمام الزهري شيخ الإسلام فقال: "ولما كان كل من أتى بالشهادتين صار مسلما متميزا عن اليهود والنصارى تجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على المسلمين كان هذا مما يجزم به بلا استثناء فيه، فلهذا قال الزهري: الإسلام الكلمة. وعلى ذلك وافقه أحمد وغيره وحين وافقه لم يرد أن الإسلام الواجب هو الكلمة وحدها ؛فإن الزهري أجل من أن يخفى عليه ذلك؛ ولهذا

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب حافظ للحديث، من العلماء. ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق(٧٣٦ – ٧٩٥ هـ). من كتبه (شرح جامع الترمذي) و (جامع العلوم والحكم) في الحديث، وهو المعروف بشرح الاربعين، و (فضائل الشام) و (الاستخراج لأحكام الخراج) وغيرها. الأعلام للزركلي: (٢٩٥/٣).

(٢) جامع العلوم والحكم ٢٩/١، الإيمان لابن منده ١١٣/١.بتصرف

(٣) فتح الباري لابن رجب: (١٢٠/١).

(٤) مجموع الفتاوى: (٣٥٩/٧).

(٥) العقيدة رواية أبي بكر الخلال: ص ١١٩.

(٦) الايمان الاوسط: ص٢٠، الايمان لابن منده: (٣١١/١).

أحمد لم يجب بهذا في جوابه الثاني خوفا من أن يظن أن الإسلام ليس هو إلا الكلمة"[1]. ولا شك أن الإمام الزهري والإمام أحمد بن حنبل قصدا أن الإسلام الكلمة إلا أنهما لا يوافقان قول المرجئة في إخراج العمل من الإيمان.

وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل عن المُصر على الكبائر يطلبها بجهده إلا أنه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم هل يكون مصراً من كانت هذه حاله فأجاب قائلاً: "هو مصر مثل قوله صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» [2]، يخرج من الإيمان ويقع في الإسلام، ومن نحو قول ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فقيل له: ما هذا الكفر؟ قال: "كفر لا ينقل عن الملة، مثل الإيمان بعضه دون بعض فكذلك الكفر حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه"[3]، وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» فأجاب قائلاً: "من أي هذه الأربعة أو مثلهن أو فوقهن فهو مسلم ولا أسميه مؤمنا ومن أتى دون ذلك يريد دون الكبائر سميته مؤمنا ناقص الإيمان"[4].

أدلة القائلين بالفرق بين الإسلام والإيمان:

قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤]، يرى جمهور العلماء أن هؤلاء الإعراب المنفي عنهم الإيمان ليسوا منافقين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، بل معهم إسلام وإيمان يثابون عليه وأن الإيمان المنفي عنهم هو المنفي عن الزاني والسارق كما جاء عن رسول الله تعالى: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» [5]. يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والأكثرون يقولون: بل هؤلاء لم يكونوا من المنافقين الذين لا يقبل منهم شيء من أعمالهم وإن كان فيهم شعبة نفاق؛ بل كان معهم تصديق يقبل معه منهم ما عملوه لله ولهذا جعلهم مسلمين"[6].

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في معنى الآية: "وقد استفيد من هذه الآية الكريمة: أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل، عليه السلام، حين سأل عن الإسلام، ثم

---

(١) مجموع الفتاوى: (٤١٥/٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة: (٢١٢٠/٥)، كتاب الأشربة، باب قول الله تعالى: "إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون".

(٣) ذكره المروزي في تعظيم قدر الصلاة: (٥٢٧/٢).

(٤) المرجع السابق: (٥٢٩/٢).

(٥) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة: (٢١٢٠/٥)، كتاب الأشربة باب قول الله تعالى: "إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون" .

(٦) مجموع الفتاوى: (٣٤٥/٧).

عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص، ثم للأخص منه". وقال أيضا: "فدل هذا على أن هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقاما أعلى مما وصلوا إليه، فأدبوا في ذلك. وهذا معنى قول ابن عباس وإبراهيم النخعي[1]، وقتادة، واختاره ابن جرير. وإنما قلنا هذا لأن البخاري، رحمه الله، ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يُظهرون الإيمان وليسوا كذلك"[2]، وقد بين تعالى في هذه الآية أن الإيمان منتظر منهم وهو لم يوجد بعد فعندما قال هؤلاء الأعراب: "آمنا"، قيل: "لم تؤمنوا" بعد، بل الإيمان مرجوا منتظر منهم[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فهنا فرق بين الإسلام والإيمان.

ومما يستدل به القائلين بوجود الفرق بين مسمى الإيمان والإسلام آيات ذكر الله تعالى فيها امتداحه وثنائه على المؤمنين، وقد أوجب لهم الجنة مقابل إيمانهم بالله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣ – ٤٤] إلى غيرها من الآيات التي تعلق وصف المدح والثناء ووجوب دخول الجنة باسم المؤمنين.

وبعدما احتجوا بالآيات التي تثبت صفة المدح والثناء للمؤمنين وأن الله تعالى قد أوجب لهم بإيمانهم دخول الجنة والنجاة من النار كما ورد في الآيات السابقة، ذكروا أن في المقابل من يفعل الكبيرة فإن الله تعالى قد حرم عليه الجنة، وبالتالي قد زال عنه اسم الإيمان، وهذا لا يعني زوال اسم الإسلام عنه بل لا يزال اسم الإسلام ثابتاً له، ولأجل ذلك ذكروا أنه لم ترد آية في كتاب الله تعالى توجب المدح لمن ثبت له اسم الإسلام فقط وقد زال عنه اسم الإيمان، وأن من زال عنه اسم الإيمان بارتكابه للكبيرة لا يقتضي بالضرورة في نظرهم ثبوت الكفر له، ذلك لأن فاعل الكبيرة لم تخرجه كبيرته من الإسلام إلى الكفر بل أخرجته من الإيمان إلى الإسلام فقط، ذلك لأن معه أصل الإيمان الذي هو ضد الكفر وهذا الأصل ثابت له لم يزل بسبب فعل الكبيرة، لاسيما أن الإيمان له أصل وفرع فمن يفعل الكبيرة لم يزل عنه أصل الإيمان الذي هو ضد الكفر، و أنه ثبت للزاني والقاذف وشارب الخمر وكل من يرتكب الكبائر، في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك بإجماع المسلمين أنهم فساق، و لم يرد تسميتهم متقين مع أن فيهم أصل التقوى والورع، وإذا قيل كيف يكون فيهم أصل التقوى مع أنهم يرتكبون

---

(١) إبراهيم بن يزيد النخعي، يكنى أبا عمران كوفي ثقة، وكان مفتي الكوفة هو والشعبي في زمانهما، وكان رجلا صالحا فقيها متوقيا قليل التكلف، والأسود بن يزيد خاله ومات وهو مختف من الحجاج. معرفة الثقات: (٢٠٩/١).

(٢) تفسير ابن كثير: (٣٨٩/٧).

(٣) الايمان الاوسط: ص٢٢.

الكبائر؟، يجاب عن ذلك أن فيهم أصل التقوى، وذلك باتقائهم للكفر والشرك بالله تعالى وإتيانهم للمحارم فمع إتيانهم بالكبائر إلا أن معهم أصل التقوى.

ولو قيل أيضا ما المانع من تسميتهم متقين مادام أن معهم أصل التقوى؟، فقد أجابوا أن مرتكب الكبائر معه أصل التقوى وفرعه ثابت له، وكذلك اسم التقوى والورع اسم ثناء وتزكيه لا يطلق على فاعل الكبيرة مثل أن اسم الإيمان اسم ثناء وتزكية لا يستحق أن يطلق على مرتكب الكبيرة، فلذلك مرتكب الكبيرة هو مسلم وغير مؤمن(١).

طائفة أخرى من أصحاب الحديث كانوا يرون أن مرتكب الكبيرة الذي نفى عنه الرسول ﷺ اسم الإيمان في حديث: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» قالوا هو مسلم وسموه كافر، فإن قيل كيف يمكن أن يجتمع وصف الإسلام والكفر في وقت واحد وهما متضادان؟، أجابوا أن المقصود بالكفر الذي ثبت لمرتكب الكبيرة ليس المقصود منه كفر الجحود بل هو الكفر من جهة العمل فقط. لذلك فقد أقسم الرسول ﷺ بانتفاء الإيمان عمن لا يؤمن جاره بوائقه كما قال الرسول ﷺ: «والله لا يُؤمِنُ، والله لا يُؤمِنُ، والله لا يُؤمِنُ، قيلَ ومَنْ يا رسُولَ اللّهِ؟ قال: الذي لا يَأمَنُ جارُهُ بوائقه» (٢).

وقد استدلت هذه الطائفة بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] وقالوا أنه ليس الكفر المقصود به الكفر بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، وكان يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "ليس بالكفر الذي يذهبون إليه"(٣)، وأنه قال في موضع آخر: "كفر لا ينقل عن الملة"(٤).

ومما احتجوا به من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم:

حديث جبريل المشهور الذي رواه الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب قال: «بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي: (٢/٥١٣-٥١٥).
(٢) صحيح البخاري: (٥/٢٢٤٠) كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه.
(٣) ذكره المروزي في تعظيم قدر الصلاة: (٢/٥٢١).
(٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أمارتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق، فلبثت مليا، ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» (١).

فقد فسر النبي ﷺ الإسلام بغير ما فسر به الإيمان، فقال: «الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» . ثم فسر الإيمان وقال: «الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» . وفي هذا الحديث بين الرسول صلى الله عليه وسلم أصل الإيمان وهو التصديق الباطن والإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وحلو القدر ومره، وفيه كذلك بيان لأصل الإسلام، وهو الاستسلام والانقياد الظاهر بفعل الطاعات وترك المنكرات.

وكذلك الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان» (٢).

ومن حديث جبريل عليه السلام يتبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل الدين ثلاث مراتب: مرتبة الإحسان وهي أعلى المراتب، ثم تليها مرتبة الإيمان وهي أوسط المراتب، ثم مرتبة الإسلام. يقول ابن تيمية: "فكل محسن مؤمن وكل مؤمن مسلم وليس كل مؤمن محسنا ولا كل مسلم مؤمنا"(٣)، والأولى الرجوع إلى ما بينه الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم خروجا من النزاع وللوصول إلى الصواب الذي يخفى على كثير من الناس.

وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والرد إلى الله ورسوله في مسألة الإسلام والإيمان يوجب أن كلا من الاسمين وإن كان مسماه واجبا لا يستحق أحد الجنة إلا بأن يكون مؤمنا مسلما. فالحق في ذلك ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل فجعل الدين وأهله ثلاث طبقات: أولها: الإسلام وأوسطها الإيمان وأعلاها الإحسان، ومن وصل إلى العليا فقد وصل إلى التي تليها. فالمحسن مؤمن والمؤمن مسلم؛ وأما المسلم فلا يجب أن يكون مؤمنا"(٤).

فقد جعل رسول الله ﷺ الدين ثلاث مراتب أعلاها الإحسان وأوسطها الإيمان وأولها الإسلام، فالإحسان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه من الإيمان، والإيمان هو أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه

---

(١) أخرجه مسلم: (٩/٣٦/١) كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

(٢) رواه البخاري: (٧/١١/١) كتاب الايمان، باب بني الاسلام على خمس .

(٣) مجموع الفتاوى: (٧/٧).

(٤) مجموع الفتاوى: (٣٥٨/٧).

من الإسلام، فالإحسان يدخل فيه الإيمان والإيمان يدخل فيه الإسلام والمحسنون أخص من المؤمنين والمؤمنون أخص من المسلمين.

ومن الأحاديث التي يحتج بها القائلون بالفرق بين الإسلام والإيمان: قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن»[1]. قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "يخرج من الإيمان إلى الإسلام، فالإيمان مقصور في الإسلام، فإذا زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام"[2]. ومما يستدل به أصحاب هذا القول الحديث الذي رواه البخاري عن عامر بن سعد بن أبي وقاص[3] عن سعد[4] رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطا وسعد جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا هو أعجبهم إلي فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان ؟ فو الله إني لأراه مؤمنا، فقال: «أو مسلما، فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي، فقلت: مالك عن فلان فو الله إني لأراه مؤمنا؟، فقال: أو مسلما ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكبه الله في النار»[5]. فهذا الحديث من أبين ما يستدل به على التفريق بين الإسلام والإيمان حيث قيل للرسول صلى الله عليه وسلم أن الرجل مؤمن، فقال عليه السلام عنه إنه "مسلم" كررها مرارا. فدل على وجود فرق بين المسلم والمؤمن.

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فأجاب سعدا بجوابين: أحدهما: أن هذا الذي شهدت له بالإيمان قد يكون مسلما لا مؤمنا. الثاني: إن كان مؤمنا وهو أفضل من أولئك فأنا قد أعطي من هو أضعف إيمانا؛ لئلا يحمله الحرمان على الردة فيكبه الله في النار على وجهه. وهذا من إعطاء المؤلفة قلوبهم[6].

يقول ابن أبي العز الحنفي معلقاً على هذا الحديث: "فأثبت له الإسلام، وتوقف في اسم الإيمان، فمن قال: هما سواء كان مخالفاً، والواجب رد موارد التراع إلى الله ورسوله، وقد يتراءى في بعض النصوص معارضة ولا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة: (٥/٢١٢٠)، كتاب الأشربة، باب قول الله تعالى: " إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون".

(٢) رواه الخلال في السنة: (٣/٦٠٧)، وذكره شيخ الاسلام في الفتاوى: (٧/٣٧٣).

(٣) عَامر بن سعد بن أبي وَقاص مَالك بن وهيب بن عبد منَاف، وَقَالَ عَن الْهَيْثَم بن عدي إِنَّه مَاتَ بِالْمَدِينَةِ فِي زمن الْوَلِيد بن عبد الْملك. الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد: (٢/٥٥٥).

(٤) سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن أهيب، شهد بدراً والحديبية وسائر المشاهد وهو أحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى، وأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو عنهم راض، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة. الاستيعاب: (٢/٦٠٦).

(٥) صحيح البخاري: (١/١٨) كتاب الايمان، باب إذا لم يكُنْ الإِسْلَامُ على الحَقِيقَةِ وكان على الِاستِسْلَامِ أو الخَوْفِ من القَتْلِ.

(٦) مجموع الفتاوى: (٧/٤٧٤).

معارضة بحمد الله تعالى، ولكن الشأن في التوفيق"(١). وقد استدل الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعدة أحاديث من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم الثابتة في الصحيحين وفي السنن لبيان أن هناك فرق بين الإسلام والإيمان. منها الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمسْلِمُ من سلِمَ الْمسْلِمُونَ من لِسانِهِ ويَدِهِ، والْمُهَاجِرُ من هجَرَ ما نهى الله عنه» (٢).

فمن سلم المسلمون من لسانه ويده هو المسلم، ومن يمكن أن يؤتمن على الدماء والأموال هو المؤمن، ويقول ابن تيمية: "ومعلوم أن من كان مأمونا على الدماء والأموال؛ كان المسلمون يسلمون من لسانه ويده ولولا سلامتهم منه لما ائتمنوه"(٣)، وفي المسند عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الإسلام علانية والإيمان في القلب» (٤). وقد نقل ابن تيمية رحمه الله تعالى عن سفيان بن عيينة قوله: "كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه"(٥).

فصلاح الظاهر مرتبط بصلاح الأعمال القولية والفعلية الظاهرة، وصلاح الباطن مرتبط بصلاح الأعمال القولية والفعلية الباطنة.

وأرباب هذا القول من جمهور السلف والخلف قالوا أن الإسلام أوسع من الإيمان فيكون كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا، فإن من يفعل الكبائر من الزنا والسرقة وغيرها ليس كافراً وإنما خرج من دائرة الإيمان ومازال في دائرة الإسلام(٦).

فإن الإيمان المنفي عن هؤلاء الأعراب في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ هو نفسه المنفي عن فساق أهل القبلة الذين لا يخلدون في النار، فهم على معاصيهم معهم مثقال ذرة من الإيمان، وفي هذا الصدد يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ونفي هذا الإيمان لا يقتضي ثبوت الكفر الذي يخلد صاحبه في النار"(٧).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (٣٩٥/١).
(٢) صحيح البخاري: (١٣/١).
(٣) مجموع الفتاوى: (٧/٧).
(٤) مسند أحمد بن حنبل: (١٤٣/٣).
(٥) مجموع الفتاوى: (٩/٧).
(٦) الايمان الاوسط: ص٢٢. الايمان لابن منده: (١١٣/١).
(٧) الايمان الاوسط: ص٢٣.

ومما استدل به القائلون بالفرق بين الإسلام والإيمان، أن الاسم الواحد قد يشمل عدة مسميات عند الإفراد وإذا قرن الاسم بغيره اختص ببعض تلك المسميات والاسم المقرون به دال على باقيها مثل اسم الفقير والمسكين، وفي هذا يقرر ابن رجب أصلاً واضحاً فيقول: "أن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالا على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها، فهكذا اسم الإسلام والإيمان: إذا أفرد أحدهما، دخل فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي"(١).

ويدل على ذلك عندما فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان عند ذكره مفرداً في حديث وفد عبد القيس بما فسر به الإسلام مقروناً بالإيمان في حديث جبريل وفسر الإسلام بما فسربه الإيمان.

القول الثاني:

وهو قول جمع من أهل السنة والجماعة وأهل الحديث أمثال الإمام البخاري رحمه الله تعالى(٢)، والإمام محمد بن نصر المروزي، والإمام ابن عبد البر، القائلين بعدم وجود الفرق بين مسمى الإسلام والإيمان، حيث أن كلاهما متحدين في المعنى، وأن الإسلام هو الإيمان وأن الإيمان هو الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى لعباده وفرضه سبحانه وتعالى عليهم، وهذا الإسلام المفروض على الناس هو ضد الكفر الذي لا يرضاه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الزمر: ٧]، وهو قول منسوب إلى جمهور أهل السنة كما ذكر ذلك محمد بن نصر المروزي وابن عبد البر(٣).

قال الإمام ابن عبد البر: "أكثر أصحاب مالك على أن الإسلام والإيمان شيء. إلا أن الذي عليه جماعة أهل الفقه والنظر أن الإيمان والإسلام سواء، بدليل ما ذكرنا من كتاب الله عز وجل قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ – ٣٦]، وعلى القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور

(١) جامع العلوم والحكم: (١٩/٤)، انظر الإيمان الأوسط: ص١٢١.

(٢) عزاه الحافظ بن حجر إلى البخاري في مواضع من فتح الباري: (٧٩/١) و(٦٩/١).

(٣) تعظيم قدر الصلاة: (٥٢٩/٢)، والتمهيد لابن عبد البر: (٢٤٧/٩).

أصحابنا وغيرهم من الشافعيين والمالكيين، وهو قول داود وأصحابه، وأكثر أهل السنة والنظر المتبعين للسلف والأثر"(1).

والصحيح أن أكثر أهل السنة والجماعة هم من القائلين بوجود فرق بين الإسلام والإيمان، كما ذكر ذلك الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

أدلة القائلين بعدم وجود الفرق بين الإسلام والإيمان:

واستدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة منها:

قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ – ٣٦]

قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، وقد قال قتادة في الآية: قال: "منوا على النبي ﷺ حين جاءوا، فقالوا إنا أسلمنا بغير قتال، لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، وقال الله لنبيه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾"(2).

ومما استدل به أصحاب هذا القول: أن أنبياء الله تعالى الكرام قد رغبوا في الإسلام وسألوا ربهم الإسلام كما قال سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وكما قال سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقال تعالى حكاية عن وصية سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، يقول الإمام ابن منده(3) بعد ذكره للآيات التي تبين أن مسمى الإيمان والإسلام واحد: "فدل ذلك على أن من آمن فهو مسلم، وأن من استحق أحد الاسمين استحق الآخر إذا عمل بالطاعات التي آمن بها، فإذا ترك منها شيئا مقرا بوجوبها كان غير مستكمل، فإن جحد منها شيئا

(١) التمهيد لابن عبد البر: (٩/٢٤٧-٢٥٠).

(٢) ذكره المروزي في تعظيم قدر الصلاة: (٢/٥٣١).

(٣) وهو من القائلين بالترادف بين الإسلام والإيمان، انظر الإيمان لابن منده: (١/٣٢٣).

كان خارجا من جملة الإيمان والإسلام، وهذا قول من جعل الإسلام على ضربين إسلام يقين وطاعة، وإسلام استسلام من القتل والسبي"(١).

وقد ذكر هذه الأدلة عنهم الإمام المروزي ليبين أن مسمى الإيمان والإسلام واحد، لأن الله عز وجل مدح الإسلام بمثل ما مدح به الإيمان، وأخبر أنه دينه الذي ارتضاه، وأمر أهل الكتاب والأميين بالإسلام كما أمرهم بالإيمان، وأخبر أن الرسل والأنبياء، دعوا إلى الإسلام، وسألوه إياه، فلابد أن يكون كل مسلم مؤمناً(٢).

التحقيق في المسالة وكيفية الجمع بين النصوص

لا بد من تقرير قاعدتين:

القاعدة الأولى: أن اسم الإيمان له معنيان، معنى لغوي ومعنى شرعي. وكذلك الإسلام فإن له معنيان معنى لغوي و معنى شرعي(٣) قال أَبو بكر محمد بن بشار(٤): "يقال فلان مُسْلِمٌ، وفيه قولان أَحدهما: هو المُسْتَسْلِمُ لأَمر اللَّه، والثاني هو: المُخْلِصُ للَّه العبادة، من قولهم سَلَّمَ الشيءِ لفلان أَي خلصه سَلِمَ له الشيء أَي خَلَصَ له"(٥).

وأن الإسلام والإيمان متلازمان لا ينفكان عن بعضهما البعض، فإذا وجد الإسلام فلا بد من وجود الإيمان وإذا وجد الإيمان لابد من وجود الإسلام، لأن من يوجد منه التصديق بأركان الإيمان لا يكون مؤمناً حقاً إذا لم يوجد منه الأعمال والأقوال الظاهرة التي تدل على صدق إيمانه، فلا يمكن أن يوجد الإسلام إذا لم يتحقق أصل الإيمان فإذا انتفى أصل الإيمان بطل الإسلام، و لم يكن مؤمناً بل منافقاً يبطن الكفر ويظهر الإسلام، فإذا وجد الإسلام فهذا يعني تحقق الإيمان والتصديق في القلب إذ أن الإعمال والأقوال الظاهرة هي ثمرة التصديق القلبي. وأن مترلة الأعمال من الإيمان كمترلة القلب من الجسد. يقول أبو طالب المكي(٦): "ومثل الإيمان من الأعمال كمثل

---

(١) الإيمان لابن منده: (٣٢٣/١).

(٢) تعظيم قدر الصلاة: (٥٣٣/٢).

(٣) العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية: ص٣٥.

(٤) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، النحوي الإمام المشهور العلم المنشور كان أحفظ زمانه يقال إنه كان يحفظ مئة وعشرين تفسيرا بإسنادها، وعن أبي علي البغدادي قال: كان أبو بكر بن الأنباري يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شواهد في القرآن، وكان من الصالحين وله التصانيف المفيدة في النحو واللغة وأمال منها: كتاب الزاهر في اللغة، كتاب هاءات القرآن، وكتاب الأمالي، وكتاب غريب الحديث خمس وأربعون ألف ورقة، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب خلق الفرس، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ص٧١.

(٥) لسان العرب لابن منظور: (٢٨٩/١٢).

(٦) أبو طالب المكي: محمد بن علي بن عطية الحارثي، واعظ زاهد، فقيه. من أهل الجبل (بين بغداد وواسط) نشأ واشتهر بمكة. ورحل إلى البصرة فاتهم بالاعتزال. وسكن بغداد فوعظ فيها، فحفظ عنه الناس أقوالا هجروه من أجلها. وتوفي ببغداد(٣٨٦ هـ) من مؤلفاته (قوت القلوب) في التصوف، و(علم القلوب). الأعلام للزركلي: (٢٧٤/٦).

القلب من الجسم، لا ينفك أحدهما من الآخر، لا يكون ذو جسم حيّ لا قلب له، ولا ذو قلب لا جسم له؛ فهما سببان منفردان، وفي المعنى والحكم متصلان، ومثلهما أيضاً مثل حبة لها ظاهر وباطن وهي واحدة، لا يقال حبتان لتقارب وصفيهما، فكذلك أعمال الإسلام من الإيمان، الإسلام هو ظاهر الإيمان وهو أعمال الجوارح، والإيمان باطن الإسلام وهو أعمال القلوب"(١). وهذا الذي عناه السلف الصالح رضوان الله عليهم جميعاً بأنه دخول الأعمال الظاهرة في مسمى الإيمان، لذلك فسروا الإيمان بأنه اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح فإن كل ذلك من الإيمان.

وقد حكى الإمام الشافعي رحمه الله تعالى إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم على ذلك، وقد اشتد نكيرهم على من أنكر دخول الإعمال في مسمى الإيمان وإخراج العمل الظاهر من الإيمان، وممن أنكر هذا القول وهو إخراج العمل الظاهر عن مسمى الإيمان سعيد بن جبير وقتادة والنخعي والزهري والثوري و الأوزاعي وعمر بن عبد العزيز وغيرهم(٢).

وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار: "أما بعد: فإن الإيمان فرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان"(٣).

وقد ذكر صاحب معارج القبول موقف السلف الصالح ممن أخرج الأعمال الظاهرة من مسمى الإيمان وكيف كان نكيرهم عليهم وأنه مما تنازع فيه كثيراً، فقالوا: هل العمل الظاهر هو جزء من مسمى الإيمان أم خارج عنه؟(٤).

ومن المناسب ذكر أقوال بعض العلماء لبيان القول الفاصل في مسألة مسمى الإيمان ومسمى الإسلام، فقد ذكر الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى القول الفاصل في هذه المسألة حيث قال: "والتحقيق أنه تارة يدخل في الاسم وتارة يكون لازما للمسمى فإذا قرن الإيمان بالإسلام كان مسمى الإسلام خارجا عنه كما في حديث جبريل وإن كان لازما له وكذلك إذا قرن الإيمان بالعمل كما في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، فقد يقال: اسم الإيمان لم يدخل فيه العمل وإن كان لازما له؛ وقد يقال: بل دخل فيه وعطف عليه عطف الخاص على العام؛ وبكل حال فالعمل تحقيق لمسمى الإيمان وتصديق له

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد: (٢/٢١٦).
(٢) معارج القبول: (٢/٦٠٠)، والإيمان الأوسط: ص١٠٠.
(٣) نقلاً عن معارج القبول: (٢/٦٠١).
(٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

ولهذا قال طائفة من العلماء كالشيخ أبي إسماعيل الأنصاري(١) وغيره: "الإيمان كله تصديق فالقلب يصدق ما جاءت به الرسل، واللسان يصدق ما في القلب، والعمل يصدق القول كما يقال: صدق عمله قوله"(٢).

و قال أبو بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل: "قال كثير من أهل السنة والجماعة: إن الإيمان قول وعمل والإسلام فعل ما فرض الله تعالى على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضموما إلى الآخر فقيل المؤمنون والمسلمون جميعا مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم"(٣).

وهذا المعنى هو ما أشار إليه الإمام الخطابي في كتابه "معالم السنن" وكذلك تبعه عليه جمع من العلماء، وقول الخطابي هذا فقد نقله عنه عدد من العلماء في مؤلفاتهم حيث ذكر أن كثير من الناس قد غلط في فهم مسألة مسمى الإيمان والإسلام، وهل هما بمعنى واحد أو بمعنيين مختلفين؟، واحتجاج كلاً منهما بأدلة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقد ذكر بعد ذلك التحقيق في المسألة فقال: "والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الأحوال ولا يكون مؤمنا في بعضها والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها و لم يختلف شيء منها وأصل الإيمان التصديق وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد فقد يكون المرء مستسلما في الظاهر غير منقاد في الباطن وقد يكون صادقا في الباطن غير منقاد في الظاهر"(٤).

وقد شبه العلماء الإسلام والإيمان بالشهادتين في ارتباط بعضهما ببعض وعدم انفكاك أحدهما عن الآخر، فلا تصح شهادة الوحدانية بدون شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم وكلاهما مرتبط ببعض مثل: الإيمان والإسلام، فلا إسلام بلا إيمان، ولا إيمان بلا إسلام.

---

(١) عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن جعفر بن منصور شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي، الحافظ العارف من ولد أبي أيوب الأنصاري، قال عبد الغافر: كان إماماً كاملاً ومؤلفاً في التفسير حسن السيرة في التصوف، على حظ تام من معرفة العربية والحديث والتواريخ والأنساب قائما بنصر السنة والدين من غير مداهنة ولا مراقبة لسلطان ولا غيره، وقد تعرضوا بسبب ذلك إلى إهلاكه مرارا فكفاه الله شرهم، فسر القرآن زمانا وكان يقول: إذا ذكرت التفسير فإنما أذكره من مائة وسبعة تفاسير وله تصانيف منها: ذم الكلام، وكتاب منازل السائرين في التصوف، وكتاب الفاروق في الصفات، وكان آية في التذكير والوعظ، مولده سنة ست وسبعين وثلاثمائة، وكانت وفاته في شهر ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة. طبقات المفسرين: ص١٣٧-١٣٨.

(٢) الإيمان الأوسط: ص٩٩-١٠٠.

(٣) نقلاً عن معارج القبول: (٦٠٤/٢).

(٤) نقلاً عن شرح النووي على صحيح مسلم: (١٤٥/١)، انظر قوله أيضا في معارج القبول: (٦٠٤/٢).

وفي ذلك يقول أبو طالب المكي: "فمثل الإسلام من الإيمان كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى في المعنى والحكم، فشهادة الرسول غير شهادة التوحيد؛ فهما شيئان في الأعيان وإحداهما مرتبطة بالأخرى؛ فهما كشيء واحد، لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له"(١).

فإذا كانت أفعال الإنسان الظاهرة تدل على إسلامه لكنه في الباطن غير مسلم فهو المنافق، ومن كان في الظاهر لا يعمل بأحكام الإسلام وشرائعه فهو الكافر، أما من كان مؤمناً موحداً في الباطن عاملاً بأحكام الإسلام ظاهراً فهو المؤمن المسلم.

القاعدة الثانية: الاسم الواحد قد يُنفى ويثبت بحسب الأحكام المتعلقة به، فإن إثباته أو نفيه في حكم لا يعني أن يكون كذلك في سائر الأحكام، فمن كان مسلماً مؤمناً في الظاهر وهو ليس مؤمناً في الباطن لأن الله تعالى أحبط عمله فهو في الظاهر من المؤمنين وفي الباطن غير مؤمن.

وفي تقرير هذه القاعدة يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: " إن الاسم الواحد ينفى ويثبت بحسب الأحكام المتعلقة به فلا يجب إذا أثبت أو نفي في حكم أن يكون كذلك في سائر الأحكام، وهذا في كلام العرب وسائر الأمم لأن المعنى مفهوم. مثال ذلك المنافقون قد يجعلون من المؤمنين في موضع؛ وفي موضع آخر يقال: ما هم منهم، قال الله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٨ – ١٩].

فهنالك جعل هؤلاء المنافقين الخائفين من العدو الناكلين عن الجهاد الناهين لغيرهم الذامين للمؤمنين: منهم. وقال في آية أخرى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦]"(٢)، فهنا الآيات تتحدث عن المنافقين الذين كانوا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، وقد جاءت الآيات تارة ببيان أنهم ما كانوا من المؤمنين فقال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ وجاءت تارة أخرى أنهم من المؤمنين كما قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾، يقول ابن تيمية في هذه الآية: "فالخطاب لمن كان في الظاهر مسلما مؤمنا وليس مؤمنا بأن منكم من هو بهذه الصفة وليس مؤمنا بل أحبط الله عمله فهو منكم في الظاهر لا الباطن. ولهذا لما استؤذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل بعض المنافقين قال: "لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه" فإنهم من أصحابه في الظاهر عند من لا يعرف حقائق الأمور، وأصحابه الذين هم أصحابه

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد: (٢/٢١٦).

(٢) مجموع الفتاوى: (٧/٤١٩).

ليس فيهم نفاق كالذين علموا سنته الناس وبلغوها إليهم وقاتلوا المرتدين بعد موته والذين بايعوه تحت الشجرة وأهل بدر وغيرهم بل الذين كانوا منافقين غمرتهم الناس"(١).

وبعد بيان أقوال القائلين بوجود فرق بين الإسلام والإيمان وبيان أدلتهم، وكذلك من قال بعدم وجود فرق بين الإيمان والإسلام وأنهما بمعنى واحد وبعد بيان أدلتهم التي يستدلون بها يظهر لنا ما يلي:

أولا: أن الخلاف بين أصحاب هذين القولين خلاف لفظي و يسير، إذ أن كلاً منهما لا يخرجون العمل من مسمى الإيمان، بل يدخلون العمل في الإيمان، وأن كلاهما لا يخرجون أهل المعاصي من الإيمان إلى الكفر فمن يفعل المعاصي لا يخرج من الإيمان إلى الكفر، بل إن من يفعل الكبائر يخرج من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرج من الإسلام إلى الكفر. ومن ثم فالقولان متفقان على أن أهل الكبائر لا يستحقون اسم الثناء المطلق والوعد بالجنة، وأن ذلك لمن كمل إيمانه، أيضاً يتفقون على أن من لزمه اسم الإيمان من أهل الكبائر يدخل في خطاب الأمر والنهي وبه تجب الفرائض والحدود.

ثانياً: لقد ناقش الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى قول من يرى أن الإسلام والإيمان بمعنى واحد وأنهما لا يختلفان، وبين خطأهم وأن ما احتجوا به من الآيات والأحاديث هي حجة لهم لا حجة عليهم، حيث وضح أن من الأمور المتفق عليها أن المسلم الممدوح هو المؤمن الممدوح وأن من كان ناقص الإيمان والإسلام فهو مستحق للذم فهذا صحيح ولا اختلاف فيه.

وهذا ما قصده الإمام المروزي لكنه قصد أمراً آخر، وهو أن مسمى الإسلام هو مسمى الإيمان فهذا غير متفق عليه و لم ينقل عن أحد من السلف أو أحد من الصحابة أو التابعين، بل المشهور عنهم كما نقل ذلك ابن تيمية عنهم ذلك فقال: "أن المؤمن المستحق لوعد الله هو المسلم المستحق لوعد الله فكل مسلم مؤمن وكل مؤمن مسلم وهذا متفق على معناه بين السلف والخلف بل وبين فرق الأمة كلهم يقولون: إن المؤمن الذي وعد بالجنة لا بد أن يكون مسلما والمسلم الذي وعد بالجنة لا بد أن يكون مؤمنا وكل من يدخل الجنة بلا عذاب من الأولين والآخرين فهو مؤمن مسلم. فإن الإيمان مستلزم للإسلام باتفاقهم وليس إذا كان الإسلام داخلا فيه يلزم أن يكون هو إياه"(٢).

ثالثاً: أن الإمام المروزي مقصوده بالمساواة بين الإسلام والإيمان هو وجود التلازم بينهما وقد بين ابن تيمية أنه "لَيْسَ مَعَهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الإسلام يَسْتَلْزِمُ الْإِيمَانَ عِنْدَ الْإِطْلَاق، وحتى وإن سلمنا بأن الإسلام يستلزم الإيمان الواجب فهو صحيح من جهة أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَعَهُ الْإِيمَانُ الْوَاجِبُ وهذا متفق عليه، لكن من يقول أن

---

(١) مجموع الفتاوى: (٧/٤٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى: (٧/٣٦٦).

الإسلام والإيمان متلازمان بحيث يقتضي أن كلاً منهما يساوي الآخر فيكون الإسلام هو الإيمان ويكون الإيمان هو الإسلام فهذا غير صحيح، كمن يقول أن منزلة الإيمان من الإسلام كمنزلة الروح من الجسد فلا يكون البدن حياً إلا إذا كانت فيه الروح.

خلاصة القول: أن جميع الآيات التي احتج بها المروزي ومن سار على نهجه هي حجة عليهم لا حجة لهم، وهي دليل واضح على التفريق بين الإسلام والإيمان، وكذلك ليس فيها ما يدل على أن من استحق وصف الإسلام فقط فهو من أهل الجنة، ذلك لأن وعد الله تعالى بالجنة لمن تحقق فيهم وصف الإيمان والتصديق الباطن ثم ظهر ذلك التصديق القلبي على الجوارح والأعضاء، وهذا متفق عليه بين أهل الإسلام.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في معرض مناقشة أقوال المروزي: "أما قوله إن الله جعل الصلاة والزكاة من الدين، والدين عنده هو الإسلام فهذا كلام حسن موافق لحديث جبريل، ورده على من جعل العمل خارجا من الإسلام كلام حسن"(١).

وقال أيضا: "وأما قوله: إن الله سمى الإيمان بما سمى به الإسلام وسمى الإسلام بما سمى به الإيمان، فليس كذلك، فإن الله إنما قال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩]، ولم يقل قط إن الدين عند الله الإيمان؛ ولكن هذا الدين من الإيمان وليس إذا كان منه يكون هو إياه؛ فإن الإيمان أصله معرفة القلب وتصديقه وقوله؛ والعمل تابع لهذا العلم والتصديق ملازم له ولا يكون العبد مؤمنا إلا بهما. وأما الإسلام فهو عمل محض مع قول والعلم والتصديق ليس جزء مسماه لكن يلزمه جنس التصديق فلا يكون عمل إلا بعلم لكن لا يستلزم الإيمان المفصل الذي بينه الله ورسوله كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وسائر النصوص التي تنفي الإيمان عمن لم يتصف بما ذكره فإن كثيرا من المسلمين مسلم باطنا وظاهرا ومعه تصديق مجمل ولم يتصف بهذا الإيمان والله تعالى قال: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، قال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، ولم يقل: ومن يبتغ غير الإسلام علما ومعرفة وتصديقا وإيمانا، ولا قال: رضيت لكم الإسلام تصديقا وعلما فإن الإسلام من جنس الدين والعمل والطاعة والانقياد والخضوع؛ فمن ابتغى غير الإسلام دينا فلن يقبل معه والإيمان طمأنينة ويقين أصله علم وتصديق ومعرفة والدين تابع له يقال: آمنت بالله وأسلمت لله. قال

(١) يقصد الإمام ابن تيمية قول المروزي رحمه الله تعالى: "فمن زعم أن الإسلام هو الإقرار، وأن العمل ليس منه، فقد خالف الكتاب والسنة، ولا فرق بينه وبين المرجئة ؛ إذ زعمت أن الإيمان إقرار بلا عمل" تعظيم قدر الصلاة.

موسى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤]، فلو كان مسماهما واحدا كان هذا تكريرا"[1]. وبهذا يظهر أن الخلاف بين القولين هو خلاف لفظي ويسير، إذ أن كلا منهما لا يخرجون العمل من مسمى الإيمان، بل يدخلون العمل في الإيمان، وأن كلاهما لا يخرجون أهل المعاصي من الإيمان إلى الكفر فمن يفعل المعاصي لا يخرج من الإيمان إلى الكفر، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

موقف بعض فرق المتكلمين من قوله تعالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الذاريات:٣٥-٣٦]

تمهيد:

إن الأساس الأول الذي من أجله أرسل الله تعالى الرسل الكرام وأنزل من أجله الكتب وقامت عليه صولات الحق وجولاته هو الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، الذي جاءت جميع الكتب السماوية والأديان الربانية للدعوة إليه وتقرير هذا الأمر العظيم وبيانه أوضح البيان، وإفهام الناس بنواقضه وخوارمه، ومن ثَم بيان مآل أهل الإيمان ومآل أهل الكفر والعصيان، فهذا هو جماع الأمر ومناط التكليف والأصل العظيم الذي دعت لترسيخه نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الكريمة على وجه الخصوص، ولاشك أن نبينا الكريم بينه أتم البيان ووضحه بأوضح حجة وبرهان، ومن ثَم تبعه على ذلك صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم ثم السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم جميعاً، ومن تمام النعمة من عند الله تعالى أنهم اتفقوا على ما في خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة هذا الخير الذي أرشدهم إليه رب العالمين والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، لذلك من المناسب بيان الأصول العامة التي كانت معلومة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة بل معلومة من الدين بالضرورة، وبعد ذلك يتم بيان مواطن الاختلاف والفرقة التي حدثت بين المسلمين. فمما هو معلوم ومتفق عليه أن الناس كانوا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث أصناف، صنف مؤمن وصنف كافر مظهر للكفر وصنف منافق. كما دلت على ذلك آيات عديدة من كتاب الله تعالى.

قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة:١- ٥].

وقال تعالى في وصف الكفار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۞ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٦ – ٧].

---

(١) مجموع الفتاوى: (٧/٣٧٧- ٣٧٨).

وأما الآيات الواردة في وصف المنافقين والإخبار عنهم فهي كثيرة في كتاب الله تعالى منها قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۝ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٨٨ – ٩٠].

إلى غيرها من الآيات التي ذكر الله تعالى فيها الأقسام الثلاث من الناس الذين كانوا بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

أساس شبهة الخوارج والمعتزلة وكذلك المرجئة:

نجد أن كثيراً ممن كفَّر أهل الأهواء والمعاصي[1] لم ينتبهوا إلى ثلاث أمور وهي:

الأمر الأول: هو أنهم لم يميزوا بين الحكم الظاهر والباطن، وبناء على عدم تمييزهم لهذا الأمر وقعوا في خطر عظيم وهو تكفير أهل البدع و الأهواء، وهذا لا ينبغي التساهل فيه، إذ أن كثيراً من أهل البدع والأهواء لا يخلو من حالتين:

الأولى: إما أن يكون مؤمناً مخطئاً ضالاً عن بعض ما جاء به رسول الله.

الثانية: قد يكون منافقاً يظهر خلاف ما يبطن. وهذا الأصل هو ما أشار إليه ابن تيمية رحمه الله تعالى[2].

الأمر الثاني: لم يفطنوا أن ثمَّة فرق بين الإسلام والإيمان والإحسان، وهذا الفرق قد ذكره الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل المشهور[3] وفي غيره من الآيات والأحاديث.

الأمر الثالث: عدم تفريق المعتزلة والخوارج بين أهل الذنوب والمعاصي وبين المنافقين في أحكام الدنيا والآخرة في نفي الإسلام والإيمان عنهم، فعندهم أهل المعاصي وأهل الكبائر والمنافقين سواء في الأحكام الدنيوية والأخروية، وهذا لازم قولهم أن الإيمان والإسلام بمعنى واحد، وأن الاسم إذا انتفى جزء منه انتفى كله و لم يبقى معه شيء، فالإنسان بكبيرته لم ينقص إيمانه عندهم بل ينتفي بالكلية وإذا انتفى الإيمان انتفى الإسلام؛ لأنهم يقولون أن الإسلام و الإيمان سواء، وبالتالي يوجب انتفاء الإسلام الخروج من الدين الذي هو الإسلام كما قال الله تعالى

---

(١) يقصد بهم الخوارج والمعتزلة ومن تبعهم من المتكلمين.

(٢) الايمان الاوسط: ص١٨.

(٣) انظر: ص٣٨٤.

يقول: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، وهذه الآية يستدل بها القائلين بالمساواة بين الإسلام والإيمان، وإذا كان فعل المعاصي موجب للخروج من الإسلام في نظرهم لأن صاحب المعاصي قد خلا باطنه من جزء من الإيمان وهذا يوجب في نظرهم انعدام كامل الإيمان ومن ثم انتفى الإسلام عنه لانتفاء الإيمان، وهذا هو حال المنافق قد خلا باطنه من الإسلام فهو كافر باطناً لا ظاهراً، والمحصلة النهائية لقولهم أن يكون أهل الكبائر مثل أهل النفاق اتفقا في خلو الباطن من الإسلام وهذا يستوجب خلود أهل المعاصي في النار يوم القيامة كما يستحق أهل النفاق العذاب في دركات جهنم.

وقولهم هذا خلاف ما جاء به الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، يقول الإمام ابن القيم مبيناً ما بنت عليه المعتزلة شبهتهم في المساواة بين الإسلام والإيمان وما يترتب عليها: "لكن المعتزلة ظنت أنه إذا انتفى الإسم انتفت جميع أجزائه فلم يجعلوا معهم شيئا من الإيمان والإسلام فجعلوهم مخلدين في النار، وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف ولو لم يكن معهم شيء من الإيمان والإسلام لم يثبت في حقهم شيء من أحكام المؤمنين والمسلمين، لكن كانوا كالمنافقين. وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع التفريق بين المنافق الذي يكذب الرسول في الباطن وبين المؤمن المذنب. فالمعتزلة سووا بين أهل الذنوب وبين المنافقين في أحكام الدنيا والآخرة في نفي الإسلام والإيمان عنهم بل قد يثبتونه للمنافق ظاهرا وينفونه عن المذنب باطنا وظاهرا"(١).

فالمساواة بين المنافق وأهل المعاصي في أحكام الدنيا والآخرة لم يثبت في الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة، وإنما الثابت هو التفريق بينهما وهذا لم يقل به المعتزلة وغيرهم. وقد تنازع أهل العلم على اختلاف أصنافهم فيمن أثبت لهم القرآن والسنة الشريفة الإسلام دون الإيمان، مثل الأعراب الذين قال تعالى عنهم: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤]، وكذلك أهل سيدنا لوط عليه السلام الباقين في العذاب كما قال تعالى عنهم: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۞ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ – ٣٦].

وكذلك الذي أثبت له الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام دون الإيمان كما في الحديث الذي رواه البخاري عن عامر بن سعد ابن أبي وقاص عن سعد رضي الله عنه "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطا وسعد جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا هو أعجبهم إلي فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان ؟ فو الله إني لأراه مؤمنا، فقال: أو مسلما، فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي، فقلت: مالك عن فلان فو الله إني لأراه مؤمنا، فقال: أو مسلما ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) مجموع الفتاوى: (٧/٤٢٤).

ثم قال: يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكبه الله في النار"[١]. هل يمكن تسميتهم منافقون أظهروا الإسلام وفي الباطن كفار، أم أنهم ليسوا كفار في الباطن بل معهم بعض الإسلام المقبول؟.

فانقسم أهل العلم فيهم إلى قسمين:

القسم الأول: وهم من قال بالترادف بين الإسلام والإيمان وأنهما بمعنى واحد، وأن الإسلام المقبول هو الإيمان، وقالوا بأن هؤلاء الذين أثبت لهم القرآن والسنة الإسلام دون الإيمان هم مثل المنافقون الذين أظهروا الإسلام وانقادوا في الظاهر دون الباطن، وفي الباطن قد خلت قلوبهم من الإيمان. وأصحاب هذا القول يقولون أن الأعراب وزوجة سيدنا لوط عليه السلام الموجودة في البيت الباقية في العذاب ومن شهد له سعد بن أبي وقاص بالإيمان، هم مثل المنافقون استسلموا وانقادوا ظاهراً وليس في قلبهم شيء من الإيمان[٢].

القسم الثاني: وهم جمهور السلف والخلف القائلين بوجود فرق بين الإسلام والإيمان، فقالوا عن هؤلاء الأعراب وأهل بيت لوط عليه السلام والرجل الذي شهد له سعد بن أبي وقاص بالإيمان، قالوا أنهم ليسوا كفاراً في الباطن وإنما معهم بعض الإسلام المقبول، وأصحاب هذا القول جعلوا دائرة الإسلام أوسع من دائرة الإيمان، وأن من يرتكب الكبيرة يخرج من دائرة الإيمان إلى دائرة الإسلام[٣]، وانتفى عنهم الإيمان بكبيرتهم كما انتفى عن الإعراب، كما ذكر الله تعالى عنهم، وانتفاء الإيمان عنهم لا يقتضي بالضرورة دخولهم في الكفر.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ونفي هذا الإيمان لا يقتضي ثبوت الكفر الذي يخلد صاحبه في النار"[٤]، فأهل الكبائر ارتفعت عنهم مظلة الإيمان بسبب كبيرتهم ومعصيتهم، فهم ليسوا بالمؤمنين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٦٢]، وقال تعالى عنهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

فهؤلاء المؤمنون هم الصادقون حقاً، ومن البديهي أن لا يكون أهل الكبائر منهم، ففرق بين من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، ومن في قلبه الإيمان الكامل وتحقق نعت الإيمان الحقيقي فيهم.

---

(١) صحيح البخاري: (١٨/١) كتاب الايمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل.

(٢) الايمان الاوسط: ص ٢٠.

(٣) الايمان الاوسط: ص٢١.

(٤) الايمان الاوسط: ص٢٣، مجموع الفتاوى: (٤٧٨/٧).

إذن أهل الكبائر والأعراب وزوجة سيدنا لوط الباقية في العذاب والرجل الذي شهد له سعد بالإيمان ليسوا مؤمنين كاملين الإيمان كالذين قال تعالى فيهم: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤]، وكذلك هم ليسوا من المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنوا الكفر في الدنيا، وفي الآخرة مصيرهم مصير المنافق المحض في الدرك الأسفل من النار. وليسوا في حكم المنافقين.

إذن كيف يمكن تصنيف هؤلاء الأعراب وزوجة لوط عليه السلام ومن شهد له سعد بن وقاص رضي الله عنه بالإيمان؟:

الجواب كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فلا هم منافقون ولا هم من هؤلاء الصادقين المؤمنين حقا ولا من الذين يدخلون الجنة بلا عقاب. بل له طاعات ومعاص وحسنات وسيئات ومعه من الإيمان ما لا يخلد معه في النار وله من الكبائر ما يستوجب دخول النار. وهذا القسم قد يسميه بعض الناس: الفاسق الملي"[(١)].

إذن هم فساق لديهم طاعات ومعاصي ولديهم كبائر تستوجب دخولهم النار ولديهم إيمان يستوجب عدم تخليدهم في النار، وهذا النوع وهو "الفاسق الملي" هو أول ما تنازع الناس فيه في عهد علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بعد موقعة الجمل المشهورة ثم يوم صفين والحديث المشهور الذي تعج به كتب التاريخ وخروج الحرورية وبداية بدعتهم وتكفيرهم لمرتكب الكبيرة[(٢)].

قال الإمام ابن منده في معرض بيانه لاختلاف الناس في الإيمان: "وقالت الخوارج الإيمان فعل الطاعات المفترضة كلها بالقلب واللسان وسائر الجوارح"[(٣)].

ومن أصح الأحاديث الواردة في الخوارج ما جاء في البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فو الله لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة» "[(٤)].

---

(١) الايمان الاوسط: ص٢٣، مجموع الفتاوى: (٧/٤٧٨- ٤٧٩).

(٢) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: (٣/٥٨٨). تاريخ الطبري: (٣/١٠٥). ما روي من رفعهم –أي الحرورية– المصاحف ودعائهم إلى الحكومة. مروج الذهب: (٢/٢٧٩-٣١٤).

(٣) الايمان لابن منده: (١/٣٣١).

(٤) رواه البخاري: (٣/١٢٣١) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل: "وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر".

لذلك فإن سبب ظهور الخلاف بين أهل الإسلام في "حقيقة الإسلام و الإيمان" كان سبب ردة فعل للخلاف الأول الذي أحدثته الخوارج في عهد على بن أبي طالب.

أساس بدعتهم: اعتقادهم أن الناس إما مؤمنين أو كفار ولا يوجد غير ذلك، ومن يفعل الطاعات ويترك المعاصي فهو المؤمن يستحق الجنة، ومن يفعل الكبائر فهو كافر مخلد في النار، لذلك هم أول من كفَّر أهل القبلة بالذنوب واستحلوا دمائهم بناء على ذلك، وكفروا من يخالف قولهم، وكفروا علياً وعثمان رضي الله تعالى عنهم ظانين بأنهم حكموا بغير ما أنزل الله تعالى[1].

موقف الخوارج من أهل الكبائر أو "الفاسق الملي":

يقول الخوارج بتكفير مرتكب الكبيرة وأنه مخلد في نار جهنم يوم القيامة. وقد نقل أبو الحسن الأشعري قول الخوارج في أصحاب الذنوب قال: "أجمعت الخوارج على إكفار على بن أبى طالب رضوان الله عليه أن حكم وهم مختلفون هل كفره شرك أم لا، وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات فإنها لا تقول ذلك وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذابا دائما إلا النجدات[2]، أصحاب نجدة"[3].

وقد نقل الإمام الشهرستاني إجماع فرقهم على تكفير مرتكب الكبيرة وجواز خروجهم على الإمام الظالم فقال: "وكبار فرق الخوارج ستة: الأزارقة[4] والنجدات والعجاردة[5] والثعالبة[6] والإباضية[7]

(١) الايمان الاوسط: ص٢٩، الفصل في الملل والاهواء والنحل: (١٤٤/٤)، الفرق بين الفرق: ص٥٥، الملل والنحل للشهرستاني: (١١٣/١).

(٢) النجدات: هم اتباع نجدة بن عامر الحنفي، بايعوه وأكفروا من قال بإكفار القعدة منهم عن الهجرة إليهم وأكفروا من قال بإمامة نافع وأقاموا على إمامة نجدة. الفرق بين الفرق: ص٦٦-٦٧.

(٣) مقالات الاسلاميين: ص٨٦.

(٤) الأزارقة منهم هؤلاء اتباع نافع بن الازرق الحنفي، وكانت المحكمة الاولى يقولون إنهم كفرة لا مشركون ومن تعاليمهم أنهم أوجبوا امتحان من قصد عسكرهم إذا ادعى أنه منهم أن يدفع إليه اسير من مخالفيهم وأمروه بقتله فإن قتله صدقوه في دعواه أنه منهم وان لم يقتله قالوا هذا منافق ومشرك. الفرق بين الفرق: ص٦٢-٦٣، الفصل في الملل والاهواء والنحل: (٦٠/٤).

(٥) العجاردة من الخوارج أتباع عبد الكريم بن عجرد، وقد كانت العجاردة مفترقة عشر فرق يجمعها القول بأن الطفل يدعى إذا بلغ وتجب البراءة منه قبل ذلك حتى يدعى إلى الاسلام. الفرق بين الفرق: ص٧٢-٧٣، الفصل في الملل والاهواء والنحل: (١٤٥/٤).

(٦) من فرق الخوارج وهم: اتباع ثعلبة بن مشكان، والثعالبة تدعى إمامته بعد عبد الكريم بن عجرد. الفرق بين الفرق: ص٨٠، الفصل في الملل والاهواء والنحل: (١٤٥/٤).

(٧) الاباضية فرقة من فرق الخوارج وقد أجمعت على القول بإمامة عبد الله بن أباض وافترقت فيما بينها فرقا يجمعها القول بأن كفار هذه الامة يعنون بذلك مخالفيهم من هذه الأمة براء من الشرك والإيمان وأنهم ليسوا مؤمنين ولا

والصفرية(١) والباقون فروعهم، ويجمعهم القول بالتبرؤ من عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويقدمون ذلك على طاعة ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك، ويكفرون أصحاب الكبائر ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً"(٢).

المعتزلة:

وبعد الخوارج شاع في الأمة أمر المعتزلة الذين اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري(٣) وهم عمرو بن عبيد(٤) وواصل بن عطاء(٥)، ويلقبون بالقدرية والعدلية، وإن كان الخوارج قد حكموا على مرتكب الكبيرة أنه مخلد في النار ولا يخرج منها، إلا أهم قالوا عن مرتكبي الكبائر في الدنيا في مترلة بين المترلتين وصح عنهم تسمية مرتكب الكبيرة بأنه فاسق وليسوا مؤمنين ولا كافرين(٦).

موقف المعتزلة من أهل الكبائر:

مشركين ولكنهم كفار، واليزيدية منهم غلاة لقولهم بنسخ شريعة الاسلام في آخر الزمان. الفرق بين الفرق: ص٨٢-٨٣.

(١) اتباع زياد بن الأصفر وقولهم في الجملة كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم، والأزارقة يرون ذلك. وقد زعمت فرقة من الصفرية أن ما كان من الأعمال عليه حد واقع لا يسمى صاحبه إلا بالاسم الموضوع له كزان وسارق وقاذف وقاتل عمد، وليس صاحبه كافراً ولا مشركاً، وكل ذنب ليس فيه حد كترك الصلاة والصوم فهو كفر وصاحبه كافر. الفرق بين الفرق: ص٧٠-٧١، الفصل في الملل والاهواء والنحل: (١٤٥/٤).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني: (١١٣/١)

(٣) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الامة في زمنه. (٢١ - ١١٠ هـ) وهو أحد العلماء الفقهاء. ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. الأعلام للزركلي: (٢٢٦/٢).

(٤) عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري (٨٠ - ١٤٤ هـ) شيخ المعتزلة في عصره، ومفتيها، وأحد الزهاد المشهورين. اشتهر عمرو بعلمه وزهده وأخباره مع المنصور العباسي وغيره. له رسائل وخطب وكتب، منها التفسير والرد على القدرية. توفي بمران (بقرب مكة). الأعلام للزركلي: (٨١/٥).

(٥) واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة، من موالي بني ضبة أو بني مخزوم: رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين. (٨٠ - ١٣١ هـ) والمعتزلة يرون أن أفعال الخير من الله، وأفعال الشر من الانسان، وأن القرآن مخلوق محدث ليس بقديم، وأن الله تعالى غير مرئي يوم القيامة، وسمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري. ومنهم طائفة تنسب إليه، تسمى "الواصلية" وهو الذي نشر مذهب "الاعتزال" في الآفاق، وسموا معتزلة لأن واصل بن عطاء كان ممن يحضر درس الحسن البصري، فلما قالت الخوارج بكفر مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بأن مرتكب الكبائر مؤمن غير كافر وإن كان فاسقا، خرج واصل عن الفرقتين، وقال: إن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر. واعتزل مجلس الحسن، وتبعته جماعة، فعرفوا بالمعتزلة. الأعلام للزركلي: (١٠٨/٨-١٠٩)، نزهة الألباب في الألقاب: (٥٠/٢)، وفيات الاعيان: (٧/٦).

(٦) الإيمان الاوسط: ص ٢٩، الملل والنحل: (٤٢/١).

وقد وافقوا الخوارج في الأحكام الأخروية، وأن مرتكب الكبيرة خالد مخلد في نار جهنم، لكنهم خالفوهم أمرين هما:

الأول: في الأحكام الدنيوية التي تجرى عليه، فلم يحكموا بكفره و لم يستحلوا دمه.

الثاني: لم يوافقوهم في تسميته كافر، بل قالوا هو فاسق في مترلة بين المترلتين.

وقد نقل الإمام ابن حزم قول أحد شيوخ المعتزلة في مرتكب الكبيرة: "إن كل من مات من أهل الإسلام والإيمان المحض والاجتهاد في العبادة مصراً على كبيرة من الكبائر كشرب الخمر ونحوها وإن كان لم يواقع ذلك إلا مرة في الدهر فإنه مخلد بين أطباق النيران أبداً مع فرعون وأُبي وأبي جهل"[(١)].

قال الأشعري عنهم في المقالات: "وكانت المعتزلة بأسرها قبله[(٢)] إلا الأصم تُنكر أن يكون الفاسق مؤمناً، ونقول أن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر وتسميه مترلة بين المترلتين وتقول في الفاسق إيمان لا نسميه به مؤمنا وفى اليهودي إيمان لا نسميه به مؤمنا"[(٣)].

فإن الخوارج والمعتزلة يوافقون أهل السنة والجماعة في قولهم أن الإيمان قول وعمل، لكنهم يخالفونهم في كون الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فالإيمان عندهم شيء واحد إذا ذهب بعضه ذهب كله ولا يقولون بالاستثناء في الإيمان، ترتب على قولهم هذا بدعة أعظم منه وأشد خطراً ألا وهو اتحاد قولهم بخلود مرتكب الكبيرة في النار وأنه لا يخرج منها ولا يستحق الشفاعة.

قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ثم قالت الخوارج والمعتزلة: الطاعات كلها من الإيمان فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيمان فذهب سائره فحكموا بأن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان"[(٤)].

يقول الأشعري عنهم: "وأما الوعيد فقول المعتزلة فيه وقول الخوارج قول واحد لأنهم يقولون أن أهل الكبائر الذين يموتون على كبائرهم في النار خالدون فيها مخلدون غير أن الخوارج يقولون: إن مرتكبي الكبائر ممن ينتحل الإسلام يعذبون عذاب الكافرين، والمعتزلة يقولون أن عذابهم ليس كعذاب الكافرين"[(٥)].

ورغم اتفاق قول الخوارج والمعتزلة في حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة وأنه مخلد في نار جهنم ولا تلحقه الشفاعة، إلا أنهم اختلفوا في حكمهم عليه في الآخرة، حيث دعت الخوارج أنه كافر، لكن المعتزلة لم يحكموا عليه بالكفر بل قالوا أنهم فساق وفي مترلة بين مترلة الكفر والإيمان فهو في مترلة الفسق.

---

(١) الفصل في الملل والنحل: (١٤٩/٤).

(٢) أي: قبل الجبائي.

(٣) مقالات الاسلاميين: (٢٧٠/١).

(٤) مجموع الفتاوى: (٥١٠/١٠)، الايمان الاوسط: ص٥٨.

(٥) مقالات الإسلاميين: (١٢٤/١).

كلام الإمام ابن تيمية عن الفاسق الملي أو مرتكب الكبيرة:

قال شيخ الإسلام: "وأما أهل السنة والجماعة والصحابة والتابعون لهم بإحسان؛ وسائر طوائف المسلمين من أهل الحديث والفقهاء وأهل الكلام من مرجئة الفقهاء والكرامية والكلابية والأشعرية والشيعة مرجئهم وغير مرجئهم فيقولون: إن الشخص الواحد قد يعذبه الله بالنار ثم يدخله الجنة كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة، وهذا الشخص الذي له سيئات عذب بها وله حسنات دخل بها الجنة وله معصية وطاعة باتفاق فإن هؤلاء الطوائف لم يتنازعوا في حكمه؛ لكن تنازعوا في اسمه. فقالت المرجئة: جهميتهم وغير جهميتهم: هو مؤمن كامل الإيمان. وأهل السنة والجماعة على أنه مؤمن ناقص الإيمان ولولا ذلك لما عذب كما أنه ناقص البر والتقوى باتفاق المسلمين وهل يطلق عليه اسم مؤمن؟ هذا فيه القولان: والصحيح التفصيل. فإذا سئل عن أحكام الدنيا كعتقه في الكفارة. قيل: هو مؤمن وكذلك إذا سئل عن دخوله في خطاب المؤمنين. وأما إذا سئل عن حكمه في الآخرة. قيل: ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة بل معه إيمان يمنعه الخلود في النار ويدخل به الجنة بعد أن يعذب في النار إن لم يغفر الله له ذنوبه، ولهذا قال من قال: هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان، والذين لا يسمونه مؤمنا من أهل السنة ومن المعتزلة يقولون: اسم الفسوق ينافي اسم الإيمان"(١).

فأهل السنة والجماعة يرون أن مرتكب الكبيرة هو مؤمن ناقص البر والإيمان والتقوى، فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أما قول المرجئة عنه فهم يرون أنه مؤمن كامل الإيمان، فلم يكن لوجود العمل أو عدمه أي معنى، أو تعلق الحكم الشرعي به، فسواء قام بالعمل أو لم يقم به فإن الحكم الشرعي غير متعلق به، وهو عندهم مؤمن كامل الإيمان، يلزم من قول المرجئة خروج العمل عن مسمى الإيمان، وثبوت اسم المؤمن لمن أسقطت في حقه التكاليف الشرعية. أما المعتزلة فهم يرون أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين.

وقال أيضا عن موقف أهل السنة من الفاسق الملي: "ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان. وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته؛ فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم"(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى: (٣٥٥/٧، ٣٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى: (١٥٢/٣، ١٥١).

جماع قول الخوارج والمعتزلة وأساس شبهتهم:

أن الإيمان مرتبة واحدة، ويترتب على قولهم هذا أنه إذا انتفى بعض الإيمان بفعل الكبائر انتفى كله حيث أن الناس في نظرهم إما مؤمن كامل الإيمان أو كافر يستحق الخلود في النار، وأنه ما ثَم إلا مؤمن محض أو كافر محض، واستحال أن يجتمع في الشخص الواحد إيمان وكفر في الوقت نفسه، ولا يقولون أنه إذا انتفى بعض الإيمان بقي بعضه.

وهذا هو أساس التراع بين الفرق المخالفة لأهل السنة وهو شعارهم الذي يخالف شعار أهل السنة القائلين بأن الإيمان يزيد وينقص و لم يؤثر عنهم القول بأن الإيمان حقيقة واحدة أو مرتبة واحدة.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى في بيان أساس شبهة الفرق المخالفة: "وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم أهم جعلوا الإيمان شيئا واحدا إذا زال بعضه زال جميعه وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه"(١).

بيان بطلان مذهب الخوارج والمعتزلة من الكتاب والسنة:

لا شك أن قول الخوارج والمعتزلة منكر ومخالف لما عليه أهل السنة، إذ أهما وردت النصوص من الكتاب والسنة على خروج أهل الكبائر من النار، وأن الله تعالى يغفر الذنوب ما دون الشرك.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، ففي هذه الآية رد على الوعيدية من الخوارج والمعتزلة القائلين بخلود أهل الكبائر في النار، وأن أصحاب الذنوب لا يغفر لهم كما قال تعالى: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ وفيه رد أيضاً على الوعيدية وهم المرجئة القائلين أنه لا يضر مع الإيمان معصية ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

وقد تواترت النصوص على إثبات الشفاعة لأصحاب الكبائر، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير"(٢).

إجماع أهل السنة والجماعة على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر بكبيرته، وأنه تحت المشيئة الإلهية في يوم القيامة، إن شاء غفر الله تعالى له ذنوبه وإن شاء عذبه، وأنه إذا تاب إلى الله تعالى يغفر الله تعالى له ذنوبه كما قال

---

(١) مجموع الفتاوى: (٥١٠/٧)، الإيمان الأوسط: ص٥٨، الايمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين: (١٨٧/١).

(٢) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم: (٤١٧/٢).

تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ينبغي أن يعرف أن القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلة عليه أحد من أهل السنة هو القول بتخليد أهل الكبائر في النار؛ فإن هذا القول من البدع المشهورة وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان؛ وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان واتفقوا أيضا على أن نبينا صلى الله عليه وسلم يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبائر من أمته. ولهذا كان أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل وجمهورهم يقولون: يزيد وينقص"[(١)]، فهذا هو الفرق الجوهري بين أهل السنة وأهل البدع من الخوارج والمعتزلة، وهو القول بخلود أهل الكبائر في النار، نافين ومنكرين أمرا معلوم من الدين بالضرورة وهو ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنهم لا يخلدون في نار جهنم، بل يخرجون منها بفضل شفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لهم.

ويقول ابن أبي العز شارح الطحاوية: "إن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة لكان مرتداً يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر! وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام. ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة، فإن قولهم باطل أيضا؛ إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخا لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب. ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد. وقد ثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه"[(٢)]. فالنصوص كثيرة في كتاب الله تعالى على بيان أن أهل المعاصي في الدنيا لا يعاملون معاملة الكافر أو المرتد، وبالتالي فهو لا يخرج من مسمى الإيمان، بل معه من الإيمان ما يجعله يكون في دائرة المؤمنين في الدنيا، والمشمولين بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة، ولو كان كافراً كما حكم عليه أهل البدع لكان مستحقاً لما يستحقه الكافر والمرتد من العذاب في الدنيا والآخرة.

---

(١) مجموع الفتاوى: (٧/٢٢٢/٢٢٣).

(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: (٢/٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٥).

وقد وقف أهل السنة موقفاً وسطاً بين الوعيدية[1] القائلين بتكفير مرتكب الكبيرة وبين الوعدية[2] المكذبون بالوعيد والعقاب، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى في بيان منهج أهل السنة المتوسطين بين الإفراط والتفريط: "وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد الوعيد وسط بين الوعيدية؛ الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار ويخرجونهم من الإيمان بالكلية ويكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم. وبين المرجئة الذين يقولون: إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان. ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية. فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة وأنهم لا يخلدون في النار. بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان أو مثقال خردلة من إيمان وأن النبي صلى الله عليه وسلم ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته"[3].

ولا يمكن الجمع بين قول أهل السنة وقول المبتدعة من الخوارج والمعتزلة وغيرهم لأن الأساس غير متفق عليه بين الجميع، ففرق بين من يقول أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي وبين من يقول الإيمان حقيقة واحدة وأن العمل لا يكون محبوباً من وجه ومكروهاً من وجه آخر. ولا شك أن هذا القول منهم منكر ومبدع وغير مقبول شرعاً وعقلاً، وقد حكى السلف ببطلانه وممن تصدى لبدعتهم ورد عنهم بأحسن رد وجادلهم بأحسن بيان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بما أورده من نصوص من الكتاب والسنة تبين فساد قولهم وما ذهبوا إليه[4].

ومما يقول به الخوارج والمعتزلة في مسائل الإسلام والإيمان أنهما شيء واحد، نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وآخرون يقولون: الإيمان والإسلام سواء وهم المعتزلة والخوارج وطائفة من أهل الحديث والسنة وحكاه محمد بن نصر عن جمهورهم وليس كذلك"[5]. أي أن معنى الإسلام هو معنى الإيمان وأن كل مسلم هو مؤمن، وأن كل مؤمن هو مسلم، وقد احتجت المعتزلة بقوله تعالى في قصة قوم لوط عليه السلام: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ – ٣٦]، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: "احتج بهذه الآية من ذهب إلى رأي المعتزلة، ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام؛ لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين"[6].

---

(١) المقصود بهم الخوارج والمعتزلة.

(٢) المقصود بهم المرجئة.

(٣) مجموع الفتاوى: (٣/٣٧٤، ٣٧٥).

(٤) الايمان الاوسط: ص٢٧.

(٥) مجموع الفتاوى: (٧/٤١٤).

(٦) تفسير ابن كثير: (٧/٤٢٢).

وقبل التطرق إلى وجه استدلال من يقول بالمساواة بين الإيمان والإسلام بهذه الآية من المعتزلة وغيرهم، ومناقشة قولهم، سوف أوضح أقوال المفسرين في معنى الآية وما ورد فيها من آثار، والقول الراجح في معنى الآية كما ذكره ابن تيمية رحمه الله تعالى، وإنما أرجأت تفصيل القول في هذه الآية رغم أنها وثيقة الصلة بغيرها من الآيات التي يحتج بها القائلين بالمساواة بين الإسلام والإيمان، وذلك لأنها تخبر عن أهل بيت سيدنا لوط عليه السلام الباقين في العذاب، من أجل ذلك أردت أن أستوفي الشرح في هذه الآية وأبين القول الصواب في معناها.

الآثار الواردة في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾:

روى ابن جرير بسنده عن قتادة في معنى الآية: قال: "لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم الله، ليعلموا أن الإيمان عند الله محفوظ لا ضيعة على أهله"(١). وروى ابن جرير بسنده عن ابن زيد قال: "هؤلاء قوم لوط لم يجدوا فيها غير لوط"(٢).

وروى ابن جرير أيضاً بسنده عن أبو الحيل الأشجعيّ قال الله: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي: "لوطا وابنتيه، قال: فحلّ بهم العذاب، قال الله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾"(٣).

معنى الآية: اختلفت أقوال المفسرين في معنى الآية الكريمة، فمن غاير بين معنى الإسلام والإيمان ذكر أن الباقين والموجودين في العذاب غير المخرجين الناجين من العذاب، بخلاف من ساوى بين الإسلام والإيمان وجعل كلاً منهما يدل على الآخر وأنهما بمعنى واحد، فإنه يقول إنَّ المخرجين من القرية الناجين من العذاب من المؤمنين هم نفسهم المسلمين الموجودين في بيت آل لوط. وقد روى ابن جرير رحمه الله تعالى عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال: "هؤلاء قوم لوط لم يجدوا فيها غير لوط"(٤). فهذه الرواية عن ابن زيد تبين أن من كتب الله له الخروج من القرية من المؤمنين هم الموجودين من المسلمين والمقصود سيدنا لوط عليه السلام كما دلت الرواية، وكذلك ما رواه ابن جرير عن أبي المثنى ومسلم أبو الحيل الأشجعيّ(٥).

---

(١) جامع البيان: (٧٦٢٩/٩)، والسيوطي في الدر المنثور: (٦٢٠/٧) وعزاه إلى ابن النذر عن قتادة.

(٢) جامع البيان: (٧٦٢٩/٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٤٨/١٧).

(٣) جامع البيان: (٧٦٢٩/٩)، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره: (٣٣١٢/١٠)، عن مجاهد، و بنحوه ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: (١٧٩/٥)، والبغوي في معالم التنزيل: (٣٧٧/٧).

(٤) جامع البيان: (٧٦٢٩/٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٤٨/١٧).

(٥) جامع البيان: (٧٦٢٩/٩)، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره: (٣٣١٢/١٠)، المحرر الوجيز: (١٧٩/٥)، معالم التنزيل: (٣٧٧/٧).

فإذا كان المقصود أن من كتب الله تعالى له الخروج من القرية هم المؤمنين، وأنه لم يوجد غير بيت من المسلمين وهم بيت لوط عليه السلام وفيه لوط وابنتيه كما روى ذلك ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد أن المقصود بالمسلمين الباقين الموجودين هم سيدنا لوط وابنتاه. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير أنه قال: كانوا ثلاثة عشر[1]،

وقد ذكر الألوسي: أن ابن أبي حاتم قد استدل بهذه الآية على اتحاد الإسلام والإيمان للاستثناء المعنوي. فإنه يلزم من ذلك أن يكون سيدنا لوط وابنتاه ممن حل بهم العذاب كما في الرواية التي ذكرها ابن جرير عن أبي المثنى وأبي الحيل الأشجعي، وهذا لازم قول من يقول بالمساواة بين الإسلام والإيمان. فإن من يقول إن الإيمان والإسلام بمعنى واحد ومن ثمَ يحتج بآية الذاريات يلزمه أمران:

الأول: إذا قال إن المخرجين من القرية هم سيدنا لوط وابنتيه ومن كان معه من المؤمنين، وقيل: أن عددهم ثلاثة عشر كما روي عن سعيد بن جبير فيكون المخرج هم أهل بيت واحد[2].

الثاني: أن يكون المخرجون من القرية هم المؤمنين، والمؤمنون والمسلمون سواء عند من يقول بالمساواة فيكون المسلمون الموجودون هم سيدنا لوط وابنتيه. كما روى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد ذلك، وأن الموجودين في القرية قد شملهم العذاب فيكون سيدنا لوط وابنتيه ممن حل بهم العذاب وهذا لازم قولهم. وهذا غير صحيح لأن من قال كذلك قد فهم أن الآية تدل على وجود المساواة بين الإسلام والإيمان وليس كذلك، وعند التأمل في الآية نجد أن الله سبحانه وتعالى يبين ما امتن به من النجاة على سيدنا لوط وابنتيه وعدم لحوق العذاب بهم وخروجهم من القرية التي نزل بها العذاب بأمر من الله تعالى، وهؤلاء الناجون قد تحقق فيهم نعت الإيمان المطلق فوصفهم الله تعالى بقوله "من المؤمنين" ومن كان من الموجودين والباقين في العذاب هم من لحقهم وصف الإسلام بشهادة الآية كما قال تعالى "من المسلمين" وهؤلاء قد تحقق فيهم وصف مطلق الإيمان وهم بيت لوط عليه السلام.

والمقصود زوجته هي من أهل بيته لكنها بقيت في العذاب مع غيرها من المعذبين و لم تكن من المخرجين، وهؤلاء الذين كتب الله تعالى لهم البقاء في القرية وقدر عليهم عدم الخروج من العذاب لو كانوا من المؤمنين الصادقين المصدقين بدعوة سيدنا لوط عليه السلام لكانوا من الناجين، حيث إن سبب النجاة من العذاب هو الإيمان فقط دون أي اعتبارات أخرى، ولو كان هناك قيمة أو اعتبار لصلة الزوجية بين سيدنا لوط وزوجته لكتب الله تعالى لها النجاة مع زوجها لوط عليه السلام وابنتيه، إلا أنها كانت من الباقين في العذاب بسبب عدم تحقق الإيمان فيها، وليس من المعقول أن يخطر ببال بشر أن يكون سبب هلاكها هو خيانتها في الفراش؛ لأنه ما بغت امرأة نبي

---

(١) تفسير الالوسي: (١٤/٢٧).

(٢) تفسير الالوسي: (٣٩٠/١٩).

قط، لكن خيانتها في الدين هي سبب استحقاقها للعذاب، والظاهر من أمرها الإسلام وما يخفى من أمرها الخيانة في الدين ودلالاتها لقومها على الأضياف وسعيها لنشر الفاحشة، لذلك لم يستوِ ظاهرها مع باطنها وبالتالي تحقق فيها الإسلام دون الإيمان وفيها أيضاً مطلق الإيمان دون الإيمان المطلق وفرق بين الاثنين[1].

وهذا المعنى ما قصده قتادة بقوله: "لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم الله، ليعلموا أن الإيمان عند الله محفوظ لا ضيعة على أهله"[2]. فمن الواضح أن سبب النجاة هو الإيمان وهو محفوظ لأهله ولا يضيع الله أجر المحسنين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠]، وفي المقابل يكون سبب العذاب هو انعدام الإيمان وعدم التصديق، فكانوا من الموجودين في القرية التي حل بها العذاب، وإلى نفس ما قال ابن جرير بأن الآية تدل على وجود الفرق بين الإسلام والإيمان مال ابن كثير رحمه الله تعالى حيث قال: "وعندنا أن كل مؤمن مسلم لا ينعكس، فاتفق الاسمان هاهنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال"[3]، يلزم قوله رحمه الله تعالى الإقرار بوجود المغايرة بين الإسلام والإيمان وأن من كتب الله لهم النجاة هم غير من كتب الله لهم البقاء في العذاب ومنهم زوجة لوط، وقد احتج بهذه الآية المعتزلة[4] ومن حذا حذوهم من المفسرين القائلين بالمساواة بين الإسلام والإيمان أمثال الزمخشري وغيره، يقول الزمخشري في معنى الآية: "وفيه دليل على أنّ الإيمان والإسلام واحد"[5].

والى هذا القول مال الإمام الرازي وذكر وجود عموم وخصوص بين الإسلام والإيمان وأن الإسلام أعم من الإيمان والإيمان أخص منه فقال: "والدلالة على أن المسلم بمعنى المؤمن ظاهرة، والحق أن المسلم أعم من المؤمن وإطلاق العام على الخاص لا مانع منه، فإذا سمي المؤمن مسلماً لا يدل على اتحاد مفهوميهما، فكأنه تعالى قال: أخرجنا المؤمنين فما وجدنا الأعم منهم إلا بيتاً من المسلمين؛ ويلزم من هذا أن لا يكون هناك غيرهم من المؤمنين، وهذا كما لو قال قائل لغيره: من في البيت من الناس؟ فيقول له: ما في البيت من الحيوانات أحد غير زيد، فيكون مخبراً له بخلو البيت عن كل إنسان غير زيد"[6]، فهو قد بين وجود عموم وخصوص بين الإسلام والإيمان وهذا

---

(١) يجدر الاشارة إلى بيان الفرق بين الايمان المطلق ومطلق الايمان: قال ابن القيم في بيان الفرق بين الاثنين: "فالإيمان المطلق لا يطلق إلا على الكامل الكمال المأمور به، ومطلق الإيمان يطلق على الناقص والكامل، ولهذا نفى النبي المطلق عن الزاني وشارب الخمر والسارق و لم ينف عنه مطلق الإيمان لئلا يدخل في قوله تعالى: ﴿والله ولى المؤمنين﴾، ولا في قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنين﴾ وقال أيضاً: "والمقصود الفرق بين الإيمان المطلق ومطلق الإيمان، فالإيمان المطلق يمنع دخول النار ومطلق الإيمان يمنع الخلود فيها". بدائع الفوائد لابن القيم: (٨٢١/٤،٨٢٢).

(٢) جامع البيان: (٧٦٢٩/٩)، الدر المنثور: (٦٢٠/٧) وعزاه إلى ابن النذر عن قتادة.

(٣) تفسير ابن كثير: (٤٢٢/٧).

(٤) ذكر ذلك عنهم ابن كثير رحمه الله تعالى: (٤٢٢/٧).

(٥) الكشاف للزمخشري: (٤١٥/٦).

(٦) تفسير الرازي: (٣٠٣/١٤)، اللباب في علوم الكتاب: (٣٩٢/١٤)، تفسير البغوي: (٣٧٧/٧).

صحيح فالإسلام أعم من الإيمان ولكن هذا العموم لا يلزم منه المساواة بين الإسلام والإيمان فيكون من خرج من القرية هم المؤمنين وهم أيضاً المسلمون الباقين في العذاب.

أما استدلال المعتزلة بهذه الآية "فأخرجنا" على اتحاد معنى الإسلام والإيمان فهو لازم مذهبهم، حيث علمنا أن المعتزلة تقول أن الإيمان قول وعمل وهذا وافقوا فيه أهل السنة، لكنهم خالفوهم القول في أن الذي يرتكب الكبيرة في الدنيا في مترلة بين المترلتين أي بين مترلة الإيمان ومترلة الكفر وأنه في الآخرة مخلد في نار جهنم، فإن من يرتكب أي كبيرة في نظرهم ليس كافراً ولا مؤمناً بل في مترلة بينهم وأنه بكبيرته انتفى عنه الإيمان وبما أنه انتفى عنه الإيمان بكبيرته على حد قولهم فيلزم منه انتفاء الإسلام لأنهم يقولون الإيمان والإسلام سواء، فإذا انتفى الإيمان انتفى الإسلام، وفي المقابل إذا ثبت الإسلام ثبت له الإيمان وهذا وجه استدلالهم بالآية على وجود مساواة بين الإسلام والإيمان.

قال ابن تيمية عنهم: "وقد ظن طائفة من الناس أن هذه الآية تقتضي أن مسمى الإيمان والإسلام واحد. وعارضوا بين الآيتين"(١).

والتحقيق في المسألة كما ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وليس كذلك؛ بل هذه الآية توافق الآية الأولى لأن الله أخبر أنه أخرج من كان فيها مؤمنا وأنه لم يجد إلا أهل بيت من المسلمين. وذلك لأن امرأة لوط كانت في أهل البيت الموجودين و لم تكن من المخرجين الذين نجوا؛ بل كانت من الغابرين الباقين في العذاب وكانت في الظاهر مع زوجها على دينه وفي الباطن مع قومها على دينهم خائنة لزوجها تدل قومها على أضيافه. كما قال الله تعالى فيها: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠]، وكانت خيانتهما لهما في الدين لا في الفراش. فإنه ما بغت امرأة نبي قط؛ إذ "نكاح الكافرة" قد يجوز في بعض الشرائع ويجوز في شريعتنا نكاح بعض الأنواع وهن الكتابيات وأما "نكاح البغي" فهو: دياثة. وقد صان الله النبي عن أن يكون ديوثا. ولهذا كان الصواب قول من قال من الفقهاء: بتحريم نكاح البغي حتى تتوب"(٢).

وقال أيضا: "والمقصود أن امرأة لوط لم تكن مؤمنة و لم تكن من الناجين المخرجين فلم تدخل في قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وكانت من أهل البيت المسلمين وممن وجد فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. وبهذا تظهر حكمة القرآن حيث ذكر الإيمان لما أخبر بالإخراج، وذكر الإسلام لما أخبر بالوجود".

---

(١) الايمان الاوسط: ١٩، مجموع الفتاوى: (٤٧٣/٧).

(٢) الايمان الاوسط: ص١٩.

وأيضا فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ" فَفَرَّقَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا﴾[1]، فلآية واضحة الدلالة على وجود الفرق بين الإسلام والإيمان، فحينما ذكر الله تعالى المسلمين عبر عنهم بالموجودين، وحينما ذكر المؤمنين عبر عنهم بالمخرجين الناجين من العذاب، وفرق بين الناجين المخرجين من العذاب، وبين الباقين الموجودين في العذاب.

وقد تحدث الإمام ابن كثير عن استدلال المعتزلة بآية : ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وقال: "وهذا الاستدلال ضعيف؛ لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم لا ينعكس، فاتفق الاسمان هاهنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال"[2].

ووافقه الألوسي في هذا المعنى حيث قال: "فالاستدلال بها على اتحادهما ضعيف، نعم تدل على أنهما صفتا مدح من أوجه عديدة استحقاق الإخراج واختلاف الوصفين وجعل كل مستقلاً بأن يجعل سبب النجاة وما في قوله تعالى: "مَن كَانَ" أولاً، و "غَيْرَ بَيْتٍ" ثانياً من الدلالة على المبالغة، فإن صاحبهما محفوظ "مَن كَانَ" وأين كان إلى غير ذلك"[3].

مما سبق يظهر لنا أن الآية: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ واضحة الدلالة على وجود الفرق بين الإسلام والايمان، حيث ذكر الله تعالى الإيمان حينما أخبر بالإخراج، وذكر الإسلام حينما أخبر بالوجود، ولا شك أن هناك فرق بين المخرجين وبين الموجودين، فزوجة النبي لوط عليه السلام كانت من الباقين في العذاب، و لم تكن من الناجين المؤمنين.

---

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٢) تفسير ابن كثير: (٧/٤٢٢).

(٣) تفسير الألوسي: (١٩/٣٩٠).

الفصل السادس

قصة لوط عليه السلام في أسفار التوراة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نظرة مجملة في الأسفار التوراتية، وقصة لوط عليه السلام في أسفار التوراة

المبحث الثاني: ما ورد عن قصة سيدنا لوط عليه السلام في سفر التكوين

المبحث الأول: نظرة مجملة في الاسفار التوراتية

- نظرة مجملة في أسفار اليهود المعتمدة عندهم
- تحريف اليهود لأسفارهم كما جاء في القرآن الكريم

المبحث الثاني: ما ورد عن قصة سيدنا لوط عليه السلام في سفر التكوين وفيه مطالب:

المطلب الأول: صفات سيدنا لوط عليه السلام كما جاءت في نصوص العهد القديم

المطلب الثاني: موقف التوراة من النبي لوط عليه السلام

أولاً: هجرة سيدنا لوط مع إبراهيم عليهما السلام

ثانياً: افتراق سيدنا لوط عن سيدنا إبراهيم عليهما السلام بعد عودهم من مصر

ثالثاً: سيدنا لوط يصبح أسيراً

رابعاً: مجيء الملائكة إلى إبراهيم ثم إلى لوط عليهما السلام

خامساً: أمر الملائكة لسيدنا لوط بالخروج والفرار من القرية مع أصهاره وبنيه وبناته وكل من له في القرية

سادساً: حلول العذاب على قوم سدوم

المطلب الثالث: موقف التوراة من دعوة لوط عليه السلام قومه إلى التوحيد

المطلب الرابع: تصوير التوراة لموقف سيدنا لوط من الفاحشة في قومه ومناقشته

١.عدم استنكار سيدنا لوط عليه السلام على قومه فعل الفاحشة

٢.لوط عليه السلام في التوراة يعرض بناته للفاحشة

٣.الافتراء على النبي لوط عليه السلام واتهامه بارتكاب الفاحشة مع ابنتيه

٤. تخرص اليهود وافترائهم في قصة لوط يظهر من عدة جوانب

الفصل السادس: قصة لوط عليه السلام في أسفار التوراة

المبحث الأول: نظرة مجملة في الاسفار التوراتية.

معنى التوراة في اللغة:

عرفها علماء اللغة بأنها الكتاب المنزل على سيدنا موسى عليه السلام، وتسمى عند أهل الكتاب بأسفار موسى الخمس، وتسمى عند النصارى بالعهد القديم(١). فهي كلمة عبرانية تعني الشريعة والتعليم، وتطلق أيضاً على الناموس ويعني القانون، وتسمى التوراة أيضاً بكتب موسى، أو الأسفار الخمس(٢).

معنى التوراة في اصطلاح اليهود والنصارى:

تطلق التوراة في اصطلاح اليهود والنصارى على الأسفار الخمسة التي كتبها موسى عليه السلام وأنبياء بني إسرائيل وهي:

التكوين(٣)،

الخروج(٤)،

---

(١) المعجم الوسيط: (٩٠/١).

(٢) الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم عرض ونقد: ص٣٣٣.

(٣) أول أسفار العهد القديم واسم السفر في الأصل العبري "بريشيث" ومعناه في البدء وهو مهم جدا لأنه يشرح بداءة الجنس وسقوط الإنسان والوعد بالفداء وانطلاق الشعب العبراني. ويقسم هذا السفر إلى ثلاثة أقسام طبيعية: ويشمل القسم الأول:
١- تاريخ العالم وعلاقة الله بذلك وخلق الجنس البشري على صورة الله ومثاله (تك١: ١-٢: ٣).
٢- مختصر لتاريخ الجنس البشري قبل إبراهيم مظهراً علاقة الله مع الجنس البشري وبدء تاريخ الشعب المختار (تك٢: ٤-١١: ٢٦).
٣- تاريخ الشعب صاحب العهد حتى النزول إلى مصر، (تك١١: ٢٧-٥٠: ٢٦). انظر: قاموس الكتاب المقدس: (٦٦/٢١).

(٤) هو السفر الثاني من أسفار موسى، والثاني حسب ترتيب أسفار العهد القديم. واسم هذا السفر في الأصل العبري "وإله شيموت" إي "وهذه أسماء" أما معنى اسمه في الترجمة السبعينية اليونانية وفي معظم الترجمات الأخرى فهو "الخروج" والاسم مطابق للمسمى، فهو سجل لتاريخ خروج بني إسرائيل من مصر متجهين إلى فلسطين. وقد اقتبس عنه المسيح وتلاميذه ٢٥ آية بنصوصها و١٩ آية بمعانيها. وقد تضمن تاريخ الحوادث التي جرت من وقت موت يوسف إلى وقت بناء خيمة الشهادة. ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام.
١- في مصر: (ص١: ١-١٢: ٣٦) ويمر السفر مر الكرام على القرون المتوالية التي أعقبت نزول يعقوب إلى مصر، ويلخصها في عبارة واحدة عن تكاثر الشعب بعد موت يوسف (١: ٧). ويتحدث بعد ذلك عن: المظالم التي وقعت على العبرانيين (١: ٨) إلخ، وولادة موسى وحياته الأولى ودعوته (ص٢-٤) وكفاحه مع فرعون وأنزال الضربات، ثم رسم فريضة الفصح بمناسبة الضربة الأخيرة (ص٥: ١-١٢: ٣٦).
٢- من مصر إلى سيناء: (ص١٢: ٣٧-١٩: ٢). ويصف هذا القسم الرحيل من رعمسيس (ص١٢: ٣٧-٤٢). ويضع قواعد وتعليمات إضافية عن الفصح والشروط التي يخضع لها الغرباء للاشتراك في هذا العيد (١٢: ٤٣-٥١). وفرض تقديس كل بكر

اللاويين(١)،

والعدد(٢)،

والتثنية(٣).

(ص١٣: ١ و٢)، وإعلان سبعة أيام من ذلك الحين فصاعدا تحفظ احتفاء بعيد الفصح، ووصية الله لتقديس البكر (أعداد ٣-١٦) وعبور البحر الأحمر (ص١٤)، وترنيمة الخلاص (ص١٥: ١-١٩)، والمياه المرة في مارة والمن والسلوى (ص١٥: ٢٠-١٦: ٣٦). في رفيديم: المياه تتفجر من الصخر في حوريب، والانتصار على عماليق، وزيارة يثرون (ص١٧ و١٨).
٣- في سيناء: (ص١٩: ٣-٤٠: ٣٨ ثم إلى سفر العدد ١٠: ١٠) توطيد دعائم النظام الثيوقراطي الديني: العهد الثيوقراطي الذي اقترحه الله مشترطا فيه الطاعة (١٩: ٣-٦). موافقة شيوخ الشعب على الشروط (عد٧ و٨). الوصايا العشر والأحكام الإضافية الأخرى التي كتبت في كتاب العهد (ص٢٠-٢٤: ٤). موافقة الشعب على هذا العهد (٢٤: ١-٨). ووليمة العهد بين الطرفين المتعاقدين، (عدد ٩-١١). موسى فوق الجبل: الأوصاف المعمارية للخيمة وأثاثاتها وموائد الحجر (ص٢٤: ١٢-٣١: ١٨). العجل الذهبي (ص٣٢ و٣٣). زيارة موسى الثانية للجبل وتلخيص سريع لشرائع العهد (ص٣٤). بناء خيمة الاجتماع وأقامتها (ص٣٥-٤٠)، قاموس الكتاب المقدس: (١٠/٧).

(١) وهو السفر الثالث في العهد القديم. عندما نصبت خيمة الاجتماع وتم تعيين كاهن يقوم بواجبات المذبح كان لا بد كخطوة تالية أن تنظم الطرق والعلاقات التي تؤدي إلى الله. فوضع سفر اللاويين لهذه الغاية. أن إنشاء علاقات مع الله يقتضي تقديم الذبائح وإقامة نظام للكهنة فضلا عن المحافظة على الطهارة شكليا وأدبيا وخوفا من الإخلال بأمر ما من هذه الأمور وضعت بحسب أمر الله وإرشاده كتب خاصة لذلك، ثم جمعت فكانت ما نسميه سفر اللاويين مرتبة كما يلي:
١- كتاب عن كيفية تقديم الذبائح والواجبات المترتبة على ذلك من قبل الكاهن والعابد (لا١: ١-٦: ٧) وكتاب عن التصرف بالتقدمة (٦: ٨-٧: ٣٦).
٢- كتاب عن تقديس هارون وبنيه لوظيفة الكهنوت (ص٨ و٩). وهو عمل رسمي فرض أثناء بقاء موسى في سيناء (خر٢٩). وقد أضيف إلى هذا الكتاب ملحق عن معاقبة ناداب وأبيهو عندما أخطئا في تقديم الذبيحة (لا١٠).
٣- كتاب عن شرائع الطاهر والنجس من الأطعمة والأمراض والتصرفات التي تدنس (ص١١-١٦). وتطهير الأمة حسب الشرائع التي كانت قد فرضت سابقا (خر٣٠: ١٠) وشرائع يوم الكفارة.
٤- شريعة القداسة (ص١٧-٢٦) والقوانين المتعلقة بقداسة الحياة كما سنها موسى (١٧: ١) في سيناء (٢٥: ١، ٢٦: ٤٦). وقد أضيف إلى هذه القوانين ملحق يبحث في النذور والعشور والأشياء المكرسة (ص٢٧). والسفر من أوله إلى آخره يذكر مقدسا واحدا فقط (١٩: ٢١) ومذبحا واحدا لكل الشعب (١: ٣، ٨: ٣، ١٧: ٨ و٩)، وأبناء هارون أنهم الكهنة الوحيدون (١: ٥). ومما يلفت النظر أن اللاويين ذكروا عرضا في هذا السفر (٢٥: ٣٢ و٣٣)، قاموس الكتاب المقدس: (٧/٢٢).

(٢) رابع أسفار موسى الخمسة، في العهد القديم. وهو تتمة الأسفار الثلاثة التي قبله، التي تروي قصة الشعب العبراني من بدء الخليقة إلى خروجهم من مصر. ويروي سفر العدد قصة تيه بني إسرائيل في برية سيناء ووصولهم إلى موآب وأشرافهم على أرض الموعد. ومع أن مصادر معلومات هذا السفر متنوعة، ومن أعصر مختلفة، إلا أنه وحدة متناسقة متينة في أسلوبه. وقد سمي بالعدد لأنه يذكر الإحصاءين اللذين جريا بين بني إسرائيل في ذلك العهد. وأما في الكتاب العبري فسمي السفر بمدبار أي في البرية. انظر قاموس الكتاب المقدس: (٣٤/١٧).

(٣) هذا هو الاسم الذي يطلق على السفر الخامس من الأسفار الموسوية كما ورد في الترجمة السبعينية، ويعني تكرار الشريعة الموسوية مرة ثانية، والقصد من هذا التكرار هو التوضيح والتعبير، أما اسم السفر الوارد في العبرية فهو [إلهِ هد باريم] أي [هذا

وتسمى بالعهد القديم للتمييز بينها وبين العهد الجديد، الذي يزعم بني إسرائيل أن الرب قطعه معهم على يد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام(١)، وتطلق التوراة على الشريعة وعلى التعاليم الدينية(٢).

معنى التوراة في اصطلاح المسلمين:

يقصد بها الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبيه موسى عليه السلام، وفيه الهداية والخير والنور للناس، ثم بعد ذلك طرأ التحريف والتبديل عليه على أيدي اليهود، وهو منسوخ بالقرآن الكريم الباقي الخالد إلى يوم القيامة(٣)، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقد دلت آيات عديدة من كتاب الله العزيز أن التوراة هي إحدى الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى مثل باقي الكتب المترلة من عند الله تعالى كالإنجيل والزبور والقرآن الكريم، وسماها الله تعالى في كتابه العزيز بأنها نور وهدى قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]. والذي عليه أهل الإسلام أن النبي موسى عليه السلام هو كباقي الأنبياء إنما بعث من عند الله تعالى هادياً

هو الكلام] وهي الكلمات الثلاث الأولى في هذا السفر. وينتسب السفر إلى موسى المشرع العظيم، وقد كتبه قبل تسليم مهام قيادة الشعب ليشوع، فيما عدا بعض الأجزاء القصيرة، كالإصحاح الأخير منه، ويظن البعض أن هذه الأجزاء كتبت بعده. ويعتقد جيروم وهو دارس الكتاب العظيم في القرن الرابع للميلاد أن هذا السفر هو المشار إليه في ٢ مل ٢٢: ٨ وعلى هذه النظرية الأخيرة بنى بعض الباحثين في العصر الحاضر رأيهم الذي ينادي بأن السفر قد كتب سرد بيد أتقياء اليهود في عهد منسى ملك يهوذا ٦٩٣-٦٣٩ ق.م. واكتشف في عصر يوشيا (٦٣٨-٦٠٨ ق.م) غير أن الكشوف الحديثة والأبحاث التي قام بها العلماء في النصف الأول من القرن العشرين من مقابلات تاريخية ولغوية تشير إلى أن السفر يرجع إلى عصر موسى. وتبرز في هذا السفر ثلاثة تعاليم: ١- الرب إله لا مثيل له، فليس هناك إله آخر أعلن نفسه كشخصية روحية متميزة بالأمانة والرأفة للذين يحبونه ويطيعونه غير الرب. ٢- شعب الله شعب لا مثيل له. باعتبارهم جنس مختار وكهنوت ملوكي وأمة مقدسة ورثة لكل وعود الله للآباء، وهم محبوبون لذلك يؤدبهم الله ليصيرهم كاملين ومقدسين. ٣- الصلة القائمة بين الله وشعبه صلة لا مثيل لها. أن علاقة الشعوب بآلهتها علاقة خوف أما شعب الرب فعلاقته بإلهه علاقة حب وتقدير وتبعية وتمسك تقوم على عهد مبارك بين الله والشعب. وينقض العهد وتنفصم الصلة إذا عصى الشعب وصية الرب. قاموس الكتاب المقدس::(٣٤/١٧).

(١) الاسفار المقدسة: ص٣٣٣، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم: ص١١١، انظر كتاب مخطوطات البحر الميت، ص٢٨. والديانة اليهودية هي ديانة العبرانيين المعروفين بالأسباط من بني اسرائيل الذين أرسل إليهم النبي موسى عليه السلام مؤيداً بكتاب التوراة ليكون نبياً إلى بني اسرائيل. كما ذكر ذلك سامي المغلوث مؤلف كتاب أطلس الأديان، تاريخ-عقائد-انتشار: ص٢٩.

(٢) بنو اسرائيل في القرآن والسنة،ص٧١.

(٣) الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم عرض ونقد: ص٣٣٣.

ومبشراً ونذيراً وأن التوراة هي كتاب الله الذي أنزله عليه فيه هدى ونور لبني إسرائيل كما قص الله تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ۝ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۝ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ۝ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ۝ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ۝ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۝ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ۝ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۝ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ۝ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ۝ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ۝ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ۝ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا﴾ [طه: ٨٣ – ٩٩].

فالتوراة هي كتاب الله تعالى المترل على نبي الله موسى عليه السلام، لكن ترى هل هذا الأمر موافق لما في أذهان اليهود وعلماء اللاهوت؟.

الجواب: بالتأكيد لا، فهو يختلف تماماً عما في أذهاهم وتصورهم، حيث يرون أن التوراة قد كتبت في أزمنة متأخرة بعد وفاة النبي موسى عليه السلام بعدة قرون وأن فترة كتابتها استغرقت ألف عام كما يزعمون(١).

وبعد ذلك هداهم هواهم أن الذي كتب الأسفار الخمسة هو سيدنا موسى عليه السلام، وأن الذي نزل من السماء مكتوباً لوحين فقط(٢)، ولكن المسلمون لا يلتفتون إلى مثل هذه المهاترات التي يؤمن بها أحبار اليهود

---

(١) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم: ص ١١٥.

(٢) المرجع نفسه ص١١٥، دليل العهد القديم: ص٣٨. وقد ذكر صاحب كتاب التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، الفرنسي: موريس بوكاي، أن اليهودية والمسيحية قد ذهبت نحو قرون عديدة أن مؤلف التوراة هو النبي موسى عليه السلام وقد كان الناس يدافعون عن هذه النظرية بشتى الطرق، أما اليوم فقد أهملت هذه النظرية باتفاق الجميع: ص٣١-٣٢. وقولهم هذا شبيه بقول كفار قريش حينما ظنوا أن القرآن الكريم هو من عند الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو كاتبه، كما أخبر تعالى عنهم.

والنصارى، يكفينا ما جاء في كتابنا العزيز من أن التوراة مثله مثل أي كتاب سماوي مترل من عند الله تعالى فيه الهداية والصلاح، لكن طالته أيدي التحريف من أحبار اليهود على مدى عصور عديدة[1].

نظرة مجملة في أسفار اليهود المعتمدة عندهم:

اعتمد اليهود عدة أسفار وقد بلغ عددها تسع وثلاثون سفراً، وقد أطلقوا عليها اسم العهد القديم؛ للتفريق بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم وأسموه بـــ "العهد الجديد".

وأسفار العهد القديم تنقسم إلى أربعة أقسام.

القسم الأول: وهو ما يسميه أحبار اليهود بكتب موسى، أو الأسفار الخمسة أو "الناموس[2]" أو "ناموس موسى" أو "البانتاتيك"[3]، وهي تشمل خمس أسفار هي:

١. سفر التكوين.
٢. سفر الخروج.
٣. سفر اللاويين.
٤. سفر العدد.

---

(١) وكما يقال أن التوراة بسبب كثرة ما فيه من المغالطات والتحريفات أصبح أشبه بكتاب أسطوري تاريخي بعيد كل البعد عن القداسة السماوية، والمعالم الدينة. انظر: التوراة تاريخها وغاياتها: ص٤١، وقد أخبرنا الله تعالى عن الحالة المرضية التي وصل إليها بنو اسرائيل وظنهم بأنهم هم شعب الله تعالى المختار وأنهم هم أبناء الله تعالى وأحباؤه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، الامر الذي دعاهم إلى توظيف عنصريتهم في إدخال ما ليس في الدين إلى دين الله تعالى المطهر المترل من عند الله تعالى بما يتوافق مع أهوائهم ورغباتهم ومصالحهم، وقد امتد تحريفهم للكتب السماوية إلى عهد بولس النصراني وغيره. انظر: جذور الفتنة أجيال بني إسرائيل الأولى: ص٢٩. مجادلة أهل الكتاب في القرآن الكريم والسنة النبوية: ص١٩٤-١٩٦، مكايد يهودية عبر التاريخ: ص٣٤-٣٦.

(٢) ناموس موسى، وهو الشريعة التي وضعها موسى، بوحي من الله، في الحقوق المدنية والاجتماعية والأدبية والطقسية (مت٥: ١٧ ويو١: ١٧ ورو١٠: ١-١٨ وأف٢: ١٥). وسميت شريعة موسى ناموسا لأن فيها صفات الناموس، أي أنها تكون مجموعة قوانين للسلوك تضعها سلطة عليا منفذة وتشرف على تطبيقها ومعاقبة من يخرج عنها. ولما كان من الطبيعي أن تنشأ بعض العادات والتقاليد ضمن المجتمع الواحد وتقوى مع الأيام حتى تصبح من تراث ذلك المجتمع المقدس ويصبح تطبيقها أمرا ضروريا والخروج عنها أمرا مخالفا لمصالح المجتمع. وضمن ناموس موسى الكثير من العادات التي كانت معروفة من قبل موسى، والتي أعطاها موسى الصيغة الرسمية، وجعلها من ضمن القانون، ومن ضمن الشريعة والناموس، مثل قصاص القاتل (تك٩: ٦) والزانية (تك٣٨: ٢٤) وزواج الأخ من أرملة أخيه (تك٣٨: ٨) والتمييز بين الحيوانات الطاهرة والنجسة (تك٨: ٢٠) وحفظ السبت يوما للرب (تك٢: ٣) قاموس الكتاب المقدس: (٥٦/٢٤).

(٣) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: ص ١٤-١٣.

٥. سفر التثنية.

على اعتقاد منهم أن كاتب هذه الأسفار هو النبي موسى عليه السلام باستثناء الإصحاح الأخير من سـفر التثنية، ففي ظن اليهود أن يوشع بن نون هو الذي كتبه لأنه يتضمن خبر وفاة سيدنا موسى عليه السلام ودفنه[١].

القسم الثاني: هي الأسفار التاريخية، وتحوي اثنا عشر سفراً تتحدث جميعها عن تاريخ بني إسرائيل بعـد استيلائهم على بلاد الكنعانيين واستقرارهم في فلسطين.

القسم الثالث: هي أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية، وعددها خمس أسفار.

القسم الرابع: أسفار الأنبياء، وعددها سبعة عشر سفراً تتحدث عن تاريخ أنبياء بني إسرائيل المرسـلون إليهم بعد النبي موسى وهارون عليه السلام[٢].

ومن المهم جداً إلقاء نظرة مجملة في الأسفار الخمسة، وهي القسم الأول من أسفار العهد القديم.

أولا: سفر التكوين:

ويشتمل على خمسين إصحاحاً، وهو يسمى بالعبرية "بيراشيت" أي في البدء، ويحكي هذا السفر بداية خلق العالم وتاريخ الدعوة الإلهية منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام وينتهي باستقرار بني إسرائيل في مصر ووفاة سيدنا يوسف عليه السلام[٣].

وقد قسم كُتَّاب هذا السفر إلى جزأين رئيسيين:

الجزء الأول: ويشتمل على تاريخ عام للجنس البشري منذ بدء الخليقة.

الجزء الثاني: ويشتمل على تاريخ الأمة اليهودية ويركز على حياة سيدنا إبراهيم عليه السـلام ودعوتـه وقصة سيدنا لوط عليه السلام وهلاك سدوم و عمورة وحياة إسحاق ويعقوب وحياة يوسف عليهم السلام[٤].

من هنا نرى أن السفر الذي يتحدث عن قصة سيدنا لوط عليه السلام وقومه من منظور يهودي، وأشكال التحريف فيها وألوان الافتراءات على النبي الكريم.

---

(١) دليل العهد القديم: ص ٣٨.

(٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: ص ١٦-١٤.

(٣) انظر: نقد التوراة أسفار موسى الخمسة: ص ٤٢، الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في إنحرافهم: ص٣٣٣، اليهودية: ص٢٣٣.

(٤) دليل العهد القديم: ص٤١-٤٢.

ففي هذا السفر إضافات تدور حول قصة لوط عليه السلام غير مذكورة في القرآن الكريم ولا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا تقبلها الفطر السليمة والعقول الصحيحة، وهناك أحداث ووقائع عن القصة واردة في كتاب الله العزيز لكن التوراة أغفلتها و لم تتطرق إليها من أي باب. ومن وراء هذا الدفن العميق والتعتيم لما جاء في كتاب الله تعالى حول قصة سيدنا لوط عليه السلام أهداف كبيرة ومرامي خبيثة وضعها أحبار اليهود لعل أهمها وأبرزها هو إغفال الجانب المشرق في حياة الأنبياء الكرام وأنهم دعاة للحق والفضيلة، وأنهم رسل الله تعالى إلى خلقه وأن دعوتهم جميعاً هي الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله تعالى وحده ونبذ عبادة ما سواه. لذلك كان لابد من إلقاء مزيداً من الضوء على هذا السفر المليء بالمغالطات والتناقضات، وإلصاق أبشع الصفات بالأنبياء الكرام عامة وبنبي الله لوط عليه السلام على وجه الخصوص.

ثانياً: سفر الخروج:

ويشتمل على أربعين إصحاحا، ويسمى بالعبرية "وإله شموت[1] " ويسمى بهذا الاسم لأنه يتحدث عن قصة سيدنا موسى عليه السلام وخروجه مع بني إسرائيل من مصر "أرض العبودية " إلى كنعان "أرض الموعد". ويشتمل أيضاً على جملة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات وغيرها[2].

ثالثاً: سفر اللاويين:

ويشتمل على سبع وعشرين إصحاحاً، ويسمى في العبرية "ويقرا". ومعنى لاويين نسبة إلى أسرة لاوي بن يعقوب عليه السلام[3].

وقيل: أن سبب تسمية السفر بـ "اللاويين" يرجع إلى الترجمة السبعينية اليونانية؛ لأن هذا السفر يعتبر مرشد للكهنة في خدمتهم، ولأن الرب فرز سبط لاوي لخدمته بدلاً من أبكار بني إسرائيل[4]، ويحتوي هذا السفر على العديد من الوصايا والأحكام والتشريعات والأعياد والطقوس[5].

رابعاً: سفر العدد:

وهو يشتمل على ست وثلاثون إصحاحا، وهو يحصي قبائل بني إسرائيل وجيوشهم.

(١) اسم عبري معناه "خراب" وهو: رجل من نسل عيسى وإسماعيل (تك٣٦: ٣ و٤ و١٣ و١٧). صار رئيساً في أدوم (ع١٧). قاموس الكتاب المقدس: (١٣/ ٣٤).

(٢) نقد التوراة: ص٤٧، الأسفار المقدسة عند اليهود: ص ٣٣٣، اليهودية: ص٢٣٣، دليل العهد القديم: ص٤٣.

(٣) نقد التوراة: ص٥٥.

(٤) دليل العهد القديم: ص٤٨.

(٥) اليهودية: ص٢٣٤.

خامساً: سفر التثنية:

ويشتمل على أربع وثلاثين إصحاحاً ومعناها الإعادة والتكرار ليتم تثبيت التشريعات والتعاليم، ويتحدث السفر عن نظام القضاء والملك عند بني إسرائيل والكهنة والنبوة، وانتهى بقصة وفاة سيدنا موسى عليه السلام ودفنه في جبال مؤاب(١).

تحريف اليهود لأسفارهم كما جاء في القرآن الكريم:

لا يشك الناظر في كتاب التوراة ولو لبرهة خاطفة بوجود التحريف والتبديل فيه، وهذا ما أثبته القرآن الكريم وما أجمع عليه المسلمون بغض النظر عن شكل التحريف هل هو بالتبديل أو بالزيادة أو بالنقصان أو بالكتمان أو بغير ذلك من صور التحريف التي طالت كتب اليهود وكشفها القرآن الكريم. ليس هذا فحسب بل إنهم حاولوا جاهدين تحريف كتاب الله تعالى وسنة نبيه المطهرة، لكن مساعيهم باءت بالفشل ويأبى الله تعالى إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون(٢).

حتى وإن تسترت كتب اليهود برداء المصداقية والحقيقة إلا أن القرآن الكريم أظهر ما أخفوه، وأوضح ما أبهموه أشد الإيضاح، فلا يخفى على لبيب ما في كتب اليهود من مزاعم وافتراءات وأغلوطات لم تستهدف أنبياء الله تعالى فحسب بل تطاولوا إلى ذات الله تعالى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. والآيات كثيرة في كتاب الله العزيز تبين وتكشف تحريف اليهود لكتبهم(٣):

قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ

---

(١) انظر الأسفار المقدسة عند اليهود: ص٣٣٤، نقد التوراة: ص٥٧-٦٠.

(٢) اليهود تاريخ وعقيدة: ص٥٣.

(٣) وقد تكلم كثير من العلماء في مصنفاتهم عن تحريف اليهود لما بين أيديهم من الكتب المنزلة من عند الله تعالى، وما اشتهروا به من أبشع الصفات من قتل الأنبياء الكرام وتحريف الكلم عن موضعه والتقول على الله تعالى، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وموالاتهم للكفار. انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: ١١٧-١٢٤. أثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى، للأستاذة هند القثامي، ص١٤٨-١٤٩، وقد ناقش صاحب كتاب التوراة: مصطفى محمود تحريف اليهود في قصص الأنبياء الكرام مثل نبي الله داوود وأيوب وغيرهما عليهم الصلاة والسلام وبيَّن سوء أدبهم في التعامل مع أنبيائهم الكرام، ص٦٢-٧٧.

لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةًۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥ – ٨٠].

وبرغم أن المسلمون متفقون على وجود التحريف في كتب اليهود إلا أهم مختلفون في مقدار هذا التحريف فكانوا على ثلاثة أقوال:

القول الأول: هناك جماعة ذهبت إلى القول بأن التحريف الواقع في كتب اليهود إنما وقع على التأويل للنصوص فقط لكنه لم يمس النص المترل بل هو باقي على أصله و لم يحرف و لم يبدل، ويميل إلى هذا القول جمع من العلماء الأجلاء أمثال أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، والفخر الرازي، والإمام ابن كثير رحمهم الله تعالى(١).

وعند مناقشة هذا القول نجد فيه تساهلاً كبيراً، فمما لاشك فيه أن اليهود حرفوا نصوص التوراة تحريفاً كبيراً خرج بها عن معناها الحقيقي ليس ذلك فحسب بل كان منهم الزيادة والنقصان، والقول على الله تعالى بغير علم والتطاول على ذات الله تعالى والانتقاص من قدر الأنبياء الكرام فكل هذا لا يعتبر تحريف وخداع.

فقد زعموا أن الله تعالى تعب بعدما خلق السماوات والأرض فاستراح في اليوم السابع وهو يوم السبت إلا يعتبر هذا من التحريف والتبديل للحقائق.

ولقد بين تعالى بهتان قولهم حيث قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]، قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى في معنى هذه الآية: "نزلت في اليهود حيث قالوا: يا محمد أخبرنا بما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة؟، فقال: «خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، والجبال يوم الثلاثاء، والمدائن والأنهار والأقوات يوم الأربعاء، والسموات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات من يوم الجمعة، وخلق في أول الثلاث الساعات الآجال، وفي الثانية الآفة، وفي الثالثة آدم» ، قالوا: صدقت إن أتممت، قال: وما ذاك؟ قالوا: ثم استراح يوم السبت، واستلقى على العرش، فأنزل الله تعالى هذه الآية رداً عليهم"(٢).

يظهر من مقولة اليهود السابقة نسبتهم إلى الله تعالى التعب والإعياء بعد خلق السماوات والأرض، وأنه سبحانه وتعالى محتاج إلى الراحة بعد التعب، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ففي هذا النص تشبيه واضح لله تعالى بالمخلوقين الذين يعتريهم النقص والتعب والإعياء، لذلك ردَّ الله تعالى عليهم بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا

---

(١) المدخل لدراسة التوراة: ص١١٨، قواعد ابن تيمية في الرد على المخالفين اليهود، النصارى، الفلاسفة، الفرق الإسلامية، ص٧٤، الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم: ص٣١٩.

(٢) تفسير البغوي: (٣٦٤/٧).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]، فلو كان مستقراً في عقولهم أن حقيقة الله الكامل الخالق غير حقيقة المخلوق الناقص الضعيف لما صدر منهم هذا الافتراء وهذه المقولة التي تنم عن عقلية متحجرة متدنية، وإن توصلوا إلى مراحل متقدمة في أمور الدنيا إلا أنهم لا تزال أفهامهم متحجرة وقاصرة في فهم حقيقة الخالق المبدع المصور، وأن له سبحانه وتعالى حقيقة وماهية تختلف عن حقيقة وماهية المخلوق الذي هو من خلق الله تعالى.

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فقد ثبت بالعقل ما أثبته السمع من أنه سبحانه لا كفؤ له ولا سمي له وليس كمثله شيء فلا يجوز أن تكون حقيقته كحقيقة شيء من المخلوقات ولا حقيقة شيء من صفاته كحقيقة شيء من صفات المخلوقات، فيعلم قطعا أنه ليس من جنس المخلوقات لا الملائكة ولا السموات ولا الكواكب ولا الهواء ولا الماء ولا الأرض ولا الآدميين ولا أبدانهم ولا أنفسهم ولا غير ذلك بل يعلم أن حقيقته عن مماثلات شيء من الموجودات أبعد من سائر الحقائق وأن مماثلته لشيء منها أبعد من مماثلة حقيقة شيء من المخلوقات لحقيقة مخلوق آخر فإن الحقيقتين إذا تماثلتا: جاز على كل واحدة ما يجوز على الأخرى ووجب لها ما وجب لها. فيلزم أن يجوز على الخالق القديم الواجب بنفسه ما يجوز على المحدث المخلوق من العدم والحاجة وأن يثبت لهذا ما يثبت لذلك من الوجوب والفناء فيكون الشيء الواحد واجبا بنفسه غير واجب بنفسه موجودا معدوما وذلك جمع بين النقيضين وهذا مما يعلم به بطلان قول المشبهة الذين يقولون: بصر كبصري أو يد كيدي ونحو ذلك تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا"(١).

وليس بمستغرب منهم هذا القول الذي يدل على جعلهم بصفات الذات العلية و لم قدروا الله تعالى حق قدره قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، ومن افتراءاتهم على أنبياء الله تعالى الكرام ما ألصقوه بنبي الله تعالى لوط عليه السلام من قضية شربه للخمر وممارسته الفاحشة مع ابنتيه، وكذلك اتهامهم لسيدنا هارون بأنه هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل، بل هو الذي أمرهم بعبادته كما يزعمون. واتهامهم للنبي داوود عليه السلام بالزنا والفجور(٢). وغيرها من الافتراءات التي طالت الأنبياء الكرام على أيدي اليهود الماكرين. فهم مزاجيون في تعاملهم مع أنبيائهم، يحدد هذه النظرة رغبتهم

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٨٧/٣).

(٢) انظر: الخطأ والدخيل في توراة بني اسرائيل: ص٦٩-٧٢. اليهودية عرض تاريخي، والحركات الحديثة في اليهودية: ص٧٨. وبرغم من اعتقادات اليهود الباطلة في أنبياء الله تعالى إلا أنهم كانوا يعتقدون أن لأنبياء الله تعالى السيادة على كل من عداهم من رجال الدين اليهودي. كما ذكر ذلك صاحب كتاب بنو اسرائيل، الحضارة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقضائية والعسكرية: ص٥٢١، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ص٩٤-٥٩، دور اليهود في إفساد العقيدة الإلهية والآثار التي ترتبت على ذلك: (١٤٦/١)، الحسام الممدود في الرد على اليهود: والرد على من قال بأفضلية بني اسرائيل على العرب: ص٥٧.

وحرصهم على الحياة، وتلهفهم على الشهوات والملذات فما وافق هواهم ورغباتهم أخذوه، وما خالف رغباتهم رفضوه، ولو كانت الأدلة قطعية الدلالة أنها من عند الله تعالى، فلا تحكيم عندهم إلا لأهوائهم فقط(١).

وأن من أهم الثوابت الجوهرية في الفكر الديني اليهودي هو الانحلال الأخلاقي والغدر والخيانة والعنصرية والعدوان، مما كان له أبرز الأثر في كتاباتهم وفي تحريفهم للتوراة وإلصاقهم أبشع الصفات بأنبياء الله تعالى الكرام(٢).

القول الثاني: أن التحريف والتبديل الواقع على كتب اليهود قليل ويسير و لم يطل إلا جملاً يسيرةً فقط وهو في الإنجيل أوضح وأظهر، كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والتبديل في الإنجيل أظهر بل كثير من الناس يقول هذه الأناجيل ليس فيها من كلام الله إلا القليل، والإنجيل الذي هو كلام الله ليس هو هذه الأناجيل والصحيح أن هذه التوراة الذي بأيدي أهل الكتاب فيها ما هو حكم الله وإن كان قد بدل وغير بعض ألفاظهما"(٣).

وهذا القول أيضاً فيه نظر إذ أنه يوحي بأن التحريف في كتاب التوراة قليل وأن أكثر ما جاء في التوراة باقي على أصله لم يحرف و لم يغير، وهذا كلام غير صحيح فإن التحريف قد شمل التوراة كلها بجميع أجزائها.

القول الثالث: وهو أن التحريف قد طال التوراة كلها بجميع أسفارها أو أن أكثرها بدل وغير، و لا يوجد أي تشابه بين التوراة الموجودة اليوم بين أيدي الناس وبين التوراة الصحيحة المترلة على سيدنا موسى عليه السلام إلا ما ندر من الشيء اليسير الذي يعتبر مثل النجم البعيد يضيء الطريق، وإلى هذا القول مال جمع من العلماء الذين اطلعوا على التوراة بنظرة فاحصة ناقدة أمثال الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى والإمام الغزالي وابن تيمية وابن القيم رحمهم الله تعالى وغيرهم من العلماء، وهذا القول هو الذي رجحه الدكتور محمد علي البار ورأى أنه أصوب الأقوال(٤).

ومما يجدر الإشارة إليه بيان نوعي التحريف الذي طال كتب اليهود:(٥)

أولاً: التحريف المعنوي: ولا يوجد نزاع بين المسلمين قاطبة والمسيحين في وجوده.

---

(١) الشخصية اليهودية من خلال القرآن. تاريخ، سمات، مصير: ص١١٨. اليهود في القرآن الكريم، سيرتهم وأخلاقهم وأحوالهم قبل البعثة، وجنسية اليهود في الحجاز في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وأحوالهم وأخلاقهم ومواقفهم من الدعوة الإسلامية ومصيرهم: ص٧١. اليهود في القرآن والسنة "بعض من خلائقهم" دراسة للنصوص، في محاولة لاستلهام العبر والدروس: ص٢٩-٣٣.

(٢) اليهود بين النظرية والتطبيق، مقتطفات من التلمود والتوراة: ص ١٠٤.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية: (٢/٤٢٠-٤٢١).

(٤) المدخل لدراسة التوراة: ص١١٩، الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم: ص٣١٩.

(٥) قواعد ابن تيمية في الرد على المخالفين: ص٧٧.

ثانياً: التحريف اللفظي: وهو يأخذ أشكالاً ثلاث:

تحريف لفظي بالتبديل.

تحريف لفظي بالزيادة.

تحريف لفظي بالنقصان.

وجميع أنواع التحريف الثلاث تدخل في نوع تحريف الكلم عن مواضعه بتبديل كلمة مكان كلمة، أو وضع جملة مكان جملة، أو صرف المعنى إلى معنى آخر غير المقصود، وكل هذا وذاك وصفه الله تعالى بهم في آيات عدة. قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].

وهناك أنواع أخرى للتحريف نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر(١):

كتمان الحق وعدم إظهاره وبيانه كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

لوي اللسان بالكتاب كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

الكذب والافتراء كما قال تعالى عنهم: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٩٣ – ٩٤].

إلى غير ذلك من أساليب التحريف التي سار عليها كتاب التوراة والإنجيل من البهتان والإهمال والإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض وإلباس الحق بالباطل والباطل بالحق، وغير ذلك مما يفقد هذه الكتب مصداقيتها وصحتها، حتى وإن قال قائل بصحة ما في هذه الكتب من افتراءات وزيادات فإن القرآن الكريم خير شاهد على ما فيها من تحريف وتأليف، وهو الذي جعله الله تعالى مهيمن على جميع الكتب السماوية وتكفل الله تعالى بحفظه من التحريف والتبديل قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فكيف بذي لب أن ينصرف عن المحفوظ المهيمن إلى المحرف المبدل.

---

(١) المدخل لدراسة التوراة: ص ١٢٠-١٢٢، الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم: ص٣١٩-٣٢٢.

ومما اشتهر به اليهود والنصارى إصرارهم أن التوراة التي بين أيديهم اليوم قد كتبها سيدنا موسى عليه السلام بيده، وأن أسفارهم الأخرى قد كتبها أنبياء آخرون أو ممن أوحي إليهم من غيرهم، وقد استمر الحال على ذلك حتى بداية القرن الثامن عشر ميلادي حتى ظهر من يشكك في هذا الكلام ويطعن فيه(١).

وإن كان ما يذهب إليه جمهور أهل الكتاب وعلماؤهم أن الأسفار الخمسة هي من وحي الله تعالى إلى سيدنا موسى عليه السلام فإنهم مطالبون في هذه الحال بما يدل على صحة قولهم وصدق قولهم أن التوراة التي بين يدي الناس اليوم هي وحي من الله تعالى برغم ما فيها من أغلوطات وتحريفات وافتراءات يتنزه عنها الصالحون المتقون وأهل المروءات والأخلاق، فكيف بصفوة الخلق من زينهم الله تعالى بأكرم الخلق وأشرف الصفات، لذلك إن كان من أحبار اليهود هذا الإصرار بأن ما بأيديهم هو وحي سماوي متزل من رب الأرباب فحينها هم مطالبون بعدة أمور:

أولاً: إنهم مطالبون بإثبات ما يدل على صحة قولهم، وذلك بإحضار النسخة الأصلية للتوراة التي كتبها موسى عليه السلام أو أملاها على غيره.

ثانياً: مطالبون كذلك بالنسخ الأصلية لأسفارهم الأخرى.

ثالثاً: مطالبون كذلك بالسند المتواتر بنقل العدول الثقات الذي يثبت سلامة النص الذي بين أيديهم من التحريف والتزييف.

وقد تكون الإجابة منهم مقنعة ومسددة أمام إصرارهم بأن ما بين أيديهم من الكتب متزلة من عند الله تعالى، لكن الحقيقة غير ذلك فإن من يرى إصرار اليهود والنصارى أن كتبهم سماوية وهي بوحي من الله تعالى لا يشك لحظة في قدرتهم على إجابة المطالب الثلاثة السابقة. والواقع مخالف لذلك فإن قولهم أن كتبهم سماوية وأن سيدنا موسى عليه السلام هو الذي كتبها وغيره من الأنبياء هو قول لا حقيقة له وهو زعم منهم، وأنهم لا يستطيعون الإيفاء بأي من المطالب السابقة وأن أحبار اليهود والنصارى وباحثيهم لا يملكون النسخة الأصلية من التوراة أو غيرها، وأن أقدم مخطوطة عندهم لأسفارهم تعود إلى القرن الرابع ميلادي، مع العلم أن سيدنا موسى عليه السلام قد عاش في القرن الرابع عشر قبل الميلاد على الأرجح(٢).

وقد بين الشيخ رحمة الله الهندي أن أهل الكتاب ليس لديهم السند المتصل لأي كتاب من كتب العهد القديم أو الجديد(٣)، وقد تحدى علماء النصارى وأحبارهم في مناظرات شتى له معهم بأن يأتوا بالسند المتصل لأي

(١) حاشية توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي: ص٧٠، الأسفار المقدسة: ص٣٣٩.

(٢) الأسفار المقدسة: ص٣٣٩.

(٣) إظهار الحق: (١/٦١-٦٢).

كتاب من كتب العهدين القديم أو الجديد، فإن إثبات تواتر السند كفيل بالإقناع أن ما بين أيـديهم مـن كتـب العهدين هي وحي من عند الله تعالى، و لا يكفي نسبهم لكتبهم إلى نبي من الأنبياء أو حواري مـن الحـواريين. حيث إن هذا الأمر لا يعد شرطاً في التسليم بهذا الكتاب وبما فيه بل لابد من أمور مهمة منها إثبات اتصال السـند المتواتر.

لكن ما هو رد علماء بني إسرائيل وأحبارهم عند هذه المواجهة، وهل كان منهم الجواب المقنع الشـافي؟. بالتأكيد لا، والاعتذار الفوري عن عدم وجود لديهم السند المتصل. وإن كان الأمر كذلك فلا صحة لنسبة التوراة إلى نبي مرسل أو حواري من الحواريين[١]، ولعل من الأجدر أن نذكر بعض أسباب عدم توفر السند المتصل لكتب العهدين القديم والجديد[٢].

أولاً: وكعادة من لا يمتلك الحجة المقنعة عند المواجهة فإنه يتعلل بأسباب واهية ويتعلق بخيوط العنكبـوت، فإن علماء اليهود والنصارى وأحبارهم يعللون سبب فقدان السند المتصل في كتبهم هو كثرة ما مرَّ بهم من كوارث ونكبات توالت عليهم حيناً بعد آخر خلال تاريخهم الطويل، تعرضوا لكثير من الاضطهاد والظلم على أيدي الغزو الآشوري والغزو البابلي وغيره ما نتج عن هذا الغزو والاضطهاد من حرق لكثير من أسفارهم ومنـع أحبـارهم وعلمائهم من قراءتها والاستفادة منها.

ثانياً: كثرة ما مرَّ ببني إسرائيل من حوادث الردة والشرك بالله تعالى والانحراف عن الطريق المستقيم، ممـا دفع كثير من علماء اليهود ومحققيهم في نهاية الأمر بالاعتراف أن أسفار العهد القـديم مشـكوك في مؤلفيهـا أو مجهولون لا يعرف من كتبها.

وقد ذكرت توراتهم أمر ردتهم وكفرهم بالله تعالى: "وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الـرَّبِّ[٣] وَعَبَـدُوا الْبَعْلِيمَ[٤]. وَتَرَكُوا الرَّبَّ إِلهَ آبَائِهِم الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَـةِ الشُّـعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَاظُوا الرَّبَّ. تَرَكُوا الرَّبَّ وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوثَ[٥].

---

(١) إظهار الحق: (١/٦١-٦٢).

(٢) المرجع نفسه (١-٦٢)، الاسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم: ص٣٤٠-٣٥٠.

(٣) يقصد بهذا اللفظ: اسم الجلالة، وقد تستعمل بمعنى سيد أو مولى دلالة على الاعتبار والإكرام، قاموس الكتاب المقدس: (١٠/١١).

(٤) اسم معناه "رب أو سيد أو زوج" قاموس الكتاب المقدس (٢/ ٥٤).

(٥) (عشتروت ذات القرنين) مدينة هاجمها كدرلعومر وحلفاؤه وخربوها. وكان يسكنها الرفائيون (تك١٤: ٥) وهي في باشان. وربما كانت هي نفسها قرنايم، أو أنها بالقرب من قرنايم، أو أنها هي نفسها تل عشترة. قاموس الكتاب المقدس: (٦٥/١٧).

فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَدَفَعَهُمْ بِأَيْدِي نَاهِبِينَ نَهَبُوهُمْ، وَبَاعَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ حَوْلَهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرُوا بَعْدُ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ. حَيْثُمَا خَرَجُوا كَانَتْ يَدُ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ لِلشَّرِّ، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ وَكَمَا أَقْسَمَ الرَّبُّ لَهُمْ. فَضَاقَ بِهِمُ الأَمْرُ جِدًّا"(١).

ثالثاً: ومن الأدلة على عدم صحة نسبة التوراة إلى نبي الله تعالى موسى عليه السلام وبالتالي على عدم اتصال سندها، ما جاء في التوراة نفسها من النصوص والعبارات التي تثبت ذلك: "وَصَعِدَ مُوسَى مِنْ عَرَبَاتِ مُوآبَ(٢) إِلَى جَبَلِ نُبُو(٣)، إِلَى رَأْسِ الْفِسْجَةِ(٤) الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا(٥)، فَأَرَاهُ الرَّبُّ جَمِيعَ الأَرْضِ مِنْ جِلْعَادَ(٦) إِلَى دَانَ(٧)، دَانَ(٧)، وَجَمِيعَ نَفْتَالِي(٨) وَأَرْضَ أَفْرَايِمَ(٩) وَمَنَسَّى(١٠)،

---

(١) الكتاب المقدس، سفر القضاة: (٢/١١-١٥) .

(٢) أرض للموآبيين ويقابلها اليوم القسم الشرقي من البحر الميت لمملكة الأردن اليوم. كانت منقسمة إلى قسمين: ١- أرض موآب أي ما وقع شرقي البحر الميت (تث١: ٥) وتسمى أيضا بلاد موآب (را١: ١ و٢). ٢- عربات موآب وهي مكان في وادي الأردن مقابل أريحا (عد٢٢: ١، ٢٦: ٣، ٣٣: ٤٨ وتث٣٤: ١). أما أرض موآب فهي سهل مرتفع علوه فوق سطح البحر نحو ٢٦٠٠ إلى ٢٨٠٠ قدم، ويحده غربا سلسلة من الجبال وجبل المصلوبية وجبل نبا وهي تصلح لرعي المواشي. قاموس الكتاب المقدس: (١٣٢/٢٣).

(٣) أحد جبال سلسلة جبال عباريم في موآب، مقابل أريحا (عد٣٣: ٤٧ وتث٣٢: ٤٩) عليه وقف موسى قبيل وفاته وأخذ يراقب فلسطين (تث٣٤: ١). وقمته اسمها رأس الفسجة. وربما كان هو جبل النبا، شرقي نهر الأردن بثمانية أميال. قاموس الكتاب المقدس: (١٧/٢٤).

(٤) اسم عبري معناه: "قسم، قطعة" وهو الجزء من سلسلة جبال عباريم الواقع في الطرف الشمالي الشرقي من البحر الميت (قابل تث٣٤: ١ مع ٣: ٢٧، ٣٢: ٤٩). قاموس الكتاب المقدس: (٢٠/١٩).

(٥) معناها: "مدينة القمر" أو "مكان الروائح العطرية". وهي مدينة ذات أهمية عظمى، تقع على مسافة خمسة أميال غربي نهر الأردن وعلى مسافة سبعة عشر ميلا شمال شرقي أورشليم. أما أريحا التي ورد ذكرها في العهد القديم فموضعها تل السلطان، الذي يقع على بعد مسافة ميل من مدينة أريحا الحديثة التي تدعى الآن [الريحا] وتلول أبو العليق التي تقع على مسافة ميل غربي إريحا الحديثة هي بقايا الحي الراقي الغني من أريحا في عصر العهد الجديد. قاموس الكتاب المقدس: (٩٨/١).

(٦) جبل غرب الأردن يشرف على وادي يزرعيل انصرف منه قسم من جيش جدعون (قض٧: ٣) وبالقرب منه عين حرود المسماة اليوم عين جلعود كما أن هناك نهرا يدعى نهر جلعود وكل هذه أصداء لكلمة جلعاد. قاموس الكتاب المقدس: (٣٩/٥).

(٧) اسم مدينة وموقعها في الطرف الشمالي من أرض بني إسرائيل في نصيب نفتالي في سفح جبل حرمون عند تل القاضي حيث منابع الأردن. قاموس الكتاب المقدس (٨/ ٤).

(٨) اسم عبري معناه: "مصارعتي". وذكر اسمه نفتاليم (مت٤: ١٣ و١٥). ١- الابن السادس ليعقوب، والابن الثاني لبلهة جارية راحيل زوجة يعقوب. سمي نفتالي أي "مصارعتي" لأن راحيل قالت: "قَدْ صَارَعْتُ أُخْتِي مُصَارَعَاتِ اللهِ وَغَلَبْتُ" (تك٣٠: ٧ و٨). ٢- سبط نفتالي، وهم ذريته وعشيرته. قاموس الكتاب المقدس: (٤٩/٢٤).

(٩) اسم سبط من أسباط إسرائيل هم نسل أفرايم. وكان رئيس هذا السبط في زمن الخروج هو أليشمع بن عميهود (عد١: ١٠). قاموس الكتاب المقدس: (١٥٦/١).

(١٠) منسى شرقي الأردن، وكان من منتصف جلعاد إلى باشان وأرجوب أي من محنايم إلى حرمون ومن الأردن وبحر الجليل إلى البرية السورية (١ أخ ٥: ١٨-٢٣). قاموس الكتاب المقدس: (١٢٧/٢٣).

وَجَمِيعَ أَرْضِ يَهُوذَا(١) إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ، وَالْجَنُوبَ وَالدَّائِرَةَ بُقْعَةَ أَرِيحَا مَدِينَةِ النَّخْلِ، إِلَى صُوغَرَ(٢).

وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «هذِهِ هِيَ الأَرْضُ الَّتِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ وإسحاق ويعقوب قَائِلاً: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا. قَدْ أَرَيْتُكَ إِيَّاهَا بِعَيْنَيْكَ، وَلكِنَّكَ إِلَى هُنَاكَ لاَ تَعْبُرُ» . فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. وَدَفَنَهُ فِي الْجِوَاءِ(٣) فِي أَرْضِ مُوآبَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فَغُورَ(٤). وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. وَكَانَ مُوسَى ابْنَ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ، وَلَمْ تَكِلَّ عَيْنُهُ وَلاَ ذَهَبَتْ نَضَارَتُهُ. فَبَكَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ ثَلاَثِينَ يَوْمًا. فَكَمُلَتْ أَيَّامُ بُكَاءِ مَنَاحَةِ مُوسَى. وَيَشُوعُ بن نُونٍ كَانَ قَدِ امْتَلأَ رُوحَ حِكْمَةٍ، إِذْ وَضَعَ مُوسَى عَلَيْهِ يَدَيْهِ، فَسَمِعَ لَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَعَمِلُوا كَمَا أَوْصَى الرَّبُّ مُوسَى. وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ، فِي جَمِيعِ الآيَاتِ وَالْعَجَائِبِ الَّتِي أَرْسَلَهُ الرَّبُّ لِيَعْمَلَهَا فِي أَرْضِ مِصْرَ بِفِرْعَوْنَ وَبِجَمِيعِ عَبِيدِهِ وَكُلِّ أَرْضِهِ، وَفِي كُلِّ الْيَدِ الشَّدِيدَةِ وَكُلِّ الْمَخَاوِفِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي صَنَعَهَا مُوسَى أَمَامَ أَعْيُنِ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ"(٥). ولا أحد يشك ولو للحظة واحدة أن كاتب هذا الكلام هو غير سيدنا موسى عليه السلام.

رابعاً: ومن أهم ما يواجه قارئ أسفار العهد القديم ما ذكر فيها من تحريف ونسبة الأفعال الشنيعة إلى الله تعالى وإلى أنبياء الله تعالى الكرام مما يستحيل وصفه بالوحي المترل الموصوف بالسند المتصل فضلاً عن أن يكون كلام نبي من أنبياء الله تعالى.

فقد جاء في سفر التكوين أن الله تعالى لما خلق السماوات والأرض في ستة أيام أحس بالتعب والنصب في اليوم السابع فاستراح فيه تعالى الله عما يقول المشركون علواً كبيراً.

وما جاء في سفر التكوين أيضاً من وصف نبي الله تعالى نوح عليه السلام بالتعري والسكر وشرب الخمر، وكذلك ما جاء عن نبي الله تعالى لوط عليه السلام من اتهامه بشرب الخمر والزنا مع ابنتيه ومضاجعته لهما حتى يحيا منهما نسلاً، قبحهم الله تعالى.

---

(١) اسم عبري معناه: "حمد" وهو رابع أبناء يعقوب من ليئة، وولد في ما بين النهرين (تك٢٩: ٣٥). وأعطي هذا الاسم لسبب شكر أمه عند ولادته. قاموس الكتاب المقدس: (٢٧/٥٧).

(٢) صُوغَرَ: اسم سامي معناه "صغر" إحدى مدن الدائرة، ويبدو أنها كانت أصغرها وكان اسمها الأول بالع. ولم تخرب هذه المدينة عند سقوط سدوم وأخواتها مدن الدائرة لأن لوطا صلى من أجلها ولجأ إليها، وكان وراءها جبل ومغارة سكن فيها لوط وابنتاه ردحا من الزمن، ولا شك أنها اليوم تحت مياه البحر. قاموس الكتاب المقدس: (١٤/ ٣٩).

(٣) جِوَاءِ: كلمة العبرية لواد وهو بطن من الأرض أو واد واسع فيه دفن موسى في أرض موآب. قاموس الكتاب المقدس: (٥/ ٦٤).

(٤) بَيْتَ فَغُورَ: اسم عبري معناه: "بيت أو هيكل فغور" مكان في الفسحة. قاموس الكتاب المقدس: (٢/ ٩٠).

(٥) سفر التثنية: ١ -١٢.

فقد جاء في أسفار بني إسرائيل: "وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً» . فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً» . فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ» ، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي» ، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ(١) إِلَى الْيَوْمِ"(٢).

وهذه مقتطفات يسيرة من أسفار التوراة تبين بهتان ما فيها و افتراء كتابها، فكيف بنبي مرسل من عند الله تعالى أن يكتب هذه الافتراءات على الله تعالى الذي أرسله ونبأه واختاره لحمل الرسالة العظيمة، ثم بعض ذلك يكتب شيئاً لا يرضاه الله تعالى و لا يدل على صدق صاحبه في نبوته.

وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [فصلت: ٤٥]،

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]. وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

---

(١) هم: نسل بن عمي، ابن لوط، الذي ولد في مجاورة صوغر، وانتشرت ذريته في الشمال وسكنت جبال جلعاد بين نهري أرنون ويبوق. وكانوا على صراع مستمر مع الأموريين إلى الشمال منهم، خاصة على الحدود الشرقية والشمالية. قاموس الكتاب المقدس: (٨٥/١٧).

(٢) سفر التكوين: ١٩/٣٠-٣٨

المبحث الثاني: ما ورد عن قصة سيدنا لوط عليه السلام في سفر التكوين:

وفيه مطالب:

الأول: صفات سيدنا لوط عليه السلام كما جاءت في نصوص العهد القديم.

اتصاف سيدنا لوط بالطمع والرغبة في الدنيا:

تصور التوراة المحرفة سيدنا لوط عليه السلام في صورة الإنسان الذي يرغب في الدنيا ويطمع في نيل المكاسب والثروات وأن هذا هو غاية همّه وهدفه في الحياة، ولم تظهر أنه نبي حارب الفساد ولم يكن يطمع في أي أجر مادي أو مقابل من الغير. حيث جاء في توراتهم: "ولوط[1] السَّائِرُ مَعَ أَبْرَامَ[2]، كَانَ لَهُ أَيْضًا غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَخِيَامٌ. وَلَمْ تَحْتَمِلْهُمَا الأَرْضُ أَنْ يَسْكُنَا مَعًا، إِذْ كَانَتْ أَمْلاَكُهُمَا كَثِيرَةً، فَلَمْ يَقْدِرَا أَنْ يَسْكُنَا مَعًا"[3].

فكان التركيز في قصة لوط عليه السلام أنه يمتلك ثروات وأموال وأنه افترق عن سيدنا إبراهيم حتى لا تكون المخاصمة بين رعاة النبيين، ومن ثم اعتزل سيدنا لوط إبراهيم عليه السلام واختار كل دائرة الأردن، وأن هذا الاختيار بسبب منه وهو الطمع في بلاد الأردن التي تتمتع بالخيرات والثروات: " فَرَفَعَ لُوطٌ عَيْنَيْهِ وَرَأَى كُلَّ دَائِرَةِ الأردن أَنَّ جَمِيعَهَا سَقْيٌ، قَبْلَمَا أَخْرَبَ الرَّبُّ سدوم[4] وَعَمُورَةَ[5]، كَجَنَّةِ الرَّبِّ، كَأَرْضِ مِصْرَ. حِينَمَا تَجِيءُ

---

(١) لوط بن حاران أخي إبراهيم، وقد رافق عمه في ارتحاله من أرض ما بين النهرين إلى كنعان ثم إلى مصر ومنها وقد جمع كعمه إبراهيم مواشي كثيرة حتى أن رعاة لوط كانوا يقتتلون مع رعاة إبراهيم بسبب المرعى ولذلك اقترح إبراهيم على ابن أخيه لوط أن يفترقا وكرماً منه طلب إليه أن يختار الأرض التي يريدها. وإذ رأى لوط الجبال والتلال قليلة بالنسبة إلى وادي الأردن اختار الثانية وسكن في مدينة سدوم وقد فاته أن يأخذ بعين الاعتبار أخلاق الشعب الذي سيقيم بينهم والتأثير الذي ستتأثر به عائلته، مع أنه هو نفسه حافظ على أمانته واستقامته. وكثيرا ما كان يتألم من مشاهد الفوضى والخروج على القانون والأعمال الأثيمة، ولما غزا كدرلعومر وحلفاؤه سدوم وعمورة سقط لوط أسيرا ولم ينقذه من الأسر سوى شجاعة عمه إبراهيم وذكائه، ولما جاء الملاكان إلى سدوم لإنذار لوط بخراب المدينة أساء أهلها معاملتهما مما دل على أن المدينة كانت مستحقة الخراب القريب. أنما نجا لوط من الخراب ولكن امرأته تحولت إلى عمود ملح لأنها نظرت إلى الوراء متأسفة على الممتلكات التي خلفتها وراءها مما دل على أنها لم تكن مستحقة النجاة، ونعلم من الكشوف الجيولوجية أن المنطقة التي تقع جنوب البحر الميت قد اكتست بالملح. قاموس الكتاب المقدس: (٢٢/٢٦).

(٢) أَبْرَامَ: معنها: الأب الرفيع أو الأب المكرم، ومعنى إبراهيم: أبو رهام، أي: أَبُو جُمْهُورٍ. قاموس الكتاب المقدس: (١/١٥).

(٣) سفر التكوين: ١٣: " الإصحاح: ١٣: ٥-٦ ".

(٤) سَدُومَ: احدى مدن السهل الخمس التي أحرقتها النار التي نزلت من السماء بسبب خطيئة أهلها العظيمة إحدى مدن السهل الخمس التي أحرقتها النار التي نزلت من السماء بسبب خطيئة أهلها، اختارها لوط مدينة للسكن بعد انفصاله عن إبراهيم لمعرفته بخصب أرضها وسهولة الري فيها. قاموس الكتاب المقدس: (١٢/ ٢٩).

(٥) عَمُورَةَ: اسم كنعاني معناه "غرق" بلدة في غور الأردن، ويظن بأنها غمرت بمياه البحر الميت، قاموس الكتاب المقدس: (١٧/ ٨٨).

إِلَى صُوغَرَ. فَاخْتَارَ لُوطٌ لِنَفْسِهِ كُلَّ دَائِرَةِ الأردن، وَارْتَحَلَ لُوطٌ شَرْقًا. فَاعْتَزَلَ الْوَاحِدُ عَنِ الآخَرِ. أَبْرَامُ سَكَنَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ(١)، ولوط سَكَنَ فِي مُدُنِ الدَّائِرَةِ، وَنَقَلَ خِيَامَهُ إِلَى سدوم"(٢).

و لم تذكر التوراة أن انتقال سيدنا لوط إلى بلاد الأردن في قرية سدوم هو تقدير من العزيز الحكيم من أجل دعوة قومه، ومن أجل تنبيه القوم الفاسقين، والكاتب للسفر كان يرمي من وراء اتهام سيدنا لوط بأنه ارتحل إلى أرض الأردن برغبة منه حتى يبعد سيدنا لوط وذريته، عن أرض كنعان وهي فلسطين لتكون خالصة لسيدنا إبراهيم ولليهود ذريته كما يزعمون.

اتصاف سيدنا لوط بالخوف والجبن:

تذكر التوراة أن سيدنا لوط عليه السلام كان قد وقع أسيراً، وأن سيدنا إبراهيم عليه السلام قد فك أسره: "فَخَرَجَ مَلِكُ سدوم، وَمَلِكُ عَمُورَةَ، وَمَلِكُ أَدْمَةَ(٣)، وَمَلِكُ صَبُويِيمَ(٤)، وَمَلِكُ بَالَعَ(٥)، الَّتِي هِيَ صُوغَرُ، وَنَظَمُوا حَرْبًا مَعَهُمْ فِي عُمْقِ السِّدِّيمِ(٦).

مَعَ كَدَرْلَعَوْمَرَ(٧) مَلِكِ عِيلاَمَ(٨)، وَتِدْعَالَ(٩) مَلِكِ جُويِيمَ،

(١) أَرْضِ كَنْعَانَ: هي الأرض التي سكنتها ذرية كنعان وقد استولى عليها العبرانيون فيما بعد. وكانت حدودها الأصلية مدخل حماة إلى الشمال وبادية سوريا والعرب إلى الشرق وبادية العرب إلى الجنوب وساحل البحر المتوسط إلى الغرب. قاموس الكتاب المقدس: (٢١/٥٠).

(٢) سفر التكوين: ١٣: " الإصحاح: ١٣: ١٠ -١٢ " .

(٣) أَدْمَةَ: ربما كان معنى الاسم "احمرار" وهو اسم لمدينة من مدن السهل، وكانت من ضمن المدن التي أهلكت مع سدوم وعمورة. قاموس الكتاب المقدس: (١/ ٦٤).

(٤) صَبُويِيمَ: اسم عبري معناه: ظباء، إحدى مدن الدائرة كسر ملكها كدرلعومر، أحرقها الله مع بقية مدن الدائرة بنار من السماء. قاموس الكتاب المقدس: (١٤/ ٣).

(٥) بَالَعَ: اسم عبري معناه: "البلع" أو "الفلك" وهو اسم: مدينة من مدن الدائرة الخمس، كانت مبنية على الشاطئ الشرقي من البحر الميت على طريق مصر. قاموس الكتاب المقدس: (٢/٢٠).

(٦) السِّدِّيمِ: اسم عبراني معناه: "أخاديد" "حقول" وهو واد ملآن بحفر الزفت المعدني يقع هذا الوادي في منطقة بحر الملح الذي هو البحر الميت. قاموس الكتاب المقدس: (١٢/٢٩).

(٧) كَدَرْلَعَوْمَرَ: اسم عيلامي معناه: "عبد الإله لعومر" ملك عيلام ويظهر أنه كان متسلطا على بابل. قاموس الكتاب المقدس: (٢١/ ٢٧).

(٨) عِيلاَمُ: اسم عبري من أصل أكادي معناه: مرتفعات، وهو اسم أكبر أبناء سام. وإليه ينتسب العيلاميون والفرس أيضا من ذريته. قاموس الكتاب المقدس: (١٧/ ١٠٢).

(٩) تِدْعَالَ: ملك جوييم أحد الملوك الذين تعاهدوا أن يحاربوا مع كدرلعومر. قاموس الكتاب المقدس: (٣/ ٨).

وَأَمْرَافَلَ(١) مَلِكِ شِنْعَارَ(٢)، وَأَرْيُوكَ(٣) مَلِكِ أَلاَّسَارَ(٤). أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ مَعَ خَمْسَةٍ. وَعُمْقُ السِّدِّيمِ كَانَ فِيهِ آبَارُ حُمَرٍ كَثِيرَةٌ. فَهَرَبَ مَلِكَا سدوم وَعَمُورَةَ وَسَقَطَا هُنَاكَ، وَالْبَاقُونَ هَرَبُوا إِلَى الْجَبَلِ.

فَأَخَذُوا جَمِيعَ أَمْلاَكِ سدوم وَعَمُورَةَ وَجَمِيعَ أَطْعِمَتِهِمْ وَمَضَوْا. وَأَخَذُوا لُوطاً ابْنَ أَخِي أَبْرَامَ وَأَمْلاَكَهُ وَمَضَوْا، إِذْ كَانَ سَاكِنًا فِي سدوم"(٥). وَاسْتَرْجَعَ كُلَّ الأَمْلاَكِ، وَاسْتَرْجَعَ لُوطاً أَخَاهُ أَيْضًا وَأَمْلاَكَهُ، وَالنِّسَاءَ أَيْضًا وَالشَّعْبَ"(٦).

أراد كاتب هذا السفر أن ينسب إلى سيدنا لوط عليه السلام أمراً هو بريء منه وأن يلصق به وصفاً ليس موجود فيه إلا وهو أنه سبب ابتلاء على سيدنا إبراهيم عليه السلام، يقع في الأسر فيأتي سيدنا إبراهيم ويفك سراحه وينقذه ويضايقه في أرضه فيطلب من سيدنا إبراهيم الارتحال إلى بلاد الأردن.

وأنه عندما طلب الرب من سيدنا لوط عليه السلام الخروج والهروب إلى الجبل قبل نزول العذاب على أهل القرية، قال سيدنا لوط عليه السلام: "لاَ يَا سَيِّدُ. هُوَ ذَا عَبْدُكَ قَدْ وَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ، وَعَظَّمْتَ لُطْفَكَ الَّذِي صَنَعْتَ إِلَيَّ بِاسْتِبْقَاءِ نَفْسِي، وَأَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَهْرُبَ إِلَى الْجَبَلِ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْرِكُنِي فَأَمُوتَ. هُوَذَا الْمَدِينَةُ هذِهِ قَرِيبَةٌ لِلْهَرَبِ إِلَيْهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ. أَهْرُبُ إِلَى هُنَاكَ. أَلَيْسَتْ هِيَ صَغِيرَةً؟ فَتَحْيَا نَفْسِي"(٧).

وهذه صفة أخرى تلصقها التوراة بسيدنا لوط عليه السلام وهو أنه جبان وخائف لا يستطيع الهروب ويخاف من ملاقاة الموت.

اتصاف سيدنا لوط عليه السلام بالتمرد والعصيان وعدم طاعة ربه:

وتكشف التوراة عن صفة أخرى ذميمة ألصقتها بالنبي لوط عليه السلام، ألا وهي التمرد وعدم طاعة الملائكة عندما طلبوا منه الخروج من القرية حتى لا يترل عليه العذاب. "وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ كَانَ الْمَلاَكَانِ يُعَجِّلاَنِ

---

(١) أَمْرَافَلَ: ملك شنعار الأقليم الواقع حول بابل، وقد أغار هو وثلاثة ملوك غيره معه على خمس مدن بالقرب من البحر الميت وأخذ لوطا وأسرته أسرى. قاموس الكتاب المقدس: (١/ ١٩٨).

(٢) شِنْعَارَ: هي المنطقة التي تمتد بين بابل وأرك وكلنة وأكد، وكانت ضمن مملكة نمرود. قاموس الكتاب المقدس: (١٣/ ٣٥).

(٣) أَرْيُوكَ: ملك ألاسار واحد من الملوك الذين تحالفوا مع كدرلعومر ملك عيلام لغزو وادي الأردن. قاموس الكتاب المقدس: (١٠١/١).

(٤) أَلاَّسَارَ: مكان في بابل ويرجح أنه نفس لارسا القديمة. ومكانه اليوم سنكرة جنوبي شرقي أرك. وكان أريوك ملك ألآسار من الأربعة ملوك الذين أتوا من الشرق وهاجموا شرقي فلسطين وأخذوا لوطا أسيرا. قاموس الكتاب المقدس: (١/ ١٨٣).

(٥) سفر التكوين: ١٤: " الإصحاح: ١٤: ٨- ١٢ " .

(٦) سفر التكوين: ١٤: " الإصحاح: ١٤: ١٦ " .

(٧) سفر التكوين: ١٩: " الإصحاح: ١٩: ١٩ -٢٠ " .

لُوطًا قَائِلَيْنِ: قُمْ خُذِ امْرَأَتَكَ وَابْنَتَيْكَ الْمَوْجُودَتَيْنِ لِئَلاَّ تَهْلِكَ بِإِثْمِ الْمَدِينَةِ. وَلَمَّا تَوَانَى، أَمْسَكَ الرَّجُلاَنِ بِيَدِهِ وَبِيَدِ امْرَأَتِهِ وَبِيَدِ ابْنَتَيْهِ، لِشَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَاهُ وَوَضَعَاهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ"(١).

وأن سيدنا لوط عليه السلام كان مستهتراً وغير مبالياً بأمر الملائكة عندما طلبوا منه الخروج، فعندما كلم أصهاره بالخروج كان مازحاً غير مكترثاً بقول الملائكة. "وَقَالَ الرَّجُلاَنِ لِلُوطٍ: «مَنْ لَكَ أَيْضًا ههُنَا؟ أَصْهَارَكَ وَبَنِيكَ وَبَنَاتِكَ وَكُلَّ مَنْ لَكَ فِي الْمَدِينَةِ، أَخْرِجْ مِنَ الْمَكَانِ، لأَنَّنَا مُهْلِكَانِ هذَا الْمَكَانَ، إِذْ قَدْ عَظُمَ صُرَاخُهُمْ أَمَامَ الرَّبِّ، فَأَرْسَلَنَا الرَّبُّ لِنُهْلِكَهُ» . فَخَرَجَ لُوطٌ وَكَلَّمَ أَصْهَارَهُ الآخِذِينَ بَنَاتِهِ وَقَالَ: «قُومُوا اخْرُجُوا مِنْ هذَا الْمَكَانِ، لأَنَّ الرَّبَّ مُهْلِكٌ الْمَدِينَةَ» . فَكَانَ كَمَازِحٍ فِي أَعْيُنِ أَصْهَارِهِ"(٢).

هذا تصوير لموقف سيدنا لوط عليه السلام مخالف لما جاء في القرآن الكريم، فلم يكن سيدنا لوط عليه السلام متمرداً على ملائكة الله تعالى، بل كان مستجيباً لأوامرهم منفذاً لها بحذافيرها، مستيقناً أن النصر حليفه وأن الله تعالى معه، وأن العذاب واقع بقومه العصاة وبامرأته أيضاً. كما قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ [هود: ٨١].

و لم تكن امرأة لوط عليه السلام من الناجين من العذاب كما تذكر التوراة المحرفة، وأن الأمر الإلهي يتضمن خروج سيدنا لوط عليه السلام وابنيه وزوجته وأصهاره الآخذين بناته. بل كانت امرأته عليه السلام من الباقين في العذاب بدلالة الآية الكريمة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ۝ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ [الحجر: ٥٨ – ٦٠].

وكما نرى التحريف واضح في النص التوراتي: "فَخَرَجَ لُوطٌ وَكَلَّمَ أَصْهَارَهُ الآخِذِينَ بَنَاتِهِ وَقَالَ: «قُومُوا اخْرُجُوا مِنْ هذَا الْمَكَانِ، لأَنَّ الرَّبَّ مُهْلِكٌ الْمَدِينَةَ» . فَكَانَ كَمَازِحٍ فِي أَعْيُنِ أَصْهَارِه".

فإن كان لسيدنا لوط أصهار وبناته زوجات لهم فكيف يكون منه عليه السلام أن يعرض بناته المتزوجات على قومه، فهو أمر منكر شرعاً وعقلاً أن يعرض بناته المتزوجات على قومه من أجل الزواج، والأدهى والأصعب والأغرب أن يعقل أن يكون عرض سيدنا لوط عليه السلام لبناته المتزوجات على قومه من أجل إغرائهم بفعل الفاحشة بهن بدلاً من فعلها بأضيافه الكرام.

---

(١) سفر التكوين: ١٩: " الإصحاح: ١٩: ١٥ -١٦ " .

(٢) سفر التكوين: ١٩: " الإصحاح: ١٩: ١٣ -١٥ " .

المطلب الثاني: موقف التوراة من النبي لوط عليه السلام

أولاً: هجرة سيدنا لوط مع إبراهيم عليهما السلام:

جاء في سفر التكوين استعراض قصة سيدنا إبراهيم مع لوط عليهما السلام وهجرة سيدنا إبراهيم مع زوجته "ساراي" كما تسميها التوراة ومع لوط عليهما السلام متحركين جميعهم من حاران إلى أرض كنعان مصطحبين معهم جميع ما يمتلكون من المال والعتاد[1].

وقد جاء في سفر التكوين: "فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ مَعَهُ لُوطٌ. وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً لَمَّا خَرَجَ مِنْ حَارَانَ. فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ[2] امْرَأَتَهُ، وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ، وَكُلَّ مُقْتَنَيَاتِهِمَا الَّتِي اقْتَنَيَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ. وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. وَاجْتَازَ أَبْرَامُ فِي الأَرْضِ إِلَى مَكَانِ شَكِيمَ[3] إِلَى بَلُّوطَةِ مُورَةَ[4]. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الأَرْضِ"[5].

والصحيح أن حاران هي ليست بلاد سيدنا إبراهيم عليه السلام وأن بلاده وبلاد أبيه هي "أور[6]" أرض الكلدانيين في العراق، وأن تارح والد سيدنا إبراهيم عليه السلام قد ارتحل إلى حاران مع بنيه وزوجاتهم.

وهذا نص التوراة: "وَعَاشَ تَارَحُ[7] سَبْعِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ[8] وَ هَارَانَ[9]. وَهذِهِ مَوَالِيدُ تَارَحَ: وَلَدَ تَارَحُ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ وَهَارَانَ. وَوَلَدَ هَارَانُ لُوطًا. وَمَاتَ هَارَانُ قَبْلَ تَارَحَ أَبِيهِ فِي أَرْضِ مِيلاَدِهِ فِي أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ. وَاتَّخَذَ أَبْرَامُ وَنَاحُورُ لأَنْفُسِهِمَا امْرَأَتَيْنِ: اسْمُ امْرَأَةِ أَبْرَامَ سَارَايُ، وَاسْمُ امْرَأَةِ نَاحُورَ مِلْكَةُ بِنْتُ هَارَانَ[10]، أَبِي مِلْكَةَ وَأَبِي يِسْكَةَ[11]. وَكَانَتْ سَارَايُ عَاقِرًا لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ. وَأَخَذَ تَارَحُ أَبْرَامَ ابْنَهُ، وَلُوطًا بن هَارَانَ، ابْنَ ابْنِهِ، وَسَارَايَ

---

(١) انظر كتاب الله والأنبياء في العهد القديم: ص٤٧، قصة لوط بين القرآن الكريم والتوراة: ص٣٧.

(٢) سَارَايُ: اسم عبراني معناه: المجاهدة" وهو الاسم الأصلي لسارة زوجة إبراهيم. قاموس الكتاب المقدس: (١٢/ ١).

(٣) شكيم بلدة قديمة. فلقد خيم بالقرب منها إبراهيم شكيم بلدة قديمة. قاموس الكتاب المقدس: (١٣/ ٢١).

(٤) بَلُّوطَةِ مُورَةَ أو بَلُّوطَاتِ مُورَةَ: اسم كنعاني معناه: "بلوطة المعلم" وهو موضع بقرب شكيم. قاموس الكتاب المقدس (٢٣/ ١٣٥).

(٥) سفر التكوين: ١٢، " الإصحاح: ١٢: ٤ـ٦ " .

(٦) أُورِ الْكِلْدَانِيِّينَ: مسقط رأس إبراهيم التي ولد ونشأ فيها ولكنه خرج منها. قاموس الكتاب المقدس: (١/٢٢١).

(٧) تَارَحُ: اسم عبري معناه: "عنزة جبلية" ابن ناحور وأبو إبراهيم، كان يقطن أور الكلدانيين وقضى أغلب حياته فيها مؤثرا عبادة الأوثان على عبادة الله. قاموس الكتاب المقدس: (٣/ ٥).

(٨) نَاحُورَ: اسم سامي معناه: "متثاقل الأنفاس" وهو اسم: ابن تارح: أحد أخوة إبراهيم. قاموس الكتاب المقدس: (٢٤/ ٤).

(٩) هَارَانَ: ابن تارح وأخو إبراهيم وقد توفي قبل أخي. قاموس الكتاب المقدس: (٢٥/ ٢).

(١٠) مِلْكَةُ: اسم سامي معناه: "مشورة" وهو اسم ابنة حاران وامرأة ناحور أخي إبراهيم . قاموس الكتاب المقدس (٢٣/ ١٢٣).

(١١) يسكة: ابنة هاران وأخت ملكة. قاموس الكتاب المقدس: (٢٧/ ٣٠).

كَنَّتَهُ امْرَأَةَ أَبْرَامَ ابْنِهِ، فَخَرَجُوا مَعًا مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ. وَكَانَتْ أَيَّامُ تَارَحَ مِئَتَيْنِ وَخَمْسَ سِنِينَ. وَمَاتَ تَارَحُ فِي حَارَانَ"(١).

ثم ارتحل سيدنا إبراهيم من حاران إلى أرض كنعان "فلسطين"، كما جاء في سفر التكوين: "فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ مَعَهُ لُوطٌ. وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً لَمَّا خَرَجَ مِنْ حَارَانَ. فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ امْرَأَتَهُ، وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ، وَكُلَّ مُقْتَنَيَاتِهِمَا الَّتِي اقْتَنَيَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ. وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. وَاجْتَازَ أَبْرَامُ فِي الأَرْضِ إِلَى مَكَانِ شَكِيمَ إِلَى بَلُّوطَةِ مُورَةَ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الأَرْضِ. وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ» . فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ. ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيلَ(٢) وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ. وَلَهُ بَيْتُ إِيلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَايُ(٣) مِنَ الْمَشْرِقِ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ. ثُمَّ ارْتَحَلَ أَبْرَامُ ارْتِحَالاً مُتَوَالِيًا نَحْوَ الْجَنُوبِ"(٤).

مناقشة ما ورد في السفر:

أولاً: لم يرد في هذا السفر عن سيدنا لوط أنه آمن بسيدنا إبراهيم بل كان أول من آمن به وهاجر معه كما قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

وأن سيدنا إبراهيم قد اصطحب معه خلال هجرته زوجته سارة ومن آمن معه ممن كتب الله لهم الهداية، وأيضاً سيدنا لوط عليه السلام. وهاجروا جميعاً معه من "كوثى" وهي من سواد الكوفة من أعالي العراق إلى "حران" أو "حوران" منطقة في بلاد الأردن الآن، ثم إلى فلسطين مرواً خلال هذه الهجرة برحلات متتالية ومتعددة وقد استقروا بعض الوقت في فلسطين(٥).

كما جاء في رواية ابن جرير عن ابن جريج، في قوله: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ قال: "إلى حران، ثم أُمر بعد بالشام الذي هاجر إبراهيم، وهو أوّل من هاجَر(٦).

---

(١) سفر التكوين: ١١، " الإصحاح: ١١: ٢٦_٣٢ " .

(٢) إيلَ: اسم من أسماء الله في العبرية. وتستعمل إيل بمفردها للدلالة على الإله الواحد الحقيقي. قاموس الكتاب المقدس: (١/ ٢٤٢).

(٣) عَايَ: اسم عبري معناه: "خراب". وقد ورد ذكرها في مكان آخر عيا، وعياث، وهي: بلدة كنعانية إلى الشرق من بيت إيل. قاموس الكتاب المقدس (١٧/ ٥).

(٤) سفر التكوين: ١٢، " الإصحاح: ١٢: ٤_٩ " .

(٥) تفسير ابن كثير: (٦/٢٧٢)، تفسير البغوي: (٦/٢٣٨)، التاريخ اليهودي العام: ص ٦-١٠، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم: ص٧٤.

(٦) تفسير الطبري: (٢٠/١٤٣).

ثانياً: أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يكن لديه أي رغبة في الاستيطان في فلسطين والمكوث فيها بخلاف بعض المعتقدات التوراتية التي تزعم أن سيدنا إبراهيم عليه السلام موعود من عند ربه بأن تكون له أرض فلسطين. وأقرب شاهد على تناقض التوراة نفسها ما جاء في سفر التكوين، حينما طلب الرب من سيدنا إبراهيم أن يتوجه إلى أرض كنعان ليباركه هو ومن معه فاتجه سيدنا إبراهيم ومعه لوط عليه السلام من حاران إلى أرض كنعان: "وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ مَعَهُ لُوطٌ. وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً لَمَّا خَرَجَ مِنْ حَارَانَ. فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ امْرَأَتَهُ، وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ، وَكُلَّ مُقْتَنَيَاتِهِمَا الَّتِي اقْتَنَيَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ. وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ"(١).

فإذا كان سيدنا إبراهيم عليه السلام مأمور من عند ربه بالتوجه إلى أرض كنعان المباركة، فلماذا ارتحل عنها وتركها وانتقل نحو الجنوب كما ورد في نفس السفر: "وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ» . فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ. ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيل وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ. وَلَهُ بَيْتُ إِيلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَايُ مِنَ الْمَشْرِقِ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ. ثُمَّ ارْتَحَلَ أَبْرَامُ ارْتِحَالاً مُتَوَالِيًا نَحْوَ الْجَنُوبِ"(٢).

وهذا النسل الموعود بأرض فلسطين لم يكن قد وجد بعد في تلك الفترة، وإذا كانت أرض فلسطين هي لسيدنا إبراهيم عليه السلام ولنسله من بعده كما يدعي كاتب السر وكذلك اليهود، فلماذا ارتحل عنها عليه السلام واتجه نحو الجنوب كما ذكر كاتب السفر: "ثُمَّ ارْتَحَلَ أَبْرَامُ ارْتِحَالاً مُتَوَالِيًا نَحْوَ الْجَنُوبِ"(٣).

وجاء في سفر التكوين أيضا ما يبرر قولهم أن الرب وعد سيدنا إبراهيم بالأرض المقدسة: "وَقَالَ لَهُ: «أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هذِهِ الأَرْضَ لِتَرِثَهَا» . فَقَالَ: «أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، بِمَاذَا أَعْلَمُ أَنِّي أَرِثُهَا؟» (٤).

---

(١) سفر التكوين: ١٢، " الإصحاح: ١٢: ١- ٥ " .
(٢) سفر التكوين: ١٢، " الإصحاح: ١٢: ٧ـ٩ " .
(٣) سفر التكوين: ١٢، " الإصحاح: ١٢: ٩ " .
(٤) سفر التكوين: ١٥، " الإصحاح: ١٥: ٧ -٨ " .

فمهما كانت المزاعم التوراتية بأن الله تعالى قد أعطى أرض فلسطين لسيدنا إبراهيم عليه السلام ولنسله من بعده(١) فإن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم تكن له أي رغبة في المكوث والاستيطان في هذه البلاد وهــذا الأمـــر لا جدال فيه وقد دلت عليه المصادر الدينية والتاريخية(٢).

من جهة أخرى لا يمكن أن ينسب هذا القول لنبي الله إبراهيم عليه السلام الذي يوحي بأنه متشكك في خبر ربه وأنه يطلب منه ما يثبت أنه فعلاً سيرث أرض فلسطين: "فَقَالَ: «أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، بِمَاذَا أَعْلَـــمُ أَنِّي أَرِثُهَا؟» (٣).

يقول الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى: "حاش لله أن يقول إبراهيم لربه هذا الكلام فهذا كلام من لم يثق بخبر ربه عز وجل حتى طلب على ذلك برهاناً"(٤).

ثالثاً: التوراة دائما تصور الأنبياء أنهم يطمعون في الأموال ويجمعون الثروات كما ذكر عن ســيدنا لـــوط وإبراهيم عليهما السلام أنهما عندما ارتحلا أخذا معهما جميع ممتلكاتهم ومقتنياتهم في حاران، و لم تـــبين التـــوراة أن الأنبياء لم يكونوا يرغبون في حطام الدنيا وأن مطمعهم الأساسي هو رضا الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: افتراق سيدنا لوط عن سيدنا إبراهيم عليهما السلام بعد عودهم من مصر:

تذكر التوراة أنه بعد خروج سيدنا إبراهيم وزوجته ولوط عليهما السلام من مصـــر محصـــلين الخـــيرات والأموال، حدث الافتراق بين النبيين لوط وإبراهيم عليهما السلام بسبب تكاثر أمـــوالهم وأملاكهـــم وأن الأرض أصبحت لا تكفيهما مما أدى إلى حدوث مخاصمة بين رعاتهما، فكلاً منهما اتخذ طريقاً بعيداً عن الآخر(٥).

كما جاء في نص التوراة: "فَصَعِدَ أَبْرَامُ مِنْ مِصْرَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ، ولوط مَعَهُ إِلَـــى الْجَنُـــوبِ. وَكَانَ أَبْرَامُ غَنِيًّا جِدًّا فِي الْمَوَاشِي وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ. وَسَارَ فِي رِحْلاَتِهِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى بَيْتِ إِيلَ، إِلَـــى الْمَكَـــانِ الَّذِي كَانَتْ خَيْمَتُهُ فِيهِ فِي الْبَدَاءَةِ، بَيْنَ بَيْتِ إِيلَ وَعَايَ، إِلَى مَكَانِ الْمَذْبَحِ الَّذِي عَمِلَهُ هُنَاكَ أَوَّلاً. وَدَعَا هُنَاكَ أَبْرَامُ بِاسْمِ الرَّبِّ.ولوط السَّائِرُ مَعَ أَبْرَامَ، كَانَ لَهُ أَيْضًا غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَخِيَامٌ. وَلَمْ تَحْتَمِلْهُمَا الأَرْضُ أَنْ يَسْكُنَا مَعًا، إِذْ كَانَتْ أَمْلاَكُهُمَا كَثِيرَةً، فَلَمْ يَقْدِرَا أَنْ يَسْكُنَا مَعًا. ٧فَحَدَثَتْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنَ رُعَاةِ مَوَاشِي أَبْرَامَ وَرُعَاةِ مَوَاشِي لُوطٍ. وَكَـــانَ الْكَنْعَانِيُّونَ وَالْفَرِزِّيُّونَ حِينَئِذٍ سَاكِنِينَ فِي الأَرْضِ. فَقَالَ أَبْرَامُ لِلُوطٍ: «لاَ تَكُنْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ رُعَـــاتِي

(١) ولاشك أن هذا الزعم من اليهود لتبرير تملكهم لأرض فلسطين وأنها ملكاً لهم وحدهم، وأن المقصود بنسل إبراهيم عليه السلام هم أولاد يعقوب وحدهم، انظر: كتاب الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم: ص ٧٧- ٧٨.

(٢) التاريخ اليهودي العام: ص١٠.

(٣) سفر التكوين: ١٥، " الإصحاح: ١٥: ٨ " .

(٤) توراة اليهود والامام ابن حزم الأندلسي: ص٤١٠ -٤١١.

(٥) انظر كتاب: الله والأنبياء في التوراة و العهد القديم: ص٧٦، ١٢٤.

وَرُعَاتِكَ، لأَنَّنَا نَحْنُ أَخَوَانِ. ٩أَلَيْسَتْ كُلُّ الأَرْضِ أَمَامَكَ؟ اعْتَزِلْ عَنِّي. إِنْ ذَهَبْتَ شِمَالاً فَأَنَا يَمِينًا، وَإِنْ يَمِينًا فَأَنَا شِمَالاً» (١).

فما كان من سيدنا لوط إلا أن استجاب لقول سيدنا إبراهيم عليه السلام كما تزعم التوراة وانتقل لوط عليه السلام إلى سدوم واختار لنفسه دائرة الأردن، وأما سيدنا إبراهيم فقد سكن في أرض كنعان.

فقد جاء في نص التوراة: "فَرَفَعَ لُوطٌ عَيْنَيْهِ وَرَأَى كُلَّ دَائِرَةِ الأردن أَنَّ جَمِيعَهَا سَقْيٌ، قَبْلَمَا أَخْرَبَ الرَّبُّ سدوم وَعَمُورَةَ، كَجَنَّةِ الرَّبِّ، كَأَرْضِ مِصْرَ. حِينَمَا تَجِيءُ إِلَى صُوغَرَ. فَاخْتَارَ لُوطٌ لِنَفْسِهِ كُلَّ دَائِرَةِ الأردن، وَارْتَحَلَ لُوطٌ شَرْقًا. فَاعْتَزَلَ الْوَاحِدُ عَنِ الآخَرِ. أَبْرَامُ سَكَنَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، ولوط سَكَنَ فِي مُدُنِ الدَّائِرَةِ، وَنَقَلَ خِيَامَهُ إِلَى سدوم. وَكَانَ أَهْلُ سدوم أَشْرَارًا وَخُطَاةً لَدَى الرَّبِّ جِدًّا"(٢).

مناقشة قولهم:

أولاً: تركز التوراة دائماً على إبراز الأنبياء بشكل مادي ممقوت وأنهم عليهم الصلاة والسلام أشربوا حب الدنيا وشهواتها، فهي تصف أن سبب الافتراق بين النبيين إبراهيم ولوط عليهما السلام كان بسبب كثرة الأموال والممتلكات وتخاصم الرعاة فاختار كلاً منهما طريقاً ومكاناً خاصاً به حتى يهنؤا بعيشهم وبأموالهم.

ثانياً: أما عن هجرة سيدنا إبراهيم ولوط علهما السلام وافتراقهما فقد ذكرها القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١ – ٧٢]. فالله سبحانه وتعالى يخبرنا عن هجرة سيدنا إبراهيم ونجاته من نار قومه إلى الأرض المباركة، واختلف في معنى الأرض المباركة، فقيل: هي بلاد الشام وهي الأرض المقدسة وكان معه زوجته ولوط عليه السلام، وقيل: أرض العراق ثم إلى أرض الشام، وقيل: مكة(٣).

فقد جاء في رواية ابن جرير عن ابن إسحاق قال: "خرج إبراهيم مهاجرا إلى ربه، وخرج معه لوط مهاجرا، وتزوج سارة ابنة عمه، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه، والأمان على عبادة ربه، حتى نزل حران، فمكث فيها ما شاء الله أن يمكث، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر إلى الشام، فنزل السبع من أرض فلسطين، وهي برّية الشام، ونزل لوط بالمؤتفكة، وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة، أو أقرب من ذلك، فبعثه الله نبيا صلى الله عليه وسلم"(٤).

---

(١) سفر التكوين: ١٣، " الإصحاح: ١٣: ١_٩ " .

(٢) سفر التكوين: ١٣، " الإصحاح: ١٣: ١٠_١٣ " .

(٣) انظر تفسير ابن كثير: ٣٥٣/٥، جامع البيان: ٥٧١٧/٧. تفسير سورة الأنبياء.

(٤) جامع البيان: ٥٧١٧/٧.

والراجح من أقوال أهل العلم: أن سيدنا إبراهيم ولوط عليهما السلام هاجرا جميعاً من العراق إلى الشام، ثم بعد ذلك حدث الافتراق فانتقل سيدنا إبراهيم إلى أرض فلسطين، وانتقل سيدنا لوط عليه السلام إلى بلاد سدوم أو المؤتفكة فكان استقراره في دائرة الأردن عند البحر الميت.

أما عن سبب افتراقهما عن بعض فهو من أجل أن يبدأ سيدنا لوط عليه السلام مشوار دعوته مع قوم سدوم ولتبليغ الرسالة لهم(١).

وهذا ما رجحه الإمام ابن جرير رحمه الله تعالى حيث قال: "وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر، غير أنه لم يقم بها، و لم يتخذها وطنا لنفسه، ولا لوط، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنهما أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين"(٢).

ولسائل أن يسأل هل هذا هو السبب الحقيقي لافتراق النَّبيَين عن بعضهما البعض وانفصال أحدهما عن الأخر بعدما آمن سيدنا لوط عليه السلام بسيدنا إبراهيم وهاجر معه فراراً بدينه إلى الله تعالى، فهل بهذه السهولة يرتحل عنه ويتركه من أجل قطيع أغنام وأبقار ودنيا زائلة.

فالتوراة لم تظهر السبب الحقيقي الذي من أجله ارتحل سيدنا لوط عليه السلام عن سيدنا إبراهيم، ألا وهو الدعوة إلى الله تعالى وإعلاء كلمة الحق في قوم سدوم، ونهيهم عن الفواحش والقبائح التي استشرت في نفوسهم، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠ – ٨١].

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في معنى الآية: "وكان لوط قد آمن مع إبراهيم عليه السلام، وهاجر معه إلى أرض الشام، فبعثه الله تعالى إلى أهل "سدوم" وما حولها من القرى، يدعوهم إلى الله عزَّ وجل، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها، لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم، وهو إتيان الذكور، وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، ولا يخطر ببالهم، حتى صنع ذلك أهل "سدوم" عليهم لعائن الله"(٣).

والمتأمل في أسفار التوراة لا يرى أثراً لذكر سبب هجرة سيدنا لوط عليه السلام مع إبراهيم عليه السلام، بل ذكروا أن سيدنا لوط هاجر مع إبراهيم فقط، فقد جاء في سفر التكوين "فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ مَعَهُ لُوطٌ. وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً لَمَّا خَرَجَ مِنْ حَارَانَ. فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ امْرَأَتَهُ، وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ،

(١) انظر القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، المؤلف: حسن الباش: ١٦٠/١، دار قتيبة للنشر والتوزيع.

(٢) جامع البيان: ٥٧١٨/٧ تفسير سورة الأنبياء

(٣) تفسير ابن كثير: ص٤٤٤ ـ٤٤٥، انظر كتاب " الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ص ١٢٩

وَكُلَّ مُقْتَنَيَاتِهِمَا الَّتِي اقْتَنَيَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ. وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ"(١).

وإن لم يكن قد ذُكر في التوراة سبب هجرة سيدنا لوط عليه السلام مع سيدنا إبراهيم وإيمانه به وتصديقه برسالته وفراره بدينه إلى الله تعالى كما ذكر في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، فمن باب أولى يكون إغفال التوراة لذكر السبب الذي من أجله افترق سيدنا لوط عليه السلام عن سيدنا إبراهيم عليه السلام، إذ أن سبب هجرة سيدنا لوط عليه مع إبراهيم عليه السلام هو توحيد الله تعالى والإيمان به، وسبب افتراق نبي الله لوط عن سيدنا إبراهيم عليه السلام هو تبليغ هذا التوحيد والدعوة إلى ثمراته وفضائله، وكلا الأمرين أغفلتهما التوراة، و لم تسلط عليها الضوء ولو بشيء يسير، لا لشيء وإنما لتغفل ذكر مهمة الأنبياء السامية التي من أجلها بعثوا إلى الناس ومن أجلها هاجروا إلى الله تعالى وتكبدوا الآلام وأنفقوا كل غالي ونفيس، وإذا اختفت هذه الحقيقة الطاهرة من أذهان الناس وتلاشت من أفهامهم هذه الصورة النقية لأنبياء الله تعالى الكرام يصبح الباب مفتوحاً أمام محرفي التوراة لإلصاق أبشع الافتراءات وأسوأ الظنون بأنبياء الله تعالى الكرام.

من هنا نرى أن التدبير الإلهي والمشيئة الإلهية هي التي أرادت افتراق سيدنا إبراهيم عن سيدنا لوط عليهما السلام واستقراره في أرض الأردن ليدعوا أهلها إلى التوحيد ومكارم أخلاق، لكن اليهود لا يبرزون الجانب الدعوي في حياة الأنبياء وأنهم دعاة إصلاح ودعاة للخير بل هم دائماً في نظرهم سفلة ليس لهم همٌ في الدنيا إلا جمع الثروات والانكباب على الشهوات.

أمر آخر وهو أنه إذا أظهر كاتب السفر أنَّ سيدنا لوط هو داعٍ للخير وآمرٌ بالمعروف وناهٍ عن المنكر، فإن هذا الأمر يناقض ما يذكروه في أسفارهم من أن لوط عليه السلام هو الذي يعرض بناته للفاحشة ويرضى بها، وهو الذي يرتكبها مع ابنتيه من أجل إحياء النسل. فحينما علم اليهود أنَّ في قولهم هذا تناقضاً واختلافاً فكيف يكون داعياً إلى الله تعالى ومصلحاً وفي نفس الوقت يكون داعياً إلى الفاحشة وراضياً بها، فاختاروا وصفاً لسيدنا لوط يناسب هواهم ورغباتهم وهو أنه محب للفاحشة وداعٍ إليها، وهذا ما أبرزوه في أسفارهم وسلطوا الضوء عليه.

---

(١) سفر التكوين: ١٢، " الإصحاح: ١٢: ٤-٥ " .

ثالثاً: سيدنا لوط يصبح أسيراً:

تزعم التوراة أن حرباً وقعت بين أهل سدوم وبين كدرلعومر(١)، بسبب أن أهل سدوم امتنعوا عن دفع الجزية، فقرر هذا الملك المتسلط غزوهم وأسرهم، وكان من ضمن من أسرهم سيدنا لوط عليه السلام(٢).

جاء في سفر التكوين: " مَلِكُ سدوم، وَمَلِكُ عَمُورَةَ، وَمَلِكُ أَدْمَةَ، وَمَلِكُ صَبُويِيمَ، وَمَلِكُ بَالَعَ، الَّتِي هِيَ صُوغَرُ، وَنَظَمُوا حَرْبًا مَعَهُمْ فِي عُمْقِ السِّدِّيمِ. كَدَرْلَعَوْمَرَ مَلِكِ عِيلاَمَ، وَتِدْعَالَ مَلِكِ جُويِيمَ، وَأَمْرَافَلَ مَلِكِ شِنْعَارَ، وَأَرْيُوكَ مَلِكِ أَلاَّسَارَ. أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ مَعَ خَمْسَةٍ. وَعُمْقُ السِّدِّيمِ كَانَ فِيهِ آبَارُ حُمَرٍ كَثِيرَةٌ. فَهَرَبَ مَلِكَا سدوم وَعَمُورَةَ وَسَقَطَا هُنَاكَ، وَالْبَاقُونَ هَرَبُوا إِلَى الْجَبَلِ. فَأَخَذُوا جَمِيعَ أَمْلاَكِ سدوم وَعَمُورَةَ وَجَمِيعَ أَطْعِمَتِهِمْ وَمَضَوْا. وَأَخَذُوا لُوطاً ابْنَ أَخِي أَبْرَامَ وَأَمْلاَكَهُ وَمَضَوْا، إِذْ كَانَ سَاكِنًا فِي سدوم"(٣).

وذكرت التوراة أن سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد ذلك قد استرجع سيدنا لوط عليه السلام وفك أسره منهم: "١٣فَأَتَى مَنْ نَجَا وَأَخْبَرَ أَبْرَامَ الْعِبْرَانِيَّ. وَكَانَ سَاكِنًا عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الأَمُورِيِّ، أَخِي أَشْكُولَ وَأَخِي عَانِرَ. وَكَانُوا أَصْحَابَ عَهْدٍ مَعَ أَبْرَامَ. فَلَمَّا سَمِعَ أَبْرَامُ، أَنَّ أَخَاهُ سُبِيَ جَرَّ غِلْمَانَهُ الْمُتَمَرِّنِينَ، وِلْدَانَ بَيْتِهِ، ثَلاَثَ مِئَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ، وَتَبِعَهُمْ إِلَى دَانَ. وَانْقَسَمَ عَلَيْهِمْ لَيْلاً هُوَ وَعَبِيدُهُ فَكَسَّرَهُمْ وَتَبِعَهُمْ إِلَى حُوبَةَ الَّتِي عَنْ شَمَالِ دمشق. وَاسْتَرْجَعَ كُلَّ الأَمْلاَكِ، وَاسْتَرْجَعَ لُوطاً أَخَاهُ أَيْضًا وَأَمْلاَكَهُ، وَالنِّسَاءَ أَيْضًا وَالشَّعْبَ"(٤).

وقد أخرج السيوطي رحمه الله تعالى رواية مقاربة لما ذكر في التوراة. فقد روى عن حسان بن عطية قال: "أغار ملك نبط على لوط عليه السلام فسباه وأهله، فبلغ ذلك إبراهيم فأقبل في طلبه في عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر، فالتقى هو وتلك النبط في صحراء معفور، فعبى إبراهيم ميمنة وميسرة وقلباً، وكان أول من عبى الحرب هكذا، فاقتتلوا فهزمهم إبراهيم واستنقذ لوطاً وأهله"(٥)، وكما نلاحظ أيضاً هنا تسليط الضوء على حب الأنبياء للثروات والأملاك، وأن سيدنا إبراهيم فك أسر سيدنا لوط واسترجعه واسترجع أمواله وأملاكه والشعب أيضاً.

---

(١) كَدَرْلَعَوْمَرَ: ملك عيلام ويظهر أنه كان متسلطا على بابل. وقد تحالف في أيام إبراهيم مع أمرافل ملك شنعار وأريوك ملك ألاسار وتدعال ملك جوييم فأخضعوا مدن الدائرة حول البحر الميت مدة اثنتي عشرة سنة. ثم عصت هذه المدن في السنة الثالثة عشرة فهاجمها كدرلعومر مع حلفائه، فاستطاع بواسطة انتصاره هذا أن يتحكم في طرق القوافل المسافرة من البلاد العربية قرب رأس البحر الأحمر إلى مصر وكنعان والشمال. ولكنه سبى لوطا ابن أخ أبرام معه من سدوم مما جعل أبرام يلحق به مع خدامه وحلفائه ويسترجع منه لوطا والغنيمة التي أخذها. قاموس الكتاب المقدس: (٢١/ ٢٧).

(٢) انظر: التراث الاسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه، لصابر طعيمة: ص٤٧٦.

(٣) سفر التكوين: ١٤، " الإصحاح: ١٤: ٨_١٢ " .

(٤) سفر التكوين: ١٤، " الإصحاح: ١٤: ١٣_١٦ " .

(٥) الدر المنثور: ٧٤/٧ سورة الأنبياء

رابعاً: مجيء الملائكة إلى سيدنا إبراهيم ثم إلى سيدنا لوط عليهما السلام:

تذكر التوراة أن الملائكة ظهروا لسيدنا إبراهيم عليه السلام وقام بإكرامهم بأفضل الطعام وقد أكلوا حتى شبعوا، ثم أخبروه بأمرين:

الأول: بشروه بمولد له، سيدنا إسحاق عليه السلام.

الثاني: أخبروه بإهلاك قوم سدوم.

جاء في سفر التكوين: "وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ» . فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ» . فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْخَيْمَةِ إِلَى سارة، وَقَالَ: «أَسْرِعِي بِثَلاَثِ كَيْلاَتٍ دَقِيقًا سَمِيذًا. اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ[1]». ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلاً رَخْصًا وَجَيِّدًا وَأَعْطَاهُ لِلْغُلاَمِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ. ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا. وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ سارة امْرَأَتُكَ؟» فَقَالَ: «هَا هِيَ فِي الْخَيْمَةِ» . فَقَالَ: «إِنِّي أَرْجعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ» . وَكَانَتْ سارة سَامِعَةً فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَهُوَ وَرَاءَهُ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الأَيَّامِ، وَقَدِ انْقَطَعَ أَنْ يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَالنِّسَاءِ. فَضَحِكَتْ سارة فِي بَاطِنِهَا قَائِلَةً: «أَبَعْدَ فَنَائِي يَكُونُ لِي تَنَعُّمٌ، وَسَيِّدِي قَدْ شَاخَ؟» فَقَالَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: «لِمَاذَا ضَحِكَتْ سارة قَائِلَةً: أَفَبِالْحَقِيقَةِ أَلِدُ وَأَنَا قَدْ شِخْتُ؟ هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟ فِي الْمِيعَادِ أَرْجعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ابْنٌ» . فَأَنْكَرَتْ سارة قَائِلَةً: «لَمْ أَضْحَكْ» . لأَنَّهَا خَافَتْ. فَقَالَ: «لاَ! بَلْ ضَحِكْتِ» . ثُمَّ قَامَ الرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَتَطَلَّعُوا نَحْوَ سدوم. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ مَاشِيًا مَعَهُمْ لِيُشَيِّعَهُمْ. فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ، وإبراهيم يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟ لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلاً، لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ» . وَقَالَ الرَّبُّ: «إِنَّ صُرَاخَ سدوم وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا. أَنْزِلُ وَأَرَى

(١) كان الخبز المستعمل عند العبرانيين يشبه كعكا مسطحا صغيرا مصنوعا من دقيق القمح أما الفقراء فكانوا يخبزونه من دقيق الشعير. وكانت الحنطة تطحن يوميا في مطحنة تدار باليد ويخبز الخبز الطازج يوميا. وحينما كان الخبز يؤكل على عجل كان يؤكل في أكثر الأحيان بدون خميرة (تك١٩: ٣ و١ صم ٢٨: ٢٤) على أن صناعة الخبز المختمر لم تكن مجهولة لديهم. وكان الدقيق يصنع عجينا بخلطه بالماء. ويختمر بعد ذلك. على أنه في الفصح الأول كان العجين قد خلط بالماء في المعاجن و لم يكن قد اختمر بعد ساعة تلقوا الأمر بالرحيل (خر١٢: ٣٤). قاموس الكتاب المقدس: (٧/ ٣).

هَلْ فَعَلُوا بالتَّمَام حَسَبَ صُرَاخِهَا الآتِي إِلَيَّ، وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ» . وَانْصَرَفَ الرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَذَهَبُوا نَحْوَ سدوم، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ"(١).

ثم تذكر التوراة مجادلة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع ربه في أمر هلاك قوم لوط: " فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «أَفَتُهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ؟ عَسَى أَنْ يَكُونَ خَمْسُونَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ. أَفَتُهْلِكُ الْمَكَانَ وَلاَ تَصْفَحُ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ الْخَمْسِينَ بَارًّا الَّذِينَ فِيهِ؟ حَاشَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ، أَنْ تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالأَثِيمِ. حَاشَا لَكَ! أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلاً؟» فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنْ وَجَدْتُ فِي سدوم خَمْسِينَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ، فَإِنِّي أَصْفَحُ عَنِ الْمَكَانِ كُلِّهِ مِنْ أَجْلِهِمْ» . فَأَجَابَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى وَأَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ. رُبَّمَا نَقَصَ الْخَمْسُونَ بَارًّا خَمْسَةً. أَتُهْلِكُ كُلَّ الْمَدِينَةِ بِالْخَمْسَةِ؟» فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ» . فَعَادَ يُكَلِّمُهُ أَيْضًا وَقَالَ: «عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ أَرْبَعُونَ» . فَقَالَ: «لاَ أَفْعَلُ مِنْ أَجْلِ الأَرْبَعِينَ» . فَقَالَ: «لاَ يَسْخَطِ الْمَوْلَى فَأَتَكَلَّمَ. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ ثَلاَثُونَ» . فَقَالَ: «لاَ أَفْعَلُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ ثَلاَثِينَ» . فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عِشْرُونَ» . فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعِشْرِينَ» . فَقَالَ: «لاَ يَسْخَطِ الْمَوْلَى فَأَتَكَلَّمَ هذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عَشَرَةٌ» . فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعَشَرَةِ» . وَذَهَبَ الرَّبُّ عِنْدَمَا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، وَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَكَانِهِ"(٢).

وهذه المجادلة تصورها التوراة بين إبراهيم عليه السلام وبين ربه بكل ما فيها من استخفاف وسوء أدب مع الله تعالى لا يليق أن يكون من نبي كريم(٣). وقد بين الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى ما في هذا الكلام من الكذب والفحش على الله تعالى ثم على النبي إبراهيم عليه السلام من عدة جوانب:

أولا: من الكذب أن يخبر الله تعالى أنه تجلى لسيدنا إبراهيم، والصحيح أنه تجلى له ثلاث من الملائكة.

ثانياً: أنه عليه السلام يخاطب الملائكة الثلاثة بخطاب الواحد، وهذا هو معنى التثليث الذي يقول به النصارى، بل هو أشد منه ومن النصارى من يحتج بهذه القصة في إثبات التثليث كما يقول الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى.

ثالثاُ: سجوده عليه السلام للملائكة، فمن المحال أن يسجد خليل الله لغير الله تعالى.

رابعاً: خطاب سيدنا إبراهيم عليه السلام بأنه عبد لهم، فإن كان المقصود أنه خطاب لله وهو المتجلي له فهذا غير صحيح لأنه لم يتجلى له، وإن كان المقصود أنه عبد للملائكة فحاشاه أن يكون عبداً لغير الله تعالى.

(١) سفر التكوين: ١٨، " الإصحاح: ١٨: ١ -٢٢ " .
(٢) سفر التكوين: ١٨، " الإصحاح: ١٨: ٢٣ -٣٣ " .
(٣) انظر: هامش كتاب توراة اليهود والامام ابن حزم: ص٤١٥_٤١٦.

خامساً: إخبار سيدنا إبراهيم أنه قدَّم طعاماً وأنهم أكلوا الخبز والشوي، وحاشا له أن يكون هذا خبراً عن الله تعالى أو عن الملائكة الكرام(١).

وقد جاءت قصة مجيء الملائكة إلى النبي إبراهيم واضحة في كتاب الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۞ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۞ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود: ٦٩ – ٧١].

أما عن مجادلة سيدنا إبراهيم لربه في أمر إهلاك قوم لوط فقد تحدث عنها القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۞ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۞ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ [هود: ٧٤ – ٧٦]، فقد كانت المجادلة بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين ربه كما صورها القرآن الكريم في غاية الأدب والاحترام لمقام الألوهية، ولم يكن القصد منها الاعتراض على أمر قد قدره الله تعالى وكتبه، وإنما كانت بسبب أنَّ فيهم قوماً مؤمنين وفيها نبي الله تعالى لوط عليه السلام وهو مؤمن(٢).

ثم توجه الملائكة إلى سيدنا لوط عليه السلام واستقبلهم وأحسن ضيافتهم فأكلوا وشبعوا عنده، وبعد ذلك احتشد أهل سدوم عند بيته وأرادوا إخراج الضيوف الذين حلوا على سيدنا لوط عليه السلام وأحاطوا بداره من أجل فعل الفاحشة بأضيافه الكرام.

جاء في نص التوراة: " فَجَاءَ الْمَلاَكَانِ إِلَى سدوم مَسَاءً، وَكَانَ لُوطٌ جَالِسًا فِي بَابِ سدوم. فَلَمَّا رَآهُمَا لُوطٌ قَامَ لاسْتِقْبَالِهِمَا، وَسَجَدَ بِوَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ. وَقَالَ: «يَا سَيِّدَيَّ، مِيلاَ إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمَا وَبِيتَا وَاغْسِلاَ أَرْجُلَكُمَا، ثُمَّ تُبَكِّرَانِ وَتَذْهَبَانِ فِي طَرِيقِكُمَا» . فَقَالاَ: «لاَ، بَلْ فِي السَّاحَةِ نَبِيتُ» . فَأَلَحَّ عَلَيْهِمَا جِدًّا، فَمَالاَ إِلَيْهِ وَدَخَلاَ بَيْتَهُ، فَصَنَعَ لَهُمَا ضِيَافَةً وَخَبَزَ فَطِيرًا فَأَكَلاَ. وَقَبْلَمَا اضْطَجَعَا أَحَاطَ بِالْبَيْتِ رِجَالُ الْمَدِينَةِ، رِجَالُ سدوم، مِنَ الْحَدَثِ إِلَى الشَّيْخِ، كُلُّ الشَّعْبِ مِنْ أَقْصَاهَا. فَنَادَوْا لُوطًا وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ الرَّجُلاَنِ اللَّذَانِ دَخَلاَ إِلَيْكَ اللَّيْلَةَ؟ أَخْرِجْهُمَا إِلَيْنَا لِنَعْرِفَهُمَا"(٣).

ومن الملاحظ تكرار نفس المغالطات ومنكر القول من أن سيدنا لوط عليه السلام قام للملائكة وسجد لهما وحاشا أن يسجد نبي الله تعالى لغير الله، وأنه قال لهما: " مِيلاَ إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمَا "، فمن غير الصحيح أن يقول

---

(١) توراة اليهود والإمام ابن حزم: ص ٣٥٧ –٣٥٨ بتصرف .

(٢) انظر مبحث مجادلة سيدنا إبراهيم عليه السلام لربه ص٣٢٣.

(٣) سفر التكوين: ١٩، " الإصحاح: ١٩: ١ـ٥ " .

ذلك نبي كريم، وأن يظهر عبوديته لغير الله تعالى، وكما هي عادة كتَّاب الأسفار إظهار الملائكة بصورة النَّهم وحبِّ الأكل[1].

خامساً: أمر الملائكة لسيدنا لوط بالخروج والفرار من القرية مع أصهاره وبنيه وبناته وكل من له في القرية:

والمتتبع للقصة في التوراة يجد أن سيدنا لوط لم تحدث منه الاستجابة الفورية لآمر الملائكة له بالخروج من القرية، بل حدث منه التراخي بعض الشيء، مما أدى بالملائكة إلى إمساك يديه وزوجته وابنتيه وأخرجاهم إلى خارج المدينة خوفاً من الرب عليهم أن يصيبهم الهلاك.

جاء في نص التوراة: " وَقَالَ الرَّجُلاَنِ لِلُوطٍ: «مَنْ لَكَ أَيْضًا ههُنَا؟ أَصْهَارَكَ وَبَنِيكَ وَبَنَاتِكَ وَكُلَّ مَنْ لَكَ فِي الْمَدِينَةِ، أَخْرِجْ مِنَ الْمَكَانِ، لأَنَّنَا مُهْلِكَانِ هذَا الْمَكَانَ، إِذْ قَدْ عَظُمَ صُرَاخُهُمْ أَمَامَ الرَّبِّ، فَأَرْسَلَنَا الرَّبُّ لِنُهْلِكَهُ. فَخَرَجَ لُوطٌ وَكَلَّمَ أَصْهَارَهُ الآخِذِينَ بَنَاتِهِ وَقَالَ: «قُومُوا اخْرُجُوا مِنْ هذَا الْمَكَانِ، لأَنَّ الرَّبَّ مُهْلِكٌ الْمَدِينَةَ» . فَكَانَ كَمَازِحٍ فِي أَعْيُنِ أَصْهَارِهِ. وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ كَانَ الْمَلاَكَانِ يُعَجِّلاَنِ لُوطًا قَائِلَيْنِ: «قُمْ خُذِ امْرَأَتَكَ وَابْنَتَيْكَ الْمَوْجُودَتَيْنِ لِئَلاَّ تَهْلِكَ بِإِثْمِ الْمَدِينَةِ» . وَلَمَّا تَوَانَى، أَمْسَكَ الرَّجُلاَنِ بِيَدِهِ وَبِيَدِ امْرَأَتِهِ وَبِيَدِ ابْنَتَيْهِ، لِشَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَاهُ وَوَضَعَاهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ. وَكَانَ لَمَّا أَخْرَجَاهُمْ إِلَى خَارِجٍ أَنَّهُ قَالَ: «اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ. لاَ تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ، وَلاَ تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ. اهْرُبْ إِلَى الْجَبَلِ لِئَلاَّ تَهْلِكَ» . فَقَالَ لَهُمَا لُوطٌ: «لاَ يَا سَيِّدُ. هُوَذَا عَبْدُكَ قَدْ وَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ، وَعَظَّمْتَ لُطْفَكَ الَّذِي صَنَعْتَ إِلَيَّ بِاسْتِبْقَاءِ نَفْسِي، وَأَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَهْرُبَ إِلَى الْجَبَلِ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْرِكُنِي فَأَمُوتَ. هُوَذَا الْمَدِينَةُ هذِهِ قَرِيبَةٌ لِلْهَرَبِ إِلَيْهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ. أَهْرُبُ إِلَى هُنَاكَ. أَلَيْسَتْ هِيَ صَغِيرَةً؟ فَتَحْيَا نَفْسِي» . فَقَالَ لَهُ: «إِنِّي قَدْ رَفَعْتُ وَجْهَكَ فِي هذَا الأَمْرِ أَيْضًا، أَنْ لاَ أَقْلِبَ الْمَدِينَةَ الَّتِي تَكَلَّمْتَ عَنْهَا. أَسْرِعِ اهْرُبْ إِلَى هُنَاكَ لأَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا حَتَّى تَجِيءَ إِلَى هُنَاكَ» . لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُ الْمَدِينَةِ «صُوغَرَ» "[2].

مما سبق يظهر أن لسيدنا لوط عليه السلام أبناء وبنات وأصهار، وأن الملائكة أمروه بالخروج من القرية حتى لا يعمهم العذاب، ومن التناقض ما جاء أن الملائكة أمسكت بيده ويد امرأته، لشفقة الرب على لوط ومن ثم أخرجاه ووضعاه خارج المدينة، فإن كانت زوجة لوط ممن حل عليها العذاب فلماذا أمسكت بيدها الملائكة وقد جاء في نفس السفر أنها بقت في العذاب وتحولت إلى عمود ملح[3].

---

(١) توراة اليهود والإمام ابن حزم: ص٤١٦.

(٢) سفر التكوين: ١٩، " الإصحاح: ١٩: ١٢ _٢٢ " .

(٣) توراة اليهود وابن حزم: ص٤١٧.

يقول الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى معلقاً على ما سبق: "لا تخلو أصهار لوط وبنوه وبناته الناكحات من أن يكونوا صالحين أو طالحين، فإن كانوا صالحين فقد هلكوا مع الطالحين وبطل عقد الله تعالى مع إبراهيم في ذلك، وحاشا لله من هذا، وإن كانوا طالحين فكيف تأمر الملائكة بإخراج الطالحين وهم كانوا مبعوثين لهلاكهم، فلا بد من الكذب في أحد الوجهين، وبالجملة فأخبارهم معفونة جدا"(١).

سادساً: حلول العذاب على قوم سدوم:

جاء في التوراة أنه بعد خروج سيدنا لوط عليه السلام ووصوله إلى صوغر أمطر الله على قرية سدوم وعمورة الكبريت والنار وقلب الديار عليهم وتحولت امرأة لوط إلى عمود ملح: " وَإِذْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلَى الأَرْضِ دَخَلَ لُوطٌ إِلَى صُوغَرَ. فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سدوم وَ عَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَلَبَ تِلْكَ الْمُدُنَ، وَكُلَّ الدَّائِرَةِ، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ، وَنَبَاتَ الأَرْضِ. وَنَظَرَتِ امْرَأَتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ. وَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْغَدِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَقَفَ فِيهِ أَمَامَ الرَّبِّ، وَتَطَلَّعَ نَحْوَ سدوم وَعَمُورَةَ، وَنَحْوَ كُلِّ أَرْضِ الدَّائِرَةِ، وَنَظَرَ وَإِذَا دُخَانُ الأَرْضِ يَصْعَدُ كَدُخَانِ الأَتُونِ. وَحَدَثَ لَمَّا أَخْرَبَ اللهُ مُدُنَ الدَّائِرَةِ أَنَّ اللهَ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَرْسَلَ لُوطًا مِنْ وَسَطِ الانْقِلاَبِ. حِينَ قَلَبَ الْمُدُنَ الَّتِي سَكَنَ فِيهَا لُوطٌ"(٢).

مما سبق يظهر لنا أنه: لم يرد ذكر انزعاج سيدنا لوط عليه السلام من الملائكة وقلقه من مجيئهم، وأنهم أتوه في صورة شبان حسان اختباراً وابتلاءً من الله تعالى لأن قوم لوط كانت فتنتهم في حب المردان ومناكحة الرجال، فأرسل الله لهم الملائكة في صورة شبان في حسن خلقة وأكمل صفة حتى يكون الاختبار من الله تعالى، هل يصبروا وينصرفوا عنهم، أم يستمروا في غيهم ويفتتنوا بهم، وكما صورت الآيات أنهم افتتنوا بهم، وهرعوا إلى بيت لوط عليه السلام من أجل مناكحة أضيافه عليه السلام(٣). قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ۝ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ۝ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ۝ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ۝ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ۝

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم: (١٠٥/١)، توراة اليهود والإمام ابن حزم: ص٤١٨.

(٢) سفر التكوين: ١٩، " الإصحاح: ١٩: ٢٣ _٢٩ " .

(٣) تفسير ابن كثير: (٣٣٦/٤)، انظر كتاب: الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم للبار: ص١٣١.

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٧٧ – ٨٣].

يقول الإمام البغوي رحمه الله في معنى الآيات: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي: "عذابنا، ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ وذلك أنَّ جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قُرى قوم لوط المؤتفكات وهي خمس مدائن، وفيها أربعمائة ألف، وقيل: أربعة آلاف ألف، فرفع المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة، ونباح الكلاب، فلم يكفأ لهم إناء و لم ينتبه نائم، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: على شذاذها ومسافريها"(١).

المطلب الثالث: موقف التوراة من دعوة لوط عليه السلام قومه إلى التوحيد:

من خلال التأمل في سفر التكوين وتتبع قصة لوط فيه، لا نجد أي نص يثبت أن سيدنا لوط بعث من عند الله تعالى هادياً وداعياً إلى عبادة الله تعالى وحده لا سواه، أو أنه دعا قومه إلى التوحيد ونبذ الوثنية، وهذه هي مهمة الرسل جميعهم عليهم الصلاة والسلام.

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

يقول الإمام الطبري في معنى الآية: "ولقد بعثنا أيها الناس في كلّ أمة سلفت قبلكم رسولاً كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ يقول: وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدّكم عن سبيل الله، فتضلوا، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ يقول: فممن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله، فوفّقه لتصديق رسله، والقبول منها، والإيمان بالله، والعمل بطاعته، ففاز وأفلح، ونجا من عذاب الله ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ يقول: وممن بعثنا رسلنا إليه من الأمم آخرون حقّت عليهم الضلالة، فجاروا عن قصد السبيل، فكفروا بالله وكذّبوا رسله، واتبعوا الطاغوت، فأهلكهم الله بعقابه، وأنزل عليهم بأسه الذي لا يردّ عن القوم المجرمين"(٢).

فكل نبي بعثه الله تعالى إلى قومه من أجل إقامة التوحيد ونبذ الوثنية والشرك، وإن كانت الآيات في قصة لوط عليه السلام في كتاب الله تعالى تسلط الضوء على مشاهد من حب قوم لوط للفاحشة وتجرؤهم عليها، وموقف لوط منها، والعذاب الذي حل بهم، فهذا لا يعني أن سيدنا لوط عليه السلام لم يدعوهم إلى التوحيد، بلى دعاهم إليه كغيره من الأنبياء.

---

(١) معالم التنزيل للبغوي: (١٩٣/٤).

(٢) جامع البيان: (٤٩٧٦/٦).

كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

ولكن كانت قضية قوم لوط انحراف وانحطاط خلقي ظاهر و لم يسبق له النظير في قوم من الأقوام، فأراد سيدنا لوط عليه السلام اجتثاث هذه الانحرافات من نفوس قومه مع دعوتهم إلى توحيد الله تعالى، وإن كان ما يقوم به قوم لوط هو نوع من الوثنية المحرفة التي عميت عليهم فأشربوا حب الفاحشة في قلوبهم وعبدوها من دون الله تعالى والعياذ بالله.

والسؤال هنا: لماذا لم يرد ذكر دعوة سيدنا لوط لقومه إلى توحيد الله تعالى ولماذا أغفلت التوراة ذكر هذا الأمر؟.

الجواب: أن هذا أمر ليس بمستغرب؛ لأن بني إسرائيل لا يؤمنون بفكرة التوحيد أصلاً، ولا يعترفون بتنزيه الله تعالى عن الشبيه والمثيل والنظير، و لم يحاولوا أيضاً أن يغيروا شيئاً من فكرة الإله المحرفة التي في أذهانهم بالرغم من تتابع الرسل إليهم ودعوة الأنبياء إليهم والرسالات بينهم، إلا أنهم لازالوا متحجرين في تصويرهم لربهم ومعرفتهم به[1].

بل إنهم يصفون إلههم بصفات المخلوقين، وأنه يتعب وينام ويأكل ويحب الذبائح والشواء، وغير ذلك من صفات النقص والعيب. وقد جاء في الإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج ما يدلل على عقيدة بني إسرائيل في الإله ودعوتهم السافرة إلى الوثنية: " أَجْتَازُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هذِهِ اللَّيْلَةَ، وَأَضْرِبُ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَأَصْنَعُ أَحْكَامًا بِكُلِّ آلِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ. أَنَا الرَّبُّ. وَيَكُونُ لَكُمُ الدَّمُ عَلاَمَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا، فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ، فَلاَ يَكُونُ عَلَيْكُمْ ضَرْبَةٌ لِلْهَلاَكِ حِينَ أَضْرِبُ أَرْضَ مِصْرَ. وَيَكُونُ لَكُمْ هذَا الْيَوْمُ تَذْكَارًا فَتُعَيِّدُونَهُ عِيدًا لِلرَّبِّ. فِي أَجْيَالِكُمْ تُعَيِّدُونَهُ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً"[2].

وإذا كان كاتب هذا السفر يصور الإله بأنه زعيم قبيلة يترل وينتقم ويضع الدم علامة على البيوت فكيف تكون عقيدة التوحيد فيهم، أَوَ يدعون إليها أو يبرزونها ولو بالشيء اليسير في أسفارهم، بل هم دعاة للوثنية والتجسيم كما ظهر هذا في أسفارهم[3].

---

(١) انظر التراث الإسرائيلي: ص ٣٦٣ .

(٢) سفر الخروج: ١٢، "الإصحاح: ١٢: ١٢-١٤ " .

(٣) انظر التراث الإسرائيلي: ص٣٦٥.

ولو نظرنا في سفر التكوين لرأينا أفظع من هذا في وصف الرب: "وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ» . فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ» . فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْخَيْمَةِ إِلَى سارة، وَقَالَ: «أَسْرِعِي بِثَلاَثِ كَيْلاَتٍ دَقِيقًا سَمِيذًا. اعْجِني وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ» . ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلاً رَخْصًا وَجَيِّدًا وَأَعْطَاهُ لِلْغُلاَمِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ. ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا. وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ سارة امْرَأَتُكَ؟» فَقَالَ: «هَا هِيَ فِي الْخَيْمَةِ» . فَقَالَ: «إِنِّي أَرْجعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ» . وَكَانَتْ سارة سَامِعَةً فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَهُوَ وَرَاءَهُ"(١).

فهل يعقل أن يكون من اتصف بهذه الصفات هو الإله المعبود دون سواه، وأن يكون الله تعالى مالك الملك هو ثالث ثلاثة ملكان وخالقهما يترلان على إبراهيم عليه السلام ويأكلون ويشربون ويستريحون ولحم عجل يأكلون. فإذا كان هذا هو تصوير بني إسرائيل لإلههم وهذه الوثنية واضحة في أسفارهم وقد شبهوه بخلقه وجسموا ومثلوا، فهل يعقل أن يبرزوا جانب التوحيد الذي جاءت به الرسل الكرام ودعت إليه الكتب السماوية وهي مهمة الأنبياء جميعاً.

المطلب الرابع: تصوير التوراة لموقف سيدنا لوط من الفاحشة في قومه ومناقشة قولهم:

١. عدم استنكار سيدنا لوط عليه السلام على قومه فعل الفاحشة:

المتتبع لقصة لوط في العهد القديم يتبين له عدم تسليط الضوء على الدور الكبير الذي قام به سيدنا لوط عليه السلام في دعوة قومه المتمردين، ولا يوجد أي ذكر لنصح سيدنا لوط لقومه ونهيهم عن فعل الفاحشة واستنكاره عليه السلام لها، و لا يوجد إبراز لدور سيدنا لوط عليه السلام والجهد الكبير الذي بذله من أجل دعوة قومه إلى نبذ الفاحشة والمقاومة التي كانت بينه وبين قومه حين مجيء الملائكة إليه في صورة شبان حسان(٢)، إلا ما جاء في سفر التكوين في معرض حديث الرب مع سيدنا إبراهيم، فقد جاء في سفر التكوين: "وَقَالَ الرَّبُّ: «إِنَّ صُرَاخَ سدوم و عَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَ خَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا"(٣).

---

(١) سفر التكوين: ١٨، " الإصحاح: ١٨: ١ــ ١٠ "

(٢) انظر القرآن والتوراة اين يتفقان واين يفترقان: ص ١٤٧.

(٣) سفر التكوين: ١٨، " الإصحاح: ١٨: ٢٠ " .

وفي موضع آخر ذكرت التوراة أن سيدنا لوط عليه السلام نهى قومه عن فعل الشر: " فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ لُوطٌ إِلَى الْبَابِ وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهُ وَقَالَ: «لاَ تَفْعَلُوا شَرًّا يَا إِخْوَتِي "(١)، وأيضاً ما جاء في التوراة من وصف أهل سدوم بأنهم أشرار: "وَكَانَ أَهْلُ سدوم أَشْرَارًا وَخُطَاةً لَدَى الرَّبِّ جِدًّا"(٢).

من هنا نرى أن التوراة لم تتعرض لذكر موقف سيدنا لوط عليه السلام من الفاحشة بالتفصيل كما جاء في القرآن الكريم، وأنه كان مبغضها، و لم تذكر التوراة أنه عليه السلام قد استخدم شتى السبل في إبعاد قومه عن الفاحشة وتنفيرهم منها وبيان قبحها، بل ذكرت التوراة في وصف أهل سدوم أنهم أشرار وأن سيدنا لوط عليه السلام نهاهم بقوله "لا تفعلوا شراً".

وهذا ليس بمستغرب من بني إسرائيل الذين يسعون دائماً لإخفاء الحق وكتمان الحقيقة، قال تعالى عنهم: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]، فهم يكتمون الحق لأنه لا يتناسب مع أهوائهم ورغباتهم، فهم لم يبرزوا غيرة سيدنا لوط واستنكاره الفاحشة في قومه، بل صوروه في حال فظيع بأنه عليه الصلاة والسلام وقع في الفاحشة ومارسها مع ابنتيه كما مر بنا سابقاً(٣)، وكيف ينهى عن الفعل وهو يتجرأ عليه، فالتوراة تصور لنا سيدنا لوط عليه السلام أنه محب للفاحشة، وأنه مثل قومه يمارسها، ليس هذا فقط بل يمارسها مع ابنتيه والعياذ بالله، فماذا ننتظر من أعداء الله تعالى غير تشويههم لصورة الأنبياء النقية وقذفهم بأبشع الصفات. فقد أصرَّ أحبار اليهود على تشويه صورة الأنبياء الكرام ورميهم بالصفات التي تستنكر ممن عنده أدنى مروءة فكيف بمن أرسلهم الله تعالى لهداية الناس وهم صفوة خلقه، ولا يمكن أن يرى القارئ لأسفار اليهود غير كل انتقاص ووصف بالزنا والفجور وشرب الخمر والدياثة وكل قبح منسوب لأنبياء الله تعالى(٤).

٢. لوط عليه السلام في التوراة يعرض بناته للفاحشة:

تذكر التوراة أن سيدنا لوط عليه السلام يعرض بناته على أهل سدوم، ويبيح لهم فعل الفاحشة بهن، وحاشاه عليه الصلاة والسلام عن فعل ذلك. فقد جاء في التوراة: "فَجَاءَ الْمَلاَكَانِ إِلَى سدوم مَسَاءً، وَكَانَ لُوطٌ

---

(١) سفر التكوين: ١٩، " الإصحاح: ١٩: ٦_٧ " .

(٢) سفر التكوين: ١٣: " الإصحاح: ١٣: ١٣ ". انظر التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه، للدكتور صابر طعيمة: ص٤٧٥.

(٣) انظر: ص٤٠٤.

(٤) انظر كتاب " الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم للبار ص١٢٧

جَالِسًا فِي بَابِ سدوم. فَلَمَّا رَآهُمَا لُوطٌ قَامَ لاسْتِقْبَالِهِمَا، وَسَجَدَ بِوَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ. وَقَالَ: «يَا سَيِّدَيَّ، مِيلاَ إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمَا وَبِيتَا وَاغْسِلاَ أَرْجُلَكُمَا، ثُمَّ تُبَكِّرَانِ وَتَذْهَبَانِ فِي طَرِيقِكُمَا» . فَقَالاَ: «لاَ، بَلْ فِي السَّاحَةِ نَبِيتُ» . فَأَلَحَّ عَلَيْهِمَا جِدًّا، فَمَالاَ إِلَيْهِ وَدَخَلاَ بَيْتَهُ، فَصَنَعَ لَهُمَا ضِيَافَةً وَخَبَزَ فَطِيرًا فَأَكَلاَ. وَقَبْلَمَا اضْطَجَعَا أَحَاطَ بِالْبَيْتِ رِجَالُ الْمَدِينَةِ، رِجَالُ سدوم، مِنَ الْحَدَثِ إِلَى الشَّيْخِ، كُلُّ الشَّعْبِ مِنْ أَقْصَاهَا. فَنَادَوْا لُوطًا وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ الرَّجُلاَنِ اللَّذَانِ دَخَلاَ إِلَيْكَ اللَّيْلَةَ؟ أَخْرِجْهُمَا إِلَيْنَا لِنَعْرِفَهُمَا، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ لُوطٌ إِلَى الْبَاب وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهُ وَقَالَ: «لاَ تَفْعَلُوا شَرًّا يَا إِخْوَتِي. هُوَذَا لِي ابْنَتَانِ لَمْ تَعْرِفَا رَجُلاً. أُخْرِجُهُمَا إِلَيْكُمْ فَافْعَلُوا بِهِمَا كَمَا يَحْسُنُ فِي عُيُونِكُمْ. وَأَمَّا هذَانِ الرَّجُلاَنِ فَلاَ تَفْعَلُوا بِهِمَا شَيْئًا، لأَنَّهُمَا قَدْ دَخَلاَ تَحْتَ ظِلِّ سَقْفِي» . فَقَالُوا: «ابْعُدْ إِلَى هُنَاكَ» . ثُمَّ قَالُوا: «جَاءَ هذَا الإِنْسَانُ لِيَتَغَرَّبَ، وَهُوَ يَحْكُمُ حُكْمًا. الآنَ نَفْعَلُ بِكَ شَرًّا أَكْثَرَ مِنْهُمَا» . فَأَلَحُّوا عَلَى الرَّجُلِ لُوطٍ جِدًّا وَتَقَدَّمُوا لِيُكَسِّرُوا الْبَابَ، فَمَدَّ الرَّجُلاَنِ أَيْدِيَهُمَا وَأَدْخَلاَ لُوطًا إِلَيْهِمَا إِلَى الْبَيْتِ وَأَغْلَقَا الْبَابَ. وَأَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ فَضَرَبَاهُمْ بِالْعَمَى، مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ، فَعَجِزُوا عَنْ أَنْ يَجِدُوا الْبَابَ"[1].

من خلال التأمل في النص السابق يظهر لنا أمور:

أولاً: مجيء ملكان من الملائكة إلى سيدنا لوط عليه السلام، وأنه عليه السلام قام إليهما واستقبلهما ثم سجد لهما وأصر على مبيتهما عنده في بيته وصنع لهما طعاماً فأكلا منه الملائكة، لكن أهل سدوم لم يدعوهم يهنئوا بليلتهم عند سيدنا لوط، فانقضوا عليهم ورغبوا بفعل الفاحشة بهم، فهي أغلى وأعلى رغباتهم إذ أنهم يترفعون عن مواقعة النساء ويعتقدون بالدونية في ذلك، فخرج إليهم سيدنا لوط عليه السلام ونهاهم عن الاقتراب من الرجلين وهم الملائكة، لكن الذي لا يحسن أن ينسب إلى أنبياء الله تعالى ولا يكون أيضاً من أب لم يتخلى عن رجولته وأبوته ليعرض بناته الأحرار على الرجال لفعل الفاحشة بهم، إذ أنهم نسبوا لسيدنا لوط عليه السلام أنه عرض بناته على القوم لفعل الفاحشة بهم بدلاً من الأضياف الكرام[2].

ثانياً: يظهر لنا أن سيدنا لوط عليه السلام لم يبعث من عند ربه هادياً ومصلحاً ومعلماً للناس كسائر الأنبياء الكرام، بل داعياً إلى الفحش والقبح ونشر البغي والفساد في المجتمع، وأنه يحبب إلى قومه الرذيلة وحب الفحشاء، وإذا كان الداعي إلى الله والنبي المرسل يدعو إلى أمر، فمن باب أولى أن يأتمر المدعون إلى ما أمرهم به أو ما نهاهم عنه، وهنا موقف سيدنا لوط كما تصوره التوراة المحرفة هو محبب لقومه إلى الفاحشة ومشجع لهم بل

---

(١) سفر التكوين: ١٩، " الإصحاح: ١٩: ١ـ١١ " .

(٢) انظر: التراث الإسرائيلي في العهد القديم: ص٤٧٧، كتاب: الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم: ص١٢٥.

وعارضاً أقرب الناس إليه وهن بناته على قومه من أجل إرضاء شهوةٍ شيطانية في نفوس قومه[١]، فهل مازال اليهود معترفون بنبوة هذا النبي الكريم، وأنه بعث من الله تعالى هادياً وناصحاً، وأنه نور من الله تعالى وباباً إلى الحق؟ الجواب بالتأكيد لا.

ثالثاً: أن سيدنا لوط عليه السلام قال عن ابنتيه: "أهما لا تعرفان الرجال" حينما عرضهما على أهل القرية. "هُوَذَا لِي ابْنَتَانِ لَمْ تَعْرِفَا رَجُلاً"، وبعد عدة أسطر في نفس السفر ونفس الإصحاح ذكر أن لوط عليه السلام كلم أصهاره أزواج بناته: "فَخَرَجَ لُوطٌ وَكَلَّمَ أَصْهَارَهُ الآخِذِينَ بَنَاتِهِ وَقَالَ: «قُومُوا اخْرُجُوا مِنْ هذَا الْمَكَانِ، لأَنَّ الرَّبَّ مُهْلِكٌ الْمَدِينَةَ» . فَكَانَ كَمَازِحٍ فِي أَعْيُنِ أَصْهَارِهِ.

رابعاً: وجاء أيضاً عن الملائكة الذين قدموا إلى سيدنا إبراهيم أنهم كانوا رجالاً، أي عددهم أكثر من اثنين " ثُمَّ قَامَ الرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَتَطَلَّعُوا نَحْوَ سدوم. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ مَاشِيًا مَعَهُمْ لِيُشَيِّعَهُمْ"[٢]، وفي الإصحاح الذي يليه ذكر أنهما ملكان قد قدما إلى سيدنا لوط وسجد لهما وأكلا عنده: "فَجَاءَ الْمَلاَكَانِ إِلَى سدوم مَسَاءً، وَكَانَ لُوطٌ جَالِسًا فِي بَابِ سدوم. فَلَمَّا رَآهُمَا لُوطٌ قَامَ لاسْتِقْبَالِهِمَا، وَسَجَدَ بِوَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ. وَقَالَ: «يَا سَيِّدَيَّ، مِيلاَ إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمَا وَبِيتَا وَاغْسِلاَ أَرْجُلَكُمَا، ثُمَّ تُبَكِّرَانِ وَتَذْهَبَانِ فِي طَرِيقِكُمَا» . فَقَالاَ: «لاَ، بَلْ فِي السَّاحَةِ نَبِيتُ» [٣].

فهذا يدل على تناقض كاتب السفر، مرة يذكر أنهم أكثر من ملك، ومرة يذكر أنهم ملكان جاءً إلى سيدنا لوط عليه السلام.

خلاصة القول: أن التوراة المحرفة أبرزت سيدنا لوط عليه السلام في صورة مشوهة داعياً للرذيلة ومحباً لها ونسبوا له هذا الافتراء وهو عرضه بناته الأطهار على قومه الفسقة لا لغرض شرعي طاهر، وإنما لأمر مستقذر ممقوت، وهذا أمر يأباه الأب العاقل الرشيد فكيف بنبي مكرم من عند الله تعالى، وما لمحرفي التوراة غرض من وراء ذلك سوى هدم الشريعة السماوية وتشويه الحقائق والطعن في أنبياء الله تعالى الكرام على مر الأحقاب والأزمنة، حتى لا يبقى للناس نماذج خير يحتذى بها ولا قدوات للخير يسيروا على خطاهم[٤].

---

(١) وقد ذكر صاحب كتاب "الرد الجميل على المشككين في الاسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" هذه الشبهة من أعداء المسلمين وناقشها وبين أنه لا يمكن أن ينطوي الفحش والطهر في فهم عاقل، وأن المقصود من دعوة سيدنا لوط لقومه وعرضه بناته عليهم أي بنات شعبه وبالتزويج المباح، وليس كما فهمه اليهود وشككوا في ثوابت سماوية صحيحة: ص٢٠٣-٢٠٥.

(٢) سفر التكوين: ١٨: " الإصحاح: ٨: ١٦ "

(٣) سفر التكوين: ١٩: " الإصحاح: ١٩: ١-٢ " .

(٤) انظر: كتاب الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم: ص ١٢٧، التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه: ص٤٧٧.

٣. الافتراء على النبي لوط عليه الصلاة والسلام واتهامه بإرتكاب الفاحشة مع ابنتيه:

جاء في التوراة أنه بعد نجاة سيدنا لوط وابنتيه، تآمرت ابنتا سيدنا لوط عليه السلام على أبيهما إذ أنهما على أخلاق قوم سدوم من حب الفاحشة والتجرؤ عليها، فقاموا وسقوا والدهم خمراً حتى يوقع الفاحشة بهم وهو لا يدري، ويحيا نسلاً منهم بعد أن تدمرت قريتهم بأسرها، فبدأت الكبرى في مجامعة أبيها ثم أنجبت منه ابناً "مؤاب" وهو أبو المؤابيين، وفي اليوم الثاني فعلت الصغرى مثل فعلة أختها ثم أنجبت "بني عمي" وهو أبو بني عمون إلى اليوم كما يقولون: "وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً» . فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ باضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً» . فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ باضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ» ، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي» ، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ"(١).

مما سبق يظهر لنا إصرار اليهود على إظهار أنبياء الله تعالى في صورة مخزية فاضحة، وعلى تلويث صورهم وتجريدهم من جميع مكارم النبوة والفضائل، حيث ذكروا أن ابنتي لوط تآمروا على أبيهم وسقياه الخمر وزنيا بأبيهما وهو في حالة من غياب الوعي وفقدان العقل، وكان لهما غرض سامي ونبيل على حد زعم اليهود، وهو إحياء النسل والمحافظة على النوع البشري إذ أن جميع الناس قد هلكوا حين تم تدمير القرية و لم يبقى فيها أحد(٢).

ولاشك أنها من افتراءات اليهود التي لا نهاية لها، فكيف يمكن أن يتصف بهذه الصفات من هم علية الناس فكيف بأنبياء الله تعالى الذين شرفهم الله تعالى وأعلى ذكرهم وطهرهم من كل دنس، وفي القصة محض افتراء مما يدل أنها من وضع أعداء الله تعالى وسفلة القوم، وكيف يعقل أن يكون هلاك قوم لوط هو تدمير للأرض جميعاً فلم يبقى فيها أحد مما ألجأ ابنتي لوط لمضاجعة والديهما من أجل إحياء النسل، وكان بالإمكان من بنتي لوط عليه

---

(١) سفر التكوين: ١٩، " الإصحاح: ١٩: ٣٠_٣٨ ". العهد القديم العبري، التكوين١٩-٢٠، ص٢٨. انظر: حكايات محرمة في التوراة:ص٢٣.

(٢) انظر كتاب: "الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم: ص١٢٧، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: ص ٤١- ٤٢، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم: ص٢٢٥، التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه: ص٤٨٠، رسالتان في الرد على اليهود: الرسالة الأولى: الحسام الممدود في الرد على اليهود، الرسالة الثانية: الرد على من قال بأفضلية بني إسرائيل على العرب: ص٥٧. قصص بني اسرائيل في القرآن والتوراة والتلمود: ص١٩٣-١٩٤.

السلام الترول من المغارة والاتصال بالرعاة المنتشرين في كل مكان بدلاً من ممارسة الفاحشة مع أبيهما، لكن التوراة المحرفة أبت إلا أن تلصق أبشع التهم وأسوأ الصفات بأنبياء الله الكرام وتبرزهم في صورة مهينة قبيحة(١).

يقول الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى: "فهذا كلام أحمق في غاية الكذب أو البرد أترى كان انقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق في الأرض أحد يضاجعهما؟ إن هذا لعجب، فكيف والموضوع معروف إلى اليوم؟ ليس بين تلك المغارة التي كان فيها لوط عليه السلام مع بنتيه، وبين قرية سكنى إبراهيم إلا فرسخ واحد لا يزيد، وهو ثلاثة أميال فقط فهذه سوءة"(٢).

وقال رحمه الله تعالى راداً على اليهود حينما افتروا على نبي الله لوط عليه السلام بتهمة الزنا مع ابنتيه وإن كانت حجتهم أنه عليه السلام واقع ابنتيه وهو في حال غياب عن الوعي وفي حال السكر: " فكيف عمل إذ رآهما حاملتين؟ وإذ رآهما قد ولدتا ولدين لغير رشدة؟ وإذ رآهما تربيان أولاد الزنا؟ هذه فضائح الأبد، وتوليد الزنادقة المبالغين في الاستخفاف بالله تعالى وبرسله"(٣).

وليس من المستبعد أن يكون من بني جلدة اليهود أنفسهم من يناقض هذا الكلام ويرفضه ويأبى هذه السخرية بأنبياء الله الكرام ومشاعل النور فهم دعاة الله تعالى إلى الفضائل فكيف يكون منهم الأمر البذيء المستقبح.

يقول السموأل بن يحي المغربي وهو أحد أحبار اليهود الذين هدى الله تعالى قلبهم للإيمان وأنار حياقم بالتقوى(٤): "فمن أفحش المحال أن يكون شيخ كبير قد قارب المائة سنة قد سقى الخمر حتى سكر سكراً حال بينه وبين معرفة ابنتيه، فضاجعته إحداهما واستترلت منيه، وقامت عنه وهو لا يشعر، كما نطق كتاهم في قوله: "ولو باداع بشنخباه ويقومان"، تفسيره: ولم يشعر بإضجاعها وبقيامها، وهذا حديث من لا يعرف الحبل، لأنه من المحال أن تعلق المرأة من شيخ طاعن في السن قد غاب عن حسه لفرط سكره.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في بيان تحريف اليهود للتوراة التي بين أيديهم وأنها بعيدة كل البعد عن التوراة المترلة من عند الله تعالى، بسبب ما فيها من أغلوطات منسوبة للأنبياء الكرام ومنهم النبي لوط عليه السلام:

---

(١) انظر: كتاب أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر: ص-١٢٥-١٢٤، نصوص توراتية مقدسة، الجنس في العهد القديم: ص ٨٢-٨٤.وقد تكلم صاحب كتاب اليهودية بين النظرية والتطبيق " مقتطفات من التلمود والتوراة " عن ابرز صفات اليهود النفسية وأن الغدر والخيانة والانحلال الأخلاقي أهم دوافعهم وراء تحريف كتبهم، وهي من الثوابت التي سار عليها أسلافهم في الفكر اليهودي: ص١٠٤- ١١٩.

(٢) توراة اليهود و الإمام ابن حزم الأندلسي: ٤٢١، ٤٢٠.

(٣) المرجع السابق: ص٤٢١.

(٤) السموأل بن يحيى بن عباس المغربي: مهندس رياضي، عالم بالطب والحكمة. أصله من المغرب. سكن بغداد مدة، وانتقل إلى فارس. وكان يهوديا، فأسلم. ومات في المراغة (بأذربيجان) (ت ٥٧٠ هـ). الأعلام للزركلي: (٣/ ١٤٠)

"والتوراة التي أنزلها الله على موسى بريئة من ذلك فيها عن لوط رسول الله أنه خرج من المدينة وسكن في كهف الجبل ومعه ابنتاه فقالت الصغرى للكبرى قد شاخ أبونا فارقدي بنا معه لنأخذ منه نسلا فرقدت معه الكبرى ثم الصغرى ثم فعلتا ذلك في الليلة الثانية وحملتا منه بولدين "مواب وعمون" فهل يحسن أن يكون نبي رسول كريم على الله يوقعه الله سبحانه في مثل هذه الفاحشة العظيمة في آخر عمره ثم يذيعها عنه ويحكيها للأمم"(١).

ومما يؤكد استحالة ذلك أنهم زعموا أن ابنته الصغرى فعلت به كذلك في الليلة الثانية، فعلقت أيضاً. وهذا ممتنع من المشايخ الكبار أن تعلق المرأة من أحدهم في ليلة وتعلق منه أيضاً الأخرى في الليلة الثانية، إلا أن العداوة التي مازالت بين بني عمو ومواب وبين بني إسرائيل بعثت واضع هذا الفصل على تلفيق هذا ليكون أعظم الأخبار فحشاً في حق بني عمو ومواب"(٢).

ويستعجب الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى من أفعال اليهود الكاذبين حينما أطلقوا على الله تعالى نسبته فرخي الزنا إلى ولادة لوط، حتى ورثهما بلدين كما ورثت بني إسرائيل وبني عيسى ابني إسحاق، سواء بسواء تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً " (٣)

وكيف يخفى على لبيب له أدنى نظر وأقل معرفة بقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع لوط عليه السلام وأنه حينما جاء الأمر الإلهي لسيدنا إبراهيم بالمسير من حران إلى أرض كنعان اصطحب معه زوجته وابن أخيه لوط بن هاران، فكيف يترك سيدنا إبراهيم ابن أخيه لوط عليه السلام شريداً فقيراً لا أهل له ولا مأوى ولا مال ولا يهتم به وهو قد آمن به وهاجر معه وأنه عندما سبي سيدنا لوط عليه السلام، هب سيدنا إبراهيم لإنقاذه ونصرته فكيف يضيعه الآن ويتخلى عنه، كل هذا وذاك مذكور في التوراة عندهم بالإضافة إلى اعترافهم بنبوة سيدنا لوط عليه السلام ومواجهته للملائكة الكرام.

فهذا من أكبر الأدلة عندهم على نبوة سيدنا لوط عليه السلام، ومع ذلك أباحوا لأنفسهم وصف هذا النبي الكريم بهذا الوصف المستقبح وافتراؤهم عليه بهذه الفرية العظيمة، وليس وراء ذلك إلا الحقد الدفين الذي يملأ قلوبهم على صفوة خلق الله تعالى الأنبياء الكرام.(٤)

ولم ينجوا افتراء اليهود وتخرصهم على النبي لوط عليه السلام وبنتيه من انتقادات كثير من المفكرين والعلماء، حيث أن هذه الفرية منهم تترك خلفها كثير من التساؤلات والتحليلات التي تدور في أذهان من له أدنى فهم، فكيف بالمفكرين والعلماء حيث ذكر صاحب كتاب التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير متعجباً حول

(١) هداية الحيارى: ص١٠٧. وانظر: جهود الإمامين ابن تيمية وابن القيم في دحض مفتريات اليهود: ص٤٢٧.

(٢) بذل المجهود في إفحام اليهود: ص٤٩-٥٠، للسموأل بن يحي المغربي.

(٣) انظر توراة اليهود والامام ابن حزم الأندلسي: ص ٤٢١.

(٤) انظر: توراة اليهود والإمام ابن حزم: ص٤٢٢.

جواز اضطجاع الوالد مع ابنتيه من دون علمه أو شعور منه بذلك، ومن أين لهم بالخمر الذي أذهب العقـــول، إلى غيرها من التساؤلات التي لا إجابة عليها غير أن هذه النصوص من الافتراءات التوراتية التي لا أصل لها.(١)

٤. تخرص اليهود وافترائهم في قصة لوط يظهر من عدة جوانب:

أولاً: إذا علمنا أن قوم لوط عليه السلام قد انتشر بين رجالهم حب الفاحشة واستشرى في نفوسهم التعلق بالرجال دون النساء فكيف يكون من النبي الكريم عليه السلام تزويج بناته الأطهار من رجال هذه القريـــة الـــذين أشبعت نفوسهم حب الفاحشة، و لم يعرض نبي الله تعالى بناته على أهل القرية إلا لغرض الأمر الفطري وهو الزواج الشرعي، وذلك عندما انتكست فطرهم وانحرفت غرائزهم عن جادة الصواب فأبان لهم الطريق الـــذي جهلـــوه ومسار الطهارة الذي تنكبوا عنه، كما قال تعـــالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ [هود: ٧٨].

كما في رواية مجاهد وسعيد بن جبير: المقصود من قوله: ﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِي﴾ أي: "نســـاءهم، وأضـــافه إلى نفسه لأن كل نبي أبو أمته"(٢). ويقال أن نبي الله تعالى لوط إنما قال لهم هذه المقولة ليس من أجل الزواج الشـــرعي ببناته وإنما من أجل أن يصرف انتباه قوم لوط عن الفاحشة إلى الأمر المحلل المباح، ومن أجل احتواء موقف الهيجان الذي ألم بهم وحالة الاستعار الوحشي الذي انتابهم(٣).

يقول المؤلف عبد الوهاب النجار رحمه الله تعالى في معرض تبرير مسألة عرض سيدنا لوط عليـــه الســـلام لابنتيه الأطهار على رجال القرية المتمردين على الفواحش، وهو عليه السلام نبي مكرم قد أجمعـــت الأمـــة علـــى عصمته كغيره من الأنبياء الكرام.

" أن لوطاً عرض على القوم بناته عرضاً سابرياً، لا يقصد به الجد وأن يعطيهم بنتيه للزنا، ولكن عرض بناته اعتماداً على أنهم يستحيون منه ويخجلون ليكفوا عن خزايته في ضيفه، كما تقول لرجل يضرب آخر وأنت تحجزه عنه: "دعه واضربني أنا"، لأنك تقول هذا القول وأنت جدُ واثق بأنه لا يضربك، ولو علمت أنه يضربك حقيقة ما قلت هذا القول ولا تعرضت للشفاعة، وهذا القول قد أورده كثير من المفسرين كأبي السعود والفخـــر الـــرازي والأصفهاني وغيرهم"(٤).

---

(١) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير: ص١٠٣-١٠٤.

(٢) تفسير البغوي: (١٩١/٤_١٩٢).

(٣) المرجع نفسه: (١٩٢/٤).

(٤) قصص الأنبياء "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب" ص ١١٦، القرآن والتوراة اين يتفقان ؟وأين يفترقان: (١٦٧/١).

وهناك من يرى أن مقصود سيدنا لوط عليه السلام بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ هو التزويج والأمر المباح الذي أباحه الله تعالى لعباده، إذ أنه عليه السلام لا يمكن أن يصدر منه معالجة المنكر بما هو أبشع منه وأشد نكارة، فهو عليه السلام يريد أن يصرف أنظارهم عن الفاحشة المحرمة إلى ما هو أزكى منها وأطهر ألا وهي الزواج والوطء المباح، وهذا هو شأن الدعاة إلى الله تعالى دائماً يرتقون بمن يدعوهم من الانحطاط إلى المكارم، ومن السفل إلى العلو، وليس من القبح إلى ما هو أقبح منه، وإلا لم يكن لرسالتهم ودعوتهم أية ميزة وأية أثر على من حولهم، ومما يدل أن نبي الله تعالى قد دعاهم إلى الخير والأمر المباح الطاهر وصرفهم عن المستقذر القبيح قوله لهم: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، ولو كان عليه السلام يقصد شيئاً غير الزواج الطاهر المباح لما قال لقومه: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، إذ ليس في علاقة الرجل بالمرأة طهارة في غير التزويج الشرعي، وما دون ذلك هو مستقبح منكر في جميع الشرائع[1].

وبغض النظر عما كان يقصده سيدنا لوط من هذه المقولة، فإن قومه لم يستجيبوا له و لم يطيعوه، لاقتناعهم أشد الاقتناع أن ما يفعلونه هو الصواب المباح، وأن ما يدعوهم إليه نبي الله لوط مخالف لهواهم. لذلك أجابوه: ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩].

ثانياً: نبي الله لوط عليه السلام كسائر الأنبياء ما بعثه الله تعالى إلا لهداية الناس ونصحهم وإخراجهم من ظلمات الرذيلة إلى نور الفضيلة، فكيف يكون منه عليه السلام الصعود إلى مغارة في جبل بعيداً عن الناس مجافياً لهم، تاركاً للمهمة العظمى التي من أجلها بعث وهي الدعوة إلى الله تعالى، وإذا كان خروج سيدنا لوط عليه السلام من القرية ومن ومعه من المؤمنين بأمر من الله تعالى.

فهل صعوده إلى جبل صوغر مع ابنتيه كما ذكر في التوراة كان بأمر من الله تعالى، بالإضافة إلى التناقض المذكور في القصة، فقيل في البداية أن سيدنا لوط عليه السلام حينما عرض عليه الملائكة الخروج مع زوجته وابنتاه حتى لا يصيبهم الهلاك فضل أن يسكن في صوغر المدينة الصغير خوفاً على نفسه، فقد جاء في نص التوراة: "وَكَانَ لَمَّا أَخْرَجَاهُمْ إِلَى خَارِجٍ أَنَّهُ قَالَ: «اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ. لاَ تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ، وَلاَ تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ. اهْرُبْ إِلَى الْجَبَلِ لِئَلاَّ تَهْلِكَ» . فَقَالَ لَهُمَا لُوطٌ: «لاَ يَا سَيِّدُ. هُوَذَا عَبْدُكَ قَدْ وَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ، وَعَظَّمْتَ لُطْفَكَ الَّذِي صَنَعْتَ إِلَيَّ بِاسْتِبْقَاءِ نَفْسِي، وَأَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَهْرُبَ إِلَى الْجَبَلِ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْرِكُنِي فَأَمُوتَ. هُوَذَا الْمَدِينَةُ هذِهِ قَرِيبَةٌ لِلْهَرَبِ إِلَيْهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ. أَهْرُبُ إِلَى هُنَاكَ. أَلَيْسَتْ هِيَ صَغِيرَةً؟ فَتَحْيَا نَفْسِي»[2].

---

(١) إعلام المسلمين بعصمة النبيين: ص ٤٤.

(٢) سفر التكوين: ١٩، " الإصحاح: ١٩: ١٧-٢٠ " .

ثم يتضارب صاحب السفر ويذكر أن سيدنا لوط عليه السلام فضل السكن في الجبل مع ابنتيه وصعدا من القرية الصغيرة صوغر.

كما جاء ذكر ذلك في التوراة: " وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ"(١)، كل هذا لغرض تسلسل الأحداث وإلصاق التهمة بالنبي الكريم، وتجميع القصة المحبوكة من أجل الافتراء على النبي لوط عيه السلام بأنه التجأ إلى الغار مع ابنتيه ومن ثم ارتكابه الفاحشة معهم.

ولسائل أن يسأل مالغرض من اتهام سيدنا لوط عليه السلام بتهمة الزنا بابنتيه، برغم أنه كانت هناك دوافع أخرى وأسباب كثيرة تساعد على إحياء النسل من طريق المباح، على حد زعم مؤلف التوراة أن ابنتي لوط زنتا بأبيهم من أجل إحياء النسل في الأرض.

لكن هناك غرض جوهري من وراء اتهام سيدنا لوط عليه السلام بتهمة الزنا بابنتيه ألا وهو إخراج ذرية لوط عليه السلام من ابنتيه من جماعة الرب، وبالتالي تشويه نسل المؤابيين والعمونيين إلى الجيل العاشر، أي إلى الأبد وذلك لأنهم من أولاد الزنا ولا يدخل في جماعة الرب أولاد الزنا كما هو معروف عند اليهود، فقد جاء في سفر التثنية: "لاَ يَدْخُلِ ابْنُ زِنًى فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لاَ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. لاَ يَدْخُلْ عَمُّونِيٌّ وَلاَ مُوآبِيٌّ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لاَ يَدْخُلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ إِلَى الأَبَدِ"(٢).

معنى هذا الكلام أن كل ابن زنى لا يدخل في جماعة الرب إلى الأبد وبما أن جميع المؤابيين والعمونيين هم من أولاد الزنا على حد زعم اليهود، فبالتالي لا يدخلون في جماعة الرب لأنهم زناة. لكن ما نسبة هذا الكلام من الصحة، نقول أنه مردود على من قاله، وأن هناك كلام يناقضه من أسفار اليهود أنفسهم، فهم يذكرون أمراً ويثبتون صحته وفي موضع آخر ينقضونه ويذكرون خلافه.

فلو كان المؤابيين والعمونيين هم أبناء الزنا لأحاط بهم غضب الرب سبحانه وتعالى ونالهم سخطه وعقابه. لكن ما ذكر في سفر التثنية يناقض مع ما سبق من أن الله قد أعطى أرض الإيميين للموآبيين ميراثاً: " «فَقَالَ لِي الرَّبُّ: لاَ تُعَادِ مُوآبَ وَلاَ تُثِرْ عَلَيْهِمْ حَرْبًا، لأَنِّي لاَ أُعْطِيكَ مِنْ أَرْضِهِمْ مِيرَاثًا، لأَنِّي لِبَنِي لُوطٍ قَدْ أَعْطَيْتُ «عَارَ» مِيرَاثًا. الإِيمِيُّونَ سَكَنُوا فِيهَا قَبْلاً. شَعْبٌ كَبِيرٌ وَكَثِيرٌ وَطَوِيلٌ كَالْعَنَاقِيِّينَ"(٣).

وذكر في سفر التثنية كذلك أن الرب قد أعطى ميراث الأرض للمؤابيين وللعمونيين قبل أن يورث بني إسرائيل: " «فَقَالَ لِي الرَّبُّ: لاَ تُعَادِ مُوآبَ وَلاَ تُثِرْ عَلَيْهِمْ حَرْبًا، لأَنِّي لاَ أُعْطِيكَ مِنْ أَرْضِهِمْ مِيرَاثًا، لأَنِّي لِبَنِي لُوطٍ

---

(١) سفر التكوين: ١٩، " الإصحاح: ٣٠: ١٩ " .

(٢) سفر التثنية: ٢٣، " الإصحاح: ٢٣: ٢-٣ " .

(٣) سفر التثنية: ٢، " الإصحاح: ٢: ٩-١٠ " .

قَدْ أَعْطَيْتُ «عَارَ» مِيرَاثًا. الإِيمِيُّونَ سَكَنُوا فِيهَا قَبْلاً. شَعْبٌ كَبِيرٌ وَكَثِيرٌ وَطَوِيلٌ كَالْعَنَاقِيِّينَ. هُمْ أَيْضًا يُحْسَبُونَ رَفَائِيِّينَ كَالْعَنَاقِيِّينَ، لكِنَّ الْمُوآبِيِّينَ يَدْعُونَهُمْ إِيمِيِّينَ. وَفِي سِعِيرَ سَكَنَ قَبْلاً الْحُورِيُّونَ، فَطَرَدَهُمْ بَنُو عِيسُو وَأَبَادُوهُمْ مِنْ قُدَّامِهِمْ وَسَكَنُوا مَكَانَهُمْ، كَمَا فَعَلَ إِسْرَائِيلُ بِأَرْضِ مِيرَاثِهِمِ الَّتِي أَعْطَاهُمُ الرَّبُّ. اَلآنَ قُومُوا وَاعْبُرُوا وَادِيَ زَارَدَ. فَعَبَرْنَا وَادِيَ زَارَدَ. وَالأَيَّامُ الَّتِي سِرْنَا فِيهَا مِنْ قَادَشَ بَرْنِيعَ حَتَّى عَبَرْنَا وَادِيَ زَارَدَ، كَانَتْ ثَمَانِيَ وَثَلاَثِينَ سَنَةً، حَتَّى فَنِيَ كُلُّ الْجِيلِ، رِجَالُ الْحَرْبِ مِنْ وَسَطِ الْمَحَلَّةِ، كَمَا أَقْسَمَ الرَّبُّ لَهُمْ. وَيَدُ الرَّبِّ أَيْضًا كَانَتْ عَلَيْهِمْ لإِبَادَتِهِمْ مِنْ وَسَطِ الْمَحَلَّةِ حَتَّى فَنُوا. «فَعِنْدَمَا فَنِيَ جَمِيعُ رِجَالِ الْحَرْبِ بِالْمَوْتِ مِنْ وَسَطِ الشَّعْبِ، كَلَّمَنِي الرَّبُّ قَائِلاً: أَنْتَ مَارٌّ الْيَوْمَ بِتُخْمِ مُوآبَ، بِعَارَ. فَمَتَى قَرُبْتَ إِلَى تُجَاهِ بَنِي عَمُّونَ، لاَ تُعَادِهِمْ وَلاَ تَهْجِمُوا عَلَيْهِمْ، لأَنِّي لاَ أُعْطِيكَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَمُّونَ مِيرَاثًا، لأَنِّي لِبَنِي لُوطٍ قَدْ أَعْطَيْتُهَا مِيرَاثًا"[(١)]

فإن فرضنا جدلاً صحة قول ما جاء في التوراة من أن المؤابيين والعمونيين من أبناء الزنا وأن أبناء الزنا لا يدخلون في جماعة الرب على حد زعم التوراة، فكيف حصلوا على عهد من الله تعالى وحصلوا على الإرث، وإن كان لهم ذلك وهم أبناء من نسل الزنا ولغيرهم كذلك وهم من غير نسل الزنا، فعند ذلك لا يكون لأبناء الأطهار من غير الزنا ميزة عن أبناء الزنا، فكلهم في الحد سواء وكلهم حصلوا على عهد من الله تعالى وعلى إرث منه. وهذا قول في غاية الخطورة لم يفطن إليه اليهود أنفسهم، حيث أنهم لم يخلصوا إلى هذه النتيجة وهي أن أبناء الزنا وأبناء الأطهار عند الرب سواء.

بقي أن نقول إن مقولة اليهود المزعومة بأنهم شعب الله تعلى المختار وأنهم قد أخذوا عهداً من الله تعالى بأنهم يمتلكون الأرض دون غيرهم، هي مقولة مفتراة مغلوطة بدليل ما توصلنا إليه من قولهم، وهو أن الله قد أعطى عهده وأورث أرضه لأبناء الزناة وأبناء الأطهار[(٢)].

ثالثاً: عندما جاء الأمر الإلهي بخروج سيدنا لوط عليه السلام وابنتيه من القرية وإنجائهم من العذاب المحقق، فهذا يدل على أنهم أهل تقوى وإيمان، وعلى علم بحدود الله تعالى والحلال والحرام، وأن فعل الفواحش مما يبغضه الله تعالى، وأن فعل الطاعات والحسنات مما يحبه الله تعالى ويرضاه.

وعلى ذلك فإن أهل الطاعات هم الناجين الفائزين في الدنيا والآخرة، وأن أهل المعاصي هم الخاسرين في الدنيا والآخرة. فهذا أمر راسخ في نفوس بنات سيدنا لوط عليه السلام وعقيدة لا تتزعزع عندهم لأنهم مؤمنات. فكيف يكون من بنات سيدنا لوط عليه السلام بعد أن كتب لهم النجاة، وامتن عليهم بهذه المنة العظيمة وأخرجهم

---

(١) سفر التثنية: ٢، " الإصحاح: ٢: ٩-١٩ " .

(٢) انظر: قصة لوط بين القرآن الكريم والتوراة: ص ٨٨.

سالمين من القرية المدمر، أن يكون منهم فعل الفاحشة مع أبيهم لوط عليه السلام و تجرئهم عليها، كما زينت ذلك التوراة وصورته كأبشع صورة.

رابعاً: بعث الله تعالى أنبيائه الكرام لدعوة الناس إلى الحق وإلى النور المبين بإذنه تعالى. فهم مشاعل حق على مر التاريخ اختارهم الله تعالى لحمل أمانة عظيمة، وهم أهل لها وقادرين عليها بإذنه تعالى، وقصصهم وبطولاتهم ومكارمهم ومعجزاتهم وفضائلهم وحميد خصالهم محفوظة مسطورة في الكتب السماوية وعلى رأسها القرآن الكريم، وستظل كذلك إلى قيام الساعة.

هذا الأمر لم يفطن إليه كاتب التوراة المحرفة، الذي برر فعل لوط عليه السلام الفاحشة مع ابنتيه من أجل بقاء النسل ولتخليد ذكره إلى يوم القيامة. نقول له وهل يحتاج الأنبياء الكرام إلى نسل مستمر حتى يخلد ذكرهم؟ فإن نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم مات جميع أبنائه في حياته، فهل احتاج عليه الصلاة والسلام إلى نسل حتى يخلد ذكره إلى يوم القيامة؟

وقد ذكر كاتب السفر أن الملائكة التي أتت إلى سيدنا لوط عليه السلام طلبت منه أن يخرج من المدينة كل من يمت له بصلة من أبنائه وبنيه وأصهاره وغيرهم حتى لا يعمهم العذاب. دل هذا أن لسيدنا لوط أبناء وبنات ولهن أزواج.

فقد جاء في نص التوراة: " وَقَالَ الرَّجُلاَنِ لِلُوطٍ: «مَنْ لَكَ أَيْضًا ههُنَا؟ أَصْهَارَكَ وَبَنِيكَ وَبَنَاتِكَ وَكُلَّ مَنْ لَكَ فِي الْمَدِينَةِ، أَخْرِجْ مِنَ الْمَكَانِ، لأَنَّنَا مُهْلِكَانِ هذَا الْمَكَانَ"(١).

من جهة أخرى فإن القول المنسوب إلى ابنتي لوط عليه السلام بأنه لا يوجد على وجه الأرض رجل ليحيا منهم نسل جديد، فهو قول مكذوب، فإن القرية التي كان يسكن فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام على بعد مسافة قريبة من الجبل الذي يعيش فيه لوط وابنتيه، لأن سيدنا إبراهيم كان ينظر إلى القرية المدمرة والدخان المتصاعد منها فهذا يدل على قرب المكانين، وإذا كان هناك تقارب فهذا يعني أنه يمكن لبنتي لوط عليه السلام أن يتزوجوا منهم ويتعايشوا معهم.

جاء في التوراة: "وَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْغَدِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَقَفَ فِيهِ أَمَامَ الرَّبِّ، وَتَطَلَّعَ نَحْوَ سدوم وَ عَمُورَةَ، وَنَحْوَ كُلِّ أَرْضِ الدَّائِرَةِ، وَنَظَرَ وَإِذَا دُخَانُ الأَرْضِ يَصْعَدُ كَدُخَانِ الأَتُونِ. وَحَدَثَ لَمَّا أَخْرَبَ اللهُ مُدُنَ الدَّائِرَةِ أَنَّ اللهَ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ"(٢).

---

(١) سفر التكوين: ١٩، " الإصحاح: ١٩: ١٢-١٣ " .

(٢) سفر التكوين: ١٩، " الإصحاح: ١٩: ٢٧ -٢٩ " .

وهكذا نجد أن الحقد الدفين هو المحرك وراء أقوال اليهود وافترآتهم على أنبياء الله الكرام، ولكن ﴿وَيَـــأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢].

الخاتمة

وتشتمل على مايلي:

أولاً: النتائج.

ثانياً: التوصيات.

أولاً النتائج:

١. مما ظهر لي أن معنى كلمة "لَوَطَ" بفتح أوله وأوسطه وآخره، في كلام العرب تحمل على معنيين:

المعنى الأول: معنى الحُب، كما يقال: "الولد ألصق بالقلب" أي أحب إلى قلب والديه، وليس هنا المقصود اللصوق الحسي وإنما اللصوق المعنوي، وقد يكون أيضاً المقصود اللصوق الحسي من التقرب إلى الأبناء جسدياً وتقبيلهم والحنو والعطف عليهم. فيكون اسم "لُوْط" بضم أوله وسكون أوسطه، اسم علم على من لاط حبه بالقلب والتصق به، مثل حب الآباء لأبنائهم يلتصق حبهم بالقلب التصاقاً.

المعنى الثاني: تحمل كلمة "لَوَطَ" بفتح أوله وأوسطه وآخره، على معنى الإلصاق و الإلزاق، وبالتأكيد يكون هنا المقصود اللصوق المادي. فتكون كلمة "لَوَطَ" بفتح أوله وأوسطه وآخره، تشمل المعنيين "اللوط" الحسي الذي يشمل الحب، و"اللوط" المادي الذي يعني اللصوق أو الإلزاق.

و لم يعرف في اللغة أن يكون مصدره: "اللواط" الذي هو فعل الفاحشة واكتفاء الرجال بالرجال. ومن المعروف جواز إطلاق اسم: "اللوطي" على من يعمل عمل قوم لوط، واشتهر بمناكحة الذكران، ويطلق على مناكحة الذكران دون النساء: "لواط"، والمقصود الاشتقاق اللغوي الذي يعني الالزاق والحب والالتصاق. أما اسم النبي: "لوط" عليه السلام ليست داخلة في هذه المعاني والاشتقاقات اللغوية للكلمة.

٢. يترجح من خلال النظر في الروايات أن صلة القرابة بين سيدنا إبراهيم ولوط عليهما السلام هي أن إبراهيم عمه، ولوط ابن اخيه هاران. وذلك حسبما نقله علماء التاريخ والسير وهو قول أكثر العلماء مثل القرطبي والبغوي والسيوطي وغيرهم.

٣. يصعب جدا التطرق إلى نشأة سيدنا لوط دون إلقاء الضوء على حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام وذلك لعدة أمور:

أولاً: صلة القرابة الوطيدة بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين النبي لوط عليه السلام.

ثانياً: إيمان سيدنا لوط بالنبي إبراهيم عليه السلام و استجابته لدعوته.

ثالثاً: هجرة سيدنا لوط عليه السلام مع عمه إبراهيم من بلاد العراق إلى الأرض المباركة.

رابعاً: تزامن بعثة سيدنا لوط عليه السلام إلى قومه مع دعوة سيدنا إبراهيم لقومه، فقد كان سيدنا لوط عليه السلام معاصراً له.

٤. مرور هجرة سيدنا إبراهيم عليه السلام والنبي لوط عليه السلام برحلة موفقة، حيث ارتحلا عليهما السلام من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين، أي من أرض حران إلى بلاد الشام "الأرض المقدسة". وهي من أبرز دلائل ربوبية الله تعالى حيث كتب الله تعالى النجاة للنبيين الكريمين إلى بلاد الشام.

٥. يعتبر سيدنا لوط عليه السلام هو أول من هاجر إلى الله تعالى فراراً بدينه إليه وراغباً فيما عنده سبحانه وتعالى، إلى أن هاجر سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وزوجته رقية رضي الله تعالى عنهم جميعاً.

٦. لا شك أن الاسلام والدعوة إلى الله تعالى هي المظلة العامة التي تستظل بها جميع الدعوات السماوية، فالدين الحق عند الله تعالى هو دين الاسلام، وهو الذي ارتضاه الله تعالى من جميع الناس وهو الذي دعت إليه جميع الرسل الكرام.

٧. من أبرز دلائل نبوة الأنبياء الكرام جميعهم ومنهم نبي الله تعالى لوط عليه السلام:

أولاً: اتصافهم بأنبل الخصال وإكرامهم بأجمل السجايا، التي أساسها جميعهاً الاتصاف بالإيمان والأمانة، فمتى كان الإنسان مؤمناً بالله تعالى وصادقاً مع خالقه كان مؤتمناً أميناً في أقواله وأفعاله مع الخلق ومع الله تعالى.

ثانياً: أداؤهم لواجب الرسالة على أكمل وجه وأتمه، فهم مبلغون عن ربهم ينقلون وحيه للناس بدون زيادة ولا نقصان، فقد تحلوا بالأمانة بين أقوامهم واشهروا بها كما اشتهر بذلك النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعرف بالصادق الأمين.

٨. تجمل سيدنا لوط عليه السلام بجملة من الصفات الخلقية والخلقية كما ورد ذكرها في الكتاب والسنة، تمثلت في أمانته عليه السلام. وإخلاصه وإرادته بعمله وجه الله تعالى والأجر منه وحده، ولا يبتغي مدحا أو ثناءً أو رياء من الناس. وطهارته عليه السلام وأهل بيته الكرام، وحكمته وعلمه وكرمه.

٩. تمثل صفة الكرم في سيدنا لوط عليه السلام في عدة أمور منها:

أولا: كان كرماً خَلقياً: يتمثل في حسن الرفادة والاستقبال، والخوف على أضيافه من قومه الأشرار. يقول ابن كثير: "فساءه شأنهم وضاقت نفسه بسببهم، وخشي إن لم يُضِفْهم أن يضيفهم أحد من قومه، فينالهم بسوء ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾"(١) [هود: ٧٧].

(١) تفسير ابن كثير: (٣٣٦/٤)، انظر حياة وأخلاق الانبياء، المؤلف: أحمد الصباحي عوض الله: تقديم د: محمد الفحام، أ: سيد سابق، الطبعة الرابعة، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م، دار اقرأ بيروت- الرملة البيضاء: ص١١٦،

ثانياً: كان كرمه عليه الصلاة والسلام متمثلاً في دفاعه عن أضيافه الكرام، وحرصه على حمايتهم من القوم الأشرار.

ثالثاً: وكذلك من دلائل كرم سيدنا لوط عليه السلام مع أضيافه: أنه عرض على قومه الزواج من بناته.

١٠. نعتَ قوم لوط نبيهم لوطاً ومن آمن معه، وأهل بيته المؤمنين بصفة الطهارة كفراً وسخرية واستهزاءً، فإنها في الحقيقة هي صفة كمال في حقه عليه الصلاة والسلام، وفي حق من آمن معه، ولو لم تكن صفة حسنة وممدوحٌ صاحبها لما دعاهم إليها ورغبهم فيها.

١١. أنَّ هيئة أهل التقوى والصلاح تؤذي أهل الفجور والفسوق ولا يرضون بها وسبب كبير لتنفيرهم، لذلك لا يجتمع أهل الطهر والعفة والنزاهة مع الغارقين في ظلمات الفسوق والفواحش، ولابد أنْ يخرج أحدهما ويبقى الآخر.

١٢. انقلاب الحقائق والمعارف عند أهل قرية لوط عليه السلام، حيث كانوا يرون الحق منكراً والمنكر حقاً ومباحاً، يقول ابن القيم: "فأقروا مع شركهم وكفرهم أنهم هم الأخابث الأنجاس، وأن لوطاً وآله مطهرون من ذلك باجتنابهم له"[1].

١٣. امتنان الله تعالى على سيدنا لوط عليه السلام بنعمتين.

أحدهما: هي قوام الأمن والاستقرار بين الناس. وهي نعمة الحكم بين المتخاصمين بالعدل والحق، "وحكماً" فلا يبغي أحد على آخر.

والثانية: هي قوام فهم أمور الدين وأحكام الشرع، وهي الحكمة التي هي قوام فهم أمور الدين وأحكام الشرع والحلال والحرام هي نعمة العلم الشرعي.

وكلتا هاتين النعمتين العظميين من أعظم دلائل النبوة ومقتضيات الرسالة.

١٤. أبرز مبررات أهمية توحيد الألوهية أنه هو التوحيد الذي من أجله أرسلت الرسل، وهو التوحيد الذي من أجله أنزلت الكتب على الأنبياء الكرام، فيها هداية الناس ورشدهم وصلاحهم، وهو التوحيد الذي من أجله سُلَّت السيوف، واشتعلت المعارك، وفُرِّق بين المؤمنين والكافرين، وقد قامت الحروب من أجله.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (٥٩/١).

١٥. مقام العبودية لله تعالى مقام شريف ورفيع، نعت به رسله الكرام، وأنبياءه المرسلين، فقد اجتمع فيهم تمام الذل لله تعالى، وتمام المحبة له، فاجتمع لهم فضلان: فضل الرسالة والاصطفاء على جميع الناس، وفضل عبودية صفوة الصفوة. وقد عرفوا قدر ربهم فخافوا عقابه، والتزموا أوامره، فكانوا من المهتدين في الدنيا والآخرة.

١٦. إن المتتبع لآيات القرآن الكريم التي ذكر فيها قصة لوط عليه السلام وقومه، يجد أنه لا توجد آية تذكر أن سيدنا لوطاً كان يدعو قومه إلى عبادة الله تعالى، كما جاء في ذكر قصص الأنبياء السابقين، مثل إبراهيم وشعيب ونوح وهود، وإنما بعث عليه السلام من أجل إنقاذهم وردعهم عن الفواحش التي غرقوا فيها، وتوالت الآيات الكريمات في بيان ذم سيدنا لوط لفعل قومه وتقريعه لهم وتوبيخه لهم. وعلة ذلك أمرين:

الأول: وهو أن النبي لوط عليه السلام كان قد بعث في زمن سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وهو قد سبق لوطاً في دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى وحده، فأصبح الناس في زمن لوط وفي قرى قوم لوط التي بعث إليها، يعرفون خالقهم ويعبدونه، ومع ذلك طغت عليهم هذه الروح الحيوانية الشهوانية، فانحرفوا في الأخلاق، رغم أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام. فهم يعرفون دين الحق وملة النبي إبراهيم عليه السلام.

وهذا احتمال بعيد إذ أنهم لو كانوا على ملة النبي ابراهيم عليه السلام لتمثل خوف الله تعالى ومراقبته في أفعالهم، ولما صدرت منهم أبشع الافعال وأنكرها، واستحقوا بذلك العقاب من الله تعالى فإن الله تعالى لا يعاقب بالعقاب المنقطع النظير إلا من كان منهم الذنب المنكر القبيح.

الثاني: أنه ليس بالضرورة أن تذكر الآيات التصريح بدعوة النبي لوط عليه السلام قومه الى توحيد الله تعالى ونبذ الشرك، وبالنظر الى مفتاح دعوة الرسل جميعاً وأنهم دعوا أقوامهم الى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، لا يكون هناك أدنى شك في أن النبي لوط عليه السلام قد دعا قومه الى التوحيد، ولكن تسليط الضوء في الآيات كان على اجتثاث حب الفواحش من نفوسهم ،ودعوتهم الى مكارم الأخلاق؛ حيث أن هذا الامر هو ما اشتهروا به دون غيرهم.

١٧. أن سبب دعاء سيدنا لوط عليه السلام على قومه هو أمران:

الأول: فقد توعده قومه بالإخراج من بلده التي عاش فيها، وأرادوا نفيه وإبعاده من بلادهم، إذا لم يكف عن دعوتهم ونصحهم ونهيهم عن فعل الفواحش التي لا يتعففون عنها.

الثاني: أن من شدة كفرهم واستهزائهم بنبيهم جاوبوه أقبح الجواب، وطلبوا إنزال العذاب عليهم.

١٨. قيام منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا على عدة أسس وقواعد هامة، وركائز اعتمدوها في منهجهم في الإيمان بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا، منها إثبات ما أثبت الله تعالى لنفسه من الأسماء والصفات، وما أثبته له رسوله محمد ﷺ، ونفي ما نفى الله تعالى عن نفسه من الأسماء والصفات، ولا يتجاوزون فيها؛ لأنها توقيفية فلا مجال لإعمال العقل فيها.

١٩. أبرز أنواع الكبائر الموجودة في قوم لوط عليه السلام: هي اتيان الرجال، وهو ما يعرف باللواط. وقطع السبيل، وإتيان المنكر في النوادي.

٢٠. مما صح أنه كان متعارفٌ عند قوم لوط بشاعة وقبح الفاحشة قبل مجيء الرسول إليهم، لكن لا تقوم الحجة عليهم إلا بعد مجيء الرسول إليهم، وقد جاءهم رسول من عند الله تعالى وحذرهم ونهاهم، فلا حجة لهم في الاستمرار، بل يستحقون العذاب من الله.

٢١. من أهم أسباب ظهور الفاحشة في قوم لوط عليه السلام:

الأول: رغبتهم في منع ابن السبيل المار بالطريق من ثمارهم وحوائطهم، وذلك يكون بتغريمهم دفع الدراهم أو بإرغامهم على فعل الفاحشة بهم فلا يعودوا لمثله أبداً.

الثاني: أن إبليس أتى قوم لوط عليه السلام في صورة صبي جميل فاغتروا به ودعاهم إلى نفسه فواقعوه.

٢٢. اختلاف العلماء في حكم الزنا واللواط أيهما أعظم وأشد ضرراً على قولين:

القول الأول: أن الزنا أعظم من اللواط، كما قاله الإمام الغزالي في علة تحريم الزنا واللواط، ومؤيداً أن الزنا أعظم من اللواط في القبح والضرر والمفاسد وقد بين علة ذلك.

القول الثاني: أن حدَّ اللواط أغلظ من حدِّ الزنا، بدليل قول مالك وآخرين[١] برجم اللوطي ولو كان غير محصن، بخلاف الزاني، وهو ما رجحه ابن القيم رحمه الله تعالى حيث بين أن عقوبة اللواط أعظم من عقوبة الزنا وذلك لإجماع الصحابة على ذلك، ولغلظ حرمته وانتشار فساده، ولأن الله سبحانه وتعالى لم يعاقب أمة ما عاقب اللوطية[٢].

٢٣. أن قبح اللواط وبشاعته لا يختص بما كان يفعله قوم لوط من إتيان الذكران، بل يشمل كذلك مناكحة النساء في أدبارهن، ويسمى باللوطية الصغرى.

(١) ذكر الألوسي تصريح الأئمة بأن حرمة اللواطة أشد من حرمة الزنا، روح المعاني: (١٧٤/٨).

(٢) روضة المحبين: ص٣٦٤-٣٦٥.

٢٤. وقوع قوم لوط عليه السلام في نوع من أنواع الشرك الأكبر وهو شرك المحبة، حيث عظموا غير الله تعالى في قلوبهم، كذلك قدموا محبة غير الله تعالى على محبته سبحانه وتعالى، وهو سبحانه المستحق للعبادة والمحبة والإجلال دون سواه.

٢٥. اجتماع أنواع متعددة من النجاسات في قوم لوط عليه السلام كنجاسة الشرك والزنا واللواطة وجميعها من الخبث.

٢٦. افتراق المفسرون في مسألة وجود الشرك في قوم لوط، وهل دعا لوط قومه إلى الله تعالى؟ إلى قولين:

القول الأول: نظر بعضهم إلى ظاهر النصوص التي تدل على أن سيدنا لوط لم يدع قومه إلى التوحيد وإلى عبادة الله تعالى ونبذ الشرك، وإنما اقتصرت دعوته على نهيهم عن الفاحشة، فاستنبطوا أن قوم لوط لم يكن ظاهراً فيهم الشرك بالله تعالى، ولو كان الشرك موجوداً فيهم لدعاهم سيدنا لوط إلى التوحيد، ونهاهم عن الشرك.

القول الأخر: ومن العلماء من نظر إلى مفتاح دعوة الرسل جميعاً وأساس دعوتهم وأنهم توحدوا جميعاً إلى دعوة أقوامهم إلى عبادة الله تعالى ونبذ الشرك.

وأن الراجح من هذين القولين: أن قوم لوط كانوا مشركين بالله تعالى وأن سيدنا لوط دعاهم إلى التوحيد وإلى عبادة الله تعالى وذلك بالنظر لعدة أمور منها: عموم دعوة الرسل جميعاً والأصول المشتركة بينهم جميعاً في دعوتهم أقوامهم إلى الله تعالى.

٢٧. وجود التلازم الكبير بين العشق والتعلق بغير الله تعالى والشرك بالله تعالى، فكلما قويَ شِرْكُ العبد بُليَ بعشق الصور، وكلما قويَ توحيده صُرِفَ ذلك عنه، والزنا واللواطة كمال لذتهما. ولا شك أن هذا التعلق بغير الله تعالى يستجمع على العبد أنواعاً من الشرور والفساد ، والله سبحانه وتعالى يغار، وغيرته أن يأتي أحد محارمه ويتعدى حدود الله تعالى، فإذا تجرأ العبد على الفاحشة فإن الله تعالى يغار؛ لأنها انتهكت محارمه.

٢٨. أن المقصود من خيانة أزواج الأنبياء هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وهذا ما أجمعت عليه الأمة، وأنه ما زنت امرأة نبي قط، سواء كانت مؤمنة أو كافرة، وخيانة امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام إنما كانت في إظهارهما الإيمان وإخفائهما الكفر لا غير. وهو ما يعرف بالنفاق؛ الذي يكون صاحبه مبطناً خلاف ما يظهر، و لم تكن الخيانة بمعنى الخيانة في الفراش.

٢٩. ترجيح القول أن بشارة الملائكة للنبي إبراهيم عليه السلام، كانت بقدوم النبي إسحاق عليه السلام، ومن ثم بشروه بهلاك قوم لوط عليه السلام، حيث أن استئصال جذور الشر واقتلاع أساس الفاحشة والقضاء عليها، هو أهم ما يفرح المؤمنين ويدخل في نفوسهم الفرح والسرور.

٣٠. بيان المعنى الحقيقي لمجادلة إبراهيم عليه السلام للملائكة وأنها لم تكن من أجل تغيير أمرٍ قدره الله تعالى على قوم لوط واعتراضاً على قضاء الخالق الذي له الحكمة في كل شيء، ولم تكن المجادلة مع الله تعالى؛ لأن هذا من أعظم الذنوب، ولأن فيه جرأة على الله تعالى، وهو لا يليق بمقام النبوة. بل كانت على وجه السؤال والاستفسار والطلب والشفاعة من أجل تأخير العذاب عن قوم لوط، وإمهالاً لهم من أجل التوبة والأوبة إلى الله تعالى، وليس لردِّ العذاب فإنه لا راد لأمر قد قضاه الله تعالى.

٣١. فرية وقوع الفاحشة من زوجة النبي لوط عليه السلام بحجة أن من يدعوا إلى الفاحشة هو واقع فيها أصلاً، والرد عليها.

٣٢. موقف الفلاسفة من الايمان بالملائكة الكرام وبوجودهم، وهل هم مكلفون ولهم أعمال مأمورون بها من عند الله تعالى، وما نتج عن ذلك من حملهم ما جاء به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أنه من باب التخييل والخيالات التي تدور في النفس، وأن ما يوحيه الله تعالى إلى أنبيائه بواسطة ملائكته هي مجموعة من الأصوات والصور التي يتخيلها النبي وتدور في نفسه، وأنه ليس هناك وحيٌّ منزل من عند الله تعالى، ولا رسول مرسل بالوحي، وكلامهم هذا محض افتراء.

٣٣. ترجيح القول أن صالح البشر من الأنبياء و الأولياء أفضل من الملائكة المقربين، وذلك لما أعده الله تعالى لهم في دار كرامته من النعيم والجزاء العظيم.

٣٤. أن معنى عصمة الأنبياء هي: حفظ الله تعالى لهم ووقايته لهم من الوقوع في الشرك والكفر والذنوب والمعاصي.

٣٥. موقف الشيعة من عصمة الأنبياء الكرام حيث يرون أنهم معصومون عصمة مطلقاً من الكبائر والصغائر والسهو والنسيان والخطأ، وأنه لا يجوز صدور الكبائر والصغائر منهم لا على وجه العمد أو السهو.

٣٦. موقف المعتزلة من عصمة الأنبياء الكرام حيث جوَّزوا وقوع الصغائر منهم في حال الرسالة، ولم يجوزوا وقوع الكبائر ولا الصغائر المستقبحة، ومنهم من قال بعدم جواز وقوع الذنوب منهم على وجه القصد، وكونهم عالمين بقبحها، وإنما يجوز وقوعها على وجه الخطأ والتأويل.

٣٧. موقف أهل السنة والجماعة من عصمة الأنبياء الكرام وأنه لا بد من التفريق بين أمور مهمة وهي:

عصمة الأنبياء عن الكبائر، وعصمتهم فيما يبلغونه عن ربهم سبحانه، وعصمة الأنبياء عن الصغائر:

وقول جمهور العلماء وتجويزهم وقوع الصغائر منهم بدليل ما ورد في بيان توبة بعض الأنبياء ورجوعهم إلى الله تعالى.

٣٨. إجماع الأمة على عدم جواز الكفر والشرك من الأنبياء بعد النبوة، إذ كيف يكون منهم ما يخالف أصول دعوتهم وأساس عقيدتهم، وهي الإيمان بالله تعالى وبأنبيائه ورسله الكرام. فإن كان أنبياء الله تعالى معصومون عن الوقوع في المعاصي والذنوب فمن باب أولى ثبوت عصمتهم عن الوقوع في الكفر والشرك بالله تعالى وهو أكبر الكبائر.

٣٩. أن ما أصاب النبي لوط عليه السلام من حالة القلق والهلع حينما رأى مقدم قومه إليه، وأنه في نفس الوقت لا يستطيع مدافعتهم أو ردهم عما اجتمعوا عليه، هو ما جعله يتمنى أن تكون له عشيرة ومنعة وقوة يتحصن بهم ويتقوى بهم بعد قوة الله تعالى وإمداد الله تعالى سبحانه له فقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود:٨٠].

٤٠. أن أهم ما تميزت به دعوة الأنبياء جميعاً صلوات الله تعالى عليهم وسلامه: الابتلاء وتحمل الأذى والتكذيب والكفر والجحود من أقوامهم، وجميعهم يعيشون قضية عصرهم.

٤١. أن أبرز خصائص دعوة سيدنا لوط: مناصحته لقومه وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتذكيرهم بتقوى الله تعالى والتوبة من الذنوب.

٤٢. من الآيات الدالة على نبوة سيدنا لوط عليه السلام: اتصافه عليه الصلاة والسلام بالحكم والعلم والنبوة والصلاح التي هي من أبرز صفات الأنبياء، ودخوله في رحمة الله تعالى واتصافه عليه السلام بالصلاح.

٤٣. ذكر أقوال العلماء في الفرق بين النبي والرسول، وعلى هذا فيمكننا القول أن النبي لوط عليه السلام هو رسول مقيد، بعثه الله تعالى إلى قوم مخالفين لأمر الله تعالى، وقد شاعت فيهم منكرات الأخلاق التي لم يكن لها نظير ومخالفة للصواب، بالإضافة إلى ذلك أن النبي لوط عليه السلام مرسل إلى قومه في قرى سدوم دون غيرهم فإرساله إرسال مقيد خاص بقومه أهل سدوم دون غيرهم.

٤٤. أقوال المفسرين في مسألة هل سيدنا لوط هو من ذرية نوح عليه السلام أو من ذرية إبراهيم عليه السلام، وأن الراجح في المسألة أن سيدنا لوط هو من ذرية نوح عليه السلام وليس من ذرية إبراهيم عليه السلام لأن إبراهيم هو عمه أخو أبيه هاران.

٤٥. السبب في تسمية النبي لوط أخاً لقومه؛ وهو مجاورته عليه الصلاة والسلام لهم في السكنى في البلد لا في النسب؛ لأنه ابن أخي إبراهيم عليه السلام، وهما من بلاد الشرق من بلاد بابل، ولذلك جاء التعبير

بالأخوة لاختياره لمجاورتهم، و مناسبتهم بمصاهرتهم، وإقامته عليه الصلاة والسلام بينهم في مدينتهم سنين عديدة، وإتيانه بالأولاد من نسائهم، مع مخالفته لهم في المبدأ والمعتقد. وبسبب نزوله عليه الصلاة والسلام بينهم ودعوته لهم، وخوفه وحرصه على صلاحهم ومنفعتهم، وأن هذه العلاقة التي بينتها الآية هي أعظم وأقوى من علاقة النسب والمصاهرة.

٤٦. ما حل بقوم لوط من النقمة والعذاب هو بسبب كفرهم وتكذيبهم؛ ففي الدنيا جازاهم الله بقلب القرية عليهم وبالرجم بالحجارة المسومة و إنزال الرجز عليهم.

٤٧. سرى قوم لوط مسرى سابقيهم من الأمم السابقة من التكذيب والإعراض بالإضافة إلى تمردهم على الفواحش وما وصلوا إليه من الترف والرفاهية وكثرة النعم والخيرات، فكان ذلك سبباً في هلاكهم، كما كان ممن قبلهم من القرى ؛كفرت بأنعم الله تعالى فأذاقها الله لباس الخوف والجوع بسبب بطرهم وترفهم وتعاليهم على نعمة الله تعالى.

٤٨. أهل السنة والجماعة يؤمنون بالقدر خيره وشره حلوه ومره، ويعلمون تمام العلم أن ما أصابهم لم يكن ليخطأهم وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم. فالقدر عندهم هو نظام التوحيد.

٤٩. المعاني التي ذكرها القائلون بالفرق بين القضاء والقدر، ومن الواضح أنه لا مشاحَّة في تعريف أحدهما بالآخر وأن هذين اللفظين من الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت كلفظ الإسلام والايمان، وأن القائلين بالفرق بين القضاء والقدر من حيث المدلول الشرعي ليس لديهم دليل واضح من الكتاب أو السنة. لذلك يكون الراجح من القولين السابقين أنه لا فرق بين القضاء والقدر في المعنى الشرعي. والله تعالى أعلم.

٥٠. أن هذه المقولة من سيدنا لوط ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود:٨٠] لا تدل على التَّحسُّر على ما فات وعدم الرضا بالمقدور، وإنما على التحسر من عدم قدرة سيدنا لوط على مدافعة قومه وردهم، وقد أنكر عليهم بقلبه وبلسانه، ولا سبيل لديه إلى الإنكار بيديه. وهي أيضاً لا تنافي قوة توكله على خالقه وصدق لجوئه إليه كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة قال: «يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ أَتَانِي الدَّاعِي لَأَجَبْتُهُ»[1].

(١) صحيح البخاري:(٣١٥٣/١٨٠/١١) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾.[يوسف:٧].

٥١. القول الفصل في بيان معنى العندية في قوله تعالى: ﴿عند رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات:٣٤]. وهي تعني أنه في علم الله تعالى أو في قبضته وخزائنه، جعلها الله تعالى وأعدها لتعذيب قوم لوط المكذبين العاصين. ولا يصح أن يفهم من الآية معنى المجاورة، ومن ثم فلا يصح الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿عند ربك﴾ لإثبات التقارب بين الله تعالى وبين مخلوقاته مقاربة حسية، وهذا غاية الجهل.

٥٢. إثبات أن الخلاف بين من يقول بالفرق بين الاسلام والإيمان وبين من يرى غير ذلك، هو خلاف لفظي ويسير، إذ أن كلاً منهما لا يخرجون العمل من مسمى الإيمان، بل يدخلون العمل في الإيمان، وأن كلاهما لا يخرجون أهل المعاصي من الإيمان إلى الكفر فمن يفعل المعاصي لا يخرج من الإيمان الى الكفر، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

٥٣. تصوير التوراة المحرفة لسيدنا لوط عليه السلام في صورة الإنسان الذي يرغب في الدنيا ويطمع في نيل المكاسب والثروات، وأن هذا هو غاية هدفه في الحياة، و لم تظهر أنه نبي حارب الفساد و لم يكن يطمع في أي أجر مادي أو مقابل من الغير. وإظهاره في صورة التمرد وعدم طاعة الملائكة عندما طلبوا منه الخروج من القرية حتى لا يترل عليه العذاب.

٥٤. إغفال التوراة للمهمة العظمى والهدف الأسمى الذي من أجله أرسل الأنبياء وأنزلت الكتب وعدم تسليط عليها الضوء ولو بشيء يسير، لا لشيء وإنما لتضليل الأفهام وصرف العقول عن مهمة الأنبياء السامية التي من أجلها بعثوا إلى الناس، ومن أجلها هاجروا إلى الله تعالى وتكبدوا الآلام وأنفقوا كل غالي ونفيس، وإذا اختفت هذه الحقيقة الطاهرة من أذهان الناس وتلاشت من أفهامهم هذه الصورة النقية لأنبياء الله تعالى الكرام يصبح الباب مفتوحاً أمام محرفي التوراة لإلصاق أبشع الافتراءات وأسوأ الظنون بأنبياء الله تعالى الكرام؛ وحينها لا يكونوا مؤهلين للدعوة إلى الله تعالى ونشر الفضيلة.

٥٥. من خلال التأمل في سفر التكوين وتتبع قصة لوط فيه، لا نجد أي نص يثبت أن سيدنا لوط بُعث من عند الله تعالى هادياً وداعياً إلى عبادة الله تعالى وحده ، أو أنه دعا قومه إلى التوحيد ونبذ الوثنية، وهذه هي مهمة الرسل جميعهم عليهم الصلاة والسلام، وهذا أمر ليس بمستغرب لأن بني اسرائيل لا يؤمنون بفكرة التوحيد أصلاً ولا يعترفوا بتتريه الله تعالى عن الشبيه والمثيل والنظير، و لم يحاولوا أيضاً أن يغيروا شيئاً من فكرة الآلهة المحرفة التي في أذهاهم بالرغم من تتابع الرسل إليهم ودعوة الأنبياء إليهم والرسالات بينهم، إلا أنهم لازالوا متحجرين في تصويرهم لربهم ومعرفتهم به[1].

(١) انظر التراث الإسرائيلي، للدكتور صابر طعيمة: ص ٣٦٣

٥٦. تصوير التوراة المحرفة لموقف سيدنا لوط من الفاحشة في قومه، وعدم استنكاره عليه السلام على قومه فعل الفاحشة؛ بل ذُكر فيها أنه كان عليه السلام يعرض بناته للفاحشة، والافتراء على النبي لوط عليه الصلاة والسلام واتهامه بارتكاب الفاحشة مع ابنتيه، وبيان غرض جوهري من وراء اتهام سيدنا لوط عليه السلام بتهمة الزنا بابنتيه؛ ألا وهو إخراج ذرية لوط عليه السلام من ابنتيه من جماعة الرب، وبالتالي تشويه نسل المؤابيين والعمونيين إلى الجيل العاشر، أي إلى الأبد وذلك لأنهم من أولاد الزنا ولا يدخل في جماعة الرب أولاد الزنا كما هو معروف عند اليهود.

التوصيات:

١. الاهتمام بتصفية كتب التفاسير من الاسرائيليات المدسوسة فيها، وتنقيح الآثار الصحيحة فيها من غيرها، لبيان الغث من السمين ،لاسيما وقد انتشرت مثل هذه الروايات المكذوبة بين طلبة العلم وعامة الناس وتمسكهم بها.

٢. ضرورة العناية بدراسة قصص الأنبياء الكرام دراسة فاحصة متأنية جادة من الناحية التاريخية والدينية، والنظر في مؤلفات من تخصصوا في هذا الفن، وما بثه مؤلفوها من العقائد المخالفة، وأفكار منحرفة، ومن ثم تسليط النقد عليها، وتقييم ما ورد فيها بكل حجة وبرهان. سعياً لإبراز الصورة الناصعة لأنبياء الله الكرام التي تحلوا بها على مر العصور، وليبقوا مناراً شامخاً يهتدى به، بعيداً عن التهم والافتراءات.

٣. أهمية توعية أجيال المسلمين بخطر العقائد الفاسدة التي يبثها أعداء المسلمين من خلال وسائلهم المقروءة والمسموعة والمرئية، وإبراز هدفهم الأساسي وهو تشويه الدين وتقبيح أوليائه.

٤. التحذير الشديد من حقد وخطر اليهود ومن شايعهم، على الاسلام والمسلمين، وسعيهم الدؤوب لإبراز صفوة الخلق بأبشع الصفات وأرذل الخصال؛ من أجل نزع أهليتهم للدعوة إلى الله تعالى، ومن ثم فتح المجال للأعداء لبث سمومهم وعقائدهم المضللة.

٥. التبحر في دراسة مصنفات الشيعة ومافيها من الدعوة الى التحلل الاخلاقي ، وطعنهم في أنبياء الله تعالى الكرام، والرد عليهم من خلال مايستدلون به من النصوص ،وبيان خطر ذلك على الاسلام والمسلمين.

٦. التوعية المكثفة بين صفوف شباب ونساء المسلمين بخطر الفواحش عامة واللواط على وجه الخصوص، وماله من آثار مدمرة فتاكة من جميع الجوانب الدينية والأخلاقية والصحية والاجتماعية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

﴿الفهارس﴾

فهرس الآيات القرآنية

شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ	١٨٥	٢٧٥
كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ	٢١٦	٢٧٨
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ	٢١٨	٣٣
وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْۚ	٢٢١	٢٤١
وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ	٢٢٢	٥٤
نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْۚ	٢٢٣	١٢١، ٨٠، ١٢٨
وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ	٢٢٨	١٠٥،١٣١
لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةًۚ	٢٣٦	٢٦٦
فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ	٢٥١	٢١٤
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ	٢٥٥	١٩٨
وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ	٢٦٠	٢١٢
لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ	٢٨٥	١٧٩، ١٨١، ٢٠٧، ٢٠٨
سورة آل عمران	**رقم الآية**	**الصفحة**
هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ	٠٠٧	٥٨
زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ	٠١٤	١٣٣
شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ	٠١٨	٥٨،٩٩
إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۗ	٠١٩	٤٢،٣٢٢، ٣٢٥،٧٦،٩٧
قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ	٠٢٦	٧٩، ٨٦، ١٢٤
قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۚ	٠٣١	١٧١
هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ	٠٣٨	١٠٧
خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ	٠٥٥	٥٤
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ	٠٦٢	٩٩
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ	٠٧٤	١١٣
وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ	٠٧٨	٣٥٤
قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ	٠٨٤	٢٠٧، ٢٠٨
وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ	٠٨٥	٣٢٢

كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ	٠٩٣	٣٥٤
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ	١٠٢	٨٤، ٢٣٦
كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ	١١٠	٢٣٠
إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ	١٢٠	٢٨٧
إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ	١٢٤	٢٣٤
وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ	١٣١	٢٣٥
وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ	١٣٥	٢٣٧
وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ	١٣٩	٢٤٧
ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ	١٥٤	٢٧٧
إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ	١٥٥	٢٨٤
أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ	١٦٥	٢٨٥، ٢٨٨

سورة النساء	رقم آية	صفحة
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ	٠١٠	١١١
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا	٠١٩	١١٨
وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا	٠٢١	١٦٤
وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا	٠٢٢	١١٧، ٢٣٢
وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا	٠٢٧	٢٧٥
إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا	٠٣١	١١٠، ١١١
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا	٠٤٣	١٥٣
مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا	٠٤٦	٣٥٤
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا	٠٤٨	١١٠، ٢٣٧، ٣٣٣

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	٠٠٣	٣٢٢
يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ	٠١٦	٢٨٩
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ	٠٢٠	٢٤٧
إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ	٠٣٣	١١٢
إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ	٠٤٤	٤١، ٣٠٩، ٣١١، ٥٩، ٣٤٦
وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾[المائدة:٤٨]	٠٤٨	٥٩، ١٤٦
أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾[المائدة:٥٠]	٠٥٠	٦٠،١٠٥
لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ	٠٧٨	٢٣٤
سورة الأنعام	**رقم الآية**	**الصفحة**
وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ	٠١٨	١٠٥
قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ	٠٣٣	٢٢٦
وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ	٠٦٨	٣٤
۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ	٠٧٤	٢٢،٢٣
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ	٠٨٤	٢٥٠، ٢٤٩
وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ	٠٨٦	٧٣،٢٥٠
وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ	٠٨٧	٧٣، ٧٤

ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ	٠٨٨	٧٤
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ	٠٨٩	٢٥٤
وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ	٠٩١	٣٨١
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ	١٠٢	١٥٦
أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ	١١٤	١٠٥
وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ	١٢١	١٥٦
وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ	١٢٣	٢٧٢
وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ	١٢٤	٤٧
وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ	١٣١	٢٧٢
قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ	١٥٠	٢٦٣
قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ	١٥١	١٤٤
مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ	١٦٠	٢٨٥، ٢٨٨
سورة الأعراف	**رقم الآية**	**الصفحة**
قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ	٠٢٣	٧
وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ	٠٢٨	١١٨
قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ	٠٣٣	١١٨، ١٣٥

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ	٠٥٩	١٤٢،٤١
وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	٠٧٣	٤١
وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ	٠٨٠	١١٩،٤٩، ١٢٣، ٢٢٣، ٣٧٠، ١١٤، ١١٦، ١٢٠، ١٢٢، ١٣٥
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ	٠٨١	١٢٨، ١٣٥، ١٤٥
وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ	٠٨٢	٥٠، ٥٣، ٥٤
فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ	٠٨٣	١٦٦،١٦٧، ١٦٨
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ	٠٨٤	١٢٣، ١٣٥، ٢٩٧
وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ	٠٩٤	٢٤٦
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ	٠٩٦	٢٣٦،٢٣٧،١١٠
فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ	١٣١	٢٨٨
۞وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ	١٥٦	١١٠
ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ	١٥٧	٢٣١
وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًاۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ	١٦٨	٢٨٧
وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ	١٧٩	١٣٢
وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ	١٨٠	٩٤
سورة الأنفال	**رقم الآية**	**الصفحة**
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ	٠٢	٣٢٧
إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ	٠٩	٢٢٢

وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ	١٦	١١١
وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ	٢٥	٨٦
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ	٢٧	١٦٢
وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ	٣٢	٨٧
كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ	٥٢	٢٩١
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	٥٣	٢٩٢
وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ	٥٨	١٦٣
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ	٧٤	٣٢
سورة التوبة	**رقم الآية**	**الصفحة**
لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ	٠٢٥	٢٨٩
ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ	٠٣١	١٥٧
إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ	٠٥٠	٢٨٨
وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ	٠٥٦	٣٢٠
ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ	٠٦٧	١٥٨
أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	٠٧٠	٩٥،٩٣
وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ	٠٧١	٢٣٠
أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ	١٠٤	٢٣٧ ،١٠١
ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ	١١٢	١١٣

لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ	١١٧	١٠١
وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ	١١٨	١٠١
مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ	١٢٠	٣٣٨
سورة يونس	**رقم الآية**	**الصفحة**
وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ	٠١٩	٢٦٦
إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	٠٢٤	٢٧١
وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ	٠٨٤	٣٢٣
سورة هود	**رقم الآية**	**الصفحة**
وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ	٠٠٣	١١٦
وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ	٠٣٨	٥٣
وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ	٠٤٢	٢٢٤،١٧١
قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ	٠٤٦	١٧٠
وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ	٠٥٨	٢٧٠
۞وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ	٠٦١	١٤٢
قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ	٠٦٢	٢٢٧
فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ	٠٦٦	٢٧٠

وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ	٠٦٩	١٨٧،٣٦، ١٨١،١٩٢، ١٨٧،٣٧٥، ٢١
فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ	٠٧٠	١٩٢
وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ	٠٧١	١٨٨، ١٩٠
فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ	٠٧٤	١٨٩، ١٩٠،٢٦٨، ١٩٤،٣٧٥، ١٩٧
يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ	٠٧٦	١٩٥
وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ	٠٧٧	٦٠،١٨٠،٣٧٨،٦٨
وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ	٠٧٨	٩٥، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٥، ٢٣٢، ٢٨٨، ٢٩١،٥٣، ٦٢، ٦٨، ١٢٣، ٣٨٧،٦٥، ٩٣، ٩٥، ٢٢٩
قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ	٠٧٩	٣٨٨،١٢١
قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ	٠٨٠	١٨٣، ٢٢٥، ٢٥٦، ٢٧٦،٢١١
قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ	٠٨١	١٨٢، ٢٢٥، ٢٩٠، ٣٦٣
فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ	٠٨٢	٢٢١، ٢٩٧،٢٦٨، ٢٩٢،٢٧٠، ٢٩٩
قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ	٠٨٧	٥٣
وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ	٠٩٠	١٠١
سورة يوسف	**رقم الآية**	**الصفحة**
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ	٠٢٤	١٥٤
مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	٠٤٠	١٥٧
۞رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ	١٠١	٣١٦
حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ	١١٠	٢٠٢
سورة الرعد	**رقم الآية**	**الصفحة**
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ	٣٧	٥٨
سورة إبراهيم	**رقم الآية**	**الصفحة**

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ	٠٩٢	١٤١
قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ	١٠٢	٢٦٩
سورة الإسراء	**رقم الآية**	**الصفحة**
وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا	٠٠٤	٢٦٦، ٢٧٦
مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا	٠١٥	١١٥
وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا	٠١٦	٧٦،٢٧١
وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا	٠١٧	٢٩١
وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا	٠٢٣	٢٦٥
إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا	٠٢٧	٢٥٦
وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا	٠٣٢	١١٩، ١٢٩
قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا	٠٨٨	٢١٧
قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا	١١٠	٩٩
سورة الكهف	**رقم الآية**	**الصفحة**
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا	٣٠	٥٣
وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا	٤٩	١٨
سورة مريم	**رقم الآية**	الصفحة
فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا	١٧	٢٦٩
وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا	٤١	٢٢٤
وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا	٥٦	٢٤٧
إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا	٩٣	٨٢
سورة طه	**رقم الآية**	**الصفحة**
قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى	٠٥٢	٣٠١
قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ	٠٧٢	٢٦٦
۞وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ	٠٨٣	٣٤٦

ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ	٠٣	١٥٦
إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ	١١	١٧٣
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ	٤٣	٢٩٤
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ	٥٢	٢٣٦
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ	٥٥	١٠٣
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	٦٢	٣٢٦
سورة الفرقان	**رقم الآية**	**الصفحة**
وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا	٤٠	٢٩٧
وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا	٦٣	٨٢
سورة الشعراء	**رقم الآية**	**الصفحة**
وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ	٠٢٢	٢٢٧
كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ	١٠٥	٤٦،١٠٣،٢٠٩
إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ	١٢٤	٤٦
كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ	١٦٠	٤٦،١٤٥، ٢٢١،١٣٥،٤٣،١٠٢،٢٠٩، ٢٢٦
إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ	١٦١	٦،٧،٤٦،٤٥، ٢٠٨، ٢٤٩،٤٦،٢٢٢، ٢٣٦،٤٢،١٤٧،٢٣٢، ٢٥٥
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ	١٦٣	٩٣، ٩٥، ٢٣٦
أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ	١٦٥	٥٠،١٢١،٧٣،١٢٠، ١٧٥، ٢٩٠،١٢٣
قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ	١٦٧	٨٧، ٨٨
رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ	١٦٩	٨٤، ٨٥،٨٨،٨٧
فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ	١٧٠	٨٦،١٦٨
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ	١٧٣	٢٩٧
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ	١٧٥	٩٨،١٠٠
كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ	١٧٦	٤٣

سورة النمل	رقم الآية	الصفحة
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ	١٥	٥٨
وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ	٥٤	٤٩،٥٤،١٣١،٢٣٢،١٣٦،١٣١،١٣٥
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ	٥٥	١٣٥
فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ	٥٦	٥٠، ٢٢٥،٥٤،٥٦،٥٥، ٨٨
فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ	٥٧	١٦٨، ٢٧٥، ٢٩٠،٥٦
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ	٥٨	٢٩٨
مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ	٨٩	٢٨٥
سورة القصص	**رقم الآية**	**الصفحة**
وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ	١٥	٢٦٦
وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ	٥٨	٢٩١
سورة العنكبوت	**رقم الآية**	**الصفحة**
وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ	١٦	٣٥
۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ	٢٦	٢٨، ٣٠، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ١٠٦، ٣٦٦،٣٢، ٩٨، ٣٧١،٢٥٤
وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ	٢٨	١١١، ٢٣٢،١٢٧، ١٢٩
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ	٢٩	١١٣، ١١٦، ١١٩، ١٤٦،١٢٠،٨٧، ٨٨، ٩٣، ٩٥، ١٣٦
قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ	٣٠	٨٤، ٨٦، ٨٨، ١٢٣،٨٧، ٢٣٣
وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ	٣٢	١٩٥
وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ۖ وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ	٣٣	١٨٠،٦٠، ٦٥،٦٦
إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ	٣٤	٢٩٨،٧٦
وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ	٤٣	١٦٤
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ	٥٣	٨٧
سورة الروم	**رقم الآية**	**الصفحة**
وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	٢١	١٢٧، ٢٦٢

فهرس الحديث النبوية

فهرس الآثار الواردة عن الصحابة رض الله عنهم

طرف الأثر	رقم الصفحة
أتت الملائكة لوطا وهو في مزرعة له	٦١، ٢٠٠
اتقوا ما حرم الله عليهم، وأدوا ما افترض عليهم	٨٤
إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فو الله لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه	٣٢٧
إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى	٢٣٥
أرسل لوط إلى المؤتفكات وكانت قرى لوط أربع مدائن	٢٤٤
أما امرأة لوط فإنها كانت تدل على الأضياف،	١٥٩
أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون	١٥٩، ١٦٣
آمن لوط بإبراهيم، وكان ابن أخته	٢٦
إن قوم لوط كانت فيهم ذنوب غير الفاحشة، منها أنهم يتظالمون فيما بينهم، ويشتم بعضهم بعضا	١٤٥
بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط، أقبلت تمشي في صورة رجال شباب	١٨٨
التقوى أن لا تختار على الله سوى الله، وتعلم أن الأمور كلها بيد الله	٨٣
التقوى ترك الإصرار عل المعصية، وترك الاغترار بالطاعة	٨٣
حق لمثل هذا الرجل أن يتخذه ربه خليلا	١٩٣
الخال والد والعم والد	٢٧
خرج إبراهيم بامرأته سارة ومعها أخوها لوط	٢٥
خرجت الرسل فيما يزعم أهل التوراة من عند إبراهيم إلى لوط بالمؤتفكة	٦١، ٢٠٠
خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط،	٦١، ١٩٩
الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل	٢٣٥
الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى	٨٤
الشام، وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس	٧٦
عابوهم بغير عيب، وذموهم بغير ذم	٥٠
في الدين خانتاهما	١٥٩، ١٦٣
كان الذي حملهم على إتيان الرجال دون النساء	١١٩
كان اللواط في قوم لوط، في النساء قبل أن يكون في الرجال بأربعين سنة	١٢١
كان رؤساؤهم خطبوا بناته فلم يجبهم	٦٣
كان لوط نبي الله، وكان ابن أخي إبراهيم	٤٤
كفر لا ينقل عن الملة	٣٠٩، ٣١١
كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب	١١٠
كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب	٢٩٩
لما أرادوا إلقاء إبراهيم في النار جعلوا يجمعون له الحطب	٢٦
لما أوجس إبراهيم خيفة في نفسه حدثوه عند ذلك بما جاؤوا فيه	١٨٨

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الأعلام

الاسم الصفحة

فهرس الأماكن

البلد	الصفحة

البلد	الصفحة

فهرس المذاهب والفرق

الفرقة **الصفحة**

فهرس المراجع والمصادر

١. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، تحقيق: عادل بن سعد – السيد بن محمود ابن إسماعيل، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٩ – ١٩٩٨.

٢. إتحاف السائل بما في الطحاوية من المسائل: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

٣. آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني: دار صادر-بيروت-.

٤. أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر، رسالة ماجستير للطالب: عطا الله بخيت حماد، اشراف: أحمد المهدي ١٤٠٩هـ.

٥. اثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى، الأستاذة هند القثامي، رسالة ماجستير، إشراف: د: أحمد السايح.

٦. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية: ابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤-١٩٨٤.

٧. الآحاد والمثاني: أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية – الرياض – الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩١م.

٨. أحكام القرآن: أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان.

٩. الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، تحقيق: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي-بيروت- الطبعة الأولى: ١٤٠٤.

١٠. إحياء علوم الدين: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة- بيروت.

١١. أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ: أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني، تصحيح وطباعة مفتي العراق السابق الحاج محمد، الطبعة الأولى:١٢٨٢هـ.

١٢. الأخبار الطوال: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، تحقيق: عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية – بيروت-لبنان – الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٣. آداب الزفاف في السنة المطهرة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية – الأردن، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ

١٤. أدب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع الخلق في القرآن الكريم: عبد الله بن أحمد الغامدي، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور: محب الدين عبد السبحان واعظ.

١٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

١٦. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد: الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.

١٧. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥-١٩٨٥.

١٨. أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر-١٣٩٩ هـ-١٩٧٩م.

١٩. الاستقامة: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة – الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ.

٢٠. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل-بيروت- الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.

٢١. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: محمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة.

٢٢. أسرار العربية: عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد أبو البركات الانباري، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل-بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.

٢٣. الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم عرض ونقد: الدكتور محمود عبد الرحمن قدح، ضمن مجلة الجامعة الإسلامية – العدد: (١١١).

٢٤. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: الدكتور علي عبد الواحد وافي، الطبعة الأولى: ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، دار نهضة مصر للطباعة والنشر-القاهرة.

٢٥. الأسماء الحسنى معانيها وآثارها والرد على المبتدعة فيها: رفيع اوونلا بصيري الأجيوبي رسالة دكتوراه، إشراف د صالح بن سعد السحيمي، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م

٢٦. أسماء الله الحسنى وصفاته العليا دراسة تطبيقية ونظرية: شمس الدين أبي بكر عبدالله محمد بن ابي بكر الزرعي الدمشقي، جمع واعداد وتحقيق: عماد زكي البارودي-المكتبة التوفيقية.

٢٧. الأسماء والصفات نقلا وعقلا: محمد الامين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، السنة الخامسة، العدد الرابع، ربيع ثاني: ١٣٩٣هـ، مايو ١٩٧٣م.

٢٨. الأسماء والصفات: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، المحقق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي – جدة، الطبعة الأولى: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٢٩. الأسماء والصفات: لشيخ الاسلام ابن تيمية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٣٠. الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت- الطبعة الأولى: ١٤١٢-١٩٩٢.

٣١. أصول الإيمان: للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، تحقيق باسم فيصل الجوابرة، الطبعة الخامسة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ١٤٢٠هـ.

٣٢. أصول في التفسير، تفسير العلامة محمد العثيمين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، درس صوتي مفرغ.

٣٣. الأصول في النحو: لابي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٩٨٨م.

٣٤. أصول مذهب الشيعة الامامية الاثني عشرية: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، الطبعة الثانية: ١٤١٥-١٩٩٤، واصل الكتاب رسالة دكتوراه من جامعة الامام محمد بن سعود.

٣٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٦. إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب-بيروت.

٣٧. أطلس الأديان، تاريخ- عقائد- انتشار: كارم محمود عزيز، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٣٨. أطلس تاريخ الأنبياء والرسل: سامي بن عبد الله المغلوث، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٣٩. إظهار الحق: الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، نشر وتوزيع: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٤٠. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٤١. الاعتقادات: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، تحقيق: عصام عبد السيد، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، ١٣٧١ هـ.

٤٢. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة: حافظ بن أحمد الحكيمي، تحقيق: حازم القاضي، الطبعة الثانية، وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد-المملكة العربية السعودية-١٤٢٢هـ.

٤٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، - بيروت – ١٩٧٣م.

٤٤. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين المستشرقين: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الخامسة، مايو١٩٨٠م.

٤٥. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة -بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥-١٩٧٥.

٤٦. إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، الطبعة الثانية-القاهرة- ١٣٦٩.

٤٧. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع: ادورد فنديك، دار النشر: دار صادر-بيروت-١٨٩٦م.

٤٨. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الطبعة الأولى، وزارة الشئون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد-المملكة العربية السعودية-١٤١٨هـ.

٤٩. أمراض القلب وشفاؤها: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، المطبعة السلفية- القاهرة- الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ.

٥٠. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: مجير الدين الحنبلي العليمي، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس -عمان- الطبعة الثانية: ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م.

٥١. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، دار الفكر -دمشق.

٥٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، دار الفكر – بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٥٣. الإيمان الأوسط: شيخ الاسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، المحقق: محمود أبو سن، دار طيبة للنشر -الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

٥٤. الإيمان الكبير لابن تيمية، دراسة وتحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٥٥. الايمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين: محمد بن محمود ال خضير، تقديم الشيخ: عبدالله بن عقيل، الشيخ الدكتور عبدالرحمن المحمود، الشيخ الدكتور عبد العزيز آل عبد اللطيف، الشيخ علوي السقاف، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية: ١٤٢٨هـ.

٥٦. الإيمان لابن منده: محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، تحقيق: د علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة –بيروت- الطبعة الثانية: ١٤٠٦.

٥٧. الإيمان: حقيقته، خوارمه، نواقضه: عبدالله بن عبدالحميد الأثري، مراجعة وتقديم: عبدالرحمن بن صالح المحمود، مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٥٨. بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار: ملا محمد الباقر المجلسي، مؤسسة الوفاء بيروت – لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٥٩. البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم-بيروت، المدينة-١٤٠٩، الطبعة الأولى.

٦٠. بحر العلوم: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، تحقيق: محمود مطرجي، دار النشر: دار الفكر-بيروت.

٦١. البدء والتاريخ: المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية- بورسعيد.

٦٢. بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى - ١٤١٦ - ١٩٩٦، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا -عادل عبد الحميد العدوي- أشرف أحمد.

٦٣. البداية والنهاية: اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف-بيروت.

٦٤. البدر المنير في تخريج الاحاديث والاثار الواقعة في الشرح الكبير: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبدالله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع-الرياض-السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٦٥. بذل المجهود في إفحام اليهود: السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه: عبد الوهاب طويلة، دار القلم -دمشق، الدار الشامية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٦٦. بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، المكتبة العلمية، بيروت لبنان.

٦٧. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة: نور الدين الهيثمي، المحقق: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ - ١٩٩٢.

٦٨. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: موسى سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى: ١٤٠٨.

٦٩. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية- صيدا.

٧٠. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الاسلامي- الكويت-١٤٠٧، الطبعة الأولى.

٧١. بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، (تهذيب لكتاب شعب الإيمان للبيهقي) تهذيب: محمد خلف سلامة.

٧٢. بنو إسرائيل الحضارة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقضائية والعسكرية: محمد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية: ١٩٩٩م.

٧٣. بنو إسرائيل في القرآن والسنة: محمد سيد طنطاوي، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٧٤. بهجة المجالس وأنس المجالس: ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.

٧٥. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

تاريخ ابن خلدون= ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر

٧٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

٧٧. تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، المحقق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.

٧٨. تاريخ الرسل والملوك، تاريخ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية -بيروت.

تاريخ الطبري= تاريخ الرسل والملوك

تاريخ الفسوي= المعرفة والتاريخ

٧٩. التاريخ الكبير: محمد بن اسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر -بيروت-الطبعة الأولى.

٨٠. تاريخ اليعقوبي: أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، دار صادر-بيروت.

٨١. التاريخ اليهودي العام: صابر طعيمة، الطبعة الثالثة، دار الجيل بيروت،١٤١١هـ-١٩٩١م،

٨٢. تاريخ بغداد: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية-بيروت.

٨٣. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥.

٨٤. تاريخ مولد العلماء ووفياتهم: محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربعي، تحقيق: عبد الله أحمد سليمان الحمد، الناشر دار العاصمة، ١٤١٠هـ، الرياض.

٨٥. التبيان في اقسام القرآن: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الفكر- بيروت.

٨٦. التبيان في تفسير القرآن: محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي.

٨٧. التبيان في تفسير غريب القرآن: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث بطنطا-القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٩٢.

٨٨. تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، دار الكتب العلمية-بيروت.

٨٩. تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار القلم -بيروت- ١٩٨٤م، الطبعة الأولى.

٩٠. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، -الرياض- ١٤١٤هـ.

٩١. تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٩٢. تذكرة المؤتسي فيمن حدث ونسي: عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، الدار السلفية -الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٩٣. التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه، للدكتور صابر طعيمة.

٩٤. الترغيب بالجنة والتحذير من النار: علي نايف الشحود

التعاريف للمناوي= التوقيف على مهمات التعاريف

٩٥. التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.

٩٦. تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي.

٩٧. تغليق التعليق على صحيح البخاري: ابن حجر، المحقق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الاسلامي، دار عمار - بيروت، عمان- الاردن، الطبعة الأولى،١٤٠٥.

٩٨. تفسير ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية -صيدا.

تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم.

تفسير أبو السعود= إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.

٩٩. تفسير أسماء الله الحسنى: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية -دمشق،١٩٧٤.

١٠٠. تفسير أسماء الله الحسنى: عبد الرحمن السعدي، دراسة وتحقيق: عبيد بن علي العبيد، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (١١٢-السنة ٣٣-١٤٢١هـ).

تفسير الالوسي= روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني

١٠١. تفسير البحر المحيط تفسير: أبو حيان الأندلسي، المحقق: عادل أحمد - علي معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤١٣ - ١٩٩٣.

١٠٢. تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود- الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: زكريا عبد المجيد النوقي، أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية- لبنان بيروت-١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، الطبعة الأولى.

تفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن

تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

١٠٣. تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع -تونس-١٩٩٧م.

تفسير الثعلبي = الكشف والبيان

١٠٤. تفسير الجلالين: المحلي والسيوطي، الطبعة الأولى، دار الحديث –القاهرة.
تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التتريل.
تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل
١٠٥. تفسير السراج المنير: محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية- بيروت.
تفسير السمرقندي = بحر العلوم
تفسير الشربيني= السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير
تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن
تفسير العز بن عبد السلام = تفسير القرآن اختصار النكت للماوردي
تفسير القاسمي= محاسن التأويل
١٠٦. تفسير القرآن (اختصار النكت للماوردي): الامام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، تحقيق الدكتور عبد الله بن ابراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى:١٤١٦ هـ ١٩٩٦م.
١٠٧. تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر - بيروت – ١٤٠١.
١٠٨. تفسير القرآن: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠.
تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن
١٠٩. التفسير القيم لابن القيم: جمع وترتيب: محمد أويس الندوي. تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
تفسير النسفي= مدارك التتريل وحقائق التأويل
١١٠. تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطا، للإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى، دراسة وتحقيق عبد العزيز بن محمد الخليفة، مكتبة الرشد الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
١١١. تفسير مجاهد: مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج، المنشورات العلمية- بيروت، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي.
١١٢. تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية–لبنان بيروت: الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م.
١١٣. تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الرشيد، تحقيق: محمد عوامة –سوريا- الطبعة الأولى: ١٤٠٦-١٩٨٦.
١١٤. تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المحقق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة.
١١٥. تكملة الإكمال: محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى–مكة المكرمة، الطبعة الأولى:١٤١٠ هـ.
١١٦. تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليماني المدني- المدينة المنورة - ١٣٨٤ – ١٩٦٤م.

١١٧. التمهيد لشرح كتاب التوحيد: صالح بن عبد العزيز ال الشيخ، الطبعة الأولى، الناشر: دار التوحيد، تاريخ النشر: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١١٨. التمهيد لما في الموطا من المعاني والاسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المحقق: مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكري، مؤسسة القرطبه.

١١٩. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث -القاهرة، الطبعة الثانية: ١٩٧٧.

١٢٠. تتريه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، المؤلف: أبي الحسن علي بن أحمد السبتي الاموي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر-بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٠.

١٢١. تتريه الشريعة المرفوعة عن الاحاديث الشنيعة الموضوعة: أبو الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني، حققه وراجع اصوله وعلق عليه: عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله بن محمد الغماري، دار الكتب العلمية.

١٢٢. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: الفيروز ابادي، دار الكتب العلمية-لبنان.

١٢٣. تهذيب الأسماء واللغات، للعلامة ابى زكريا محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

١٢٤. تهذيب الكمال: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة -بيروت، الطبعة الأولى:١٤٠٠-١٩٨٠.

١٢٥. تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي الطبعة الأولى -بيروت- ٢٠٠١م.

١٢٦. التوحيد: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الطبعة الرابعة، وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.

١٢٧. توراة اليهود والامام ابن حزم الاندلسي: تقديم عبد الوهاب طويلة.

١٢٨. التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق: سهيل ديب، دار النفائس.

١٢٩. التورات كتاب مقدس ام جمع من الاساطير، ليوتاكسيل، ترجمة: د حسان ميخائيل اسحاق.

١٣٠. التوراة كتابات ما بين العهدين، مخطوطات قمران-البحر الميت، الكتب الاسينية، تحقيق: اندريه دوبون- سومرمارك فيلوننكو، ترجمة وتقديم موسى ديب لخوري، دار الطليعة الجديدة سوريا، الطبعة الأولى،١٩٩٨م.

١٣١. التوراة والانجيل والقرآن والعلم، المؤلف الفرنسي: موريس بوكاي، ترجمة الشيخ حسن خالد، مفتي الجمهورية اللبنانية -المكتب الاسلامي، الطبعة الثالثة،١٤١١هـ-١٩٩٠م.المكتب الاسلامي-بيروت.

١٣٢. التوراة: مصطفى محمود.

١٣٣. توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك. أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، استاذ اللغويات في جامعة الازهر، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.

١٣٤. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الامام ابن القيم: أحمد بن ابراهيم بن عيسى، المكتب الاسلامي-بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦، تحقيق: زهير الشاويش.

١٣٥. التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، الطبعة الأولى: ١٤١٠ هـ.

١٣٦. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة-الرياض.

١٣٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة-بيروت-١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٣٨. الثقات: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر - الطبعة الأولى، ١٣٩٥-١٩٧٥.

١٣٩. جامع الأصول في احاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني الطبعة الأولى -مطبعة الملاح- مكتبة دار البيان.

١٤٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد البكري، محمد عادل، محمد خلف، محمود عبد الحميد، تقديم: عبد الحميد مدكور، مراجعة الشيخين: محمود شاكر وأحمد شاكر، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، دار السلام- مصر.

١٤١. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٤٢. جامع الرسائل: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: محمد رشاد سالم، دار العطاء -الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٤٣. الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، اليمامة -بيروت -١٤٠٧-١٩٨٧.

١٤٤. الجامع الصحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر واخرون، دار إحياء التراث العربي -بيروت.

١٤٥. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، تحقيق: شعيب الارناؤوط، ابراهيم باجس، مؤسسة الرسالة -بيروت الطبعة السابعة، -١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٤٦. جامع بيان العلم وفضله: ابي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان -دار ابن حزم، الطبعة الأولى: ١٤٢٤-٢٠٠٣ هـ.

١٤٧. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب - القاهرة.

١٤٨. الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١٤٩. جذور الفتنة أجيال بني اسرائيل الأولى: محمد عصمت بكر.

١٥٠. الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن ابي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي- بيروت- ١٢٧١-١٩٥٢.

١٥١. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم: محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: علي حسين البواب، الطبعة الثانية، دار ابن حزم- لبنان بيروت-١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٥٢. الجنس في العهد القديم: المؤلف: محمد عبد الحليم عبد الفتاح،

١٥٣. جهود الإمامين ابن تيمية وابن القيم في دحض مفتريات اليهود: سميرة عبدالله البناني، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية.

١٥٤. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: أحمد عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، مطبعة المدني - مصر، تحقيق: علي سيد صبح المدني.

١٥٥. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

١٥٦. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله١، دار الكتب العلمية-بيروت.

١٥٧. حاشية توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي: عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار القلم -دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٥٨. الحبائك في أخبار الملائك: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان-١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م، الطبعة الثانية.

١٥٩. الحسام الممدود في الرد على اليهود: أبو محمد عبد الحق الاسلامي.

١٦٠. الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء المرسلين من الكافية الشافية: الشيخ عبد الحمن بن ناصر السعدي، دار ابن القيم- الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ.

١٦١. حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة: محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى،١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

١٦٢. حكايات محرمة في التوراة: جوناثان كيرتش، ترجمة: نذير جزماتي، الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م.

١٦٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة الرابعة.

١٦٤. حياة واخلاق الانبياء: أحمد الصباحي عوض الله، تقديم د:محمد الفحام، سيد سابق، الطبعة الرابعة: ١٤١٣ هـ-١٩٩٣م، دار اقرا بيروت- الرملة البيضاء.

١٦٥. الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ١٤١٦ هـ لبنان بيروت.

١٦٦. الخطأ والدخيل في توراة بني اسرائيل: ابراهيم ثروت حداد، مركز التنوير الاسلامي- القاهرة ١٤٢٦هـ٢٠٠٦م.

١٦٧. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال: الحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الانصاري اليمني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الاسلامية -دار البشائر -حلب بيروت-١٤١٦ هـ، الطبعة الخامسة.

١٦٨. دار الهدي النبوي -دار الفضيلة، الطبعة الأولى، أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

١٦٩. الدر المنثور: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر -بيروت-١٩٩٣م.

١٧٠. درء تعارض العقل والنقل: تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية-بيروت- ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.

١٧١. دراسات في الاديان اليهودية والنصرانية: سعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة الأولى،١٤١٨ه-١٩٩٧م الرياض.

١٧٢. دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة: عبدالله الامين، الطبعة الثانية،١٩٩١م، دار الحقيقة-بيروت.

١٧٣. دراسات في اليهودية والمسيحية واديان الهند: د محمد ضياء الرحمن الاعظمي، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٧٤. الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية -صيدر اباد الهند الطبعةالثانية-١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

١٧٥. دروس في المذاهب النحوية: عبده الراجحي استاذ العلوم اللغوية بجامعتي الاسكندرية وبيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت ١٩٨٠.

١٧٦. دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ويليه منع جواز المجاز في المترل للتعبد والاعجاز: العلامة محمد الامين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبدا لله أبو زيد، وقف مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية، دار عالم الفوائد للنشر والطباعة، مطبوعات المجمع الطبعة الأولى١٤٢٦هـ.

١٧٧. دفع شبه التشبيه بأكف التتريه: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي، تحقيق حسن السقاف، الناشر دار الامام النووي، سنة النشر ١٤١٣ هـ-١٩٩٢م، الاردن.

١٧٨. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د محمد السيد الجليند، الناشر مؤسسة علوم القرآن، سنة النشر: ١٤٠٤-دمشق.

١٧٩. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ.

١٨٠. دلائل النبوة: أبو نعيم الاصبهاني، تحقيق: محمد رواس قلعة جي- عبد البر عباس، دار النفائس-بيروت-الطبعة الثانية،١٤٠٦ه-١٩٨٦م،بتصرف بسيط.

١٨١. دليل العهد القديم: د ملاك محارب.

١٨٢. دور اليهود في افساد العقيدة الالهية والآثار التي ترتبت على ذلك، رسالة ماجستير، المؤلف: حسن محمد ابراهيم،١ ١٤٦، ١٤٠٥-١٩٨٥م.

١٨٣. الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب: ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية-بيروت.

١٨٤. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، الطبعة الخامسة - بيروت - ١٩٨٤.

١٨٥. ذم التأويل: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية-الكويت، الطبعة الأولى،١٤٠٦،.

١٨٦. ذم اللواط: الامام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: مجدي السيد ابراهيم، مكتبة القرآن-القاهرة.

١٨٧. رجال صحيح مسلم: أحمد بن علي بن منجويه الاصبهاني أبو بكر، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، ١٤٠٧-بيروت.

١٨٨. الرد الجميل على المشككين في الاسلام من القرآن والتوراة والانجيل والعلم: عبد المجيد صبح، الطبعة الثانية، دار المنارة مصر ٢٠٠٣م.

١٨٩. الرد على المنطقيين: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: دار المعرفة-بيروت

١٩٠. الرد على من قال بأفضلية بني اسرائيل على العرب: السلطان العلوي الشريف ابي الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل، دراسة وتحقيق: عبد المجيد خيالي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٩١. الرسالة التبوكية زاد المهاجر الى ربه: محمد بن ابي بكر ايوب الزرعي أبو عبد الله، مكتبة المدني- جدة، تحقيق: محمد جميل غازي.

١٩٢. الرسالة التدمرية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي المعروف بابن تيمية، دار النشر: مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الطبعة الرابعة -السعودية-١٤٠٨.

١٩٣. رسالة التوحيد: اسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد-المملكة العربية السعودية-١٤١٧هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد.

١٩٤. رسالة التوحيد: محمد عبده، مطابع دار الكتاب العربي،١٩٦٦.

١٩٥. الرسل والرسالات: الدكتور عمر بن سليمان الاشقر، الطبعة ١٤٠٣-١٩٨٣م، الطبعة الخامسة: ١٤٠٥-١٩٨٥، الطبعة العاشرة١٤١٠-١٩٨٩م، مكتبة الفلاح الكويت للنشر والتوزيع، دار النفائس الكويت للنشر والتوزيع.

١٩٦. الروايات التفسيرية في فتح الباري: عبد المجيد الشيخ عبد الباري، وقف السلام الخيري، الطبعة الأولى: ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٦ م.

١٩٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي — بيروت.

١٩٨. الروض الانف في تفسير السيرة النبوية: عبد الرحمن بن عبدالله الخثعمي السهيلي، تحقيق: طه عبد الرءوف، دار الفكر-بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٧١-١٣٩١.

١٩٩. الروض الداني (المعجم الصغير):سليمان بن أحمد بن ايوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج امرير، المكتب الاسلامي، دار عمار-بيروت، عمان-١٤٠٥-١٩٨٥، الطبعة الأولى.

٢٠٠. الروض المعطار في خبر الاقطار: محمد بن عبد المنعم الحميري، المحقق: احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة-بيروت-طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية:١٩٨٠ م.

٢٠١. روضة المحبين ونزهة المشتاقين: محمد بن ابي بكر ايوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية -بيروت، ١٤١٢-١٩٩٢.

٢٠٢. زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الاسلامي-بيروت-١٤٠٤، الطبعة الثالثة.

٢٠٣. زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

زاد المهاجر إلى ربه = الرسالة التبوكية

٢٠٤. الزواجر عن اقتراف الكبائر: ابن حجر الهيثمي: المكتبة العصرية -لبنان صيدا-بيروت-١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، الطبعة الثانية، التحقيق والاعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز.

٢٠٥. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٤هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض.

٢٠٦. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ.

٢٠٧. سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة واثرها السيئ في الامة، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٢.

٢٠٨. السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض.

٢٠٩. السنة: أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٠.

٢١٠. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٢١١. سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز-مكة المكرمة-١٤١٤-١٩٩٤.

سنن الترمذي= الجامع الصحيح سنن الترمذي.

٢١٢. السنن الكبرى: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية-بيروت-١٤١١-١٩٩١، الطبعة الأولى.

٢١٣. سير أعلام النبلاء المعجم المختص بالمحدثين: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، أبو عبد الله، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق-الطائف-١٤٠٨، الطبعة الأولى.

٢١٤. السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الجيل-بيروت-١٤١١، الطبعة الأولى.

٢١٥. الشخصية اليهودية من خلال القرآن، تاريخ، سمات، مصير، دار القلم-دمشق، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢١٦. شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة واجماع الصحابة: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة-الرياض، ١٤٠٢.

٢١٧. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية:١٤١١، بيروت.

٢١٨. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن ابي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، وزارة الشئون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد -المملكة العربية السعودية،١٤١٨هـ.

٢١٩. شرح العقيدة الأصفهانية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٥هـ.

٢٢٠. شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الازدي الطحاوي المسمى ب ((اتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل))، شرحها فضيلة الشيخ العلامة صالح بن عبد العزيز ال الشيخ، وزير الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد.

٢٢١. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية: محمد خليل هراس، الطبعة الأولى، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، ١٤١٣ هـ-١٩٩٢م.

٢٢٢. شرح ثلاثة الاصول: محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر، الطبعة الرابعة: ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٤م.

٢٢٣. شرح صحيح البخاري: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم، مكتبة الرشد-الرياض-١٤٢٣ هـ-٢٠٠٣م، الطبعة الثانية.

٢٢٤. شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، المؤلف: عبد الله الغنيمان.

٢٢٥. شرح معاني الاثار: أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة أبو جعفر الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩.

٢٢٦. شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن ابي الحديد، أبو حامد، عز الدين، المحقق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢٢٧. الشرك في القديم والحديث: أبو بكر محمد بن زكريا، مكتبة الرشد –الرياض، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

٢٢٨. الشريعة: أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي الطبعة الثانية، دار الوطن- الرياض السعودية - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٢٢٩. شعب الايمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى - بيروت-١٤١٠.

٢٣٠. الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي -بيروت-١٤٠٤-١٩٨٤.

٢٣١. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨ – ١٩٧٨.

٢٣٢. الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم: محمد إبراهيم العسال، استاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية اصول الدين جامعة الازهر، تقديم أحمد الغامدي، علي أحمد السالوس، الطبعة الأولى: ١٤٢٧.

٢٣٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة: دار العلم للملايين-بيروت، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

٢٣٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الطبعة الثانية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة-بيروت-١٤١٤-١٩٩٣.

صحيح البخاري = الجامع الصحيح المختصر

٢٣٥. صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الالباني، الطبعة الخامسة، مكتبة المعارف- الرياض.

٢٣٦. الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الطبعة الأولى:١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، أضواء السلف، الرياض المملكة العربية السعودية.

٢٣٧. صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، علوي عبد القادر السقاف، الدرر السنية، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة-١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٣٨. صفة الصفوة: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري- محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة -بيروت، الطبعة الثانية -١٣٩٩-١٩٧٩.

٢٣٩. الصفدية: ابن تيمية رحمه الله تعالى، الطبعة الثانية، ١٤٠٦، تحقيق: محمد رشاد سالم.

٢٤٠. الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر الى ان يفرغ منها: محمد بن ابي بكر ايوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابين، الجفان والجابي-دار ابن حزم- قبرص- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦-١٩٩٦.

٢٤١. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: محمد بن ابي بكر ايوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله دار العاصمة- الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨-١٩٩٨.

٢٤٢. الضعفاء الصغير: محمد بن اسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمود ابراهيم زايد، دار الوعي-حلب- الطبعة الأولى، ١٣٩٦.

٢٤٣. الضعفاء الكبير: أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، تحقيق: عبد المعطي امين قلعجي، دار المكتبة العلمية-بيروت الطبعة الأولى -١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م.

٢٤٤. الضعفاء والمتروكين: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤٥. الضعفاء: أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، مكتبة ابن عباس.

٢٤٦. طبقات أعلام الشيعة نوابغ الرواة في راوية الكتاب: الشيخ اغا بزرك الطهراني، تحقيق: علي تقي فنروي، دار الكتاب العربي- بيروت لبنان- الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م.

٢٤٧. طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي أبو الفضل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى -بيروت-١٤٠٣.

٢٤٨. طبقات الحنابلة: أبو الحسين ابن ابي يعلى، محمد بن محمد، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة-بيروت.

٢٤٩. طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو. هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثانية -١٤١٣هـ.

٢٥٠. طبقات الشافعية: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب-بيروت الطبعة الأولى، - ١٤٠٧،.

٢٥١. الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، دار صادر-بيروت.

٢٥٢. طبقات المفسرين للداوودي: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٥٣. طبقات المفسرين: أحمد بن محمد الادنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم-السعودية الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ،.

٢٥٤. طبقات المفسرين: عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر. مكتبة وهبة –القاهرة- الطبعة الأولى، -١٣٩٦.

٢٥٥. طبقات النسابين، بكر أبو زيد، دار الرشد، ١٤٠٧هـ-١٦٨٧م.

٢٥٦. طرح التثريب في شرح التقريب: زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني، تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية-بيروت- الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

٢٥٧. طريق الهجرتين وباب السعادتين: محمد بن ابي بكر ايوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٤-١٩٩٤،.

٢٥٨. العباب الزاخر: رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن القرشي الصغاني.

٢٥٩. العبودية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: محمد زهير الشاويش، المكتب الاسلامي-بيروت، الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م

٢٦٠. العقائد الاسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، للأستاذ العلامة عبد الحميد بن باديس.

٢٦١. العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد اهل الفرقة المرضية): محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني، تحقيق: أبو محمد اشرف بن عبدالمقصود، مكتبة اضواء السلف-الرياض، الطبعة الأولى،١٩٩٨.

٢٦٢. العقيدة الطحاوية: ابن ابي العز الحنفي، المكتب الاسلامي-بيروت-١٣٩١، الطبعة الرابعة.

٢٦٣. العقيدة الواسطية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن عبد العزيز بن مانع، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والافتاء -الرياض- الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

٢٦٤. عقيدة اهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة: سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني، تقديم فضيلة الدكتور الاستاذ: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، الطبعة الأولى:١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٦٥. عقيدة أهل السنة والجماعة: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية.

٢٦٦. العقيدة رواية ابي بكر الخلال: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة، ١٤٠٨هـ، دمشق.

٢٦٧. علل الحديث: عبد الرحمن بن محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن ابي حاتم، تحقيق: علي الصياح.

٢٦٨. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار احياء التراث العربي-بيروت.

٢٦٩. عمل اليوم والليلة: أحمد بن شعيب بن علي النسائي أبو عبد الرحمن، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية - ١٤٠٦.

٢٧٠. العهد القديم العبري: ترجمة بين السطور، عبري-عربي، الأبوان: بولس الفغالي وانطوان عوكر، الطبعة الأولى، الجامعة الانطونية: ٢٠٠٧ م توزيع المكتبة البولسية- لبنان.

٢٧١. عون المعبود شرح سنن ابي داود: محمد شمس الحق العظيم ابادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٢٧٢. العين: ابي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي.

٢٧٣. غاية البيان في تتريه الله عن الجهة والمكان: الشيخ خليل دريان الازهري، شركة دار المشاريع للطباعة، الطبعة الثانية، ١٤٢٩-٢٠٠٨م.

٢٧٤. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية-بيروت -١٤١٦ هـ-١٩٩٦ م، الطبعة الثانية.

٢٧٥. غريب الحديث لابن سلام: القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦.

٢٧٦. الفائق في غريب الحديث: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي- محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة- لبنان، الطبعة الثانية.

٢٧٧. الفتاوى الكبرى: الإمام العلامة تقي الدين ابن تيمية، تحقيق وتعليق وتقديم: محمد عبدالقادر عطا - مصطفى عبدالقادر عطا.

٢٧٨. فتح الباب في الكنى والالقاب، الشيخ الامام ابي عبد الله محمد بن اسحق بن منده الاصبهاني، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، ١٤١٧ هـ-١٩٩٦م، السعودية-الرياض.

٢٧٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة -بيروت.

٢٨٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري: زين الدين أبي الفرج ابن رجب الحنبلي، مكتبة الغرباء الأثرية.

٢٨١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر-بيروت.

٢٨٢. الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير للسيوطي: تحقيق: يوسف النبهاني، دار الفكر-بيروت الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٣م،.

٢٨٣. فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي، دار الاضواء-بيروت- ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م.

٢٨٤. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الافاق الجديدة، الطبعة الثانية - بيروت-١٩٧٧.

٢٨٥. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين، المحقق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان - مكتبة المؤيد، ١٤٠٥ – ١٩٨٥.

٢٨٦. الفصل في الملل والاهواء والنحل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، مكتبة الخانجي-القاهرة.

٢٨٧. فضائح الباطنية: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، مؤسسة دار الكتب الثقافية-الكويت، تحقيق: عبد الرحمن بدوي.

٢٨٨. فقه الأسماء الحسنى: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار التوحيد للنشر- الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ.

٢٨٩. فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، المحقق: احسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٨٢م.

٢٩٠. الفوائد: محمد بن ابي بكر ايوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الثانية.

٢٩١. فيض الباري على صحيح البخاري: من أمالي الفقيه المحدث الاستاذ امام العصر الشيخ محمد انور الكشميري ثم الديوبندي، حررها مع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري صاحب الفضيلة الاستاذ محمد بدر عالم الميرتهي، من اساتذة الحديث بالجامعة الاسلامية بداهيل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٩٢. قاعدة في المحبة: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، مكتبة التراث الإسلامي -القاهرة، تحقيق: محمد رشاد سالم.

٢٩٣. قاموس الكتاب المقدس: تأليف نخبة من الاساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين: الدكتور بطرس عبد الملك- الدكتور جون الكسندر طمسن- الاستاذ ابراهيم مطر.

٢٩٤. القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزابادي، مؤسسة الرسالة- بيروت.

٢٩٥. القرآن والتوراة اين يتفقان واين يفترقان: حسن الباش، دار قتيبة للنشر والتوزيع.

٢٩٦. قصة لوط بين القرآن الكريم والتوراة: جهاد حماد، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، فلسطين.

٢٩٧. قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس: أبو اسحاق أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري، مكتبة الجمهورية القاهرة.

٢٩٨. قصص الأنبياء: عبد الوهاب النجار، مدرس التاريخ الاسلامي بكلية اصول الدين وناظر مدرسة المرحوم عثمان ماهر باشا، الطبعة الثالثة، دار احياء التراث العربي بيروت-لبنان.

٢٩٩. قصص بني اسرائيل في القرآن والتوراة والتلمود: بكر محمد ابراهيم، مركز الراية للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م،

٣٠٠. قواعد ابن تيمية في الرد على المخالفين اليهود النصارى الفلاسفة الفرق الإسلامية: حمدي بن حميد القريقري.

٣٠١. القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار الرشد، ١٤٢٠ – ١٩٩٩، الطبعة الأولى.

٣٠٢. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: محمد بن صالح العثيمين، الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٣٠٣. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، المحقق: محمود إبراهيم الرضواني، مكتبة دار التراث، القاهرة: ١٤٢٢ – ٢٠٠١.

٣٠٤. القول السديد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٥-٢٠٠٤.

٣٠٥. القول المفيد على كتاب التوحيد: العلامة محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ.

٣٠٦. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الاسلامية، مؤسسة علو-جدة- الطبعة الأولى: ١٤١٣-١٩٩٢.

٣٠٧. الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية-بيروت- الطبعة الثانية: ١٤١٥هـ.

٣٠٨. الكبائر: محمد بن عثمان الذهبي، دار الندوة الجديدة -بيروت.

٣٠٩. كتاب إعلام المسلمين بعصمة النبيين: اسحاق بن عقيل عزوز المكي، دار ابن حزم، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٦، ١٩٩٥م.

٣١٠. كتاب إقامة الدليل على إبطال التحليل: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني.

٣١١. كتاب التعبير: مكتبة الرشد-الرياض-١٤٢٣ هـ-٢٠٠٣م، الطبعة الثانية، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم.

٣١٢. كتاب التوحيد: للشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

٣١٣. الكتاب المقدس: كتب العهد القديم والعهد الجديد، وقد ترجم من اللغات الاصلية، اصدار دار الكتاب المقدس في مصر، الاصدار السابع، الطبعة السادسة، ٢٠٠٩م.

٣١٤. الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي- بيروت.

٣١٥. كشف المشكل من حديث الصحيحين: أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن -الرياض- ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م.

٣١٦. الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد ابن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، - بيروت - لبنان - ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٣١٧. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣١٨. كتر العمال في سنن الاقوال والافعال: علي بن حسام الدين المتقي الهندي.

٣١٩. الكنى والاسماء: أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت ، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م،.

٣٢٠. لباب التأويل في معاني التتريل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ.

٣٢١. اللباب في علوم الكتاب: أبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية -بيروت لبنان الطبعة الأولى -١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م.

٣٢٢. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، الطبعة الأولى، دار صادر -بيروت،.

٣٢٣. لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعرف النظامية-الهند- مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة الثالثة -بيروت- ١٤٠٦-١٩٨٦.

٣٢٤. الله جل جلاله والانبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم دراسة مقارنة: محمد علي البار، الدار الشامية - دار القلم، الطبعة الأولى: ١٩٩٠.

٣٢٥. لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: محمد بن أحمد السفاريني الاثري الحنبلي.

٣٢٦. متن القصيدة النونية: محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٣٢٧. مجادلة أهل الكتاب في القرآن الكريم والسنة النبوية: نور الدين عادل، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، مكتبة الرشد- الرياض.

٣٢٨. مجاهد في تفسيره: مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج، تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية- بيروت.

٣٢٩. المجتبى من السنن: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الاسلامية-حلب الطبعة الثانية -١٤٠٦-١٩٨٦.

٣٣٠. مجمع البيان في تفسير القرآن: امين الاسلام ابي على الفضل بن الحسن الطبرسي، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين، قدم له الامام الاكبر السيد محسن الامين العاملي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م.

٣٣١. محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: حمدي صبح- أحمد بن على، دار الحديث: ٢٠٠٣.

٣٣٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الاندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية-لبنان الطبعة الأولى -١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣٣٣. المحكم والمحيط الاعظم: أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، بيروت.

٣٣٤. المحيط في اللغة: أبو القاسم اسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن ادريس الطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن ال ياسين، عالم الكتب -بيروت لبنان الطبعة الأولى -١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٣٣٥. مختار الصحاح: محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان -بيروت.

٣٣٦. مختصر شعب الايمان: عمر بن عبد الرحمن القزويني أبو المعالي، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط، دار ابن كثير -دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥.

٣٣٧. المختصر في اخبار البشر: أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن علي، المطبعة الحسينية المصرية الطبعة الأولى -القاهرة-١٣٢٥ هـ.

٣٣٨. المخصص: أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل ابراهم جفال، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى -بيروت-١٤١٧ هـ٩٩٦م،.

٣٣٩. مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين: محمد بن ابي بكر ايوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الثانية.

٣٤٠. المدارس النحوية اسطورة وواقع: ابراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى.

٣٤١. المدارس النحوية: شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، الطبعة السابعة.

٣٤٢. مدارك التنزيل وحقائق التأويل تفسير النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات، تحقيق: عبد المجيد طعمه حلبي، دار المعرفة -بيروت- ٢٠٠٨-١٤٢٩.

٣٤٣. المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم: محمد علي البار، الطبعة الأولى، دار القلم دمشق، ١٤١٠٥-١٩٩٠م.

٣٤٤. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: محمد باقر المجلسي، تحقيق: جعفر الحسيني، دار الكتب الاسلامية – طهران.

٣٤٥. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن امان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري، ادارة البحوث العلمية والدعوة والافتاء -الجامعة السلفية- الهند، الطبعة الثالثة-١٤٠٤ هـ١٩٨٤ م.

٣٤٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر: الامام أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، الدار النموذجية المطبعة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٣٤٧. مروج الذهب: أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر-بيروت، الطبعة الخامسة -١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

٣٤٨. المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى -١٤١١ هـ-١٩٩٠م.

٣٤٩. مسند ابي داود الطيالسي: سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، دار المعرفة-بيروت.

٣٥٠. مسند ابي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم اسد، دار المأمون للتراث -دمشق، الطبعة الأولى -١٤٠٤-١٩٨٤.

٣٥١. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة-مصر.

٣٥٢. مسند الشاميين: سليمان بن أحمد بن ايوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى -١٤٠٥-١٩٨٤،.

٣٥٣. المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي-بيروت-.

٣٥٤. مشارق الأنوار على صحاح الآثار: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، المكتبة العتيقة ودار التراث.

٣٥٥. مشاهير علماء الامصار: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: م فلايشهمر، دار الكتب العلمية -بيروت- ١٩٥٩م.

٣٥٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية-بيروت.

٣٥٧. مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، المكتب الاسلامي- بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣،.

٣٥٨. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة، دار الغيث – السعودية، الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ،.

٣٥٩. المطلع على أبواب الفقه: محمد بن ابي الفتح البعلي الحنبلي أبو عبد الله، تحقيق: محمد بشير الادلبي، المكتب الاسلامي- بيروت،١٤٠١-١٩٨١.

٣٦٠. مع الله الاسم الاعظم وقصة الاسماء الحسنى: سلمان العودة، مؤسسة الاسلام اليوم، الطبعة الأولى:١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م،.

٣٦١. معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول: حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم- الدمام، الطبعة الأولى -١٤١٠-١٩٩٠،.

٣٦٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٣٦٣. معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج احاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.

٣٦٤. معاني القرآن الكريم: النحاس، جامعة ام القرى -مكة المرمة- ١٤٠٩،الطبعة الأولى، تحقيق: محمد علي الصابوني.

٣٦٥. معتقد اهل السنة والجماعة في توحيد الاسماء والصفات: محمد بن خليفة بن علي التميمي، اضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٣٦٦. معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين: د محمد بن عبد الوهاب العقيل عضو هيئة التدريس بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، مكتبة اضواء السلف الرياض، الطبعة الأولى:١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٣٦٧. معجم الادباء او ارشاد الاريب الى معرفة الاديب: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ-١٩٩١م،.

٣٦٨. المعجم الاوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن ابراهيم الحسيني، دار الحرمين- القاهرة- ١٤١٥.

٣٦٩. معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر- بيروت.

٣٧٠. المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين، أعضاء ملتقى اهل الحديث.

٣٧١. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن ايوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء-الموصل الطبعة الثانية -١٤٠٤-١٩٨٣،.

٣٧٢. معجم المؤلفين: عمر بن رضا بن محمد راغب كحالة الدمشق، مؤسسة الرسالة: ١٤١٤- ١٩٩٣م.

٣٧٣. معجم المصطلحات النحوية والصرفية: محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة- بيروت، دار الفرقان-عمان الاردن، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٧٤. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بحاشية المصحف الشريف، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م،.

٣٧٥. معجم المناهي اللفظية ويليه فوائد في لألفاظ: بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الثالثة.

٣٧٦. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٣٧٧. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء ايوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش-محمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت-١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.

٣٧٨. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩م.

٣٧٩. معرفة الثقات: أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥-١٩٨٥.

٣٨٠. معرفة السنن والآثار عن الامام أبي عبد الله محمد بن أدريس الشافعي: الحافظ الامام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو أحمد البيهقي الخسروجردي، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - لبنان بيروت.

٣٨١. معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الارناؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة- بيروت الطبعة الأولى -١٤٠٤.

٣٨٢. المعرفة والتاريخ: أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٣٨٣. مغالطات اليهود وردها من واقع اسفارهم: عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار القلم، دمشق.

٣٨٤. مفاتيح الغيب: الامام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية-بيروت الطبعة الأولى -١٤٢١ هـ-٢٠٠٠ م،.

٣٨٥. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، المحقق: علي حسن عبد الحميد الحلبي، دار ابن عفان.

٣٨٦. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة- لبنان.

٣٨٧. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري: عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)

٣٨٨. مقاييس اللغة: ابي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب،١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢م.

٣٨٩. المقتنى في سرد الكنى: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني، أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد، الناشر الجامعة الاسلامية بالمدينة، ١٤٠٨هـ.

٣٩٠. مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم - بيروت - ١٩٨٤، الطبعة الخامسة.

٣٩١. المقصد الارشد في ذكر اصحاب الامام أحمد: الامام برهان الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، مكان النشر الرياض-السعودية.

٣٩٢. مكايد يهودية عبر التاريخ: عبد الرحمن حبنكة الميداني، الطبعة الثانية، دار القلم-دمشق.

٣٩٣. الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة- بيروت.

٣٩٤. المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور: إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفيني، محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية،: الطبعة الأولى.

٣٩٥. المنتخب من مسند عبد بن حميد: عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، الطبعة الأولى، مكتبة السنة-القاهرة-١٤٠٨-١٩٨٨.

٣٩٦. المنتظم في تاريخ الملوك والامم: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار صادر-بيروت- الطبعة الأولى: ١٣٥٨.

٣٩٧. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام اهل الرفض والاعتزال: أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب.

٣٩٨. منهاج السنة النبوية: شيخ الاسلام ابن تيمية، المحقق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى.

٣٩٩. منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات: محمد الامين الشنقيطي، الدار السلفية-الكويت الطبعة الرابعة -١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م،.

٤٠٠. المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل-لبنان-بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م،.

٤٠١. موسوعة الأحاديث والاثار الضعيفة والموضوعة: علي حسن علي الحلبي، د ابراهيم طه القيسي، د حمدي محمد مراد، مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٤٠٢. الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة: اشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية.

٤٠٣. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٤٠٤. موسوعة فقه الابتلاء: علي بن نايف الشحود.

٤٠٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية -بيروت الطبعة الأولى - ١٩٩٥،.

٤٠٦. النبوات: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، المطبعة السلفية-القاهرة-١٣٨٦.

٤٠٧. النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.

٤٠٨. نزهة الألباب في الألقاب: أحمد بن علي بن محمد المشهور بابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد، الرياض.

٤٠٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين ابي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية-بيروت-١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٤١٠. نقد التوراة اسفار موسى الخمسة: أحمد حجازي السقا، مكتبة النافذة.

٤١١. النكت والعيون (تفسير الماوردي): أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

٤١٢. نهاية الارب في فنون الادب: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية- بيروت لبنان الطبعة الأولى -١٤٢٤ هـ-٢٠٠٤ م،.

٤١٣. النهاية في غريب الحديث والاثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي-محمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان: ١٣٩٩-١٩٧٩.

٤١٤. نواقض الايمان الاعتقادية وضابط التكفير عند السلف: محمد بن عبد الله بن علي الوهيبي.

٤١٥. نواقض الإيمان القولية والعملية: عبدالعزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، مدار الوطن للنشر -الرياض، الطبعة الثالثة - ١٤٢٧هـ.

٤١٦. الهداية والإرشاد في معرفة اهل الثقة والسداد: أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي، المحقق: عبد الله الليثي، دار المعرفة -بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٧.

٤١٧. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت - ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م.

٤١٨. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق، بيروت الطبعة الأولى -١٤١٥،.

٤١٩. الوضع في الحديث: عمر حسن فلاتة، مكتبة الغزالي، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٤٢٠. وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة- لبنان.

٤٢١. الوفيات: ابي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، تحقيق: عادل نويهض، الناشر دار الاقامة الجديدة، ١٩٧٨م، بيروت.

٤٢٢. ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها، دراسة تربوية للآثار الإيمانية والسلوكية لأسماء الله الحسنى: عبد العزيز بن ناصر الجليل.

٤٢٣. اليهود بين النظرية والتطبيق، مقتطفات من التلمود والتوراة: علي خليل، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧.

٤٢٤. اليهود تاريخ وعقيدة: كامل سعفان، دار الاعتصام.

٤٢٥. اليهود في القرآن الكريم، سيرتهم واخلاقهم واحوالهم قبل البعثة، وجنسية اليهود في الحجاز في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، واحوالهم واخلاقهم ومواقفهم من الدعوة الاسلامية ومصيرهم. محمد عزة دروزة، -المكتب الاسلامي.

٤٢٦. اليهود في القرآن والسنة بعض من خلائقهم دراسة للنصوص، في محاولة لاستلهام العبر والدروس، القسم الاول: محمد اديب الصالح، دار الهدى للنشر والتوزيع-الرياض، الطبعة الأولى،١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٤٢٧. اليهود نشأة وتاريخا: صفوت الشواد، دار التقوى للنشر والتوزيع.

٤٢٨. اليهودية بين النظرية والتطبيق مقتطفات من التلمود والتوراة: دراسة اتحاد العرب ١٩٩٨م.

٤٢٩. اليهودية عرض تاريخي، والحركات الحديثة في اليهودية: عرفان عبدالحميد فتاح، الطبعة الأولى، دار البيارق-عمان ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٤٣٠. اليهودية: أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثامنة، ١٩٩٨م.

المحتوى

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين: أمَّا بعد:

فهذا بحث بعنوان: (الآيات والأحاديث والآثار العقدية الواردة في نبي الله لوط عليه السلام جمعاً ودراسة)، مقدم من الباحثة: أشواق بنت صالح محمد حمصاني، وذلك لنيل درجة الماجستير في العقيدة بإذن الله تعالى، بكلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة.

فقد انصب هذا البحث وانحصر في جمع الآيات والأحاديث والآثار العقدية الواردة في نبي الله لوط عليه السلام، ومن ثَمَ ترتيب وتقسيم المسائل العقدية المستنبطة منها على أركان الإيمان الستة.

تبرز أهمية هذا البحث في جمع واستيفاء ودراسة كل ما هو متعلق بالنبي لوط عليه السلام وقومه من الآيات والأحاديث والآثار العقدية، وتسليط الضوء على الدور البارز الذي تجسد في شخصية النبي الكريم لوط عليه السلام واستفراغه ما بوسعه في سبيل دعوة قومه إلى الحق، وردِّهم إلى الطريق الصواب. وكذلك في توضيح شُبه المشككين حول قصة النبي لوط عليه السلام والرد عليها ودحضها.

وقد جاءت هذه الرسالة في سبعة فصول مسبوقة بمقدمة، وملحقة بخاتمة وفهارس.

في المقدمة بينت أهمية الموضوع، وسبب اختياري له، والدراسات السابقة، والمنهج الذي سارت عليه الدراسة وخطة البحث.

وفي الفصل الاول: ذكرت نبذة تاريخية عن نبي الله لوط عليه السلام، ونسبه وأبرز ما تحلى به من الصفات الخَلقية والخُلقية.

وفي الفصل الثاني: جمعت فيه ما ورد عن النبي لوط عليه السلام في مسائل الإيمان بالله تعالى.

وفي الفصل الثالث: ذكرت ما ورد عنه من مسائل الإيمان بالملائكة الكرام، ومجيئهم للنبيين الكريمين ابراهيم ولوط عليهما السلام.

وفي الفصل الرابع: ذكرت فيه ما ورد في الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، وأبرز خصائص دعوة النبي لوط عليه السلام.

وفي الفصل الخامس: ذكرت فيه ما ورد من مسائل في الإيمان باليوم الآخر.

وفي الفصل السادس: ذكرت فيه ما ورد من مسائل في الإيمان بالقضاء والقدر.

وفي الفصل السابع: تناولت قصة النبي لوط عليه السلام وقومه كما وردت في أسفار التوراة، وبيان ما فيها من تحريف ومناقشة ذلك.

وقد اشتملت الخاتمة على أبرز النتائج ومنها:

١. ظهر لي أن معنى كلمة "لَوَطَ" بفتح أوله وأوسطه وآخره، في كلام العرب تحمل على معنيين: المعنى الأول: معنى الحُب، المعنى الثاني: تحمل كلمة "لَوَطَ" بفتح أوله وأوسطه وآخره، على معنى الإلصاق والإلزاق.

٢. يعتبر سيدنا لوط عليه السلام هو أول من هاجر إلى الله تعالى فراراً بدينه إليه، وراغباً فيما عنده سبحانه وتعالى، إلى أن هاجر سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وزوجته رقية رضي الله تعالى عنهم جميعاً.

٣. أنَّ هيئة أهل التقوى والصلاح تؤذي أهل الفجور والفسوق، ولا يرضون بها، وسبب كبير لتنفيرهم، لذلك لا يجتمع أهل الطهر والعفة والنزاهة مع الغارقين في ظلمات الفسوق والفواحش، ولابد أنْ يخرج أحدهما ويبقى الآخر.

ومما أوصي به عدة أمور منها:

١. الاهتمام بتصفية كتب التفاسير من الاسرائيليات المدسوسة فيها، وتنقيح الآثار الصحيحة فيها من غيرها، لبيان الغث من السمين، لاسيما وقد انتشرت مثل هذه الروايات المكذوبة بين طلبة العلم وعامة الناس وتمسكهم بها.

٢. التحذير الشديد من حقد وخطر اليهود ومن شايعهم، على الاسلام والمسلمين، وسعيهم الدؤوب لإبراز صفوة الخلق بأبشع الصفات وأرذل الخصال؛ من أجل نزع أهليتهم للدعوة إلى الله تعالى، ومن ثم فتح المجال للأعداء لبث سمومهم وعقائدهم المضللة.

إلى غير ذلك من النتائج والتوصيات المدونة في خاتمة البحث.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين.

Research Summary

Praise be to Allah and peace and blessings on the Seal of the Prophets Muhammad and his family and companions :

After:

This research entitled: (verses and Antiquities Allakadih the conversations contained in the Prophet , peace be upon him collectively Lot and study) .

Submitted by the researcher : longings girl Saleh Mohammed Hmassana , so as to obtain a master 's degree in religion , God willing , at the Faculty of advocacy and Theology , Umm Al-Qura University , Makkah.

This research has been focused and limited in the collection of verses and hadiths and Streptococcus effects contained in the Prophet Lot peace be upon him , and then arrange the division of Streptococcus derived issues including the six pillars of faith .

The importance of this research to gather and meet and study all Mahhumicalq Prophet Lot peace be upon him and his people from the verses and hadiths and Antiquities Streptococcus, and highlight the prominent role that reflects the personality of the Holy Prophet Lot peace be upon him and Astfragh Mabusah in order to call his people to the right, and their response to the road right. , As well as the clarify semi skeptics about the story of Prophet Lot , response and refutable.

The message came in seven chapters preceded by an introduction , and attached to a conclusion and indexes.

At the forefront I have shown the importance of the subject , the reason beyond choosing it, its pre studies and the process according to which the study and research scheme have been set.

In the first chapter : I have mentioned a brief history of the Prophet Lot peace be upon him , his attribution and his most prominent ethical and moral qualities .

In the second chapter : I collected wat has been stated about Prophet Lot , peace be according to the matters of faith in Allah .

In the third chapter : I have mentioned what has been stated about him in the matters of faith in angels, and their advent to prophets Ibrahim and Lot , peace be upon them .

In the fourth chapter : I have mentioned what has ben stated in the prophets (peace be upon them) , and the most prominent characteristics of the advocacy of prophet lot peace be upon him

In the fifth Chapter : stating what you stated in matters of faith the other day .

In Chapter VI : stating what you stated matters in fatalism .

In Chapter VII : Lot dealt with the story of the Prophet , peace be upon him and his people Kmaurdt in the books of the Torah and statement Mavera of distortion and discuss it.

The finale included the most prominent results , including :

1. Appeared to me that the meaning of the word " Lot " open beginning , and the end, in the words of the Arabs bear on those involved :

The first meaning : the meaning of love , the second meaning : Take the word " Lot " open ole , , etc., on the meaning Embed and Alelezag .

2. The Lot , peace be upon him is the first immigrated to God to escape his religion to him , willing him Almighty, to that emigrated master Osman bin Affan , may Allah be pleased with him and his wife, paper , God bless them all.

3. That the people of piety and righteousness hurt the people of immorality and debauchery nor dissatisfied and why great for Tnverhm , so it does not meet the people of purity , chastity and integrity with steeped in the darkness of evil and immoral , and must come out and remains one another .

It recommended , inter alia :

1. Attention to liquidate wrote interpretations of Israeli women , and revision of the correct effects than others , to demonstrate the wheat from the chaff , especially like this has spread false accounts between science students and the general public and their adherence to them .

2. Severe warning from the hatred and the risk of Jews and Hayahm , Islam and Muslims , and their striving to highlight the creation elite ugliest qualities and feeble the qualities ; of to disarm their eligibility for an invitation to God , and then open the way for enemies to broadcast their venom and misguided beliefs .

To other findings and recommendations of the Code at the conclusion of the search .

May Allah bless our Prophet Muhammad and upon his family and companions and Praise to Allah , Lord of the Worlds.

بحمد الله